بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(١)

ليست هذه أول مرة ألتقى فيها بابن أبى الإصبع المصرى ، فقد صحبتُه من قبلُ حين حققت له كتابه «بديع القرآن» ثم نشرته سنة ١٩٥٧ م مع تقديم اقتضاه المقام .

واليوم ألتقى معه مرة ثانية لتحقيق كتاب آخر له لعلّه من أهم كتبه البيانية وأعظمها أثرا ، وهو «تحرير التحبير» الذى يعدّ أصلا لكتابه «بديع القرآن» .

(٢)

وقد قصدت من هذا الموضوع إلى أمور :

أولها : تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً ، وإعداده للنشر ، ليكون مرجعاً للدراسة البيانية ، إذ هو مصدر قيّم لهذه الدراسة من الناحيتين : التاريخية والأدبية ، وهذا حق واجب علينا للعلم ، ما دمنا نهدف إلى استقصاء المصادر والمراجع ، وإقامة الدراسة على أسس قوية ، ودعامات وثيقة .

ثانيها : الإسهام - كما قلت فى تقديم (بديع القرآن) - فى بيان الشخصية المصرية فى تاريخ العلوم الأدبية ، فإن هذا الأصل مع فرعه - بديع القرآن -

يكوّنان موضوعاً شاملا يتناول البديع عامة ، ثم بديع القرآن خاصة ، وهو موضوع قد درس فى هذه البيئة المصرية ذات المقومات الطبيعية والعلمية والأدبية الخاصة .

ثالثها : المشاركة فى إحياء ذكرى هذا المؤلف وتاريخه ، وهو بذلك جدّ جدير ، فإنه يكوّن مع غيره كابن الأثير اتجاها بيانيا أدبياً يميل كثيرًا إلى الدراسة الفنية التطبيقية البعيدة عن الدراسة الفلسفية التجريدية . والكتابان يمثلان جهد ابن أبى الإصبع فى الجانب البيانى الخطير .

رابعها : وضع ابن أبى الإصبع موضعه بين علماء البلاغة – من سبقه ومن لحقه – وبيان مقدار ما له من أصالة أو تقليد ، إذ هو من غير شك حلقة من سلسلة العلماء الذين توفروا على دراسة البيان العربى ، وتأثر بسابقيه وأثّر فى لاحقيه ، كما كانت له مميزات على غيره وابتكارات تجعله ملحوظ المكانة فى تاريخ هذا العلم .

(٣)

أما منهج هذا البحث أو الموضوع ، فمن الطبيعى–وكما يدلّ عليه العنوان – أن يدخل فى فصلين :

الأول : بيان منزلة المؤلف بين علماء البلاغة ، وهذا الجانب يستغرق هذه الصفحات التى تأتى بعد هذه المقدمة ، فهى تتناول بوجه عام حياة المؤلف . بلاغته . نقده . شعره . رأيه فى إعجاز القرآن

الثانى : تحقيق كتاب «تحرير التحبير» اعتمادًا على النسخ المخطوطة والمراجع اللازمة ، وهذا ما بينته أمام النص .

وفى هذا المقام أرى لزاما علىّ ان أعترف بالجميل للسادة الأساتذة الأجلّاء الذين تولوا إرشادى وتوجيهى فى هذا البحث ، وأقر بالشكر الكثير للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى أتاح لهذا الكتاب الظهور بعد أن ظل مطموراً مئات السنين ، والمكتبة العربية فى حاجة شديدة إليه وإلى مثله من الكتب التى تتجه بالدراسة البيانية إلى الكشف عن إعجاز القرآن . وأدع للمولى سبحانه أن يتولى عنى جزاءهم كفاء ما قدّموا للعلم من خدمات تُذكر لهم بالشكر والثناء ، والحمد والدعاء ؛ والله ولى التوفيق .

حفنى محمد شرف

الفصل الأول
ابن أبي الأصبع المصري

حياته – بلاغته – نقده – شعره – رأيه فى إعجاز القرآن

(١)

هو أبو محمد زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن محمد المصرى المعروف بابن أبي الإصبع .

ولد رحمه الله بمصر سنة ٥٨٥هـ وقيل سنة ٥٨٩ هـ .

عاش معظم حياته فى مصر فى عهد الدولة الأيوبية ، وشطر من دولة المماليك البحرية . وكانت مصر فى هذا الوقت مطمع أنظار الصليبيين ، وبعض الأمراء المصريين ، الذين يطلبون الاستيلاء عليها والظفر بها ، فكثرت الفتن واشتعلت نار الحروب . ثم قسمت هذه الدولة بعد صلاح الدين الأيوبى إلى ولايات ، يحكم كل ولاية منها سلطان .

لم يصل إلينا بعد ما يدل على اشتراك ابن أبي الإصبع فى هذه الحروب أو تلك الفتن ، فيبدو أنه آثر العكوف على العلم والتأليف صنع رجال الزهد فى المناصب والانصراف عن الحروب والفتن ، إذ أننا لم نر فيما لدينا من المصادر وما وصل إلينا من شعره أنه تخصص بمدح سلطان يبغى جائزته ، أو شايع ملكا يرجو منه جاهاً ، أو ناصر سلطاناً أيوبياً على أخيه – مع

كثرة الخلاف بينهم - كما أنه لم يل من وظائف الدولة شيئاً كغيره من العلماء والشعراء الذين عاصروه .

نشأ في هذه الدولة المترامية الأطراف يجول بين رُباها ، ويحظى بما فيها . استوطن القاهرة ، فكان شاعرها الأول ، وقت أن كان جمال الدين أبو الحسين الجزار شاعر فُسْطاطها . وشارك أمته في حياتها العقلية ، فكان مؤلفاً وأديباً من الأدباء : وشاعرًا له التصانيف في الأدب وعلوم القرآن ، كما استجاب للروح الدينية التي كانت مسيطرة على العلماء ، تدفعهم إلى دراسة الفقه والحديث ، فألف فيهما ، كما لم يغفل الكلام عن السموات السبع ، وما في هذا العدد من السر الإلهي ؛ وتكلم عن الأنواء والنجوم والهداية بها كما كان له من الشعر مقطّعات في أغراض مختلفة.

ابن أبي الاصبع البليغ

(٢)

كان ابن أبي الإصبع بليغ مصر الأوحد الذي لم يلحق شأوه ، ولم يشقّ غباره ، وهذا ما حدثنا به صاحب «مسالك الأبصار» عندما تكلم عن علماء البلاغة في مصر ، فقال : «وأما مصر فلم يقع إلينا من أهلها إلا واحد ، وواحد كالألف ، وهو الزكي عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع ، جدّ حتى انقاد له الحظ ، وسهر حتى رقّ عليه قلب الليل الفظّ ؛ طالما محا الشك بإدراكه ، وتنحى سهيل فوقع في أشراكه ؛ مرّ على قطائع الكواكب فساق قلائصها ، وسام في طرائد الليل قنائصها ، وكان بمصر ، وله مثل مقطّعاتها ، ونظير مصبّغات ربيعها ؛ قِطَع شعرٍ هي

السحر الحلال ، والبارد العذب لا ماءُ النيل الزلال ، وعليه تخرّج جماعة من الأُدباء[1] » .

من النص السابق نرى مكانة مؤلفنا بين علماء البلاغة ، إذ كان رجلا عصاميّا ، استطاع أن يحلّق فى سماء الفن والعلم والمعرفة ، وأن يجلِّىَ فى حلبتها بجده واجتهاده ، ولقد كان بجانب ذلك أستاذًا يتخرج عليه الأُدباءُ والعلماءُ .

والدليل الواضح على بلاغته آثاره ، ولا سيما كتبه «تحرير التحبير» و «بديع القرآن» و «الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح» فالناظر فيها يلمح أدبه ونبوغه ، كما يحس ذلك من شعره ، وكما يعرف أيضاً أنه كان دقيق الحس ، قوىّ الشعور بالجمال ، فقد جمع آراءَ من سبقه إلى التأليف فى البديع ، وزاد عليها ، ورتب ألوانها ، وصنف فيها مصنَّفات قيّمة ، وسوف أضع بين يدى القارئ من النصوص ما يدل دلالة واضحة على بلاغته واقتداره ، وهذا ليس بغريب عليه ؛ فالبيئة التى عاش فيها ، وتأثر بها ، هى التى أملت عليه ذلك ، كما أنى لمست من فحوى مصنفاته استعداده الفطرى ، وذكاءه الوقّاد ، وكان لذلك كله أكبر الأثر فى دراسته للبديع.

ودراسته للبلاغة لم تقف عند جمع ألوانها ، بل تعدت ذلك إلى نقد تلك الألوان ، وتغيير تسمية ما لم تعجبه تسميته ، أو ما لم يجد اسمه يطابق مسماه ، كما فعل بأبواب الأجدابى « التسبيغ ، والتشريع » فسمى الأول «تشابه الأطراف» ، والثانى «التوأم» . وكتابه « بديع القرآن »

(١) مسالك الأبصار ٦ : ٢٣١

يدل دلالة واضحة على مقدرته العلمية ، فلقد عكف فيه على دراسة الأنواع البديعية فى القرآن مستخلصا لها من كتابه «تحرير التحبير» درَسَها دراسة وافية ، واستقصى فى القليل من الألفاظ القرآنية العدد الكثير من الألوان البديعية .

١ ـ فى باب الاستدراك[١] استشهد بقوله تعالى : «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة»[٢] ، فجعل هذه الآية استدراكا للآية السابقة ، فأزال الإشكال الذى وقع فى الآية السابقة ، وارتفع ما قدّر من الاحتمال ، وأبان عن المعنى أحسن بيان ، وأوضح ما فى ذلك من عجيب النطق ، وبديع الترتيب ، وحسن النسق ، وغريب التنكيت ، وبليغ الإيجاز فى وجوه الإعجاز ، فحصل فى هذه الكلمات أربعة عشر نوعاً من البديع : الإيجاز ، والترشيح ، والإرداف ، والتمثيل ، والمقارنة ، والاستدراك ، والإدماج ، والإيضاح ، والتهذيب ، والتعليل ، والتنكيت ، والمساواة ، وحسن النسق ، وحسن البيان .

٢ ـ وفى باب التوهيم[٣] استشهد بقوله تعالى : «وَإِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ»[٤] فيُعلِّق عليها بما يفيد معرفته لعلمَى النحو والتفسير معرفة جيدة استطاع بفضلها أن يخرِّج الآية تخريجاً يؤدى إلى المعنى المقصود ، وينعَى على النحويين تخريجهم لعطف غير

(١) بديع القرآن : ٩٠ .
(٢) سورة الأنفال : ٤ .
(٣) بديع القرآن : ١٠ .
(٤) سورة آل عمران : ١١١ .

المجزوم على المجزوم ، فيقول : «وهذه الآية يؤلف فيها طريق الإعراب فى الظاهر من جهة عطف ما ليس بمجزوم على مجزوم ، ليعدل عن الظاهر إلى تأويل يصحح المعنى المراد ، فإن المراد – والله أعلم – بشارة المسلمين بأن هذا العدو لا يُنصر أبدا ما قاتل المسلمين ، ليتكمّل سرور المسلمين بخذلان عدوهم فى الحال ، وأبداً فى الاستقبال ،» ولو عطف الفعل على ما تقدم على قاعدة العربية الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأن العدو لا يُنصر فى الحال ، وهو زمان المقاتلة ووقت التولية ، ولا يعطى ذلك خذلانهم على الدوام فى كل حال فقد قال النحاة : إن الوجه فى هذا الموضع أن يقال : هو من عطف الجمل ، فإن التقدير: ثم هم لا ينصرون ، ولكن هذا الكلام وذلك التخريج لم يعجبه ، ولم يرق عنده ، فعلق عليه بما يدل على فهمه للنحو والتفسير وحذقه بهما ، ومعرفته التامة بأسباب النزول ، فيقول : وعلى هذا التخريج أى تخريج النحويين ، لا يزال الإشكال باقياً ، ومع ذلك فإنه يقال : لم عدل عن مجيء الكلام على قاعدة العربية المعروفة إلى ما يحتاج إلى التأويل؟ وهلا قيل : وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصروا ، فيحتاج المجيب إلى أن يقول : لما كان مجيءُ الكلام على ما ذكرت غير محتاج إلى تأويل لايوفى بالمعنى المراد ، لأن المعنى المراد بشارة المسلمين أن عدوّهم متى قاتلهم كان مخذولا ، ومجيءُ الكلام على ما ذكر المعترض لايوفى بذلك المعنى ، فإنه لا يعطى إلا عدم النصر حالة المقاتلة فقط ، فلذلك عدل عن ذلك إلى ما جاء به التنزيل ، ليكون مجيءُ الثانى غير مجزوم ، وقد عطف على مجزوم منبّها السامع إلى السبب الذى من أجله عدل عن قاعدة الإعراب ،

فيفطن إلى أن ذلك إشارة إلى خذلان العدو أبدا ما قاتل المسلمين ، لمجىء الفعل دالا على الحال والاستقبال ، أما الحال فخذلان العدو حالة القتال ، وأما الاستقبال فالبشارة بأنه كذلك ما وقع منه القتال ، ولذلك عطف «بثمّ» من دون حروف العطف لما يدل عليه من التراخى والمهلة ، ليأتى بعض الألفاظ ملائماً لبعض ، فإن «ثم» دون حروف العطف ملائمة لما عطفه من الفعل الدال على الاستقبال .

٣ـ وتكلم فى باب الإبداع عن قوله تعالى : «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ويا سمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[1] فقد استخرج منها ثمانية عشر ضرباً من البلاغة ، سوى ما تعدّد منها مثل الاستعارة ، فإنها تعدّدت فى موضعين فى كَلِمَتَيْ الابتلاع والإقلاع ، وهذه الضروب هى : المناسبة بين ابلعى وأقلعى . والمطابقة اللفظية بين السماء والأرض ، والاستعارة فى ابلعى وأقلعى ، والمجاز فى قوله : ويا سماءُ فإن الحقيقة يا مطر السماء ، والإشارة فى قوله : وغيض الماءُ ، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء ، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ، والإرداف فى قوله : واستوت على الجودىّ ، فإنه عبر عن استقرار السفينة فى هذا المكان ، وجلوسها جلوساً متمكناً لا زيغ فيه ولا ميل ، والتمثيل فى قوله : وقضى الأمر ، والتعليل لأن غيض الماء علة الاستواء ، وصحة التقسيم حين استوعب سبحانه أحوال الماء حالة نقصه ، والاحتراس من تَوَهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لا يستحق الهلاك

(١) سورة هود : ٤٤

بالدعاء على الهالكين ، والانفصال فإن لقائل أن يقول : إن لفظة «القوم» يستغنى عنها ، فإنه لو قيل : وقيل بعدا للظالمين لتم الكلام ، والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه ، وحسن النسق فى عطف القضايا بعضها على بعض حسبما وقعت ، الأول فالأول ، وائتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لا يصلح غيرها مكانها . والإيجاز لأن الله تعالى اقتص القصة بلفظها مُسْتَوْعَبَة فى أخصر عبارة بألفاظ غير مطوّلة ، والتسهيم لأن من أول الآية إلى قوله تعالى : «أقلعى» يقتضى آخرها ، والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سهلة مخارج الحروف ، عليها رونق الفصاحة ، وحسن البيان ، حيث إن السامع لا يتوقف فى فهم معنى الكلام ، والتمكين لأن الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى مكانها ، والانسجام وهو تحدُّر الكلام بسهولة وعذوبة سبك ، والإبداع الذى هو فى مجموع الآية ، . علما بأن هذه الآية لا تتجاوز سبع عشرة لفظة .

وأى عالم هذا الذى يبحث فى ألفاظ قليلة ليستخرج منها أنواعاً بديعية كثيرة ثم لا يترك النحويين يخرِّجون الآيات تخريجاً يوافق قاعدتهم وإن لم يوافق المقصود من الآية ، بل ويرشدهم إلى المعنى المقصود إرشاد عالم بالنحو والتفسير كما أسلفت ، فلم يقف عند رأى النحاة مقلدا لهم ، مترسِّما خطاهم ، سائرا على طريقتهم ، بل خرّج الآية تخريجاً يقتضيه المعنى وإن خالف النحويين .

ابن ابى الاصبع الناقد

(٣)

لم تقف جهود ابن أبى الإصبع عند التأليف فى البديع ، واستخراجه من القرآن والشعر ، بل كانت له جولات فى النقد مع الشعراء السابقين يُتبِع شعره بشعرهم ، ويحسن ذلك الإتباع .

١ ـ فها هو ذا فى باب الاستتباع من كتابه (تحرير التحبير) يوازن بينه وبين ابن الرومى فى بيت تبعه فيه ، وبيت ابن الرومى[1] هو (بسيط) :

سدّ السَّداد فَمِى عمَّا يَريبُكُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ لكنْ فمُ الحال منى غيرُ مسْدُودِ

وبيت ابن أبى الإصبع (كامل) .

هبْنِى سكَتُّ أما لِسانُ ضرورَتِى ‏ ‏ ‏ ‏ أهجَى لكل مقصِّر عن منطِقِى

وقبل أن أعرض للموازنة بينهما أقول : إن ما عقده ابن أبى الإصبع من الموازنة يشمل الموازنة اللفظية ، والموازنة المعنوية ، واحتفاؤه بالبديع أكثر ، وسوف أعلق على كلامه بعد عرضه .

فالناظر فى بيت ابن الرومى يجد أنه قد وقع له فيه من المحاسن البلاغية تسعة أضرب ، وهى : التجنيس فى قوله : سد السداد ، والتفسير فى قوله عما يريبكم ، والاستدراك فى قوله : لكن وما بعدها ، والاستعارة فى قوله : فم الحال ، والتصدير فيما بين القافية وأول البيت ، والتمثيل لأن البيت خرج مخرج المثل ، والمساواة ، لأن لفظ البيت يساوى معناه ،

---

(١) ابو الحسن على بن العباس بن جريج ـ اى جيورجيوس ـ المعـــروف بابن الرومى ـ الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، توفى سنة ٢٨٤ هـ ببغداد ودفن فى مقبرة البستان . وهذا البيت ليس فى ديوانه المطبوع بين آيدينا . انظرالصناعتين ص ١٠ .

مقادير درجاتهم بحسب ما أعد لهم به من أعمالهم وإن عمهم الخلود .

وإنى أرى أنه لم يُرد برأيه هذا غير إثبات المعنى والغوص عليه ، والتأويل فى سبيل الوصول إليه ، فهو وإن كان أوّل ووصل فى هذه الآية إلى ما يريد فماذا يفعل فى قوله تعالى : «ومَنْ يعْصِ اللهَ ورسُولَهُ فَإنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبدًا»[1] وقوله تعالى : «ومِنْهُمْ منْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ . ومِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ[2] » .

وإنى مع اعتقادى بوجاهة رأيه السابق — وهذا شأن البلاغيين فى قضاياهم حيث يبهرون العقول بآرائهم فى ناحية ما من النواحى ، ثم لا يلبثون أن يتخلّوا عنها فى ناحية أخرى إذا وجدوها لم تسر معهم ، وعلى سننهم — أرى الحل لهذا الإشكال أن «مَنْ» يراد بها المفرد والجمع ، فمن أراد المفرد نظر إلى اللفظ ، ومن أراد الجمع نظر إلى المعنى . وقوّى جانب المعنى فى آية الوعد قوله ؛ (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) ، فالذى يدخل الجنات جمع ، وقوّى جانب اللفظ فى الوعيد قوله : (يدخله نارًا) .

* * *

٣—ونراه فى باب الانسجام ينفى الشعر عن القرآن ، ويردّ على من أثبته فيه ، وإن كان الرد فى بديع القرآن مقتضباً ، فإنه كما قال بسط الرد فى كتابيه «الشافية فى علم القافية» و «الميزان فى الترجيح بين

---

(١) سورة الجن : ٢٣ .

(٢) سورة يونس آيتا ٤٢ ، ٤٣ .

كلام قدامة وبين كلام خصومه ، ولم يُسعدنى الحظُّ بالوقوف عل أحد هذين الكتابين لعدم وجودهما ، وهذا نص ما قاله فى بديع القرآن :

« وأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك الشعر إلا ما هو على مثال البيت فقط ، والبيت المفرد لا يسمى شعرا قصد أو لم يقصد ، وعلى ذلك أدلة لا يتسع الكلام لذكرها ، وقد أتيت بها مستقصاة فى كتابين أحدهما : « الشافية فى علم القافية » والآخر « الميزان » .

وأرى أن رده على من أثبت الشعر فى القرآن ضعيف ، من حيث انه يثبت وجود الشعر فى القرآن بالبيت الواحد. والحقيقة أنه ليس فيه شعر بالبيت الواحد المقصود ولا بأكثر من البيت ، ولكن خيِّل لذوى القرائح السقيمة ، والعقول الضالة ، أن القرآن فيه شعر ، ولم يخرج ماادَّعَوْه شعرًا عن كونه كلاماً موزوناً فقط ،وغير مقفًّى ،ونحن نستطيع أن نزن كل كلام ينطق به أى إنسان ،ونستخرج الذى يتفق مع وزنه من التفاعيل ، ولا نستطيع أن نقول عنه إنه شعر .

ابن ابى الاصبع وصناعة الكلام

(٤)

ولم يكتف ابن أبى الإصبع بتتبُّع الشعراء ونقد العلماء ، بل كانت له جولات فى وضع الأُسس لصناعة الكلام ، لأن صناعته شعرًا ونثرًا شغلت كثيرًا من نقاد العرب وأدبائهم ، فألَّفوا فى ذلك كثيرًا من الكتب ، وأُفردت الفصول ، ووضعت الرسائل ، وكانت أول رسالة فى ذلك هى – فيما أعلمه – رسالة عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ ،

ثم رسالة بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠ هـ. ثم وصية أبي تمام - المتوفى سنة ٢٢٨ هـ - للبحترى فى صناعة الشعر ، ثم وضع كتاب « قواعد الشعر » لثعلب المتوفى سنة ١٩١ هـ ثم « عيار الشعر » لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، ثم كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥هـ

ثم مقدمة شرح « ديوان الحماسة » للمرزوقى الأصفهانى المتوفى سنة ٤٢١هـ والتى ذكر فيها عمود الشعر وما يلزم فى صناعته .

ثم كتاب « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » لأبي على الحسن بن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

ثم « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » لابن الأثير ضياء الدين المتوفى سنة ٦٣٧ هـ والاستدراك له فى سرقات المتنبي من أبي تمام الذى تحدث فيه عن المفاضلة بين الشعراء سواء اختلف معنى شعرهما أم اتفق ، مفضلا الشعر الذي يحتوى على تجربة إنسانية يتأدب بها الغِرُّ على الشعر الذى يعتمد على المحاكاة والمشابهة .

هذا غير ما كتب عن هذا الموضوع فى كتب البلاغة والنقد مثل كتاب « نقد الشعر » ، « ونقد النثر » ، « وسر الفصاحة » ، « وبديع التبريزى » « والبديع لأسامة بن منقذ » .

وابن أبي الإصبع من بين علماء البلاغة والنقد لم يفته الحديث عن هذا فقد تكلم عنه فى أثناء كلامه عن الأنواع البديعية فى كتابه « تحرير التحبير » ، ولكنه أفرد له كلاما خاصاً فى باب التهذيب والتأديب ، إذ أتى بوصية:

أبي تمام للبحترى فى عمل الشعر وعلّق عليها ، لأنه رأى أن أبا تمام ارتجلها ارتجالا ، فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها ، وإيضاح ما أشكل منها ، وزيادات تَفتقر إليها ، فحرر منها ما يحتاج إلى تحرير ، وأضاف إليها ما تتعين إضافته . ثم أفرد كلامه عنها فى كتاب له خاص بالنقد وسمه بـ «الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وخصومه» ثم وجد أن باب التهذيب والتأديب من كتاب «تحرير التحبير» أحوج إليها من ذلك الكتاب ، فأثبتها فى «تحرير التحبير» ، بعد أن قدم لها بمقدّمة تعتبر وصيَّة قائمة بذاتها تكشف عن مذهبه فى صناعة الكلام ؛ وأوصى بالاعتماد عليها ، وترسُّم ما جاء فيها .

والذى لاحظته بعد قراءة هذه الوصية وما زاده على وصية أبى تمام فيها أن ابن أبى الإصبع تأثر إلى حد بعيد بأبى تمام ، فهو يعتبره إمامه فى صناعة الشعر ، كما يعتبره إمامه فى البديع ، ولكن ابن أبى الإصبع يمتاز عن أبى تمام بأنه شاعر وعالم ، فشعره سهل غير متكلّف لا يغوص فيه على الألفاظ ، ويجرى وراءها ، ويؤلف بينها ، حتى يصنع نوعاً بديعيا ، كما يفعل أبو تمام ، كما أنه يكشف عن هذا البديع فى كلام الناس فيقنّنه ويحدده ، ثم يبيّن أثره فى الكلام ؛ فبذلك يكون قد درس البديع دراسة نظرية وتطبيقية .

ولكنه يؤمن بكل ما جاء فى وصية أبى تمام فى صناعة الشعر كلَّ الإيمان ، ويراها نبراساً يستضاءُ به فى هذه الصناعة ، ودستوراً يعتمد عليه ويتمسك بأهدابه ، ومنهجاً يجب أن يسلكه كلُّ من حاول صناعة الكلام .

وإنى فى بيان رأيه ومذهبه فى صناعة الكلام سأتجاوز فى نسبة كل ما ورد فى وصية أبى تمام لابن أبى الإصبع ، لأنه آمن به ، واعتبره دستوراً له ، وسأكشف عن مدى تأثره بمن سبقه من المتكلمين فى صناعة الكلام ، ومدى موافقته ومخالفته إياهم .

وقد بدأت فى دراسة مذهبه لهذه الصناعة وليس بين يدىَّ من النصوص إلا هذه الوصيَّة ، والمتناثر فى كتابيه «تحرير التحبير» و «بديع القرآن» مما يتصل بذلك ، وآثرت ألا أذكر نص الوصية اعتماداً على ذكرها فى باب التهذيب الموجود فى كتاب «تحرير التحبير» ، وسأكتفى بذكر ملاحظاتى عليها ، مبيناً طريقته التى رسمها فى هذه الصناعة ، ومذهبه الذى ارتضاه ، وموقفه بين النقاد وعلماء البلاغة .

يبدأ المؤلف وصيته بقوله : «وكنت قد جمعت فصولا يحتاج إليها القائل فى البلاغتين ، والواضع فى الصناعتين ، من عدة كتب من كتب البلاغة ، وصرفت ما لا يحتاج إليه ونقَّحتها وحرَّرتها ، وهأنذا أسوقها خاتمة لهذا الباب ، والله الموفِّق للصواب» .

من هذه الفصول التى جمعها سأبين موقفه من الشعر والشعراء ، وطريقة النظم وتخير القوافى والأوزان ، والميل إلى الاختصار ، وأكشف عن رأيه فى الأخذ من الغير ، وشعر البديهة ، وشعر الرويّة ، ونظم المنثور ، ونثر المنظوم ، وعن أصعب شيء يعترض الشاعر ؛ كما أبين رأيه فى تعقيد المعانى ، والتقعُّر فى الألفاظ ، والعمل على البعد بالشعر والنثر عن السَّقطَات والتكلف

أبي تمام للبحترى فى عمل الشعر وعلّق عليها ، لأنه رأى أن أبا تمام ارتجلها ارتجالا ، فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها ، وإيضاح ما أشكل منها ، وزيادات تَفتقر إليها ، فحرر منها ما يحتاج إلى تحرير ، وأضاف إليها ما تتعين إضافته ، ثم أفرد كلامه عنها فى كتاب له خاص بالنقد وسمه بـ «الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وخصومه» ثم وجد أن باب التهذيب والتأديب من كتاب «تحرير التحبير» أحوج إليها من ذلك الكتاب ، فأثبتها فى «تحرير التحبير» ، بعد أن قدم لها بمقدمة تعتبر وصيّة قائمة بذاتها تكشف عن مذهبه فى صناعة الكلام ؛ وأوصى بالاعتماد عليها ، وترسّم ما جاء فيها .

والذى لاحظته بعد قراءة هذه الوصية وما زاده على وصية أبي تمام فيها أن ابن أبي الإصبع تأثر إلى حد بعيد بأبي تمام ، فهو يعتبره إمامه فى صناعة الشعر ، كما يعتبره إمامه فى البديع ، ولكن ابن أبي الإصبع يمتاز عن أبي تمام بأنه شاعر وعالم ، فشعره سهل غير متكلّف لا يغوص فيه على الألفاظ ، ويجرى وراءها ، ويؤلّف بينها ، حتى يصنع نوعاً بديعيا ، كما يفعل أبو تمام ، كما أنه يكشف عن هذا البديع فى كلام الناس فيقنّنه ويحدده ، ثم يبيّن أثره فى الكلام ؛ فبذلك يكون قد درس البديع دراسة نظرية وتطبيقية .

ولكنه يؤمن بكل ما جاء فى وصية أبي تمام فى صناعة الشعر كلّ الإيمان ، ويراها نبراساً يستضاءُ به فى هذه الصناعة ، ودستوراً يعتمد عليه ويتمسك بأهدابه ، ومنهجاً يجب أن يسلكه كلّ من حاول صناعة الكلام .

وإنى فى بيان رأيه ومذهبه فى صناعة الكلام سأتجاوز فى نسبة كل ما ورد فى وصية أبى تمام لابن أبى الإصبع ، لأنه آمن به ، واعتبره دستورًا له ، وسأكشف عن مدى تأثره بمن سبقه من المتكلمين فى صناعة الكلام ، ومدى موافقته ومخالفته إياهم .

وقد بدأت فى دراسة مذهبه لهذه الصناعة وليس بين يدىَّ من النصوص إلا هذه الوصيَّة ، والمتناثر فى كتابيه «تحرير التحبير» و «بديع القرآن» مما يتصل بذلك ، وآثرت ألا أذكر نص الوصية اعتمادًا على ذكرها فى باب التهذيب الموجود فى كتاب «تحرير التحبير» ، وسأكتفى بذكر ملاحظاتى عليها ، مبيناً طريقته التى رسمها فى هذه الصناعة ، ومذهبه الذى ارتضاه ، وموقفه بين النقاد وعلماء البلاغة .

يبدأ المؤلف وصيته بقوله : «وكنت قد جمعت فصولا يحتاج إليها القائل فى البلاغتين ، والواضع فى الصناعتين ، من عدة كتب مِن كتبِ البلاغة ، وصرفت ما لا يحتاج إليه ونقَّحتها وحرَّرتها ، وهأنذا أسوقها خاتمة لهذا الباب ، والله الموفِّق للصواب » .

من هذه الفصول التى جمعها سأبين موقفه من الشعر والشعراء ، وطريقة النظم وتخير القوافى والأوزان ، والميل إلى الاختصار ، وأكشف عن رأيه فى الأخذ من الغير ، وشعر البديهة ، وشعر الرويّة ، ونظم المنثور ، ونثر المنظوم ، وعن أصعب شىء يعترض الشاعر ؛ كما أبين رأيه فى تعقيد المعانى ، والتقعُّر فى الألفاظ ، والعمل على البعد بالشعر والنثر عن السَّقطات والتكلف

واستعمال الوحشيّ من الألفاظ ، وهل هو بذلك التزم ما رسمه عمود الشعر أم زاد على أسسه التى وضعها . . . . . ؟ الخ .

يرى ابن أبي الإصبع أن الواجب فى صناعة الشعر ألا يكره الخاطر على وزنٍ مخصوص ورَوِيٍّ مقصود ، ويختار الشاعر الوقت المناسب للكلام فيقول : « أيها الراغب فى العمل ، السائر فيه على أوضح السبل ، بأن تحصّل المعنى – عند الشروع فى تحبير الشعر ، وتحرير النثر – قبل اللفظ ، والقوافى قبل الأبيات » . . . وهو هنا يتفق مع بشر بن المعتمر[1] ، وأبى هلال العسكرى[2] ، وضياء الدين بن الأثير[3] ، وابن طباطبا العلوى[4] فى تخيّر المعنى قبل تخيّر اللفظ ، والوقوف على القافية قبل إنشاء الأبيات ، ثم يقول : « ولا تعمل نظما عند الملل ، ولا تؤلف كلاماً وقت الضجر فإن الكثير معه قليل ، والنفيس معه خسيس » وهو هنا يتفق مع بشر بن المعتمر[5] ، والفرزدق الذى يقول : لقد يمر علىّ الزمن وإنّ قلع ضرس من أضراسى لأهون علىّ من أن أقول بيتاً واحدًا » ثم يطلب البعد عن التعقيد فى المعانى ، والتقعّر فى الألفاظ حتى يسلم الكلام من السّقطات ويبتعد عن التكلف فيقول : « وإياك وتعقيد المعانى ، وتقعير الألفاظ ، واعمل فى أحبِّ الأغراض إليك ، وفيما يوافق طبعك ، والنفوس تعطى

(١) انظر البيان والتبيين ١ : ١٣١ .
(٢) الصناعتين ١١٣ وما بعدها : أثناء كلامه عن كيفية نظم الكلام والقول فى فضيلة الشعر وما ينبغى استعماله فى تأليفه .
(٣) المثل السائر ١:٧ عند كلامه على آلات علم البيان .
(٤) عيار الشعر : ١
(٥) البيان والتبيين ١ : ١٣١

على الرغبة مالا تعطى على الرهبة » وهو كذلك يتفق فى هذا مع بشر بن المعتمر ، وابن طباطبا أيضاً[1] .

ثم يتكلم عن تنقيح الشعر وتنميقه وتهذيبه من شوائب الألفاظ ورديء المعانى فيقول عند الكلام على نظم القصيدة : «ولا تخرجها عنك إلا بعد تدقيق النقد وإنعام النظر ، فقد كان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر ، وينقّحها فى شهرين اقتداءً بزهير فإنه كان راويته » .

ثم يضع أمام الشاعر فى عمل شعره ، والناثر فى صناعة نثره ، دستوراً يسير على نَهْجه ، وطريقاً يسلكه فى أساويه ، حتّى يكون مقبولا ، فيقول : «ولا تجعل كل الكلام عاليا شريفاً ، ولا وضيعاً نازلا ، بل فصِّله تفصيل العقود ، فإن العقد إذا كان كله نفيساً لا يظهر حسن فرائده ، ولا يبين كمال واسطته » وهو فى هذا يتفق مع ابن طباطبا حيث يقول[2] : « ويكون كالنسّاج الحاذق الذى يفوِّف وشيَه بأحسن التفويف ، ويسدِّيه[3] ويُنيِّره[4] ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه . وكالنقاش الدقيق الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه . ويشبع كل صبغ منه حتى يتضاعف حسنه فى العيان ، وكناظم الجوهر الذى يؤلِّف بين النفيس منها والثمين الرائق ، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها فى نظمها وتنسيقها ، وكذلك الشاعر إذا أسّس شعره على أن يأتى فيه بالكلام البدوىّ الفصيح لم

---

(١) انظر البيان والنببين ١ : ١٣٥ ، وعيار النسعر ٧ .

(٢) عيار النسعر : ٥ و ٦

(٣) من سدى النوب يسديه اذا أقام سداه وهو ما مد من خيوط النوب عكس لحمته .

(٤) يقال نير النوب ينييرا اذا جعل له نيرا وهى الخيوط التى اجتمعت وكونت هدب النوب .

يخلط به الحضرىّ بالمولّد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها ، وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة » .

وهو فى هذا يراعى المناسبة بين الألفاظ والائتلاف بين المعانى حتّى لا تتنافر الكلمات وتتعقد المعانى ، وفى كل ما تقدم نراه يلتزم ما أشار إليه عمود الشعر من الأسس التى يجب اتباعها فى صناعة الشعر[1] .

ثم يتمم ذلك ببيان الطريقة التى يسلكها الشاعر فى عمل شعره فيقول له : « واعمل الأبيات متفرقة بحسب ما يجود به الخاطر ، ثم انظمها فى الآخر ، واحترس عند جمعها من عدم الترتيب ، وتوخَّ حسن النسق عند التهذيب ، ليكون كلامك آخذا بأعناق بعضه ، فهو أكمل لحسنه ، وأمتن لرصفه » وهو بهذا يتفق مع ابن طباطبا أيضاً حيث يقول : « بل يعلّق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله ، فإذا كملت له المعانى ، وكثرت الأبيات ، وفّق بينها بأبيات تكون نظاماً لها ، وسلكاً جامعاً لما تشتّت منها ، ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ، ونتجته فكرته ، فيستقصى انتقاده ، ويرمّ ما وهى منه[2] » . ثم يعود فيبين ما يعترض الشاعر بعد ذلك من المواطن التى يجب أن يتنبه لها حتّى يحسن موقعها لأنها مِلاك البلاغة فيقول : « وأجمل المبدأ والمخلص أو المقطع (البدء والختام) فإن ذلك أصعب ما فى القصيدة ، واجتهد فى تجويد هذه المواضع » ثم يتكلم عن اختلاف مقدرة الشعراء باختلاف الأغراض والمعانى الشعرية ،

(١) انظر مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقى .
(٢) عيار الشعر : ١

فقد يجيد شاعر المدح ولا يحسن الهجاء وبالعكس، فيقول: «وقد يبرز الشاعر فى معنى من معانى الشعر دون غيره» وهو فى هذا يتفق مع ابن الأثير حيث يقول: «وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع فى المنظوم يجيد فى المديح دون الهجاء، أو فى الهجاء دون المديح، أو يجيد فى المراثى دون التهانى، أو فى التهانى دون المراثى، وكذلك صاحب الطبع فى المنثور»[1]. ثم يبين لنا أن الشاعر قد يَبْدَهُ ويجيد، ويتروى ولا يجيد، ويرى أن مدار ذلك كله على الطبع فيقول «واعلم أن من الناس من شعره فى البديهة أبدع منه فى الرويّة، ومن هو مجيد فى رويّته وليست له بديهة، وقلما يتساويان» ثم يبين أن للشاعر مجالا وللناثر مجالا. وقلما يتساويان، وأن شأنهما فى ذلك شأن الناثر إذا خاطب أبدع. وإذا كاتب قصّر. بل من الشعراء من قوى نظمه وضعف نثره، ومن قوى نثره وضعف نظمه».

ثم يرى أن المقطّعات أحب إلى النفوس وأخف على الفؤاد وأثبت فى القلوب فيقول: «وعليك بالمقطّعات فإنها فى القلوب أحلى وأكمل، وفى المحاسن أرشق وأجوَل، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعْبَق».

ثم يسير بنا فى كيفية حل المنظوم ونظم المنثور، ويرى أن ذلك يمكن أن يكون بتغيير قوافى الشعر إلى فواصل السجع، وهو فى هذا يخالف ابن الأثير الذى يرى أن حل المنظوم يمثل ثلاث مراتب منها وهى أدناها:

كأن يأخذ الشاعر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة،

---

(١) المثل السائر ١ : ٨

وهذا عيب فاحش ، ومثله كمن أخذ عقدا أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده »[1] ولا شك أن تغيير القافية إلى فاصلة أو العكس لا زيادة فيه .

ثم لا ينسى الصفات الدرسية وضرورة وجودها بجانب الصفات الفطرية - الذكاء والفطنة - حتى تكمل شاعرية الشاعر وقوة الناثر ، وتلك تكون بحفظ قواعد العربية وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحو ، والتصريف ، والعروض ، والقوافى وما سومح به الشعراءُ من الضرورات التى يلجئ إليها ضيق الوزن ، والتزام التقفية ، ليعلم مايجوز له استعماله ، ومايجب عليه إهماله ، وهو وإن خالف أبا تمّام فى هذا إلا أنه يوافق ابن سنان[2] وابن الأثير[3] ، كما أوجب على ناظم الكلام أن ينعم النظر فى علوم البلاغة ، حتى يستطيع أن يعرف محاسن اللفظ مفردا ومركّباً ، ويحيط بما يتفرع من أصول النقد الذى منه البديع الذى هو رقوم الكلام ، ونتائج مقدّمات الأفهام ، وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز ، وليميز إعجازه أدق تمييز ، فإنه البحر الذى لا تفنى عجائبه ، ولا يظمأ فيه راكبه ، منه استخرجت درر المحاسن ، واستنبطت عيون المعانى ، وعرف كنه البلاغة ، وتحقق سر الفصاحة . وهو فى هذا يتفق مع ابن الأثير[4] وابن سنان[5] .

---

(١) المثل السائر ١ : ٧٨
(٢) سر الفصاحة ٢٤١
(٣) المثل السائر ١ : ٩
(٤) المثل السائر ١ : ١٠
(٥) سر الفصاحة ٢٤٢

ثم يرى ضرورة معرفة ناظم الكلام بحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحفظ أشعار العرب وأمثالها وأنسابها وأيامها وسائر أخبارها ومحاسن آثارها ، ومقاتل فرسانها الأمجاد ، ونوادر سمحائها الأجواد ، وهو فى هذا يتفق مع ابن الأثير ، وابن سنان (١) أيضاً .

ويرى ابن أبى الإصبع أن هناك أشياء أخر تلزم بجانب ما تقدم فى صناعة الكلام حتى يعدّ الكاتب والشاعر من الفضلاء ، وتعلو بين العلماء والأدباء درجتهما ، وتطير بين الناس سمعتهما . فقال : «عليهما – بجانب ماتقدم – معرفة النجوم والأنواء ، وعلم هَيْئة السماء ، وتعقّل الآثار العلوية ، والحوادث الأرضية ، والمشاركة فى الطب والطبائع والحساب ، وما يحتاج إليه الكتّاب من الفقه والحديث ، ونقل التاريخ » وهو فى هذا يتفق مع شيخ الكتّاب عبد الحميد الكاتب فى وصيته لأبناء صنعته ، وبه أخذ عبدالرحيم ابن على بن شيث القرشى (٢) . كما أوجب على الشاعر بأن يتقن تأليف الكلام ، ويجيد تركيب الألفاظ . وإلى ذلك أشار بقوله (خفيف) :

انتخبْ للقَريضِ لفظا رقيقاً ... كنسيم الرياض فى الأسحارِ
فإذا اللفظ رقَّ شفَّ عن المع ... نى فأبداه مثلَ ضوءِ النهارِ
مِثلَما شفَّت الزجاجةُ جسما ... فاختفى لونها بلون العُقارِ

ولم ينس ابن أبى الإصبع نفسية الشاعر والكاتب من غير أن يسبغ عليها صفات ، حتى تحوز قصب السبق بين أخواتها ، فأوجب على كلٍّ من

(١) انظر المثل السائر ١ : ١٠ ، وسر الفصاحة ٢٤٢ .
(٢) انظر معالم الكتابة : ١٢ وما بعدها .

الشاعر والكاتب أن يتحلى بتلك الصفات بجانب الصفات الدرسية ، «وذلك بأن يعتبر نفسه أولا ويمتحنها بالنظر فى المعانى ، وتدقيق الفكر فى استنباط المخترعات ، فإذا وجد لها نظرة سليمة وجبلّة موزونة ، وذكاءً وقّادا ، وخاطرًا سمحاً ، وفكرًا ثاقباً ، وفهما سريعاً ، وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة ، سار فى ركب الشعراء ، وانطوى تحت لواء الكتّاب» فهو بهذا يطلب من الشاعر والكاتب أن يمتحن كلٌّ منهما نفسه ويختبرَها فإن وجد منها قوة ، وأنس فيها سبقاً وأدباً ، دخل فى وسط أهله .

ولا شك أن هذا مقياس يحتّم على من لا يأُنس فى نفسه المقدرة ألا يدخل فيما ليس بقادر على أن يسير فيه مع أصحابه ، ويترك الأمر لذويه ولا يقحم نفسه فيما ليس من أهله .

ثم يستثنى من هذا المقياس بعض تلك الصفات ، ويرى عدم لزومها كلّها فيقول : «وإن كنت أرى أن هذه الصفات لا تلزم كلها ، ولكن إذا وجدت جلُّها كان صاحبها موصوفاً بكمال الأوصاف النفسية» .

ثم يسير فى معالجة النفس بطلب البعد بها عن الإسراف فى الشكر والدعاء للممدوح ، فإن ذلك مما يورث الملل للنفس ، ويخفض الجاه ويحطُّ المقام ، ويوجب ثقل الكلام ، وبهذا أخذ — من بعده — عبد الرحيم بن شيث(1) .

ثم يحذِّر الشاعر والكاتب من أن يقف خاطرهما بسبب معاندة الزمان لهما ، وتقدم الجهّال عليهما ، واختصاصهما بالأموال ، وتواتر ضروب

(1) انظر معالم الكتابة : ١٢ وما بعدها .

الحدثان ، وتعذر الكسب ، وعزة المطلب ، فيكون ذلك داعياً لهما إلى ترك الاشتغال ، وسبباً فى فتور عزمهما عن تحصيل العلوم وذريعة لقعودهما عن رياضة أنفسهما ، واستعمال خاطرهما ، فيلحقان بالأخسرين أعمالا وأقوالًا ، بل يكون اجتهادهما فى ذلك اجتهاد راغب فى عمل ، شديد الأنفة من مساواة الجهّال ، ويكونان عاشقين فى تزكية أنفسهما ، مائلين للتقدم بنفس العلم على أبناء جنسهما ، وما أحسن قول القائل :

تعلَّم فليس المرءُ يُولَدُ عالما ... وليس أخُو علم كَمَن هو جاهلُ

وإن كبيرَ القوم لا عِلْم عنده ... صغيرٌ إذا التفّتْ عليه المحافلُ

ولا بد للمجتهد من يومٍ تُحمد فيه عاقبة اجتهاده ، ويحصل على مراده .

ثم حذّر الشاعر من أن يعتمد على الصفات الفطرية ، ويترك الصفات الدرسية فقال : «وإياك والاعتماد على ذكائك وفطنتك . وتستغنى بذلك عن الاشتغال» وهذا ما يحدث لكل إنسان عنده ذكاءٌ وفطنة حتى لا يماثل الجهّال فى نظره ، إدلالا بطبعه ، واتكالا على حذقه . وعليه أن يَعرض شعره على من يحسن الظن بمعرفته . ويتحقق أن مرتبته فى العلم فوق مرتبته ، ولا يهمل ذلك فإن خطره عظيم . (وفَوقَ كلِّ ذى عِلْمٍ عليم) .

وابن أبى الإصبع فى هذه القواعد التى رسمها لصانع الكلام ، وضع أصولا يجب أن تُحتذَى ، ورسوماً يجب أن تتوفر فى الشاعر والناثر ، فلم ينس مادة الشاعر والناثر علميا ونفسياً حتى يفوق قرناءه ، ويسلم من الخطإ ويبتعد عن النقد .

ابن أبى الاصبع الشاعر

(٥)

بعد أن تكلمت عنه بليغاً وناقداً سأتكلم عنه شاعراً ، وإن لم يصل الينا من شعره سوى مقطّعات يسيرة ، لا يستطيع الدارس لها أن يصل إلى حكم سليم عليه من الناحية الشعرية .

والناظر فى شعره يتبيّن جليا أنه عاش عيشة المفتنين المجيدين ، وأنه وهب نفسه للجمال ، وفكره للخيال ، فقد عاش حياته فى القاهرة وضواحيها يتنقل بين رباها وخمائلها ، ويجول بين مروجها وجداولها ، وهو شاعر الطبيعة ومصورها ، قد امتلأت نفسه وعينه من جمال الحياة ، وجمال الفن ، فراح يبرز هذا الجمال المعنوى فى صور مختلفة من الجمال اللفظى ، فانتقى الألفاظ الصافية ، واختار الألوان الزاهية ، ودبّجها بزخرف بديعه ، ووشّاها بكثير من مجازه ، كما وصف كلّ ما وقع عليه بصره ، وسمعت به أذنه .

وإنى أتكلم الآن عن أغراض الشعر التى عرفها ابن أبى الإصبع ، والتى أمكننى أن أستخرجها مما عثرت عليه من شعره . وليس معنى ذلك أن الأغراض التى لم تأت فى شعره لم يعرفها ، أو لم يتكلم فيها ، بل قد يكون عرفها وقال فيها شعرا ، ولم تصل بعد فيما وصل إلينا من شعره ، وها هى ذى أغراض الشعر عنده :

(ا) تكلم فى «الوصف» ولكنه لم يصف معركة حربية ، ولا ركوب

سلطان ، ولا فتح مدرسة ، ولا وصْف بناء مشيّدٍ ، بل وصف الخمر وكاساتها ، والطبيعة وعواصفها ، ولم أدر لم وصف الخمر وهو فقيه ؟ ، أكان يتناولها أم كان كلامه عنها من باب المحاكاة ؟ وإنى أُرجِّح أن وصفه إياها كان من باب المحاكاة ، لأن جل شعراء عصره كانوا فقهاء يتورعون عن شرب الخمر ؛ ومن وصفه لمجلس شراب[1] (طويل) .

وساقٍ إذا ما ضاحكَ الكأْس قابلتْ ... فواقعُها مِن ثغره اللؤْلوَّ الرَّطبا
خشيتُ وقد أمْسى نديمى على الدُّجى ... فأسدلْتُ دون الصبح من شعره حُجْبا
وقسَّمتُ شمس الطاسِ فى الكاسِ أنجُماً ... ويا طُول ليل قُسِّمت شمسُه شُهْبا

وقوله فى وصف زوبعة (طويل) :

علَا وهجُ الإعصار عند التفافِه ... فأعجل عيْنى أن تغمِّض جفنيها
كراقصة قد أسرعتْ دورانها ... إذا انفَتلت لَفَّت على الخَصْر كُمَّيْها

وكقوله أيضاً[2] (سريع) :

أقولُ للناس وقد أنذر الـ ... إعْصارُ منْ شاهده فى الهواءْ
تَعوَّذوا فى الأَرض مِنْ فِتْنة ... غُبارُها يصعدُ نحو السَّماءْ

وله فى وصف فرس أدهم محجَّل[3] (طويل) :

وأدْهمَ جارَى الشَّمْس فى مِثْل لوْنِه ... من المغرب الأَقصى إلى جانب الشرقِ
فوافى إليه قبلها متمهِّلاً ... فأَعطاه من أنواره قصَب السَّبْقِ

---

(١) مسالك الابصار ٦ : ٢٣١ .
(٢) مسالك الابصار ٦ : ٢٣١ .
(٣) معاهد التنصيص ٤ : ١٨ .

والذى لاحظته على وصف ابن أبى الإصبع أنه وصف حِسّىٌّ ليس فيه انفعال نفسى ولا تحليلى .

* * *

(ب) ومن أغراضه التى عثرت عليها فى شعره «الغزل» وهو وإن كان من أغراض الشعر الدائمة ، إلا أنه كثر فى شعر هذا العصر ، قال[1] (طويل) .

تصدَّقْ بوصل إنَّ دمعىَ سائلُ   وزوِّدْ فؤادى نظرةً فهوَ راحلُ
فخدُّك موجودٌ به البرُّ والغِنى   وحُسنُك معدومٌ لديه المُماثِلُ
أيا قمرًا مِن حُسن وَجْنتِه لنا   وظِلٌّ عِذَاريْهِ ، الضُّحى والأَصائلُ
تنقَّلت مِن طرْف لِقلب مع النَّدى   وهاتيكَ للبدر التِّمامِ منازلُ
إذا ذكرتْ عيناكَ للصبٍّ درْسها   من السِّحر قامت بالدَّلال الدلائلُ
أعاذلُ قد أبصرتَ حبِّ وحُسنَه   فإن لُمتَنى فيه فما أنت عاقلُ

وكقوله[2] :

أيا عَبْلَة الألحاظِ قَلبُكِ عَنْترُ   ومالى على غاراته فى الحشا صَبْرُ
نعَمْ أنتِ يا حسناءُ خَنْساءُ عصْرنا   وشاهدُ قولى أنَّ قلبكِ لى صخْرُ

أمَّا غزله جملةً فلا ندرى أعن عاطفة صادقة ، أم هى المحاكاة للسابقين من الشعراء أيضاً ؟ وأمَّا غزله بالمذكَّر فقد تورط فيه كبعض شعراء عصره ،

---

(١) عيون التواريخ وفيات ٦٥٤ — ٧٢ — ٧٥ ، فوات الوفيات ١/٣٧٤ مع تغيير بسيط فى الألفاظ وان كان ابن حجة الحموى فى خزانته ١٣٩ ينسبها الى ابن الساعاتى ، المنهل الصافى ٢/٣٣٣ مخطوط .

(٢) المصادر السابقة .

سواءٌ منهم العف والآثم ، وليته عفّ عن هذا النوع من الشعر . على أن بعض الشعراء تغزّل بحب النساء ، وكان خطابه مع ذلك للمذكر ، فلعله من هذا القبيل .

ولسنا بسبيل الدفاع عن الرجل ، وإثبات التقوى والورع له ، وإنما المهم هنا أن نزن شعره لنعرف مكانه بين شعراء عصره وغيرهم من الشعراء .

* * *

(ج) ومن الأغراض التى قال فيها ابن أبى الإصبع «المدح» وهو من الأغراض الشعرية القديمة ، وهذا الغرض فى عصر صاحبنا فترت فيه المعانى الجديدة الجيدة ، كما نلمح ذلك فى مدحه للملك الأشرف موسى الأيّوبى حيث يقول (طويل) :

أَرَى الخَدَّ يُبْدِى تارةً جنَّةً خَضْرا	أَسَطْرى به أَمْ خَطَّ مِن صُدْغِهِ سطْرا[1]
عجبتُ له خدًّا تَوَرَّدَ خَجْلَةً	يُريكَ بِأُسِّ الصِّدْقِ فيه الدُّجى ظُهرا
رفعتُ له عن دَمع عينى ظُلامةً	أَروم بها عطفاً فوقَّع لى «يُجرى»
بذا العالَم السُّفلىِّ بات فقد غَدَا	على العالَم العُلْوىِّ يُبْدِى به الفخْرا
غدا مجمعُ البَحْرَين شرْطَ قِرانِنا	أَلم تر مُوسى فيه قد صادق الخِضْرَا
قِرانٌ أَرانا برجه الشَّمس والبَدْرا	فأَضحى لنا بل للأَنام به البشرى
به اجتمعا لكنّ ذا لم يقل لِذا	غداة غدٍ : لن تَسْتَطِيعَ مِعِى صَبْرَا

وإن القارئ لهذا الشعر ليحس أنه مدح زائف لم يصدر عن عقيدة ولا

(1) مسالك الأبصار ٦/٢٣١ .

إيمان ، وقد بدأه بالغزل ، وبالغ فى المدح ، وأسرف فى المبالغة ، كما نلمس هذا المعنى أيضاً من قوله فى الملك الأشرف موسى[1] (طويل) :

فَضحت الحيا والبحر جُودًا فقد بَكَى الْ ... حَيا مِن حياء منك والْتطم البحرُ
عيونٌ معانيها صحاحٌ وأعينُ الـ ... ملاح مِراضٌ ،فى لواحظِها كَسْرُ
هى السحر فاعجب لامرئٍ جاءَ يبتغِى ... عَواطفَ من موسَى وصنعته السِّحْرُ

وقد شاع فى هذا العصر مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وتراه فى شعر ابن أبى الإصبع ممتزجاً بحب النبي الكريم والحنين إليه ، كما يظهر ذلك من قصيدة لم أعثر إلا على مطلعها ، وقيل إنه وصف القرآن فيها ، ومطلعها[2] (طويل) :

بِسُكْرِ الصَّبا أعطافُها تتأوَّدُ ... فألحاظُها سُكرًا علينا تُعرْبِدُ

ثم وصف القرآن بعد ذلك بما لا يتصل بمدح الرسول الذى نحن الآن بصدده ، وهذا المطلع لقصيدة بلغت عدتها خمسة عشر بيتًا وثلاثمائة من ديوان شعر له أفرده بمدائح النبي – عليه الصلاة والسلام – والخلفاء الراشدين ، مع قطع فى مدح أهل البيت ، وسماه (صِحاح المدائح) هذا كلامه هو .

ولعل إكثار ابن أبى الإصبع من مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – لأسباب أمكننى أن أصل إليها بعد دراسة عصره وحياته ؛ فمن هذه الأسباب :

---

(١) معاهد التنصيص ٤ : ١٨ ، والمنهل الصافى ورقة ٣٣٣ .
(٢) بديع القرآن « باب الاقتدار »

أولا : ماكانت عليه البلاد من سوء الحال والفقر والمرض والفتن والاضطرابات مما حدا به وبغيره من الشعراء أن يتوسلوا بالنبي ويمدحوه .

ثانياً : كان ابن أبي الإصبع فقيهاً ومفسرًا وشاعرًا ، فلعله رأى أن من العيب ألا يمدح النبي ويتواجد بذكره ، فأكثر من مدحه ، كما أن ذيوع التصوف فى هذا العصر كان من بين العوامل التى دفعته إلى الإكثار من هذا النوع .

ثالثاً : لما كان ابن أبي الإصبع من رجال البديع ، بل يعتبر من العمد التى اعتمد عليها أصحاب البديعيات من بعده ، وكان مولعاً به ، فجمع منه ما جمع ، وألف فيه كتابين ، كل هذا دفعه إلى الإكثار من مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - لما يظهر فى هذا النوع من المحسّنات البديعية ، ولذلك نجد أصحاب البديعيات من بعده كل منهم يصوغ (بديعيته) فى مدح النبي الكريم مضمنا كل بيت نوعاً أو أكثر من البديع .

(د) التصوف والزهد : لقد تردد فى شعره تفضيل الآخرة ، والتزهيد فى الدنيا ، وبيان أنها قنطرة إلى الآخرة ، وفى هذا يقول[1] (خفيف) .

من يذُمُّ الدنيا بظُلْمٍ فإنِّ ... بطريق الإنصاف أُثني عليها
وعظتْنا بكلِّ شيءٍ لو أنّا ... حين جادتْ بالوعْظِ من مُصْطَفَيْها
نصحتْنا فلم نر النُّصْح نُصحاً ... حين أبدتْ لأهلها ما لدَيْهَا
أعلَمَتْنا أن المآل يقينا ... لِلبِلَى حين جدَّدتْ عصرِيها
كم أرتْنا مَصارعَ الأهل والأحـ ... ـباب لو نَستفيقُ بين يَديْهَا

(1) فوات الوفيات ١ : ٣٧٤

ولكم مهجة بزهرتها اغترّ ت فأدمتْ ندامةً كفَّيْها
أتراها أبقت على سَبأٍ منْ قبلنا حين بدَّلت جنّتيها
يوم بؤس لها ويوم رخاءٍ فتزوَّدْ ما شئت من يومَيْها
دارُ زاد لمن تَزوّدَ منها وغرور لمن يميل إليها
مَهْبِطُ الْوَحْي والمُصلَّ التى كم عفَّرتْ صُورةً بها خدَّيها
مَتْجَرُ الأَولياء قد ربِحوا الجنَّ ةَ فيها وأُوردُوا عيْنَيها
رَغَّبتْ ثم رهَّبتْ ليرَى كُلُّ لبيب عُقباه مِنْ حَالَتيها

فالقارئ لهذا الشعر يخيَّل إليه أن صاحبه كان صوفيا ، وواعظا ، ومرشدا يحذر من الدنيا وغرورها ، والسعى وراء لذاتها ، وهو فى هذه القصيدة لا يذم الدنيا بل يذم من أسرف فى حبها ، ولَها بها ، ويثنى على من يفطن إلى أنها دار زوال موصّلة إلى دار القرار ، مع أُسلوب جزل ، وألفاظ سهلة تحمل فى ثناياها كل نوع من أنواع الخشوع والتديُّن .

* * *

(هـ) هجا ابن أبى الإصبع ، والهجاء غرض من أغراض الشعر القديمة والدائمة فى كل العصور ، وهو شاعر له إحساسه وعواطفه ، وتحيط به بيئة فيها ما يسر وما يسوء ، فلابد إذن أن ينفِّس عن نفسه ويسرِّىَ عن عاطفته بهجاءٍ يوجهه إلى من لا ترضيه حاله ، ولكن هذا الهجاء وذلك النقد كانا بألفاظ بعيدة عن فاحش الكلام ، بل لم تتعد وصف الشخص بما فيه من عيوب ، وشعره خير دليل على صدق ما أقول ؛ كما أننى أراه يهجو

إذا لم يجد من ممدوحه سخاءً وبذلا ، حيث يقول فى هجاء بخيل[1] (متقاب) :

ولمّا رأيتك عند المدِيـح جَهْمَ المُحيَّا لَنَا تَنْظُرُ
تيقَّنتُ بُخْلَكَ لى بالنَّدى لأنَّ الجَهامــة لا تُمطِرُ

فها هو ذا يهجو من لم يسْتَجِب لداعى الندى ، مستعملا فى ذلك ألفاظا لا تؤذى بل تقرر الواقع ، كما ترى فى هذين البيتين أثر المنطق فى شعره .

ومن شعره أيضاً قوله فى هجاء قَيِّم حمَّام[2] (بسيط) :

وقيِّمٍ كلَّمتْ جسمى أناملُه بغيرِ ألسنة تكلِمَ خَرْصان
إنْ رام مَسْكَ يَمينى كاد يَخْلَعُها أوَسرَّح الرأسَ بعد الغَسل أبكانى
فليسَ يُمسِك بالمَعروف منه يدًا ولا يُسرِّح تسريحاً بإحسانِ

ومن أقذع ما رأيت له من الهجاء أبياتاً قالها فى رجل يهودىّ — وهكذا كان موقفه دائماً من اليهود ، فقد لاحظت فى كتابه كراهيةً منه لهم ، وسخطاً عليهم — يرميهم بالبخل الذى عرف عنهم دائماً — فيقول :

ووقع لى من طريف الاستعارة أبيات هجوت بها يهودياً نبطياً ، وهى[3] : (طويل)

رأيتُ أبا الخَيْر اليهودِىَّ مُمْسِكاً بقارورة كالورْس راقَ حَليبُها
وقدرَشَّ منها فوقَ صفْحَةِ وجهِهِ وقال لقد أحيا فؤادىَ طِيبُها
فقلتُ له ما هٰذه قال بوْلَةٌ لأسْودَ يَشـفِى الداءَ منِّى قَضيبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنَّما هوى كلِّ نَفْسٍ حيث حَلَّ حبيبُها

(١) مسالك الأبصار ٣٢١/٦ .
(٢) مسالك الأبصار ٣٢١/٦ ويرويان فى عيون التواريخ برواية أخرى .
(٣) تحرير التحبير باب الاستعانة .

وخلاصة القول فى شعره – على أساس ما وقع لنا منه – أنه من شعراء البديع المقدّمين فى عصره ، وكل ما نأخذه عليه أن شعره كان يصدر أكثره عن لسانه ، وكان يعتمد فيه على الصنعة البديعية ، فلم يبلغ فيه فحولة السابقين .

وخير دليل على ذلك قصيدته التى يمدح بها الملكَ الأشرفَ موسى الأيوبى والتى مطلعها (طويل) :

فَضحتَ الحَيا والبحرَ جُودًا فقد بكى الْ
حَيَا مِنْ حيـــاءٍ منكَ والْتَطَم البحْرُ

عيونٌ معانيها صِحاحٌ وأعيُنُ الـــمِلاح مِراضٌ فى لواحظِها كَسْرُ

هِىَ السِّحْرفاعجب لإمرئٍ جاءَ يبتغى عواطفَ من موسى وصنعتُه السحرُ

ثم يعلِّق على القصيدة بقوله :

وقع لى فى البيت الأول من هذه الأبيات ستة عشر ضرباً من البديع ففيه الاستعارة فى ثلاثة مواضع : فى افتضاح الحيا ، وبكائه ، وحيائه ، والمبالغة إذ جعلتُ الممدُوح يفضح الحيا والبحر بجوده ، والتفسير فى قولى جودا ، وقولى : من حياءٍ ، والإغراق لما فى جملة القافية من زيادة ، والترشيح بذكر الاستعارة الأُولى للاستعارة الثانية ، والتجنيس بين الحيا والحياءِ ، والتورية فى قولى : التطم البحر ، والترشيح للتورية بذكر البكاءِ ، وصحة التقسيم فى حصر القسمين اللذين يضرب بهما المثل فى الجود ، ولا ثالث لهما ، والتصدير فى كون البحر مذكورًا فى صدر البيت وهو قافيته ، والتعليل فى كون العلة فى بكاءِ الحيا والتطام البحر وفضحهما بجوده ، والتسهيم.

فى كون صدر البيت يدل على عجزه ، وحسن النسق فى كون جمله عطفت على بعض بأصح ترتيب ، والإرداف فى التعبير عن عظم الجود ببكاء الحيا من الحياء والتطام البحر .

فهذا ما فى تفصيل البيت ، وأما ما فى جملته: فالمساواة لكون لفظه جُعل قالباً لمعناه ، وائتلاف لفظه مع معناه فى كون ألفاظ البيت متلائمة مختارة ، لا يصلح موضع كل لفظة غيرها ، ولخلوّه من تعقيد السبك ، والتقديم والتأخير ، وسوء الجوار ، والإبداع ، فكلٌّ لفظة من لأمفردات البيت تتضمّن نوعاً أو نوعين من البديع .

ابن أبى الأصبع وإعجاز القرآن البيانى

(٦)

إن فكرة إعجاز القرآن البيانى ، تناولها علماء كثيرون قبل «ابن أبى الإصبع » إلا أن هذه الدراسة كان بعضها بحوثاً متناثرة فى كتب المتكلمين والمفسرين والأدباء الذين حرصوا على أن يبيِّنوا إعجاز القرآن الكريم الذى جعله الله دليلا على رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأبرز هذه الطوائف «المعتزلة » الذين ثبت علماؤهم فى الدفاع عن الإسلام ، وظهر بظهورهم أول كلام منظم عن القرآن ، وعلى رأس هذه الطائفة «الجاحظ » المتوفَّى سنة ٢٥٥ هـ ، وقد ألف كتاباً عن نظم القرآن وأُسلوبه[1] للرد على القائلين بأن القرآن فى مقدور البشر الإتيان بمثله ، ولكن الله صرفهم عن ذلك. وبيّن أن القرآن معجز للعرب بنظمه وأسلوبه ، وغريب تأْليفه ، وبديع تركيبه . وهو يحتج للقرآن بقوله فى وصف بيانه : «وفى كتابنا المنزّل ما يدل على أنه صدق : نظمُه البديع الذى لا يقدر على مثله العباد »[2] كما أنه فطن أيضاً إلى أن لألفاظ القرآن ميزة أزيد مما سبق من حيث النظم ، وهى إتيان بعض ألفاظه مقترنة متصاحبة ، لا تكاد تفترق مثل

(١) الحيوان ١ : ١

(٢) الحيوان ٤ : ٩٠

« الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار » الخ[١] بل لم يقف أمره عند هذا الحد فى إثبات إعجاز القرآن بنظمه وبديعه ، ولكنه كشف عن صور بديعية استخرج شواهدها من القرآن .

وبذلك يستطيع الباحث الوصول إلى أن طريقة المعتزلة فى دراسة بلاغة القرآن ابتدأت بالصَّرْفة ، وانتهت على يد « الجاحظ » بأنه معجز بنظمه واشتماله على ألوان بديعية .

وكان بجانب المعتزلة ، المفسرون الذين كان تفسيرهم فى المرحلة الأولى تأويلا لغويا لما فى القرآن من أمر ونهى ، وإشارة وحدود ومجاز ، وكان أغلب هؤلاء المفسرين من النحويين واللغويين ، ويندر أن يعثر باحث على كتاب تفسير فى القرن الثانى ، إلا ويجد اسمه ينمُّ عن ذلك ، فيجد : مجاز القرآن ، معانى القرآن ، متشابه القرآن ، مشكل القرآن ، ونحو ذلك من الأسماء .

وهذه الكتب لم تنس إعجاز القرآن البيانى ، والكشف عن بعض الصور البلاغية الموجودة فيه .

فتكلم مثلا « الفرَّاء » المتوفى سنة ٢٠٧ هـ عن الكناية[٢] ، والتشبيه[٣] ، والمجاز[٤] والاستعارة[٥] ، والالتفات[٦]

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٢١

(٢) انظر فى معانى القرآن له كلامه عن قوله تعالى « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم » آية ٢٠ من سورة فصلت .

(٣) انظر المصدر السابق وتفسير المؤلف : لقوله تعالى : « ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل » آية ٢٩ من سورة الفتح .

(٤) المصدر السابق انظر تفسيره لقوله تعالى : « وبشر الذين كفروا بعذاب اليم » التوبة آية ٢

(٥) القلم ، : ٤٢ (٦) القيامة : ١٠ ، ٢١

وإن لم ينصّ عليها صراحة ، كما لم يغفل «الفرّاء» موسيقى ألفاظ القرآن الكريم ونظمه ، وأثر ذلك فى نفوس السامعين [١] .

ثم تطور علماءُ التفسير ببيان القرآن وبديعه كلّما تقدم الزمن وامتدت الحضارة ، فنرى الطبرىَّ المتوفى سنة ٣١٠ هـ يتسع فى دراسة القرآن وتفسيره ويرجع إعجازه إلى بديع نظمه وتأليف الغريب الذى أعجز العرب ، مع أنه بلغتهم ، ولفظه كلفظهم [٢] ، واستشهد بذكر بعض الألوان البديعية فى القرآن ، على التفاوت بين أسلوب القرآن وكلام العرب . ومن ورائه سار على هذا النهج «الزمخشرى» المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فى «الكشّاف» ، و «ابن عطيه» فى «الجامع المحرّر» وأغلب هؤلاء المفسرين يرون أن إعجاز القرآن قائم على نظمه البديع ، ومعانيه الراقية وألفاظه المتلائمة ، ويرجعون عدم إدراكنا لبلاغة القرآن إلى قصورنا عما فيه من البلاغة .

وكان بجانب المعتزلة والمفسرين جماعة من العلماء ضمّنوا آثارهم بحوثاً قرآنية ، فاتجهوا بدراستهم للقرآن إلى الناحية الفنية ، حتى يستطيعوا الكشف عن بلاغة القرآن وبديعه ، فأخذوا يقرنونه بشعرهم ونثرهم من ناحية اللفظ والمعنى ، والأسلوب والنظم ، فظهرت لهم واضحةً فكرة بلاغة القرآن وروعة بديعه مع هدفه الإصلاحى ، ولا أجد أدلّ على ذلك من قول على بن ربّن الطبرىّ : «حينما كنت مَسيحيًّا كنت أقول كما

---

(١) انظر تفسيره لآية ٤٦ من سورة الرحمن .

(٢) جامع البيان وتفسير القرآن ١ : ٦٥

يقول عمٌّ لى متعلم بليغ ، بأن أسلوب القرآن ليس معجزًا ، وليس من علامات النبوة ، لأنه فى استطاعة الناس كلّهم ، ولكن عندما حاولت تقليده واطلعت على مدلول كلماته ، علمت أن أبناء القرآن على حق فيما يدّعونه له ، لأنى لم أطّلع على كتاب يأمر بالخير وينهى عن الشر كالقرآن . فعندما يحمل لنا شخص كتاباً يحمل نفس الميزات ، ويوحى إلينا بهذه الطلاوة ، وتلك الروعة فى القلوب ، ويحوز مثل هذا النجاح ، ويكون فى مثل هذا الوقت أميا لم يتعلم أبدًا فَنَّى الكتابة والبلاغة ـ فهذا الكتاب يكون بلا شك من علامات النبوة »[1] .

فابن رَبَّن فى هذا النص ، يثبت البلاغة للقرآن ، والطلاوة لأسلوبه وألفاظه ، والروعة لمعانيه .

ثم يتسع الحديث عن بلاغة القرآن وإعجازه البيانى ، ويأخذ شكلا آخر على يد « أبى هلال العسكرى » وإن لم يخصِّص لدراسة بلاغة القرآن تأليفاً خاصًا ، إلا أنه أوجب معرفة البلاغة ودراستها ، لأنها هى الطريق الموصِّل إلى معرفة بلاغة القرآن وإعجازه فيقول : « اعلم ـ علّمك الله الخير ـ أن أحق العلوم بالتعلُّم وأولاها بالحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ، علمُ البلاغة ، ومعرفة الفصاحة الذى به يعرف إعجازُ القرآن كتاب الله تعالى ... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما حباه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ،

(١) أدب الدنيا والدين ٤٤

وما ضمنه من الحلاوة ، واشتمل عليه من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه وجزالتها ، وعذوبتها وسلاستها ، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها ، وتحيّرتْ عقولهم فيها »[1] .

والسكّاكيٌّ أيضاً يرى أن القرآن بليغ بنظمه وأُسلوبه ، وفصاحة ألفاظه ومعانيه ، وصحة مبانيه ، يقوده إلى ذلك الكشف عن بديع القرآن وجماله ، ووجود الفنون البلاغية فيه ، وينقل عنه السيوطى قوله : « اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكما يُدرك طيب النغم العارض للصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوى الفطرة إلا بإتقان عِلْمَى المعانى والبيان والحذق بهما »[2] .

فأبو هلال والسكاكى فى هذين النصّين وغيرهما يريان أن إعجاز القرآن لنظمه ، وأُسلوبه ، ومعانيه ، واشتماله على الصور البديعية ، وأن الطريق إلى معرفة هذا الإعجاز هو البلاغة والفصاحة .

تلك بعض آراء المعتزلة والمفسرين والعلماء المتفرقة فى ثنايا الكتب التى تثبت الإعجاز للقرآن الكريم ، وتؤيد أن إعجازه البيانىّ راجع إلى ما فيه من النظم العجيب الذى عجز العرب عن الإتيان بمثل أصغر سورة منه .

وكان بجانب تلك الآراء كتب اتجه أصحابها إلى الدراسات القرآنية مفردات وغريباً ، ومجازا ومعانى ، ونظماً وإعجازًا . غرضهم الأساسىّ من هذه الدراسة بيان أثر القرآن فى الذوق العربىّ ، وكشف خصائصه

---

(١) مقدمة الصناعتين لأبى هلال العسكرى

(٢) الاتقان للسيوطى ٢ : ١٢ .

من الناحية اللغوية والنظم ، وطرق التعبير ، حتى يهتدوا من وراء ذلك إلى سر بلاغته وإعجازه ، وأثره فى النفوس .

فأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ألف كتاب «مجاز القرآن» وهو محاولة لتفسير غريب القرآن ، وبيان منهجه أو مجازه فى التعبير ، ووجوه نظمه التى لا يوجد مثلها فى كلام العرب ، كما لم ينس الكلام عن أنواع بلاغية وجد شواهد لها من القرآن(١) . وفى القرن الثالث الهجرىّ ألف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ كتابَ « تأويل مشكل القرآن » للرد على الطاعنين فى بلاغة القرآن من المعتزلة والملحدين والذين اتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فبيّن ما غمض من معناه ، وفسر المشكل الذى ادّعى على القرآن فساد النظم فيه . وابن قتيبة يقصد ببلاغة القرآن أو بديعه صحة التأليف الذى قطع أطماع الكائدين ، وعجيب النظم الذى دحض حيَل المتكلّفين ، ولم ينس ابن قتيبة أن يوقفنا على صور بديعية فى القرآن تكلم فيها عن المجاز والاستعارة والحذف والكناية والتعريض(٢) ومخالفة ظاهر اللفظ معناه ، كما لم يُغْفِل الناحية اللغوية فتناول لغة القرآن كأداة للتعبير .

وفى القرن الرابع التقيت بعلماء ثلاثة ، التقيت بأبى عبد الله محمد ابن يزيد الواسطى المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، وأبى الحسن على بن عيسى

---

(١) تكلم عن تكرار التوكيد فى قوله تعالى : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم » البقرة ١٩٦ ، والتقديم فى آيه : « فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » الحج : ٥ والكناية فى آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » الشعراء : ٤ انظر بديع القرآن ٤٧

(٢) تأويل مشكل القرآن : ٧٦ ـ ٢١٢

الرمّانى » المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ، و «حمد بن ابراهيم بن خطّاب المعروف «بالخَطّابى » المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ، فألفيت «الواسطى » يرى أن بلاغة القرآن أصل فى إعجازه ، ولم يسعدنى الحظ بالاطلاع على كتابه «إعجاز القرآن البيانى » ولكنى رأيت الاستاذ «الرافعىّ » [1] يحكم عليه بأنه أول من جدّد القول فى بلاغة القرآن وصنف فيه . ورأيت «الرمّانى » فى كتابه « النكت فى إعجاز القرآن » يرى أن من جهات إعجاز القرآن بلاغته ، والبلاغة طبقات ثلاث :

(١) ما هو فى أعلى طبقة . (٢) ما هو فى أدنى طبقة .

(٣) ما هو فى الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة .

فما كان فى أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن ، والقرآن معجز للعرب والعجم ، كإعجاز الشعر للعجم خاصة . والقرآن معجز للكافة[2] . ويرى أيضاً أن القرآن معجز بألفاظه وأسلوبه ، ونظمه وأثره فى النفوس . ثم لم ينس ما اشتمل عليه القرآن من الألوان البلاغية كالإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتجانس ، والمبالغة : وحسن البيان [3] .

وباطّلاعى على كتاب « الخطّابى » « بيان إعجاز القرآن » وجدته عرض لآراء السابقين فى بلاغة القرآن وإعجازه ، ويرى أن إعجازه راجع إلى بلاغته التى ترجع إلى جمال ألفاظه ، وحسن نظمه ، وسموّ معانيه ، ويظهر ذلك حينما تقرأ قوله : «وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢ : ١٤٥

(٢) النكت فى اعجاز القرآن ٧٠ ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن تحقيق الاستاذ محمد خلف الله أحمد وآخر

(٣) المصدر السابق ٧٥ ومابعدها

فى غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً ، ولا أشد تلازماً وتشاكلا من نظمه . وأما المعانى فلا خفاء على ذى عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقِّى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها ، وقد توجد هذه الفضائل متفرقة فى أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى كلام واحد منه فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير الذى أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً [1] »

وزيادة على ذلك فإن الخطَّابى كشف عن أثر القرآن فى النفوس البشرية بقوله : « إن الذى يوجد لهذا الكلام من العذوبة فى حِسِّ السامع والهشاشة فى نفسه ، وما يتحلَّى به من الرونق والبهجة التى يباين بها سائر الكلام ، حتى يكون له هذا الصنيع فى القلوب والتأثير فى النفوس ، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام ، وتحصر الأقوال عن معارضته ، فتنقطع به الأطماع عنها أمرٌ لا بد له من سببٍ يوجده يجب له هذا الحكم ، وبحصوله يستحق هذا الوصف [2] »

انتقلت بإعجاز القرآن البيانىّ إلى أوائل القرن الخامس ، فالتقيت بالقاضى أبى بكر محمد بن الطيِّب المعروف « بالباقلانى » المتوفى سنة ٤١٣ هـ فى كتابه « إعجاز القرآن » فوجدته قنطرة عبرت عليها دراسة إعجاز القرآن . . . من أفكار تدور على ألسنة العلماء والأدباء ينقلها واحد عن آخر

(١) بيان اعجاز القرآن ٢٨
(٢) المصدر نفسه : ٢٦

وآراء متشعبة ، إلى أفكار ثابتة منظمة فى أسلوب علمىّ سليم ، وطريقة واضحة ، حتى أصبح بحق مدرسة تخرّج فيها علماءُ البلاغة ، ومؤلفو كتب بلاغة القرآن . ويرى أن بلاغة القرآن وإعجازه أمر محقق لبلوغه النهاية فى معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة . ولكن الجدير بالإشارة إليه فى إعجاز الباقلانى أنه يرى أن الألوان البديعية ليست من الأسباب التى توصّل إلى الإعجاز حيث يقول : «إنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذى ادعوه فى الشعر ، ووصفوه فيه لوجود البديع فى شعر الشعراء ونثر الكتّاب[1] » .

ثم يوصى بتَرْداد النظر فى القرآن ، ومقارنته بغيره ، حتى يُتوصل إلى معرفة أيِّهما أبلغ . ولذلك كان جُلُّ اهتمامه فى إعجازه بهذه المقارنات ، وأثبت البلاغة للقرآن بأسلوبه ونظمه ، إذ يرى أن أسلوب القرآن خاص به ، لا يضارعه فيه غيره ، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة [2] فلم يوجد ولن يوجد فى العربية أثر يجاريه فى بلاغته بحيث يحفظ جمال الأسلوب مع هذا المقدار من الطول ، والاشتمال على الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهى ، وهو يدلل على بلاغته بأخذ كلمة منه واستعمالها فى شعر أو نثر ، فيصير فيه كالدرّة فى وسط العقد تسترعى الأنظار ، وتدهش العقول ، وتبهر الألباب [3] ، ولكنه لم ينس ذكر ألوان بديعية فى القرآن ، مستشهدًا لها بآيات منه ، مخرّجاً لها تخريج العالم والأديب .

(١) اعجاز القرآن ١٦ ــ ٢١

(٢) المصدر نفسه ٦٠ ومابعدها

(٣) المصدر نفسه : ٦٧

فإذا انتقلنا إلى النصف الأخير من القرن الخامس حيث نلتقي بعبد القاهر الجُرجانيّ المتوفى سنة ٤٧١ هـ في كتابَيْه «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» نجد إعجاز القرآن البياني اتخذ عنده منهجاً جديدًا، فلم يكن «عبد القاهر» مقلدًا ولا جامعاً، بل كان مفكرًا استفاد مما ذكره سابقوه، ومبتكرًا اخترع ما لم يعرفوه، فلم يرجع بلاغة القرآن إلى معاني الكلمات مفردة، ولا إلى موازنة كلمات القرآن بكلمات العرب، ولا إلى المقاطع والفواصل، لأنها ليست بأصعب من الوزن والقافية في الشعر، ويذكر أن العرب الذين في مقدورهم ذلك، قادرون على المقاطع والفواصل، وخيّل لبعضهم مثل ذلك (١).

ولم يرجع الجرجانيُّ بلاغة القرآن إلى اشتماله على الألوان البديعية كما قال «الباقلاني»؛ لأنها لا توجد في كل الآيات، فإذا صح ذلك فتكون بعض الآيات الخالية من البديع غير بليغة ولا معجزة:

ولا يرجع بلاغته إلى ألفاظه السهلة أو القريبة (٢)، وإنما تقوم بلاغة القرآن في نظره على تلاؤم معانيه في الكلمات المفرده تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود في جمال وقوة، ويتم نظم المعاني نظماً مستقيما متلائماً بفضل علم النحو بمعناه الواسع الذي يشمل في نظره علم المعاني من علوم البلاغة، وعلم النحو بمعناه التقليدي، أي معرفة أحوال أواخر الكلمات إعراباً وبناء.

---

(١) دلائل الاعجاز ٢٩٦ ومابعدها ، ولعله يقصد بمن عارض القرآن في فواصله ابا العلاء المعري .
(٢) دلائل الاعجاز ٣٠٤

والعمدة ـ فى نظر عبد القاهر ـ فى إدراك هذا النظم وتلك البلاغة ، هو الذوق ، والإحساس الروحىّ ، وكثرة الاطلاع على كلام العرب . إذ أن بلاغة القرآن شىءٌ غير محسوس فيختلف فى تذوّقه ، إذ الملحد أو الشاكّ فى بلاغة القرآن ، لا يجد فيه من الروعة والجمال ما يجده المؤمن ، إذ قد يكون كتاب آخر يؤيِّد عقيدته وأفكاره أروع عنده من القرآن ، ولأنه ليس من المتيسِّر اتفاق الناس فى تدبر الجمال فى القول ، كما أنهم لا يتساوون فى إدراك الجمال المدرَك بالحس ، ومقاييس الجمال تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة .

وعبد القاهر الجرجانىّ يعتبر ـ بحق ـ قدوة الدارسين لبلاغة القرآن . إلا أنى آخذ عليه إهماله موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركّبة ، ولكنى ألتمس له العذر فى ذلك ، لأن نظرية الألفاظ وبلاغتها كانت فى زمانه وقبل زمانه معلنة لحرب شعواء على المعانى وبلاغتها ، فجنّد نفسه لنصرة المعانى والنظم .

فإذا تقدم بنا الزمن والتقينا بصاحبنا ابن أبى الإصبع المصرى صاحب « تحرير التحبير » ألفيناه مؤمناً بإعجاز القرآن البيانى ، ويرى أن القرآن معجز بألفاظه وأسلوبه ، وتراكيبه وأثره فى النفوس البشرية . ويخالف عبد القاهر الجرجانى ، والباقلانى فى رأيهما الذى يقولان به من أن وجود الأنواع البديعية فى القرآن غير دالٍّ على إعجازه ، ويؤيِّد ذلك جمعُه الأنواع البديعيّة التى عرفت إلى عهده ، وجديدُه الذى اخترعه فى كتابه « تحرير التحبير » واستشهد لهذه الالوان بايات من القرآن ، مخرّجاً لتلك

الآيات على الوجوه البلاغيّة ، مبيّناً فى دراسته لهذه الشواهد سلامة نظم القرآن وسلاسة أسلوبه ، وبلاغة معانيه ، وفصاحة ألفاظه ، ثم يقارن هذه الشواهد بأمثالها من الشعر والنثر من كلام البشر ليثبت بلاغة القرآن وإعجاز البشر عن الإتيان بمثله ، ولم نر لغيره ممن سبقه فى التأليف فى البلاغة أو إعجاز القرآن ، تأليفاً تتميز فيه بلاغة القرآن وبديعه ليسهل من وراء ذلك استخراج إعجازه ، وتقريب طرق إطنابه وإيجازه[1] ، ثم أراد تسهيل البحث على الراغب فاختصر «تحرير التحبير» فى كتاب آخر سمّاه «بديع القرآن» ملتزماً الاستشهاد للألوان التى ذكرها فى المختصر من القرآن الكريم إلا فى الضرورة القصوى ، وذلك عند مقارنة آية - تحتاج إلى توضيح - ببيت من الشعر .

ولذلك كان منفردًا بهذه الدراسة ، وإن سبقه غيره إلى الاستشهاد ببعض الآيات على بعض الألوان كابن المعتز وأبى هلال والرمّانى ، إلا أنّ ذلك لم يكن على سبيل الحصر لهذه الأنواع ، أو على سبيل الخاصّية لدراسة بلاغة القرآن .

***

وممّا لا شك فيه أن الإنسان ابن بيئته يتطوّر بتطوّرها ، ويتشكل بشكلها وابن أبى الإصبع من بين علماء مصر فى البلاغة عاش فى عصر هو العصر الأيوبى ، ووجد فى بيئة هى مصر ذات الصفات التى تؤهّل للشعر ، وتنمّى الذوق . فقضى صدر حياته فى مصر ، وكان اشتغاله فيها بالأدب والشعر والنحو . ثم سافر إلى الشام ، وصحب جماعة من الملوك والرؤساء

(١) مقدمة بديع القرآن

وتَقَدَّمَ عندهم ، ثم انقطع عن ذلك وحجَّ ، واشتغل بعلوم القرآن ، وصنَّف كتباً فى إعجازه أحسن فيها إحساناً عظيما . والتاريخ لم يحدِّثنا ، وعلماءُ الطبقات لم يخبرونا فى مؤلَّفاتهم – وهى كثيرة – عن حياة ابن أَبى الإِصبع ، ولا عن نشأته ، فلسنا نعرف كيف نشأ ؟ ولا كيف تعلَّم ؟ كما لا نعرف شيئاً عن المدارس التى درس فيها .

ولكن سنَّة الطبيعة تملى علينا أن كل من عاش فى بيئة لا بد أن يتأثَّر بعاداتها وتقاليدها ، ويعيش عيشة أهلها ، ويتعلَّم علمهم .

إذن لا بد أن يكون ابن أَبى الإِصبع قد تنقل فى مدارس مصر ، والتقى بعلمائها ، وتزوَّد من ثقافة علماء الشام وإن لم نعرف هؤلاء العلماء ، ولاسيما أصحاب الكتب التى كانت مصدرًا لمؤلَّفاته ، ويتبين لنا واضحاً تأثُّره بقدامة بن جعفر ، فكثيراً ما يشيد بذكره وينقل عنه ، ويتبعه فى تعريفه ويمتدح رأيه ، وينصِّب نفسه للدفاع عنه . ولا أكون مغالياً إذا قلت : إنه لم ينقل عن قدامة ويعزو النقل له إلا ابن أَبى الإِصبع . وقد ألَّف كتاباً كاملًا أفرده للدفاع عنه والمفاضلة بينه وبين خصومه (١) .

---

(١) هو كتاب « الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » ، ولم يعثر عليه حتى الآن .

آثاره العلمية

أولا : « تحرير التحبير »

الذى ألفه فى بديع الشعر والنثر وهو هذا الكتاب الذى نقدِّم له بهذه المقدمة بعد تحقيقه تحقيقاً علميا

ثانيا : « بديع القرآن »

وهو كتاب اختصره من « تحرير التحبير » لبيان ما جاء من الألوان البديعية فى آيات الذكر الحكيم ، وقد أتى فيه المؤلف بالعجب العجاب ليدلل على أن الأنواع البلاغية غير مقصورة على شعر الشعراء ونثر الكتّاب ، بل هى موجودة فى القرآن أيضاً ، وقد طبع محققاً تحقيقاً علميا فى سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م مع تقديم اقتضاه المقام ، وقد بيِّنت موضوعه وأنواعه البديعية ومنهجه فى هذا التقديم عند المقارنة بينه وبين « تحرير التحبير ».

ثالثا : « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح »

تكلم ابن أبى الإصبع فى هذا الكتاب عن فواتح سور القرآن المعجمة والمعربة ، وبناه على ثلاثة أركان ، كل ركن منها يتضمن بابين :

الركن الاول :

تكلم فيه عن حصر الفواتح وأقسامها ، وتعريف إعرابها وإعجامها .

الباب الاول :

تكلم فيه عن الفواتح المُعجمة وتعريفها ، وأعدادها المنقسمة إليها .

الباب الثانى :

تحدث فيه عن الفواتح المعربة ، وأعدادها البسيطة والمركّبة .

الركن الثاني :

كشف فيه عن أسرار هذه الفواتح وإيضاح خصائصها .

الباب الأول :

تكلم فيه عن أسرار الفواتح المعجمة وحكمها وتبيين جملها وقسمها .

الباب الثاني :

كشف فيه عن أسرار الفواتح المعربة وأشكالها ومبانيها .

الركن الثالث :

أبان فيه عن دلالة الفواتح على الصانع والمصنوعات، الكلّيّات والجزئيّات ، البسائط والمركبات ، وما يتنخّل ذلك من المعجزات المعجّزات للبلغاء فى كل زمان ومكان .

الباب الأول :

تكلم فيه عن الاستدلال بها على الصانع والمصنوعات .

الباب الثاني :

استنبط فيه من هذه الفواتح والمعجزات المعجّزات .

رابعا :« كتاب الأمثال »(١)

ابتدأ فيه بذكر ما وقع فى القرآن الكريم من الأمثال ، وألحق بها أمثال دواوين الإسلام الستّة ، وختم الجميعَ بذكر أمثال العامة ، وذكر فى كتاب « تحرير التحبير(٢) » أنه استخرج أمثال أبى تمّام من شعره ، فوجدها تسعين وثلاثمائة بيت بعد استخراج أمثال المتنبى التى وجدها مائة نصف، وثلاثة وتسعين نصفا وأربعمائة بيت ، ولكنه أخرج من أمثال أبى الطيّب ما وجده من أمثال أبى تمّام ، وهو أيضا من الكتب المفقودة .

(١) لم نعثر عليه .

(٢) باب التمثيل .

خامسا : « صحاح المدائح »(١)

وهو ديوان شعر مدح به النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته والخلفاء الراشدين الأربعة ، ووصف فى بعض قصائده القرآنَ وبلاغته ، وحسن تركيبه ، وبديع أسلوبه .

سادسا : « الكاملة فى تاويل تلك عشرة كاملة » (٢) :

يخيل إلىّ من عنوان هذا الكتاب أنه يتصل بمادّة المؤلف ، إذ أنه تكلم كثيرا فى بديع القرآن عن تفسير بعض الآيات القرآنية وتأويلها وتخريجها ، وعارض بعض المفسرين فى بعضها ، كما تكلم عن الأفلاك ، وعن خَلْق السموات السّبع ، وما تَعْرف العرب من نجومها والهداية بها وأنوائها ، وإنزال الغيث من جهتها ، ومقدّمات ذلك من الرعد والبرق وتصريف الرياح وأن العرب لاتعرف من الأفلاك إلا المُكَوْكَبَة فيها لرِقْبتها لها عند سيرها فى الليالى ومرساها فيها . ولاشك أن هذا الكتاب شديد الصلة بهذا الموضوع ، وتلك الدراسة .

سابعا : « الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وخصومه »(٣)

وهذا الكتاب وثيق الصلة بالنقد ، ومعرفة ما يلزم فى تأليف الشعر والنثر ، وللردّ على بعض معارضى قدامة أمثال ابن رشيق الذى ألّف كتابا سماه «تزييف نقد قدامة» والذى قال عنه ابن أبى الإصبع : «فإنى رأيت ابن رشيق القيروانى قد ذهب أيضا إلى تغليطه فى كتاب كان ستره أولى به من إظهاره ، فإنه ينادى عليه بجهله »(٤)

(١) لم نعثر عليه

(٢) لم نعثر عليه

(٣) من كتبه المفقودة

(٤) الخواطر السوانح فى اسرار الفواتح .

ويعتبر ابن أبى الإصبع أول البلغاء الذين أتوا بعد قدامة ونقلوا عنه وتأثروا به وعزا مانقله عنه ، على خلاف العلماء الآخرين الذين نقلوا عن قدامة ولم يشيروا إلى ذلك وتوفى - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته سنة ٦٥٤ ﻫ .

فإلى الله سبحانه أكل جزاءما قدم ابن أبى الإصبع إلى البلاغة وفكرة إعجاز القرآن شاكرا الله على أن قيَّضنى لنشر آثار هذا العَلَم المصرىّ حتى أثبت أثر مصر والمصريّين فى البلاغة العربية ؛ والله الموفِّق .

الفصل الثانى

تحرير التحبير

موضوعه ، منهجه ، أثر ه فى الدراسات البلاغية ، اصوله ، تحقيقه

(١)

إن إحياء التراث القديم ، وتحقيق الوثائق والكتب ، من الأعمال الشّاقة التى تعتمد على الخبرة ، والتجربة الطويلة ، والاطلاع الواسع ، والذوق المرهف ، وأشقُّ ماتقدّم إحياءُ وتحقيق الكتب الأدبية المليئة بالشعر والنصوص التى أصابها تحريف أو تصحيف ، وما أكثر ذلك فى الكتب المخطوطة التى التبست عباراتها ، واحتاجت فى تصحيحها إلى الرجوع إلى الدواوين ، وكتب التاريخ والحديث ، وأمهات الكتب الأدبية ليربط المحقّق بين النصوص ، ويعيش فى زمن المؤلف حتى يعرف اتجاهه وميوله ، فيفهم كتابه ويتعقّبه فى نقوله التى نقلها عن سابقيه ، وكيف أخذ ، أكان يأخذ نصوص السابقين بألفاظها ومعانيها ، أم كان يكتفى بنقل المعنى فحسب ؟ .

والكتاب الذى أقدِّم تحقيقه هنا هو ثالث ثلاثة من الكتب التى تنير السبيل أمام الباحث عن موقف مصر فى تاريخ البلاغة العربية .

فقد قمت بتحقيق كتاب «بديع القرآن» لابن أبى الإصبع ، وأتبعته بتحقيق كتاب «الاستدراك» لابن الأثير ضياء الدين ، وهذا هو «تحرير التحبير» لابن أبى الإصبع المصرى ، وهو كتاب يبحث فى بديع الكلام

شعره ونثره ، وما فعلت ذلك إلا لأضع بين يدى الباحث أكثر آثار الاتجاه المصرى حتى يعرف أثر مصر فى تاريخ البلاغة العربية .

وتحرير التحبير من بين هذه الكتب ملئ بالآيات القرآنية ، والشواهد الشعرية ، والأحاديث النبوية التى استنفدت فى تحقيقها جهدا كبيرا . ولهذا الكتاب من اسمه نصيب ، كما أن اختيار هذه التسمية من المؤلف اختيار هادف ، إذ يعنى بكلمة « تحرير » مايدل عليه فعلها « حرّر » بمعنى : خلّص وقوّم وحسّن الشئ فأزال عنه سقَطه وقوّم مُعوجّه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ » (سورة النساء آية ٩٢) إذ معنى كلمة تحرير فى الآية : عتقها وتخليصها من ثقل العبودية ، وقوله تعالى : « رب إنِّى نَذَرْتُ لكَ مَافِى بَطْنِى مُحَرَّرًا » (سورة آل عمران آية ٣٥) أى مخلصا لعبادتك . وتحرير الوزن ضبطه بالتوفيق ، وتحرير المعنى استخلاصه من الشوائب ، وتحرير البديع تخليصه من التوارد والتداخل حتى يصير مجردا منهما بعيدا عنهما .

وكلمة « تحبير » مصدر « حبّر » الكلام والشعر : أى زيّنه وحسّنه فيكون معنى العنوان على ذلك :

« تخليص البديع وتقويمه ،ثم تزيينه وتحسينه بما يتّفق وموضوعه . وهذا ما كان من المؤلف فى بديعه ، إذ أنه لم يعتمد على النقل عن السابقين بل تعقّبهم فى تعريفاتهم وشواهدهم ،فحرر ما يحتاج إلى تحرير ، وحبّر ما يحتاج إلى تحبير ، وبذلك كان عنوانه مطابقا لمسماه .

وقد ألفه ابن أبى الإصبع ليدرس فيه الألوان البلاغية التى وجدت إلى عصره ، ويستشهد لها بالمنظوم والمنثور ليثبت من وراء ذلك إعجاز

القرآن الذى هو الغاية من الدراسة البلاغية ، وينقد آراء السابقين وشواهدهم ، ولذلك امتاز هذا الكتاب عن سابقه أنه كان يعتمد على النقد لا على النقل.

وقد جمع فيه مؤلفه أنواع البديع وجعل منها أصولا ، وعددها ثلاثون ، ويقصد بالأصول الألوان التى أتى بها ابن المعتز فى بديعه ، وقدامة فى نقده . وفروعاً . وعددها خمسة وستون نوعاً ، ويقصد بالفروع: الألوان التى اكتشفها العلماء ، وأتوْا بها فى كتبهم بعد قدامة وابن المعتز . ولم يقف عملُه عند هذا الحدّ ، بل اخترع ثلاثين لوناً ظن أنه لم يسبق إلى شىء منها ، والحقيقة أن جديده سلم له منه أربعة عشر لوناً ، وسبق إلى ستة عشر لوناً[1] ، ووقف بجديده عند الثلاثين ، ليوافق الجديد الأصول ، ونسب للأجدابى[2] أنواعاً ثلاثة ، ولعله أفردها بالذكر لما أحدثه فيها من تغيير أسمائها ، ظنا منه أنها لم توافق مسمّياتها .

ويبتدئ كتاب «تحرير التحبير» بمقدمة تختلف فى بعض الأصول شكلا وطولا وقصرا . ولكنها لا تختلف معنى . ويبدأ بعد التحميد بقوله : « وبعد فَإنِّى رأيتُ ألقاب محاسن الكلام التى لُقِّبت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه فروع وأصول : فأصوله ما أشار اليها ابن المعتز وقدامة » ثم كشف عما تواردا عليه ، ثم أخذ يعدّد الأنواع الفروع ، وبيّن المصادر التى رجع إليها فى تأليف كتابه ، وعددها أربعون كتاباً ، منها ماهو منفرد بهذا العلم ، ومنها ما كان هذا العلم أو بعضه داخلا فى ضمنه .

---

(١) انظر الفصل الرابع من كتاب ابن أبى الاصبع المصرى بين علماء البلاغة ٢٨٥ ومابعدها

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ المتوفى سنة ٦٠٠ هـ

وقد دَرَجَ المؤلِّف فى دراسته للألوان على الإتيان بالنوع البديعىّ ، وتعريفه تعريفاً اصطلاحيا متَّفقاً مع مُسَمَّاه ، وفى القليل النادر يتعرض للمعنى اللغوى إذا كان فى التسمية غرابة ، ثم يناقش السابقين فى تعريفاتهم، ويذيِّل المناقشة برأيه الذى ارتضاه ، ويوفِّق بين الآراء إن أمكن التوفيق ، أو يُغَيِّر بعضَ التَّعريفات إذا كانت لا تنطبق على مسمَّياتها ، ويفرِّق بين الملتبس من الألوان ، ثم يُتْبع ذلك كلَّه بالشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ليُثْبِت وجود اللون فى القرآن ، ثم يتبعه بالشواهد الشعرية مخرِّجا الشواهد التَّخريج العلمىّ الأدبىّ ، مُنَقِّحاً ما قَدَر على تنقيحه ، مصحِّحاً ما قَوِى على تصحيحه ، مغيِّرًا ما وجب تغييره ، واضعاً كلّ شاهد فى موضعه .

وكان الانتهاء من تأليف «تحرير التحبير سنة ٦٤٠ هـ[1]»

وابن أبى الإصبع لم ينس إثبات ما لحسن الخاتمة فى السور والآيات وائتلافها مع ما يدلُّ عليه سائرُ الكلام ، ومالها من موسيقا تنتهى مرَّة بحرف ساكن قبله حرف لين ، أو بِحَرف لين قَبْلَه حرف صوتى ، مما يعطى ضَرْباً خاصا مُسْتَعْذَباً من الموسيقا . وتكلَّم عن ألفاظ القرآن مُفْرَدَةً ومركَّبة ، وعن فَصَاحَتِها ، وما يعطيه ذلك كله من موسيقا متلائمة .

كما لم يَنْس ابنُ أبى الإصبع فى تأليفه الجملةَ والجُمَل ، فتكلَّم عن دلالة القرآن على التقارب فى الجمل ، والانْسجامِ بين ألفاظها مفردة ومجتمعة حتى لكأنها تجرى على وزن خاص مما دَفَع بعضَ النَّاس إلى أن

(١) انظر خاتمة النسخة (ا) والنسخة (ت)

يقول : «إن فى القرآن شعراً» ، وأثبت ابن أبى الإصبع أن القرآن قد حَوَى صفات الأدب الخالدة ومميِّزاته النَّفْسية ، وهذا ما جعل الناس يدركون إعجازه ، ويتذوَّقون جمالَه فى تعاليمه الرقيقة ، وصُوَره الأخلاقية السامية التى تعمل على تنظيم الكون رغم بساطتها ، وفى هذه البساطة سرٌّ من أسرار الجمال الفنِّى الذى يظهر فيه الخصب الذى يصور الندم وعذاب الضمير ، وآلام النفس وأفراحها[1] وتعاطف البشرية . كما بيَّن أنَّ معانيه تنساب إلى النفس مع انسياب ألفاظه ، فكأنَّ الكلام يقع صداه فى القلب لا فى الأُذن[2] .

وكأنَّه يخاطب بذلك الرّوح ، فتُدْرك منه النفس البشرية خالقها . كما أن المؤلِّف لم ينس أن يكشف عن تعاليم القرآن وعن مُثُلِه العليا وقيمه الأخلاقيَّة[3] .

---

(١) انظر باب عتاب المرء نفسه من « تحرير التحبير » و « وبديع القرآن » للمؤلف

(٢) انظر الألوان الآتية .. ائتلاف اللفظ مع المعنى، والانسجام والابداع من المصدرين السابقين

(٣) انظر باب النزاهة من كتاب « تحرير التحبير »

« بين تحرير التحبير » و « بديع القرآن »

(٢)

ولما كان « بديع القرآن » مختصراً من « تحرير التحبير » كما قدّمت ، كان لزاماً عليّ أن أُوازن بينهما من حيث الموضوع والمنهج ، فبديعُ القرآن يتفق مع « التحرير » فى المنهج والصورة العامّة ، وموضوعه يؤخذ من عنوانه ، فالمؤلف يقصد فيه إلى تطبيق الأنواع البديعية التى عُرِفت إلى عَصْره فى القرآن ، وإن كان أكثرُ الشّواهد القرآنية التى ورَدَتْ فيه وردتْ فى « تحرير التحبير » ، ومصداق ذلك قولُ ابن أبى الإصبع فى مقدّمة « بديع القرآن » بعد أن تكلم عن « تحرير التحبير » « وسئلت اختصاره فلم أجد إلى ذلك من سبيل ، لارتباط بعضِه ببَعْض ، ودُعاء الحاجةِ إلى كلٍّ ما فيه ، وتعلُّق مَعَانيه بمعانيه ، ورأيت أنّى إذا أفْرَدْتُ منه الأبوابَ المختصّة بالقرآن العزيز ، كان ذلك اختصارًا نافعاً ، تَتَمَيَّزُ فيه بلاغَاتُ القرآن وبديعُه ، ويَسْهُلُ إخراج إعجازه ، وطرق إطنابه وإيجازه ، وأكون قد أتَيْتُ من ذلك بما لم أُسبق إليه ، فأفردْت الأبواب المختصّة بالكتاب العزيز » .

فمن هذا النصّ نرى أن « بديع القرآن » تلخيص « لتحرير التحبير » تكلم المؤلّف فى « بديع القرآن » عن مائة نوع وتسعة أنواع ، وفى « تحرير التحبير » عن مائة وخمسة وعشرين نوعاً ، ومن المقارنة وُجدَ أنه فى إفرادِه ، « البديع » من « التحرير » ترك اثنين وعشرين نوعاً لم تأت فى « بديع القرآن » . وهى :

(١) الهزل الذى يراد به الجد (٢) ائتلاف اللفظ مع الوزن
(٣) ائتلاف المعنى مع الوزن (٤) التجزئة
(٥) التشطير (٦) الترصيع (٧) التصريع
(٨) التطريز (٩) التوشيع (١٠) الإغراق
(١١) الغلو (١٢) الاشتراك (١٣) التفريع
(١٤) الإيداع (١٥) الاستعانة (١٦) المشاكلة
(١٧) المواردة (١٨) الحل (١٩) العقد
(٢٠) الاتفاق (٢١) الهجاء فى معرض المدح
(٢٢) الإلغاز والتعْمية.

وبالتحقيق عرف أن السَّببَ فى عَدَم ورُود هذه الأنواع فى «بديع القرآن» أنها لا تتفق وموضوعه ، إذ الهزل الذى يراد به الجد والإغراق والغلو والهجاء فى معرض المدح والإلغاز والتَّعْمية كلُّ هذه الأنواع لا تليق بالقرآن الذى جاء منزَّهاً عن الفُحْش ، ودستوراً للأخلاق ، وناشراً للفضيلة ، وموضِّحاً ، ومُبيِّناً لا مغلقاً ، فتعالى الله وكلامه عن هذه الأنواع عُلوًّا كبيرًا ، وإنما توجد هذه الأنواع فى كلام البشر لا فى كلام خالقهم ، وقد ذكر المؤلِّف فى «تحرير التحبير[1]» أن هذه الأنواع لا تقع فى كلام البشر إلا مقرونة بما يُخْرِجُها من باب الاستحالة ، ويدخلها باب الإمكان ، أما باقى الألوان فهى خاصَّة بالشعر .

---

(١) باب الاغراق والغلو

وذكر المؤلف أنواعاً فى كتاب «بديع القرآن» ولم يذكرها فى «تحرير التحبير» وهى :

(١) التلفيف (٢) التفصيل (٣) الإلجاء (٤) التنظير

(٥) الزيادة التى تفيد اللفظ فصاحة وحسناً .

(٦) التفريق والجمع (٧) الرمز والإيماء .

وهذه الأنواع منها ما هو من الفروع وهو .

التلفيف ، الإلجاء ، التفصيل ، ومنها ما هو من الجديد وهى :

«الزيادة التى تفيد اللفظ فصاحة وحسناً والمعنى توكيداً أو تمييزاً لمدلوله عن غيره ، والتفريق والجمع ، والرمز والإيماء ، والتنظير ، أما ما كان من الفروع فإنه استبدل به أنواعاً أو فروعاً من أنواع .

وهذه الأنواع التى أتى بها فى كتاب «بديع القرآن» ولم يأت بها فى كتاب «تحرير التحبير» ليست مستحيلة الوقوع فى كلام البشر ، ولكنها وجدت فى كلامهم [1] ، بل الأكثر من هذا كله أنه كان يذكر نوعاً فى «تحرير التحبير» باسم ، ثم يَذْكره فى البديع باسْم آخر ، فذَكَرَ فى كتاب «تحرير التحبير» نوع «ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت» وسمّاه فى «بديع القرآن» ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام» وعذْرُه فى ذلك أن القرآن ليس شعراً حتى تتفق قوافيه مع أبياته ، وكذلك ذكر فى « تحرير التحبير » نوع « التصرف » وسمّاه فى « بديع القرآن »

(١) انظر ابن ابى الاصبع بين علماء البلاغة ٢٤٧ وما بعدها .

« الاقتدار » ومسمّى الاسمين واحد ، ولعله فعل ذلك لأن الاقتدار أليق بالقرآن .

* * *

وكتابُ « تحرير التحبير » سلك مؤلّفه فى تأليفه الأسلوب العلمى الذى يعتمِدُ على أداء الحقائق والدقّة فى البحث والاستقصاء والإفادة ، والأسلوب الأدبى الذى غايته اللذة والتأثير ، فيعْمدُ إلى الألوان يعرّفها ، ويُنَاقِشُ تعاريفَ السابقين لها ، ويغيّر أسماء ما لم يُعْجِبْه من أسمائها (١) ، أو يفرّع نوعاً من نوع ، ويضَع لذلك الفرع اسْما يحدّده (٢) ، أو يفرّق بين أنواع تشابهتْ ، وذلك كثير فى كتابه وخاصة فى أنواعه التى اكتشفها ، ويعمل على إثبات ذلك كله بالعبارات الأدبية التى تثير الانفعالات ، وتنشّط الأذْهان ، وذلك بعرْضِ الحقائق رائعةً جميلةً كما أدركها ، أو تصوّرها ، ولهذا كان فى أسلوبه جامعاً بين الإفادة والتأثير بالعبارة العلمية الأدبية التى توقفنا على حقائق علمية فى النص ، أو مواطن الجمال فيه .

وكتاب « تحرير التحبير » مع تلخيصه « بديع القرآن » ومع مؤلفات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وبهاء الدين السُّبكى صاحب « عروس الأفراح » يمثّل اتجاهاً مصريا فى تاريخ البلاغة العربيّة ، لأن هذه الآثار وجدت ؛ والاتجاهان : الكلامى ، والأدبى يتصارعان ، فأَخَذَ الاتجاه المصرىُّ من الاتجاه

---

(١) انظر باب الاستعارة من كتاب « تحرير التحبير » ومناقشته رأى السابقين فى تعريفها .
(٢) انظر باب التصدير من تحرير التحبير .

الكلامى تحديدَ الأنواع وتعريفاتها من غير مغالاة فى التَّقْنِين ، وفرْض الأسئلة العقلية ، وأستَنْتَجَ النتائج المَنْطقية ، وبذلك لم تهمل التعريفات إهمالا تاما :

وأخذ من الاتجاه الأدبىّ والوجدانىّ الإكثار من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، وتحليلها تحليلا تطبيقياً يُربىّ الذوق ، وينمّى العاطفة ، ويرهف الحسّ ، ويوقف على أماكن الجمال .

وبذلك يكون التَّحسين البديعى الذى تفيده الألوان البلاغية ذاتيًّا ، ولا أستطيع أن أقول عن الاتجاه المصرى أكثر مما قاله بهاء الدين السبكى حيث يقول[1] : « أما أهلُ بلادِنا فهم يَسْتَغْنون عن ذلك بما طبعهُم الله عليه من الذَّوق السليم ، والْفَهْم المُسْتَقِيم ، والأذهان التى هى أرقُّ من النسيم ، وألْطف من مَاء الحياةِ فى المحيًّا الوسيم ، أكسَبَهُمْ النيلُ تلك الحلاوة ، وأشَارَ إليهم بأصابعه فَظَهَرتْ عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنى فيه العلماءُ فضلا عن الأغمار الأعمارَ ، يرون فى مرآةِ قلوبهم الصَّقِيلةِ ما احتجب عن الأسرار خَلف الأسْتَار » .

و « تحريرُ التحْبيرِ » أوضح لنا ــ بجَمْعه أُصول البديع وفروعه ــ أننا أردْنا أن نَبْنى جديدًا فى البلاغة المصرية ، فلا بدَّ من أنْ نَفْهَم القديم ، ــ لأنه لا جديد لمن لا قديم له ــ ولا بدّ كذلك من فَهْم آراءِ السابقين وتفنيد نظرياتهم ، فمثلا نَرَى القدماءَ من علماءِ البلاغة يُعنَوْن بدراسة الألفاظ مفردة ، ويمحّصونها بحديث غير قصير ، فأوجب ابن أبى الاصبع فى « تحرير التحبير » دراسة الألفاظ باعتبارها الأداة الأُولى للصناعة الأدبية ، وأشارَ

---

(١) انظر مقدمة عروس الأفراح .

إلى نصيب هذه الألفاظ من الإفادة فى المعنى ، فهو بذلك يوسّع مجال البلاغة حتى يجعلها شاملة للمفرد والمركّب ، ولكنه لا يعتبر الدراسة اللفظية مقدمة كما يعتبرها السابقون ، بل يعتبرها جزءًا مهمًّا من دراسة البلاغة (١).

ويرى أن اقتصار البلاغة على بحث الجُملةِ خبريّة وإنْشائية ، مُنْفصلة ومتصلة ، مُطْنبةً وموجزةً نقصٌ يجعلُ البلاغة لا تأْتى بالغَرض المرجوّ منها ، ويَرَى أنه لا بدَّ أن تمتد البلاغة إلى بحث الفقرة الكاملة ، والقطعة الأَدبية كلها سواء أكانت مَنْثُورة أم منظومة ، وعقد المقارنات ، والمفاضلة بين النصوص الأَدبية وأَصحابها إذا اتَّفَقَتْ المَعَانى أَو اختلفَتْ (٢) .

كما يبين لنا من تأْليفه وجوب دراسة الشَّواهد الأَدبية ومعرفة ما تحويه من آداب ، وتجارب ترفع من المستوى الخلقى والأَدبى ، كما أوجب فى دراسة البلاغة دراسة شخصية المتكلِّم ، وتحليل نفسيته ، والربط بينه وبين بيئته التى عاش فيها ، وتفاعُل ذلك وأَثره على الناحية الأَدبية .

كما أنه أَبان لنا صلةَ البلاغة بالمعارف العامة علوماً كانت أَو فنوناً .

وبذلك تتضح الصلة بين البلاغة والأَدب التى تستمد شواهدها منه ، والتاريخ لتسجيل طرق الحياة الأَدبية ، وبيّن لنا دقَّة انتقال الحياة من حالة إلى حالة ، وما خَضَعتْ له من مؤثِّرات مختلفة ، وبذلك نستطيع أن نحكم على أذواق المتكلِّمين وإدراكهم الفنى لحياتهم البلاغية ، وأُسس تراكيبهم ، فنعرف متى شاع الإيجاز ولماذا ؟ ومتى شاع الإطناب أو كثرت

---

(١) انظر باب الفرائد ٠٠ من تحرير التحبير

(٢) انظر باب التهذيب والتأديب من تحــــــرير التحبير »

التورية ؟ وبذلك يكون «تحرير التحبير» وضع لنا أحكاماً بلاغيّة مبنيّة على أسس من البحث يمكن أن نطمئن لها ونستفيد منها (١).

وأخيراً، أقول : إننا لو ترسّمنا اتجاه مصر فى الدراسة البلاغية والنقدية الذى يعتمد على تحليل النصوص الأدبية والكشف عما فيها من مواطن الجمال من غير احتفال بالتعاريف والخلافات والقياسات والأسئلة والأجوبة التى توقف الدارس أمامها مندهشاً من غير فائدة ، ثم تجعله يعرض عن دراسة البلاغة وينفر منها ؛ أقول : لو ترسّمنا ذلك لأوجدنا جيلا يحب البلاغة ومصادرها ودراستها ، لأنه سيجد فيها ما يشبع رغبته ، ويقوى ذاكرته ، ويوسع خياله وإدراكه ، وينمى ذوقه وإحساسه ، وبذلك تؤتى البلاغة ثمرتها .

---

(١) انظر باب التهذيب والتأديب من تحرير التحبير

(أ) اصول الكتاب

((الأم))

هذه النسخة مصوّرة على الميكروفيلم بالجامعة العربية عن النسخةالمخطوطة والمحفوظة بمكتبة لا لَهْ لى تحت رقم ٢٧٨٢ ، وهى مكتوبة فى أواخر القرن السابع بخط جميل واضح ، ولعلها كتبت فى عصر المؤلف [١] ، وقد قوبلت بقُوص وتقع فى ١٧٩ لوحة ذات شطرين ، ومقاسها ١٥ × ٢٥ سم ، ومسطرتها ٢١ سطرا . وعلى الورقة الأُولى منها ترجمة للمؤلف بخط العلامة ابن مكتوم القيسىّ النحوىّ ، وعلى الجانب الأيمن من اللوحة الأُولى فهرس لأنواع البديع التى وردت فى الكتاب ، كما أن عليها عدة تمليكات بعضها مؤرّخ وبعضها غير مؤرخ ، ولقد قمت بتصويرها على الفوتستات وجعلتها أصلا لهذا الكتاب للاعتبارات الآتية :

أولا ــ أنها المبيضّة الموسّعة التى أخرجها المؤلف بعد المختصرة ، إذ تشمل جميع الألوان الفروع والأُصول والجديدة.

ثانياً ــ قِدمُ خطها ، إذ أنه بمقارنة خطّها وورقها ومدادها وما عليها من تمليكات وجد أن خطّها يرجع إلى النصف الثانى من القرن السابع .

---

(١) انظر فهرس مخطوطات الجامعة العربية الجزء الأول قسم البلاغة

ثالثاً ـ كونها تامة الأنواع ، إذ تحتوى على خمسة وعشرين ومائة نوع وهى الأنواع التى أشار إليها المؤلف فى المقدمة .

وهناك اختلافات بينها وبين غيرها من النسخ فى المقدمة ، وفى بعض العبارات التى لا تؤدى إلى اختلاف المعانى ، كما أن بها زيادات كثيرة على نسختى ت ، د ، وقد كتبت أكثر هذه الزيادات على هامش نسخة « ا » .

نسخة (ا)

هذه النسخة مصورة على الميكروفيلم بالجامعة العربية عن النسخة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة شهيد على باستنبول تحت رقم ٢١٧٠ فى ١٧٨ لوحة ، كل لوحة ذات شطرين ، ومقاسها متوسط ، ومسطرتها خمسة عشر سطراً ، وهى مضبوطة بالشكل ، وقد كتب على الصفحة الأولى منها عنوان الكتاب « كتاب تحرير التحبير فى علم البديع » . وكتب فى اللوحة الأخيرة. « تم الجزء الرابع وبتمامه تم كتاب « تحرير التحبير » وكان فراغ مؤلفه منه فى سنة أربعين وستمائة والحمد لله وحده » .

وفى هامش اللوحة الأخيرة وجدت هذه العبارة : « فرغ من كتابته المفتقر إلى رحمة ربه محمد بن عمر بن على المغربى الإرْبِلّى فى سنة ٦٦٦ هـ حامداً الله تعالى ومصلياً على نبيه محمد وآله الطاهرين » .

وفى أسفل اللوحة الأخيرة كتبت العبارة الآتية : « بلغت المقابلة والتصحيح والمعارضة على يد الفقير لذى اللطف الخفىّ محمد بن العماد

الحنفى ؛ غفر الله تعالى ذنوبه ، وستر عيوبه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

ولعل هذه النسخة هى المسودة ، أو أخذت عنها قبل أن تُستكمل وتبيّض لأنها تنقص عن نسخة الأصل كثيرًا ، وهذا النقص مكتوب على هوامشها وبذلك كانت أكمل من المختصرة.

والنسخة الخطِّية لهذه النسخة طغت الأرَضَة على بعض أوراقها .

نسخة (د)

هذه النسخة رمزت لها بالحرف « د » نسبة إلى دار الكتب المصرية وهى تبدأ من أول باب التهذيب والتأديب ، وقد كتب على الصفحة الأولى : المجلد الثانى من كتاب « تحرير التحبير » لابن أبى الإصبع ، كما يوجد على الصفحة الأولى خاتم باسم محمد عاقل ، وأسفل هذا الخاتم هذه العبارة : « استنسخه الفقير كاشف زاده محمد عاقل » وهذه النسخة مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٠٥ بلاغة ، ومحلاّة بالمداد الأحمر، وتظهر عليها الجدّة ، وإن كان بها سقط فى بعض المواضع ، وتنتهى بباب حسن الخاتمة ، وخاتمتها كخاتمة الأصل و « ا » ونسخة تيمور ، ووجد بآخرها : « وكان الفراغ من نسخه فى سبعة عشر خلت من شهر جمادى الثانى سنة ألف ومائتين وإحدى وسبعين ، وكان نسخه بالإسكندرية على يد كاتبه احمد بن سليم حامدًا الله ومصلياً على محمد نبيه وآله تسليما كثيرًا » .

ويقع هذا الجزء فى إحدى وستين ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرًا .

نسخة (ت)

رمزت لهذه النسخة بالحرف «ت» نسبة إلى الخزانة التيمورية ، وهى مخطوطة ومحفوظة بها تحت رقم ٤٨ بلاغة تيمور ، وعنوانها «كتاب البديع فى صناعة الشعر ويعرف بتحرير التحبير» ولعل واضع العنوان غلّب موضوع الكتاب على اسمه ، إذ أنه يبحث فى بديع الكلام شعرًا ونثرًا ، وبذلك يكون الواضع لهذا العنوان خالف تسمية المؤلف ، فالمؤلف وسمه «بتحرير التحبير»[1].

وتختلف هذه النسخة عن الأصل وعن نسخة «ا» فى بعض عبارات المقدمة وتقع هذه النسخة فى ٢٨٠ صفحة ، ومسطرتها ٢١ سطرًا وتختم بعبارة «وكان فراغ مؤلفه من تعليقه سنة أربعين وستمائة ، حامدًا الله ومصليًا على رسوله محمد وآله وصحبه ومسلّما . ووافق الفراغ من نسخه من الكتبخانة الخديوية الكائنة بدرب الجماميز بمصر المحمية يوم الثلاثاء المبارك الموافق ١٨ المحرم الحرام سنة ألف وثلاثمائة وثمانية هجرية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين».

وقبل هذه الخاتمة التى هى من صنع الناسخ يوجد ما هو من كلام المؤلف «وهذا آخر الأبواب التى استنبطتها وهى ثلاثون بابا ، وبها تكملت الأبواب مائة باب وعشرون باباً سليمة من التداخل والتوارد ، بعد ما حذفت من أبواب ليس فيها للمتقدمين سوى الأسماء ومسمياتها متداخلة ، ومن أنعم النظر فى الكتب التى نظرت فيها ، ودقّق النّظر فى كتابى وقع على صحة ما ذكرت ، فرحم الله من نظر فيه ، وسدّ ما يجد فيه من الخلل ، واغتفر ما يقع عليه من السهو والزلل».

---

(١) انظر مقدمة تحرير التحبير

والنسخة مجدولة ومعنونة موضوعاتها بالمداد الأحمر ، كما أن من مميزات النسخة التنسيق والخط الجميل على ما بها من التحريف والتصحيف الكثيرَين ، كما أن بها تعقيبات فى آخر صفحاتها ، وعلى هوامشها بعض التعليقات مما يقوم دليلا على مقابلتها وتصحيحها على النسخة التى أُخذت عنها .

وهذه النسخة مقسمة إلى أجزاء :

الجزءُ الأول ينتهى بانتهاء باب الإيغال وهو آخر الأبواب الأُصول (أبواب ابن المعتز وقدامة) ، وقد كتب فى آخر هذا الجزء «وهذا آخر الجزء الأول من هذا الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

ويبتدئُ الجزءُ الثانى بقوله : «الجزءُ الثانى من هذا الكتاب وهو يبتدئ بأول الأبواب الفروع ، وأولها «باب الاحتراس » ، وينتهى هذا الجزءُ بانتهاء باب الاطراد ، وفى آخره «تم الجزءُ الثانى » وعدد أنواعه واحد وثلاثون نوعاً .

ويبدأ الجزءُ الثالث بباب التكميل . وينتهى بباب النوادر وعدد أنواعه تسعة وعشرون نوعاً ، ثم ختم هذا الجزءُ بقوله : « وهذا آخر أبواب المتقدمين » ، وقد بقيت أبواب الأجدابىّ الثلاثة ، وأولها باب الالتزام ، ثم تشابه الأطراف ، ثم باب التوأم » .

ويلى ذلك الجزءُ الرابع ولم يعنون له كما عنْون للأجزاء الثلاثة السابقة ولعله اكتفى بنهاية الجزء الثالث ، وهذا الجزءُ يشتمل على أنواعه الجديدة التى ادّعى اكتشافها وعددها ثلاثون نوعاً .

وبذلك ينتهى الكتاب وفيه مائة وخمسة وعشرون نوعاً .

(ب) الطريقة التى التزمتها فى التحقيق

بينت فيما سبق سبب تسمية « تحرير التحبير » بهذا الاسم ، ووصفت النسخ التى اعتمدت عليها فى تحقيق هذا الكتاب ، وسأُبين هنا الطريقة التى آثرتها فى التحقيق ، وهى أنى بعد أن اهتديت إلى نسخه التى أشرت اليها سابقاً ما بين مصوَّرة ومخطوطة ألفيتها على كثرتها كثيرة التصحيف والتحريف ، والحذف والزيادة والإبهام ، ونسبة الأشياء إلى غير أصحابها ، وغير ذلك ، فبذلت جهدى فى تقويم المُعْوَجِّ من عبارتها ، وتصحيح كثير من الأخطاء التى لو بقيت على حالها لحالت دون الإفادة من الكتاب ، وبما أن الكتابَ بَيِّنَ البديع فى الكلام شعره ونثرِهِ ، قرآنه وحديثه ، فإنى سوف أبين ما قمت به أثناء تحقيقى لهذا الأثر البيانى العظيم :

١ ـ بذلت فى ضبطه وخاصة موضع الاستشهاد من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية والأحاديث النبوية ما استطعت ، حتى تسهل قراءتها ويتيسر فهمها .

٢ ـ صحّحتُ نسبة الأنواع[1] والأبيات التى وجدتها منسوبة إلى غير أصحابها .

---

(١) انظر عتاب المرء نفسه .

٣ - رأيت كثيرًا من ألفاظه بحاجة إلى الشرح لغرابتها وندرة استعمالها ، فأثبتُّ ذلك تعليقاً فى حواشى صفحاته، راجعاً فى ذلك إلى كثير من أمّهات كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها .

٤ - لم أدع تفسيرا لبيت غير واضح المعنى ، ولا رواية فيه إلا نبّهت عليه مشيرًا إلى المصدر الذى جاء فيه أو نقلته عنه .

٥ - نسبت كل شعر ورد غيرَ منسوب فى هذا الكتاب إلى صاحبه، ورجعت المنسوب وغير المنسوب إلى أصله ، فإن كان قائله صاحب ديوان نسبته إلى الديوان، مبيّناً الصفحة التى ورد بها ، ثم بيّنت مكان وروده فى الكتب البلاغية ما أمكن بعد ذلك .

٦ - وقد نسبت كلَّ نوع بديعى إلى مصدره الذى جاء فيه ، وجعلته كفهرس للكتب التى تكلمتْ عن هذا النوع ، مبيناً الجزء والصفحة ، حتى يسهل البحث على الباحث إذا ما أراد أن يعرف شيئاً عن نوع من أنواع البديع .

٧ - نسبت الآيات القرآنية التى استشهد بها المؤلف على النوع البديعى إلى سُوَرها مبيناً رقم الآية فيها .

٨ - نسبت ما ورد فى هذا الكتاب من الأحاديث النبوية إلى مصادرها من كتب الحديث حتى يسهل الرجوع اليها .

٩ - كثيرًا ما ينقل المؤلف نصوصاً وتعريفات وآراء عن مؤلفين سابقين ، وينقدهم أو يناقشهم ، فكنت أرجع هذه النصوص ، أو التعريفات ،

أو الآراء إلى أصحابها فى كتبهم ، وأرجِّح بين آرائهم ورأى المؤلف إن كان الأمر يحتاج إلى ترجيح .

١٠ - قمت بمعارضة نصوص الكتاب فى نسخه المختلفة ، مثبتاً ما ورد فى الأصل فى صلب الكتاب ، وما خالف هذا الأصل أثبتّه فى الهامش ، منبهاً على ذلك ، اللهم إلا إذا كان ما ورد فى الأصل يفسد المعنى أو أصابه تصحيف أو تحريف من الناسخ ، ولا يمكن إثباته فى الأصل ، فأثبت مكانه ما ورد صحيحاً فى النسخ الأخرى حتّى يأتى المعنى سليماً واضحاً ، وأشرت إلى ذلك فى الهامش .

وأخيراً قمت بوضع الفهارس المختلفة لمحتويات الكتاب .

راجياً من هذا كله إفادة الباحث، لكيلا يجهد نفسه عند الرجوع إليه ، والله الموفق لما فيه الخير والفائدة » .

تحرير التحبير

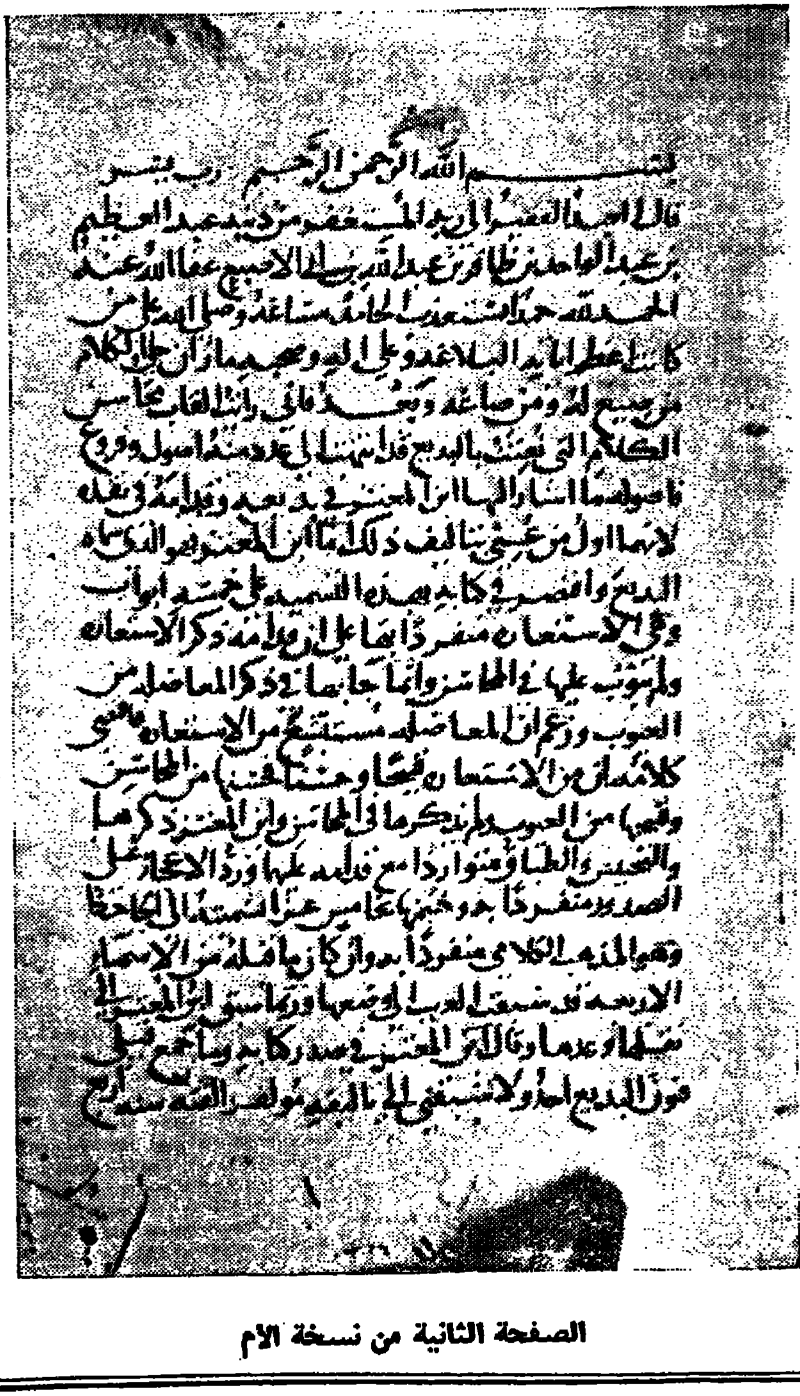
في

صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن

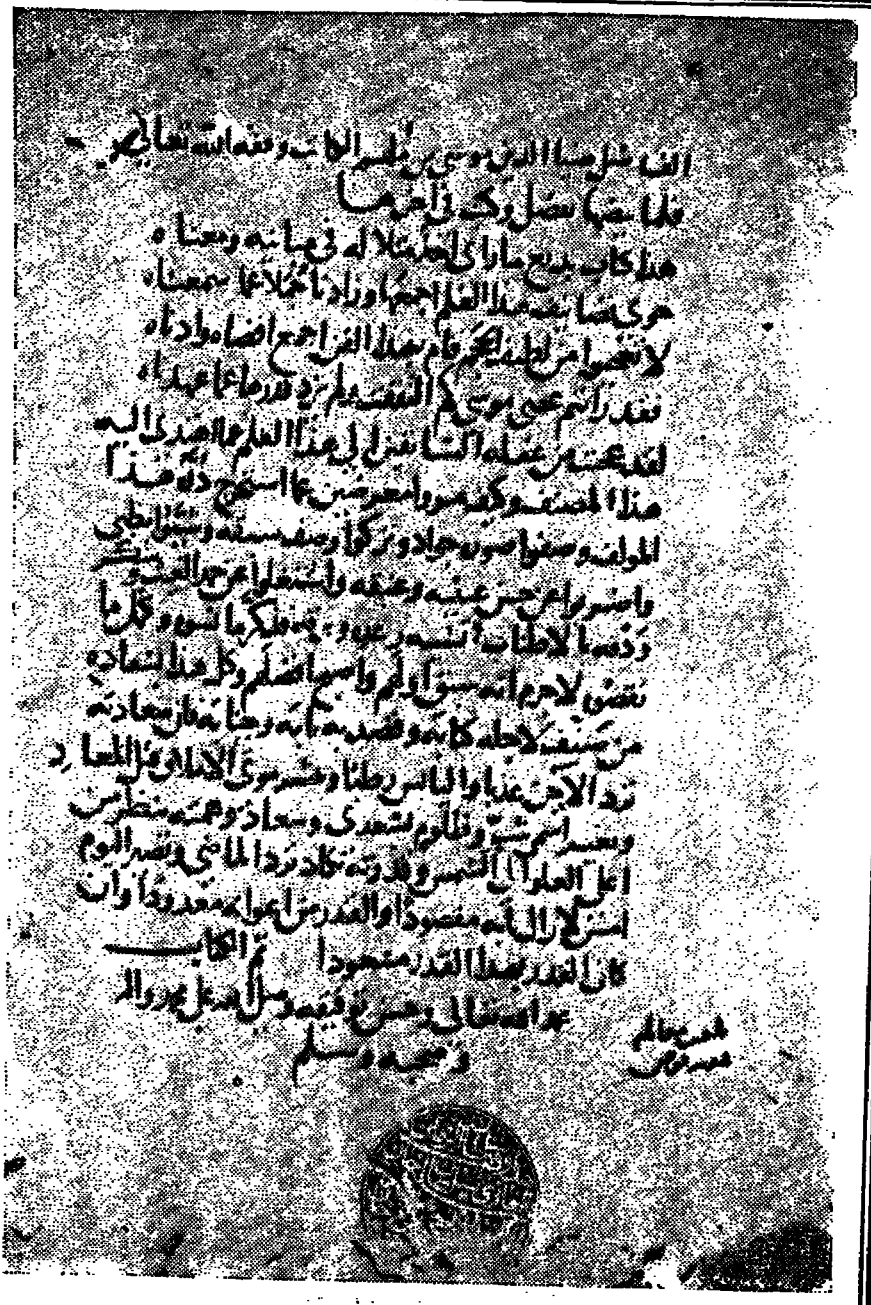
الجزء الاول



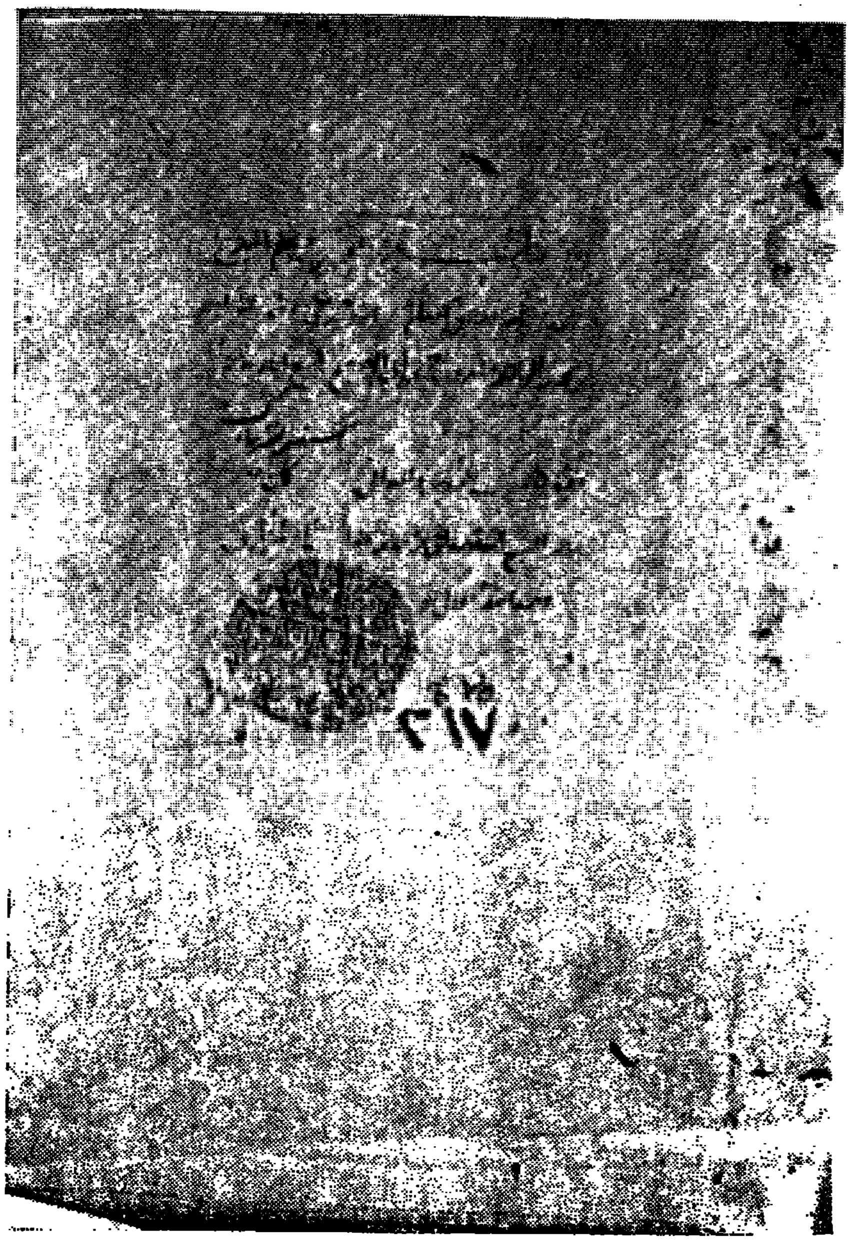
الصفحة الأولى من نسخة الأم


بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
قال الشيخ الفقير إلى ربه المستغفر من ذنبه عبد العظيم
بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الاصبع عفا الله عنه
الحمد لله حمداً أستعين به [illegible] مساعده وصلى الله على من
كان أعطانا [illegible] البلاغة وعلى آله وصحبه ما زان حلي الكلام
من جميع [illegible] ومن صاغه وبعد فإني رأيت ألقاب محاسن
الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدة منها أصول وفروع
فأصولها ما أشار إليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده
لأنهما أول من عني بتأليف ذلك فأما ابن المعتز فهو الذي سماه
البديع واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب
وذكر الاستعارة منفردة بابا على أن قدامة ذكر الاستعارة
ولم يبوب عليها في المحاسن وإنما جاء بها في ذكر المعاضلة من
العيوب وزعم أن المعاضلة مستشنع من الاستعارة [illegible]
كالأمثال من الاستعارة قبيحا وحسنها [illegible] من المحاسن
وقبيحها من العيوب ولم يذكرها في المحاسن وابن المعتز ذكرها
والتجنيس والطباق [illegible] فلم يبوب عليها ورد الأعجاز على
الصدور منفردا [illegible]
وهو المذهب الكلامي منفردا [illegible] من الاستعارة
الأربعة [illegible]
[illegible]
[illegible] البديع [illegible]

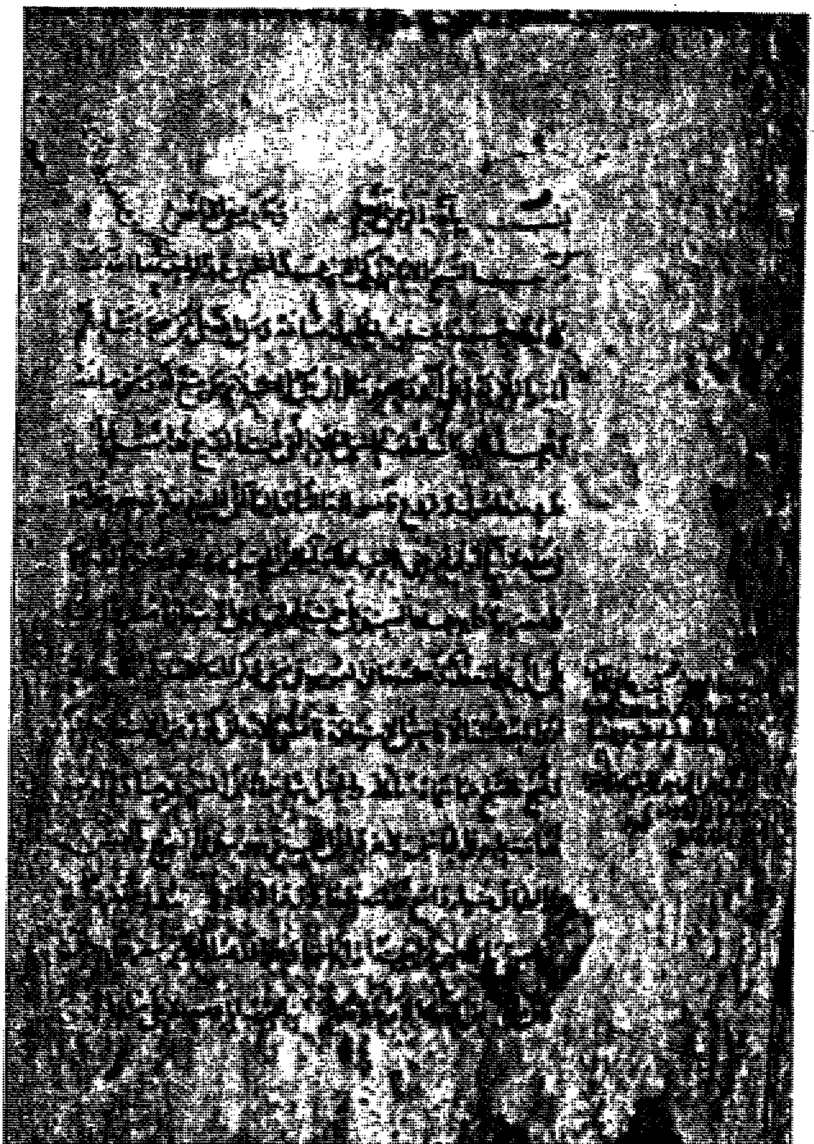
الصفحة الثانية من نسخة الأم



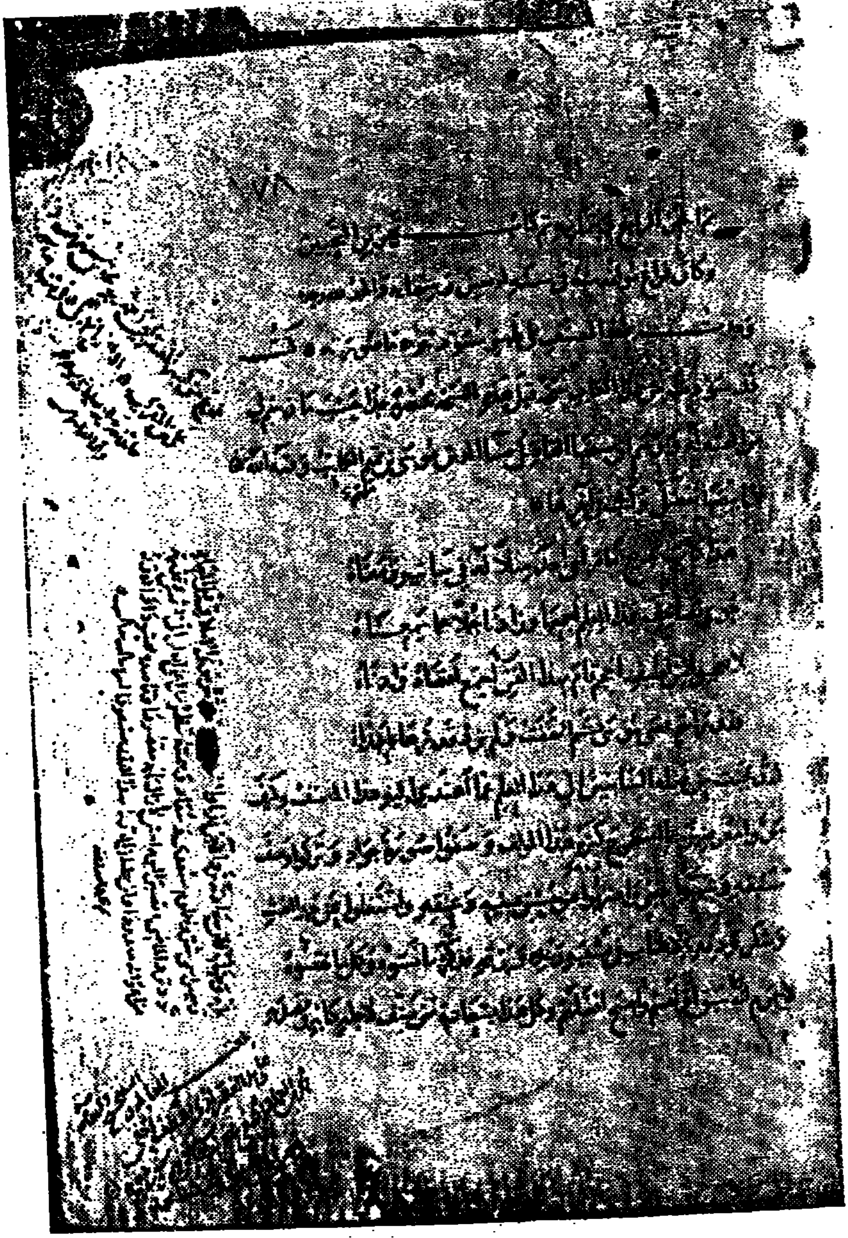
الصفحة الأخيرة من نسخة الأم



الصفحة الأولى من نسخة (أ)



الصفحة الثانية من نسخة (أ)



الصفحة الأخيرة من نسخة (ا)

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

«رب يسّر[١]»

قال[٢] العبد الفقير إلى ربه ، المستغفر من ذنبه ، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الإصبع ـ عفا الله عنه ـ : الحمد لله حمداً يستعذب الحامد مساغه، وصلى الله على من كانت أعظم آياته البلاغة وعلى آله وصحبه مازان حَلْيَ الكلام مَن صِيغ[٢] له ومن صاغه .

وبعد ، فإني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نُعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول وفروع : فأُصوله ، ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده ، لأنهما أول من عُني بتأْليف ذلك .

أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع ، واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب ، وهي : الاستعارة منفردا بها ، على أن قدامة ذكر الاستعارة ولم يُبوِّب عنها في المحاسن ، وإنما جاء بها في ذكر المعاظلة من العيوب ، وزعم أن المعاظلة ما إستُبشع[٣] من الاستعارة ، فاقتضى كلامه أن من الاستعارة

---

(١) في ا « وما توفيقى الا بالله » وفى ت « رب وفق واعن » .

(٢) فى ت « صنع » وهو تحريف .

(٣) عبارة ب ، ا ، « على أن قدامة قد ذكرها فى العيوب فى ضمن المعاظلة لانه قال : ولاارى المعاظلة الا فاحش الاستعارة » .

قبيحاً وحسنا ، «فحسنها [1] من المحاسن ، وقبيحها من العيوب ، ولم يذكرها فى المحاسن ، وابن المعتز ذكرها » والتجنيس ، والطباق متواردا مع قدامة عليهما ، ورد الأعجاز على الصدور منفردًا به ، وختمها بخامس عزا تسميته إلى الجاحظ ، وهو المذهب الكلامى منفردًا به ، وإن كان ما قبله من الأسماء الأربعة قد سبقت العرب إلى وضعها ، وربما سَبق ابن المعتزٌ إلى نقلها وعدّها » [2] .

وقال ابن المعتز فى صدر كتابه : وما جمع قبلى فنون البديع أحد ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين وأول من نسخه منّى على بن يحيي بن منصور المَنجّم ، ثم قال بعد سياقة الأبواب الخمسة : ونحن الآن نذكر محاسن الكلام والشعر وإن كانت محاسنهما كثيرة لا ينبغى للعاقل العالم أن يدعىَ الإحاطة بها حتّى يتبرأ من شرود بعضها عن علمه ، وأحببنا بذلك أن نكثّر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر فيه أنا قد اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بالطريقة . ولا ضيق فى المعرفة ، فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر على تلك الخمسة بالبديع فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع وارتأى غير رأينا فله اختياره ، وهذا حِينُ ذكر المحاسن ثم ذكر الالتفات ، وقد تَوَاردَ عليه هو وقدامة ، وذكر اعتراض كلام فى كلام

---

(1) عبارة ا ، ت « فالقبيح منها سماه معاظلة ، والحسن منها سماه ابن المعتز بديعا ولم يبوب قدامة عليه فى المحاسن ، وانفرد ابن المعتز بتبويبه عليه فى البديع » .

(2) عبارة ا ، و ت لا على مراد ابن المعتز وربما سبق ابن المعتز الى نقلها عن مسمياتها الاولية الى ما اراد .

لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلم فيتمّه فى بيت واحد أو جملة واحدة ، وهذا الباب سماه قدامة «التّمام» وسماه الحاتمى فى (الحلية) التّتميم» . وهو مما توارد عليه قدامة ، وابن المعتز ، ثم ذكر من المحاسن «الخروج من معنى إلى معنى» ، وهو الذى سماه الحاتمى «الاستطراد» ، ناقلا تسميته لا مخترعاً وهو من أفراد ابن المعتز ، ثم ذكر «تأكيد المدح بما يشبه الذم» منفرداً به وذكر «تجاهل العارف» ، وهو الذى سماه المتأخرون «الإعنات والتشكيك» وهذه التسمية غير مطابقة من كل وجه ، والتشكيك باب مفرد بينه[1] وبين «تجاهل العارف» فرق سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وهو من إفراد ابن المعتز ، ثم ذكر «الهزل الذى يراد به الجَدّ» منفرداً به ، وذكر «حُسْن التّضمين» منفرداً به ، وذكر «الكناية» منفرداً بها ، وذكر «الإفراط فى الصفة» متوارداً عليها مع قدامة ، وسمّاها قدامة «المبالغة» ، وذكر «التشبيه» متوارداً هو وقدامة عليه ، وذكر «عتاب المرء نفسه»[2] منفرداً به ، وذكر «حسن الابتداءات» منفرداً به ، وسمّاه مَن بعده «براعة الاستهلال» على اختلاف فى شواهده ، فهذه اثنا عشر باباً من المحاسن تضاف إلى أبواب البديع الخمسة فيصير بها ما اخترع ابن المعتز جَمِيعه من ذلك سبعة عشر باباً .

وأما قدامة فضمّن كتابَه الموسوم بـ «نقد الشعر» عشرين باباً ، وهى : «التشبيه» و«التّمام» ، و«المبالغة»[3] ، و«الطّباق» ، و«الجناس» متوارداً هو وابن المعتز

---

(١) زاد فى ا ، ت بعد هذه الكلمة «اورده بعضهم وبينه» الخ .

(٢) يلاحظ ان ابن المعتز لم يذكر «عتاب المرء نفسه» ضمن ابوابه . انظر باب «عتاب المرء نفسه» من هذا الكتاب .

(٣) زاد فى ا و ت «الالتفات» وقد سقط هذا الاسم من الاصل .

عليهن جميعاً ، وبقية العشرين مما انفرد به قدامة ، وهى : « التكافؤ » ، وإن كان هذا الباب تَدَاخَل على قدامة فى باب « الطباق » ، وسأُبين ذلك فى موضعه ، و « صحة الأقسام » ، و « صحة المقابلات » ، و « صحة التفسير » ، و « ائتلاف اللفظ مع المعنى » ، وهو باب فرّع منه قدامة ستة أبواب ، وهى « المساواة » ، و « الإشارة » ، و « الإرداف » ، و « التمثيل » ، ثم فرّع من باب « ائتلاف اللفظ مع المعنى » أيضاً : « الطّباق » ، و « الجناس » ، وقد مضى ذكر توارده مع ابن المعتز عليهما ، وذكر « ائتلاف اللفظ مع الوزن » ، و « ائتلاف المعنى مع الوزن » ، وقد جعل المتأخرون هذين البابين باباً واحدًا ، وسموه « التهذيب [1] والتأديب » . (لكن[2] قدامة خَصّ بهما الشعر ، ومن سماهما تهذيباً وتأديباً لا يخص بهما الشعر دون النثر ، ولا النثر دون الشعر ، بشرط أن يعم بالتسمية فيقول : « ائتلاف اللفظ مع المعنى مطلقاً » ، من غير أن يذكر الوزن) « وائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت » وقد سمّاه مَن بعده « التمكين » (وخص به الشعر أيضاً وهو لا يخصه) [3] وفرّع قدامة من هذا الباب بَابَىْ التوشيح والإيغال[4] فهذه ثلاثة [5] عشر باباً صَحّت لقدامة منفردًا بها ، بعد إسقاط ما تداخل عليه . وهو : « التكافؤ » ، وإذا أُضيفت إلى ما قدمه ابن المعتز من البديع وأضافه إليه من المحاسن صارت عدة الأصول من كتابيهما بعد حذف ما

(١) عبارة ت « التنكيت » ، وهو خطأ من الناسخ والمقصود بالمتأخرين اسامة بن منقذ انظر بديعه : ١٣٩ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت .

(٤) زاد فى ا ، ت بعد هذه الكلمة « وذكر التصريع فى ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت فى ضمن كلامه ولم يفرده .

(٥) فى ا ، ت « اثنا عشر بابا » ويرجع الاختلاف فى العدد الى حذف باب الالتفات .

تواردا عليه ثلاثين باباً سليمة من التَدَاخل ، وهذه أُصول ما ساقه الناس فى كتبهم من البديع إلى هلمّ جرًا . ثم اقتَدَى الناس بابن المعتز فى قوله : «فمن أحب أن يضيفَ شيئاً من هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع فليفعل» فأضاف الناس المحاسن إلى البديع ، وفرعوا من الجميع أبواباً أُخرى ، وركبوا منها تراكيب شَتّى ، واستنبطوا غيرها بالاستقراءِ من الكلام والشعر حتى كثرت الفوائد ، ورأوا ابن المعتز قد غلّب اسم البديع على اسم المحاسن فسمّى كتابه «البديع» وهو جامع لهما معافاقتدوا به . لأَنه المخترع الأول للتصنيف ، فسمى كل من وضع كتاباً فى ذلك باسم إما مصرّح بالبديع أو راجع معناه إليه ، وكذلك فعل كل من عرف نوعاً منه عند سؤاله عنه ، فإنه يقول : هذا الضرب الفلانى من البديع إلا من ألف فى مجموع البلاغة ، أوتعرّف كنه الفصاحة ، أو فى النقد كتاباً ، فإن له أن يسميه ما شاءَ ، ولقد وقفت من هذا العلم على أربعين كتاباً منها ما هو منفرد به ، وما هذا العلم أو بعضه داخل فى بعضه كنقدَىْ قدامة[1] وبديع[2] ابن المعتز ، وحلية المحاضرة[3]

---

(1) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الاصول . والمقطوع به هو نسبة نقد الشعر لقدامة . وقد طبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ وطبع سنة ١٩٤٢ م بتحقيق الاستاذ كمال مصطفى ، اما نقد النثر ففى نسبته الى قدامة خلاف تحدث عنه الدكتور على حسن عبد القــادر فى مجلة المجمع العلمى العربى التى تصدر بدمشق ١ كانون الثانى ١٩٤٩ م ، واخبرنا هو انه قد اطلع على النسخة التى عرفت بنقد النثر ، وانها منسوبة الى احد تلاميذ قدامة لا لقدامة وقد طبع نقد النثر فى مصر سنة ١٩٣٨ م بتحقيق الاستاذين الدكتورين طه حسين ، وعبد الحميد العبادى . ونقد الشعر كتاب جمع فيه مؤلفه انواعا بديعية توارد فى بعضها مع ابن المعتز ، وان لم يسم هذا الكتاب باسم البديع بل سماه نقد الشعر .

(2) هو اول كتاب اطلق عليه هذا الاسم وان لم يكن اول كتاب مستقل فى هذا البحث ، وقد سبقه استاذه ثعلب بتاليف كتاب قواعد الشعر تكلم فيه عن انواع بديعية محددة ، ولكن كتاب البديع الف بعد ان استوى البديع علما قائما بذاته مستقلا عن غيره من علوم العربية . وقد جمع فيه مؤلفه انواعا بديعية سماها بهذا الاسم وانواعا اخرى اسماها محسنات ، واكثر من الشواهد والتعريفات لهذه الانواع .

(3) هما كتابان فى البــــديع لم اعثر عليهما بعد بحث كثير .

وكشفت عن «الحالى والعاطل» الذى ذكره الحاتمىّ فى الحلية فلم أجد من يعترف بوقوفه عليه سوى ابن منقذ[1] فى بديعه ، وكالصناعتين[2] للعسكرى ، والعمدة[3] لابن رشيق ، وتزييف[4] نقد قدامة له ،ورسالة ابن[5] بشر الآمدى التى رد بها على قدامة ، وكشف[6] الظلامة للموفّق البغدادى ، والنكت[7] فى الإعجاز للرمانى ، والجامع[8] الكبير فى التفسير له ، والتعريف والإعلام[9] للسهيلى ، ودرة التنزيل[10] وغرة التأويل للخطيب ،

---

(١) بديع ابن منقذ هو كتاب فى البديع الفه الأمير اسامة بن منقذ ورتبه على خمسة وتسعين بابا أولها باب اجناس التجنيس وآخرهـا باب التهذيب وقد طبع اخيرا بتحقيق الاستاذ الدكتور احمد احمد بدوى وآخرين .

(٢) هذا الكتاب الف فى صناعة الشعر والنثر تكلم فيه ابو هلال عن انواع بديعية اخذها عن سابقيه واخترع بعضها كما يقول وقد طبع عدة طبعات آخرها طبعة الحلبى بتحقيق الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم وآخرين سنة ١٩٥٢ .

(٣) هو كتاب يقع فى مجلدين فى صناعة الشعر ونقده وتكلم فيه ابن رشيق عن انواع بديعية مكثرا من الشواهد عليها ، محددا لهـا وكثيرا ما ينقل عنه صاحب تحرير التحبير ، كما سنبين ذلك بعد ، طبع عدة طبعات .

(٤) من الكتب التى لم أعثر عليها وان كان قد ذكره صاحب كشف الظنون وقد تكلم عنه ابن ابى الاصبع فى تحريره بما يدل على تحامله على ابن رشيق وميله الى قدامة .

(٥) هى رسالة تبين غلط قدامة فى نقد الشعر وتكشف عن اضطرابه فيه ، وهى مفقودة .

(٦) هو كشف الظلامة عن قدامة بن جعفر لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى ، ولعله يبحث فى الرد على من نقد قدامة ويدافع عنه ولم اعثر عليه .

(٧) هو رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة الفها الرمانى للكشف عن بلاغة القرآن والتدليل على اعجازه وبلاغة اسلوبه وفصاحة الفاظه تكلم فيها عن أنواع بديعية مستشهدا عليهـا بآيات القرآن الكريم وقد طبعت هذه الرسالة ضمن مجموعة (ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) بتحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد والدكتور زغلول سلام .

(٨) ذكره صاحب كشف الظنون ولم أعثر عليه .

(٩) هو كتاب يبحث فيما ابهم فى القرآن من الاسماء والاعلام ، وشرح آية الوصية ولا شك أن من يبحث عن البديع يحتاج الى الوقوف على ما فى كتاب الله من اعلام واسماء قد تكون مبهمة، مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٤٣٩ تفسير .

(١٠) هو كتاب للخطيب الاسكافى يبحث فى بيان الآيات المتشابهات وتأويلهـا فى كتاب الله العزيز وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ م .

واعجاز القرآن[1] للباقلاني ، والكشاف[2] للزمخشري ، وإعجاز[3] الجرجاني المسمّى بدلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة[4] له ، ونظم القرآن[5] للجاحظ ، والبيان والتبيين[6] له ، وإعجاز ابن الخطيب[7] ، ورسالة[8] الصولي التي قدمها على شعر أبي نواس ، ورسالته في أخبار أبي تمام[9] ، ورسالة[10] ابن أفلح ،

---

(١) هذا الكتاب يكشف عن اعجاز القرآن البياني وضرب الامثلة القرآنية والدلالة على بلاغته وحشد الأدلة للدلالة على ذلك وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق وشرح الاستاذ احمد صقر .

(٢) هو كتاب في تفسير القرآن الكريم ولكن مؤلفه امتاز في تفسيره اياه بميزة خاصة اذ فسره بأسلوب بلاغي وقد روى عنه السيوطي في نواهد الأبكار بعد ان ذكر قدماء المفسرين فقال : « ثم جاءت فرقة اصحاب نظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الاعجاز ، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة ولذا صار كتابه في اقصى درجات الشرف » وهو مطبوع عدة طبعات .

(٣) هو من اقدم ما وضعه البلغاء ونقاد العرب في فن المعاني والبحث في نظرية اعجاز القرآن وهل هي لالفاظه ام هي لمعانيه ، أو لاسلوبه ، و ونظمه وهي نظرية عني بها مؤلفه عناية فائقة ولقد تأثر به ابن ابي الأصبع ، وسار على نهجه ، واعتبر نفسه مكملا لبحثه وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات منها طبعة المنار .

(٤) هو كتاب يبحث في بقية انواع البلاغة (البيان والبديع) وطبع ايضا عدة طبعات آخرها بعناية المستشرق هـ . ريتر سنة ١٩٥٤ .

(٥) هذا الكتاب الفه الجاحظ بعد ان كان يرى رأي أستاذه ابراهيم بن سيار النظام في أن اعجاز القرآن بالصرفة ثم اراد ان يدلل على أن اعجاز القرآن بنظمه ، فالف كتابه نظم القرآن ليكون دليلا على صدق رأيه وقد ذكره الباقلاني في اعجازه ص ٧ ولم اعثر عليه .

(٦) هو كتاب جامع يعد من الموسوعات التي تجمع صنوف البيان وغرر الأحاديث وعيون الخطب كما ذكر فيه مؤلفه كثيرا من آراء الشعوبية وطعنهم على خطباء العرب وغير ذلك مما لا يستغني عنه شاعر او خطيب او كاتب او مؤلف وبالجملة ان لم يكن من أحسن ما ألف في العربية فهو من احسن تصانيف الجاحظ وامتعها ، واثره في ابن أبي الأصبع واضح اذ نقل عنه بعض أنواع البديع كما نقل عنه طريقة الجدل والنقاش وقدطبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

(٧) هو « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » لفخر الدين ابن الخطيب وموضوعه يؤخذ من عنوانه اذ يجمع فيه مؤلفه رأي أستاذه عبد القاهر في الاعجاز وانواع البلاغة ، فهو عبارة عن تلخيص لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز .

(٨) هي رسالة في الكشف عن الميزات التي يمتاز بها شعر ابي نواس وهي مخطوطة في أول ديوانه المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٥٦٨ ز .

(٩) هي رسالة موجودة في أول ديوان ابي تمام رواية الصولي بتحقيق وشرح الدكتورين عبده عزام وخليل عساكر .

(١٠) وهي رسالة تبين علم الفصاحة والبلاغة ، وقد تكلم عنها ابن الأثير تحت مقدمة ابن افلح .انظر الجامع الكبير له : ٣ طبع المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦ وابن افلح هو جمال الملك ابو القاسم علي بن أفلح الحلي الكاتب الشاعر المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

وشروح أبي العلاء الثلاثة ، وهي : ذكرى حبيب[1] ، وعبث الوليد[2] ، ومُعجز احمد[3] ، والمنصف[4] لابن وكيع ، والموازنة[5] ، للآمدي ، والوساطة[6] للجرجاني ، والغرر والدرر[7] للمرتضى ، وكتاب الصرفة له[8] ، والمجاز لأخيه[9] الرضيّ ، وشرح حديث أمّ زرع[10] للقاضي عياض - رحمه الله - وما لخّصه في آخره من بديع الحديث ، والحديقة[11] للحجاري براء مهملة صاحب المُسْهِب في أخبار أهل المغرب ، وبديع[12] التبريزي ، وسر الفصاحة[13] لابن سنان الخفاجي

(١) هو كتاب في شرح الابيات المشكلة من شعر ابى تمام وقد نقل عنه التبريزى فى شرحه لديوان ابى تمام المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ ادب «ش» ورمز لأبى العلاء بالحرف « ع » .

(٢) هذا الكتاب يتضمن اغاليط البحترى فى ديوانه ، ومآخذ ابى العلاء عليه ، وهو مطبوع فى دمشق سنة ١٩٣٦ م .

(٣) ويسمى اللامع العزيزى - نسبة للامير عزيز الدولة بن تاج الامراء ابى الدوام ثابت بن ثمال بن صالح ، وهو شرح لابى العلاء على ديوان المتنبى والموجود منه الجزء الاول فقط فى دار الكتب - عن المتحف البريطانى - نسخة مصورة ومحفوظة برقم ٢٤٢ ادب .

(٤) هو كتاب فى الكشف عن سرقات المتنبى وهو مخطوط ولم يعثر الا على الجزء التاسع منه فى مكتبة برلين .

(٥) هو كتاب فى الموازنة بين الطائيين ابى تمام والبحترى وعن مآخذهما وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الاستاذ سيد صقر .

(٦) هو كتاب للقاضى ابى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ وهو يبحث فى البلاغة والنقد والكشف عن سرقات المتنبى . والرد على خصومه ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها طبعة الحلبى بتحقيق الاستاذين محمد ابى الفضل ابراهيم وعلى البيجاوى سنة ١٩٥١ م .

(٧) هو غرر الفرائد ودرر القلائد المعروف بأمالى الشريف المرتضى ويبحث هذا الكتاب فى التفسير والحديث والادب وقد طبع عدة طبعات آخرها طبعة سنة ١٩٥٤ فى جزاين بتحقيق الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم .

(٨) هو كتاب يبحث فى اعجاز القرآن وهل اعجازه لبلاغته ام للصرفة ولم اعثر عليه .

(٩) هو كتاب يبحث فى مجاز القرآن وبلاغته ، وقد طبع اخيرا بتحقيق الاستاذ محمد عبدالغنى حسن .

(١٠) هو كتاب يكشف عن انواع البديع الكثيرة الموجودة فى حديث ام زرع ولم اعثر عليه .

(١١) هو كتاب يبحث فى علم البديع ولكنى لم اعتر عليه وهو من مراجع ابن ابى الاصبع .

(١٢) هو عبارة عما اوجبه التبريزى فى صناعة الشعر وقد تكلم فيه عن انواع بديعية تاثر بها ابن ابى الاصبع ونقل عنها وناقش صاحبها ، انظر باب التجنيس من «تحرير التحبير» وهو موجود فى آخر كتابه « الوافى فى العروض والقوافى » المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩ بلاغة .

(١٣) هو كتاب يبحث عن فصاحة الالفاظ وبلاغتها مفردة ومركبة وتكلم فيه مؤلفه عن انواع بديعية تأثر فيها بمن قبله وقد طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٩٥٣م بتحقيق الاستاذ عبد المتعال الصعيدى .

والمثل السائر[1] لابن الأثير الجزرى ، والاقناع[2] للصاحب ابن عباد ، وبديع أبي اسحاق[3] الأجدابي ، وبديع شرف الدين التيفاشي[4] ، وهو آخر من ألف فيه تأليفاً في غالب ظني ، وجمع ما لم يجمعه غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها ، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه . وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم ، والجمع من أشتات الخطإ وأنواعه من التوارد والتداخل ، وضم غير البديع والمحاسن إلى البديع ، كأنواع من العيوب ، وأصناف من السرقات ، ومخالفة الشواهد للتراجم ، وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه ، وأنعم النظر فيه ، لاجرم أنى لم أعتدّ بكتابه في عدة ما وقفت عليه من ذلك ، وإن كنت قلما رأيت منها كتاباً خلا عن موضع نقد ، بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية ، فمن قليل ومن كثير ، وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا من عصمه الله من أنبيائه ، صلوات الله عليهم وسلامه ، والسعيد من عُدّت سقطاته ، «وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي» ، ولا أدعي سلامة وضعي دون أبناء جنسي ، غير أني توخيت تحرير ما جمعته من هذه الكتب جهدي ، ودققت النظر حسب طاقتي ، فتحرست من التوارد ، وتَجَنَّبْتُ التداخل ، ونقحت

---

(1) هو كتاب عن تاليف النظم والنثر وبيان منزلتهما جمع فيه مؤلفه ضروبا كثيرة من علم البيان ، ولم نترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ، ورتبه على مقدمة ومقالتين،فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان ، والمقالتان على فروعه، اولاهما في الصناعة اللفظية ، والثانية في الصناعة المعنوية وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الدكتورين احمد الحوفي وبدوى طبانة .

(2) هو كتاب يبحث في علمى العروض والقافية وهو مخطوط ضمن مجموعة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ عروض ش .

(3) هو كتاب يبحث في علوم البديع ولم اعثر عليه .

(4) هو من الكتب التي تبحث في البديع ، جمع فيه مؤلفه ما لم يجمع غيره كما وصفه صاحب تحرير التحبير وقد وجه اليه نقدا . انظره في بديع القرآن : ١٣ ولم اعثر عليه .

ما يجب تنقيحه ، وصححت ما قدرت على تصحيحه ، ووضعت كل شاهد فى موضعه ، وربما أبقيت اسم الباب وغيّرت مسماه إذا رأيت اسمه لا يدل على معناه ، إلى أن جمعت جميع مافى هذه الكتب من الأبواب على ما قدمت من الشرائط ، فكان ما جمعته من ذلك ستين باباً فروعاً بعد ما قدمته من الأصول ، وهى : الاحتراس ، والمواربة براء مهملة ، والترديد ، والتعطف ، والتفويف ، والتسهيم ، والتورية ، والتوشيح ، والاستخدام ، والتغاير ، والطاعة والعصيان ، والتسميط ، والمماثلة ، والتجزئة ، والتسجيع ، والترصيع ، والتصريع ، والتشطير ، والتعليل ، والتطريز ، والتوشيح ، والاشتراك ، والتلفيف ، والعكس ، والإغراق ، والغلوّ ، والقسم ، والاستثناء والاستدراك ، وجمع المختلفة والمؤتلفة . والتوهيم ، والاستطراد ، والتكميل ، والمناسبة ، والتفريع ، والتكرار ، ونفى الشىء بإيجابه ، والإيداع ، والاستعانة والموازنة بزاى معجمة ، والتذييل ، والمشاكلة ، والمواردة ، والتهذيب ، وحسن النسق . وبراعة التخلص ، والانسجام ، والحل ، والعقد ، والتعليق ، والادماج والازدواج ، والاتساع ، والمجاز ، والايجاز ، وسلامة الاختراع من الاتباع ، وحسن الإتباع ، وحسن البيان ، والتوليد ، والتنكيت ، والاتفاق ، والإغراب ، والطرفة .

وأضفت هذه الأبواب الفروع إلى تلك الثلاثين الأصول فصارت الفَذْلَكة تسعين باباً ، ورأيت الأجدابىّ قد ذكر من محاسن القافية أربعة أبواب منها بابان هما باب واحد سمّاهما بتسميتين غير مطابقتين لمعناهما ، فجعلتهما باباً واحدا على حكم ما أخذت به نفسى من حذف المتداخل ، وسميته

الالتزام(١) وعند ذكر شواهده يعلم مطابقة تسميته لمسماه ،وبابان معناهما حسن سمى أحدهما بتسمية أيضاً غير لائقة ، فسميته «تشابه الأطراف»(٢) وسنبين حسن هذه التسمية . وباب أيضاً سماه بما لا يوافق ، فسميته « التوأم » فسلمت له ثلاثة أبواب عوضت بها ما تداخل فى باب « التهذيب من ائتلاف اللفظ مع الوزن ، والمعنى مع الوزن » وما تداخل فى باب « التمكين » من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت لتصح العدة على شرط السلامة تسعين باباً كلها من المحاسن ليس فيها شىء من ضروب العيوب ، وهى عند من لا يجعل التهذيب باباً واحداً ، وليس ذلك بممتنع ، ثلاثة وتسعون باباً ولما أمرنى(٣) من لا محيد لى عن أمره ، ولا محيص عن رسمه ، سيد الفضلاء وقدوة البُلَغاء ، وملجأُ الأُدباء ، ومحط رحال الغرباء ، وإمام الكرماء ، القاضى الأجل الفاضل شرف الدين أبى الحسن بن القاضى الأجلّ الفقيه الإمام الورع العدل الرضى جلال الدين المكرم أبى الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك : [كامل]

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضّحى نُورا ومن فَلَق الصّباح عَمُودا

---

(١) هذا الباب ليس من صنيع الأجدابى ولا مما اطلق عليه الاجدابى اسمين لم ينطبقا على مسماه كما زعم المؤلف ولكن هذا النوع من انواع ابن المعتز وقد سماه لزوم ما لا يلزم او اعنات المرء نفسه انظر ما كتبناه عليه فى بابى عتاب المرء نفسه والالتزام من هذا الكتاب .

(٢) هذه التسمية ليست من اختراعه ولكنها معروفة عند ارسطو كما بينا ذلك . انظر تشابه الاطراف من هذا الكتاب .

(٣) كذا فى الأصل . وعبارة (ا) « ولما خطر لى ان اتحف به الجناب المولوى الصاحبى الأمامى العالى الفاضلى شمس الأصحاب افضل الكتاب علامة الزمان أوحد الشآمين ، فريد العراقين مفتى الفرق كمال الدين ابى القاسم محمد بن ابى الحسن بن احمد العقيلى البصرى الحلبى المولد والمنشأ رحم الله سلفه كما رحم به من عرفه وامتعه بفضائله الخ » . وعبارة ت « ولما خطر لى ان اتحف به الجناب العالى كمال الدين ابى القاسم عمر بن هبة الله العقيلى البصرى الحلبى » الخ .. كما يلاحظ ان عبارة الأصل اتت كما هى فى هامش (ا) .

أمتعه الله بفضائله ، كما أمتع الفضلاء بفواضله ، ورحم سلفه ، كما رحم به من عرفه ، بجمع ما فى كتب الناس من ذلك على سبيل الاختصار من الشواهد ، وتجنب الاطالة بذكر كل الاشتقاق ، إلا إيضاح مشكل ، أو كشف غامض ، أو زيادة بسط فى الكلام ، على أنه من كتاب الله تعالى ، أو فى بيت قد أهمل تقصّى الكلام عليه ، بادرت إلى امتثال أمره ، واستخرت الله سبحانه وتعالى حالة الشروع فى مرسومه ، وسألته الإعانة على بلوغ غرضه ، والهداية إلى ما يترجّح عنده.

ولما أخذت فى ذلك عنّ لى استنباط أبواب تزيد بها الفوائد ، ويكثر بها الإمتاع ، نسجاً على منوال من تقدمنى ، واتباعا لسنة من سبقنى ، ففتح علىّ من ذلك بثلاثين باباً ، سليمة من التداخل والتوارد ، لم أُسبق فى غلبة ظنى إلى شىء منها ، اللهم إلا أن يوجد فى زوايا الكتب التى لم أقف على شىء مما اخترعتُه ، فأكون أنا ومن سبقنى اليه متواردين عليه ، وما أظن ذلك ، والله أعلم .

ولما انتهى استخراجى إلى هذا العدد ، أمسكت عن الفكر فى ذلك ليكون ما أتيت به وفق عدد الأصول من هذا الشأن ، وهذا أوان سياقة أبوابى التى استنبطتها ، وضروبى التى استخرجتها ؛ وهى : التخيير ، والتدبيج ، والتمزيج والاستقصاء ، والبسط ، والهجاء فى معرض المدح ، والعنوان ، والإيضاح والفرائد ، والحيدة والانتقال ، والشماتة ، والتهكم ، والتنديد ، والإسجال بعد المغالطة ، والإلغاز والتعمية ، والتصرف ، والنزاهة ، والتسليم ، والافتنان ، والمراجعة ، والسلب والإيجاب ، والإبهام ، والقول بالموجب ، وحصر الجزئى وإلحاقه بالكلّى ، والمقارنة ، والمناقضة ، والانفصال ، والإبداع ، وحسن

الخاتمة ، وألحقت ذلك بما تقدم من الأبواب ، فصارت عدة أبواب هذا الكتاب مائة باب وثلاثة[1] وعشرين باباً سوى ما انشعب من أبواب الائتلاف من الجناس والطباق ، والتصدير ، ووسمته «بتحرير التحبير» ، وبعض هذه الأبواب وهو الأقل يخص الشعر ، وباقيها وهو الأكثر يعم الشعر والنثر ، يعلم ذلك من تَبَحَّرَ فى هذا الكتاب ، (فالذى[2] يخص الموزون منها ثلاثة وعشرون باباً مراعاة لاشتراك القرآن العزيز مع النثر ودخوله فى بابه ، ولانفراد الموزون عن المنثور من كلام المخلوقين فثلاثة عشر باباً لاغير ، والله أعلم ، وهى [3] : المواربة براء مهملة ، والتسميط ، والتجزئة ، والتسجيع ، والترصيع ، والتصريع ، والتشطير ؛ والتطريز ، والعكس ، والإغراق ، والغلو ، والاستدراك ، والاطراد ، والتفريع والإيداع ، والاستعانة ، والموازنة ، والمشاكلة . والمواردة من الفروع ، ومن الأصول الهزل الذى يراد به الجد ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى

---

(١) عبارة ا و ب « مائة باب وعشرين بابا » ولعله لم بعد أبواب الأجدابى الثلاثة فى نسختى ا و ت .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٣) لا ادرى الى اين يعود هـــذا الضمير ـ ايعود الى الانواع الثلاثة والعشرين التى تخص الموزون ـ وهنا يحسن ان نبين ان الانواع التى ذكرها ليست ثلاثه وعشرين كما انها لا تخص الموزون دون المنثور اذ منها ما يأتى فى النثر ومنها ما يأتى فى الشعر كالتسجيع والموازنة والاستعانة والمشاكلة والهزل الذى يراد به الجد الخ ـ ام يعود على الثلاثة عشر بابا التى تخص كلام البشر دون كلام الله ؟ وهذا ايضا لا يتفق لأن عـدد الانواع اكثر من ثلاثة عشر وبعضها يأتى فى القرآن كالاستدراك والايداع وما الى ذلك والذى نفهمه ان المؤلف يريد ان يقسم الانـواع الى ما يخص الشعر وما يختص به كلام البشر وما يعم الشعر والنثر من كلام الله وكلام البشر .

مع الوزن ، وباقى الأبواب وهى مائة باب تعمُّ الموزون والمنثور ، وتوجد فى الكتاب العزيز إلا الأقل لمن دقَّق النظر فى الاستنباط) والله سبحانه وتعالى المسئول فى حسن التوفيق إلى التحقيق لنهتدى إلى سبيل الرشد ونهج الصواب وسعادة يرزق بها هذا التأليف حسن القبول من ذوى الألباب ، إنه الكريم الوهَّاب ، وهذا حِينُ الشروعِ فى تفصيل جملة الأبواب .

بـــاب الاســـتعــارة*

حدّ الرّمانى [1] الاستعارةَ بأنْ قال : هى تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل .

وقال ابن المعتز [2] : هى استعارة الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد [3] عرف بها (وقال ابن الخطيب [4] فى إعجازه : الاستعارة ذكر الشىء باسم غيره وإثبات ما لغيره له للمبالغة فى التشبيه . وقال أيضاً : الاستعارة جعل الشىء الشىءَ ، أو جعل الشىء للشىء لأجل المبالغة فى التشبيه) .

وقلت : هى تسمية [5] المرجوح الخفى باسم الراجح الجلى للمبالغة فى التشبيه ، كقول الله تعالى (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ) [6] وكقوله سبحانه :

---

* بحثها فى البيان والتبيين ١ : ١٥٢ ، قواعد الشعر لثعلب : ٤٧ ، البديع لابن المعتز : ١٩ ، نقد الشعر : ١٠٤ ، جواهر الالفاظ لقدامة : ٥ ، الوساطة للجرجانى : ٣٤ ، العمدة : ١ : ٢٣٩ ، الصناعتين : ٢٦٨ ، أسرار البلاغة : ٤٧ ، النكت للرمانى : ١٨ ، بديع ابن منقذ : ٢ ، المثل السائر ١ : ٣٥٥ ، مفتاح العلوم : ٦ ، ١٩ ، روضة الفصاحة : ٢٠ الايضاح للقزوينى ٥ : ٤٣ ، خزانة ابن حجة ٤٧ ، الوافى للتبريزى ٥٨ ، اللمعة فى صنعة الشعر ١ ، المصباح ٦٢، معالم الكتابة ٨٤، الأقصى القريب ٤٠، التبيان للزملكانى : ٩ ، حدائق السحر فى دقائق الشعر ١٢٢ ، الطراز ١: ١٩٧ ، نهاية الأرب ٧ : ٤٩ ، حسن التوسل : ٢٠ ، بديع القرآن : ١٧ .

(١) النكت فى اعجاز القرآن ورقة ١٨

(٢) بديعه : ١٩

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ت

(٤) ما بين قوسين وهو راى ابن الخطيب ساقط من ت ، وهو فى نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز له : ٨١ ، ٨٢ .

(٥) تعريف الأصل مختلف عن ت و ا ونصه : هى استعارة الراجح الجلى للمرجوح الخفى للمبالغة فى التشبيه ومعناهما مستقيم

(٦) الزخرف : ٤

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)(١) وكقوله عز وجل : (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) (٢) .

ولا بد فى الاستعارة من اعتبار ثلاثة أشياء أصول : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له . فالمستعار فى الآية الأخيرة : الاشتعال ، والمستعار منه : النار ، والمستعار له : الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وفائدة ذلك وحكمته وصف (٣) ما هو أخفى بالتشبيه لما هو أظهر ، (وقد جاء الكلام فى الاستعارة التى فى الآية الأخيرة على غير وجهه (٤) ، فإن وجه الكلام فيها أن يقال : واشتعل شيب الرأس ، وإنما قلب لما يحصل فى قلبه من المبالغة (لكونه فى حالة القلب يستفاد منه) (٥) عموم الشيب لجميع الرأس ، ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم ، «ومثال ذلك أنك لو قلت فى مثاله » (٦) « اشتعلت النار فى البيت » : لصدق هذا القول على اشتعال النار فى جانب (٧) واحد من البيت دون بقية جوانبه ، وإذا قلت : اشتعل البيت نارًا أفاد هذا القول أن النار قد شملت (٨) جميع نواحى البيت

---

(١) الاسراء : ٢٤

(٢) مريم : ٤

(٣) عبارة ا و ت « وفائدة ذلك وحكمة الا سنعارة فبه وصف .. الخ »

(٤) عبارة ا و ت وتارة ياتى الكلام فى الاستعارة على وجهه وتارة يجىء على غير وجهه وقد اتى الكلام فى هذه الآية الاخيرة على غير وجهه اذ وجه الكلام فيها ان يقال : الخ ..

(٥) هذه العبارة ساقطة من ت

(٦) وردت هذه العبارة فى ا و ت هكذا « ومثاله انك اذا قلت : اشتعلت » الخ ..

(٧) عبارة ا ، ب « فى احد جوانب البيت » .

(٨) عبارة ا و ت « اشمال النار على جميع نواحى البيت وجهاته » .. الخ .

وجهاته ، وعلى هذا فاعتبر الاستعارة[1] لتعلم[2] أنها على قسمين : قسم يجيء الكلام فيه على وجهه فلا يفيد سوى إظهار الخفيّ فقط ، أو المبالغة فحسب ، وقسم يأتي الكلام فيه على غير وجهه فيفيد المعنيين معاً ، وأحسنها ما قَرُب منها دون ما بعد (ولم يسمع سامع في الاستعارة كقوله تعالى « والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ[3] » فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين إخراج النفس مشابهة شديدة .

وأجلّ الاستعارات الاستعارة المرشّحة (كقوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)[4] فإن الاستعارة الأُولى وهي لفظة الشراء رشحت الثانية وهي لفظتا الربح والتجارة للاستعارة. والله أعلم)[5] .

ومن أمثلة الاستعارة في السنّة النبوية قوله ـ عليه السلام ـ : « ضُمُّوا مواشِيَكُمْ حتىَّ تَذْهب فَحْمَةُ الْعِشَاء »[6] فاستعار ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان ، لأن الفَحْمة هاهنا أظهر للحسّ من الظلمة « فإن الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط »[7] والفحمة تدرك بحاسّتي

---

(1) زاد في ا و ت « بعد هذه الكلمة قوله : « وقاعدتها اعتبار الجمع بين المستعار منه والمستعار له »

(2) عبارة ا ، ت « فقد تلخص من هذا البحث انها على قسمين .. الخ

(3) التكوير : ١٨

(4) البقرة : ١٦

(5) ما بين القوسين سقط من ت وقد اثبت في هامش ا .

(6) اللسان مادة « فحم » ورد فيه « فوا شيكم » بالفاء . و « الشتاء » بدل « العشاء » وفحمة العشاء هي اقباله وأول سواده . وفسر « فواشيكم » بكل ما انتشر من المال والابل والغنم وغيرها ، فروايته اعم

(7) عبارة ا ، ت « فان الظلمة لا تدرك الا بحاسة البصر »

البصر واللّمس[1] (لأنها جسم والظلمة عرَض)[2] فكان ذكرها أعنى الفحمة أحسن بياناً من ذكر الظلمة.

ومن أمثلة الاستعارة الشعرية قول امرئ القيس[3] : (طويل)

وليلٍ كمَوْج البحر أَرْخَى سُدوله   علىَّ بأنواع الهُمُوم ليَبتلِى

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبه   وأَرْدَفَ أعجازًا وناءَ بكَلْكَلِ

فإن هذا الشاعر استعار لظلمة الليل السّدول المُرْخاة، لما بين المستعار والمستعار له من اجتماعهما فى منع الأَبْصار من الإبصار، وفائدة هذه الاستعارة نقل الأخفى إلى الأظهر، لأن السدول يدرك بحاسّتى البصر واللمس، والظلمة تدرك بإحديهما دون الأخرى، ثم تمم بكونه جعل السدول مرخاة لأن ذكرها بدون هذا القيد لا يوفى بالمعنى الذى قصده من منع رؤْية ما وراءها، لاحتمال أن تكون مرفوعة، وكذلك قصد فى البيت الثانى بقوله «تمطّى بصلبه» البيت... فانه أراد وصف الليل بالطول (فاستعار له صلبا يتمطّى[4] به)، إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطيه شيءٌ. وبالغ فى طوله بأن جعل له أعجازًا يردف بعضها بعضاً، فهو كلما نفد عجز ردفه[5] عجز، فلا تَفْنى أعجازه، ولا تنتهى إلى طرف. كما قيل فى قوله تعالى (لَا بِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا)[6] قال قتادة : لا انقطاع لها، كلما مضى حُقْبٌ جاءَ حُقْب بعده.

(1) زاد فى ا، ت بعد هذه الكلمة قوله « معا »

(2) هذه العبارة ساقطة من ت وهى فى هامش ا

(3) ديوانه : ٢٨ والوساطة ٤٣١، عيار الشعر : ٢٧ : الصناعتين : ٢٤٧ . سر الفصاحة : ١٣٨ : الموشح : ٣٣

(4) هذه العبارة ساقطة من ت

(5) ردفه : خلفه

(6) سورة عم : ٢٣

وقال الحسن البَصريُ : أما الأَحقاب فليس لها عدد إلا الخلود ، ثم أراد أن يصف الليل بعد نهاية الطول بالثِّقل على قَلْب ساهره ، والضَّغط لمكابدِه ، فاستعار له كلكلاً ينوءُ به ، ولأَجل هذه المعانى كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة (والعدول إليها أولى لما تعطى من المعانى التى لا تحصل من لفظ الحقيقة [1] .

والاستعارة [2] منها كثيف ، وهو استعارة الأَسماء للأَسماء . وكل ما مر من الأَمثلة غير الآية الأَخيرة فهو شاهد لها .

ولطيف ، وهو استعارة الأَفعال للأَسماء[3] كقول الله تعالى : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)[4] وكقول أبى تمّام (بسيط) :

مِنْ كلِّ مَمْكورة ذابَ النعيمُ لها ذَوْبَ الغمام فمنْهلٌّ ومُنْسَكِبُ[5]

(١) ما بين قوسين ساقط من ت وهى فى هامش ا
(٢) عبارة ا و ت « واعلم ان »
(٣) عبارة ت مختصرة هنا
(٤) الدخان : ٢٩
(٥) الممكورة : المدمجة الخلق ، ديوانه : ٤٧

بـــاب التجـــنيس*

حدُّ الرمّانى[1] التجنيس بأن قال : هو بيان المعانى بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة ، وجعله قسمين : جناس مزاوجة ، وجناس مناسبة ، فالمزاوجة كقوله تعالى (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[2] وكقول عمرو بن كُلثوم[3] (وافر)

أَلا لَا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا فَنَجْهلَ فوق جَهْل الجاهلينا[4]

والمناسبة كقوله سبحانه : (يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ)[5]

وأما قدامة وابن المعتز وإن اختلفا فى تسمية هذا الباب[6] فقد اتفقا على

---

* الف الاصمعى فيه كتابا ، البـديع لابن المعتز : ٥٥ ، نقد الشعر تحت اسم المطـابق والمجانس ٦٠ ، الوساطه : ٤١ ، جواهر الالفاظ تحت اسم الاشتقاق : ٤ ، العمدة ١ : ٢٢ ، النكت فى اعجاز القرآن للرمانى : ٣٩ . الصناعتين ٢٢١ ، سر الفصاحة ١٨٣ ، اسرار البلاغة ٤ ، بديع ابن منقذ : ٦ ، البيان للزملكانى : ١٢٢ ، روضة الفصاحة ٢١ ، المثل السائر ١ : ٢٤٦ ، الوافى للتبريزى ٥٧ ، معالم الكتابة ٧٣ ، المصباح ٨٤ ، حدائق السحر ٩٤ ، الايضاح ٦ ٩١ ، خزانة ابن حجة : ٢٠ ، نهاية الأرب ٧ : ٩٠ ، الطراز ٢ : ٣٥٥ ، حسن التوسل : ٤٢ ، والف فيه الاستاذ على الجندى كتابا تحت اسم « فن التجنيس » واللمعة فى صنعة الشعر لابى البركات محمد ابن الانبارى النحوى تحت اسم المجانسة ١

(١) النكت : ٣٩

(٢) البقرة : ١٩٤

(٣) انظر معلقته ١٢٤ وخزانة ابن حجة : ٢٥ وجمهرة اشعار العرب : ٨٣ ، واللمعة فى صنعة الشعر ٢

(٤) زاد فى أ ، ت بعد هذا البيت قوله : فانظر الى بلاغة هـذا العربى الفصيح فى اندماج الامر بالعدل فى المجازاة فى ضمن الجناس « واما تجنيس المناسبة » الخ .

(٥) النور : ٣٧

(٦) زاد فى أ ، ت بعد هذه الكلمة قوله « وو ضعه »

معناه ، فقال قدامة [1] فى حدّه : هو اشتراك المعانى فى ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق كقول زهير : (بسيط)

كأنّ عينى وقد سال السَّلِيلُ بهم وعَبْرَةٌ ما هُمُو لو أنَّهم أَمَمُ [2]

وهذا الحدّ بعينه هو تجنيس المناسبة الذى ذكره الرمّانى ، ولولا قول قدامة [3] على جهة الاشتقاق لكان حده بعينه هو حد الرمّانى المطلق .

وقال ابن المعتز [4] هو أن تجىء الكلمة مجانسة أختها كقول الله تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) [5] وكقول النعمان بن بشير لمعاوية : (طويل) .

أَلَمْ تبتدرْكم يَومَ بدرٍ سيوفُنا وليلُك عمّا نابَ قومَك نائمُ [6]

وهذا بعينه [7] هو تجنيس المناسبة من جهة الاشتقاق [8] ولم يخرج من جاء بعد هؤلاء عما حدّوه به ، لكنهم فرّعوه ثمانية فروع ، وعلى هذا التفريع أكثر المتأخرين سوى التبريزى ، فإنه نقص من هذه الأقسام أربعة وأثبت أربعة ، وخلط فى الشواهد ، وغيّر الأسماء ، هذا وإن كان متأخرًا عمّن قسّم التجنيس ثمانية أقسام ، واخترع أسماءها ، فإنى لم أقف على صحة

---

(١) نقد الشعر : ٦١

(٢) السليل : واد . والأمم : ما بين القريب والبعيد . والمعنى : سال الوادى بهم اى ساروا فيه سيرا سريعا فكان ذلك سبب بكائى لبعدهم

(٣) زاد فى ا ، ت قوله « فى حده »

(٤) بديعه : ٥٥

(٥) الروم : ٤٣

(٦) نقد الشعر : ٦١

(٧) زاد فى ا ، ت بعد هذه الكلمة قوله : لولا نقص فى حده كان هو .. الخ

(٨) زاد فى ا ، ت بعد هذه الكلمة قوله :وذلك موجود فى الشواهد دون الحد

ذلك ، ورأيت ابن منقذ قد أتى على الأقسام الثمانية ، وفاته قسم تاسع أتى به التبريزى ، وسنأتى به فى موضعه .

فمن فروع التجنيس تجنيس التغاير ، وهو أن تكون احدى الكلمتين اسماً ، والأخرى فعلا ، وهذا سمّاه التبريزى التجنيس المطلق ، كقوله تعالى : (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ)(١) وكقوله تعالى : (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ)(٢) وكقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « عُصيَّةُ عَصَتِ اللهَ ورسُولَه »(٣) و « غِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا »(٣) و « أَسْلَمُ سَالَمها اللهُ »(٣) ، وكقول جرير(٤) (وافر) :

كأنَّكَ لم تَسِرْ ببلادِ نَجْد ولم تنظرْ بناظرةَ الخِياما

وقد فرّع التبريزى من هذا القسم ضرباً سمّاه التجنيس المستوفى ، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظاً وخطًّا ، وإحداهما اسم والأخرى فعل ، وأنشد فيه قول أبى تمّام(٥) : (كامل)

ما ماتَ من كَرَمِ الزّمان فإنّه يَحْيا لَدَى يحيى بنِ عبد اللهِ

(وهذا الفرع وإن وضعت له تسمية تخالف تسميات الأقسام الثمانية ،

---

(١) الانعام : ٧٩

(٢) التوبة : ٣٨

(٣) النهاية لابن الاثير ٣ : ١٦٥

(٤) ديوانه ٢ : ٩٢ والبيت من قصيدة يمدح فيها هشاما ، ويقال انها آخر قصيدة بعث بها اليه مع ابنه عكرمة . وروايته فى الديوان . كانك لم تسر بجنوب قوم ... ولم تعرف الخ

(٥) ديوانه ٣٤١ وروايته « من مات من حدث الزمان » الخ ، الوساطة : ٤٢ ، اسرار البلاغة : ١٢ ، نهاية الارب ٧ : ٩٠ ، الايضاح ٦ : ٩٣ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢٠٦ ، المصباح ٨٥ ، الواقى للتبريزى ٥٨

وكانت له صورة مثاله غير صور الأمثلة ، فإنه داخل فى القسم الذى إحدى كلمتيه اسم والأخرى فعل ، فلذلك لم يعتدّ به قسماً مستقلا)[1] .

وتجنيس التماثل ، وهو أن يكون الكلمتان اسمين أو فعلين ، وهو على ضربين : ضرب تتماثل فيه الكلمتان سواءٌ كانتا اسمين أم فعلين فى اللفظ والخط كقول الشاعر : (خفيف)

عينهُ تقتلُ النفوسَ وفُوهُ منه تُحْيِى[2] عينُ الحياةِ النُّفوسَا

وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان إلا من جهة الاشتقاق ، سواءٌ أكانتا اسمين أم فعلين ، كقوله تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ)[3] وقوله سبحانه : (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)[4] وكقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّمَ ـ : «الظلم ظلمات»[5] وكقوله ـ عليه السلام ـ : «اسلم تسلم[6]» وكقول البحترى (وافر) :

نسيمُ الرّوض فى ريحٍ شَمَالٍ وصَوْبُ المُزنِ فى رَاحٍ شَمُولِ[7]

وهذان التجنيسان أعنى التغاير والتماثل فرعان من التجنيس الذى أصله قدامة وابن المعتز ،

وباقى الثمانية استخرجها[8] المتأخرون بالاستقراء ، وهى تجنيس التصحيف ، ولم يذكره التبريزى فى أقسام التجنيس ، وجعل التصحيف باباً مفردًا ، تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط فارقاً بين الكلمتين كقوله تعالى :

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(٢) رواية ا ، ت « منه عين الحياة تحيى » والوزن يستقيم بها ايضا
(٣) الواقعة : ٨٩ (٤) الرحمن : ٥٤
(٥) بعض حديث وتمامه : « يوم القيامة » كشف الخفاء ومزيل الالباس جـ ٢ ص ٥١
(٦) هذه عبارة من كتاب مشهور بعث به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المقوقس عظيم القبط فى مصر .
(٧) ديوانه ٢ : ١٦٠ ، والعمدة ١ : ٢٢٣ ، الجامع الكبير لابن الأثير : ٢٦١
(٨) ساقطة من الأصل وقد اثبتناها عن ا ، ت

(وَهمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ)(١) وكقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويتحلَّى بما لا يغنيه »(٢) وكقول البحترى : (طويل)

ولمْ يكن المغترّ بالله إذ سَرَى ليَعْجِز والمُعْتز بالله طالبُه(٣)

وتجنيس التحريف ، وهو أن يكون الشكل فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما ، وهذا أيضاً لم يذكره التبريزى ، ومثاله قوله سبحانه : (إنَّ ربَّهُمْ بهِمْ)(٤) وقوله تعالى : (ولَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ)(٥) (وأما قوله سبحانه : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ(٦)) (فهو الغاية التى لا تدرك(٧)) وكقول الرسول - صلى الله عليه وسلم ـ : « الظلم ظلمات » وكقول أبى تمام(٨) : (كامل)

هنَّ الحَمام فإنْ كسرتَ عِيافةً من حَائِهنَّ فإنَّهن حِمَامُ

(وهو ينقسم إلى(٩) ثلاثة أقسام : قسم تبدل فيه الحركة بالحركة وقسم تبدل فيه الحركة بالسكون ، وقسم يبدل فيه التخفيف بالتشديد ، مثال الأوّل قول الشاعر(١٠) :

جُبَّة البُرْد جنَّة البَرْد

والبرد والبرد أردت .

---

(١) الكهف : ١٠٤

(٢) هذا الحديث ساقط من ت .

(٣) ديوانه ١ : ١٨ والوساطة : ٤٦ والعمدة ١ : ٢٢٤ والطراز : ٢ : ٣٦٦ والصباح ٨٦

(٤) سورة والعاديات : ١١

(٥) القصص : ٤٥

(٦) الصافات : ٧٢ و ٧٣

(٧) ما بين قوسين ساقط من « ت »

(٨) العيافة : الزجر . الحمام : الموت ديوانه : ٢٧٩

(٩) ما بين قوسين ساقط من «ت» .

(١٠) ليس هذا شعرا كما زعم المصنف وانما هو نثر لا شعر قال فى نهاية الارب ج ٧ : ٩١ ما نصه : وكقولهم : جبة البرد جنة البرد . ومثل هذا لا يخفى على محققه اذ كان شاعرا راوية ، وهو وان كان كلاما موزونا الا انه لا ضرب له من بحور الشعر الستة عشر المعروفة فتامل

ومثال الثانى قولهم : البدعة شَركَ الشِّرْك .

ومثال الثالث قولهم : الجاهل إما مُفرط وإما مفرِّط

والآيات الثلاث من القسم الأول ، والحديث من الثانى ، والبيت من الأول أيضاً .

وتجنيس التصريف ممَّا لم يذكره التبريزىّ أيضاً ، وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه ، كقوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)(١) وكقول الرسول ـ عليه السلام ـ «الخيْلُ معقودٌ بنواصيها الخير» (٢).

وكقول الشاعر(٣) : (بسيط)

لا يُذكر الرملُ إلَّا حنَّ مُغْتَرِبٌ   له بذى الرَّمل أوطارٌ وأوطانُ

وتجنيس الترجيع ، وهوا لذى سمَّاه التبريزى التجنيس الناقص ، وسماه قوم تجنيس التذييل ، وهو على الحقيقة الذى يوجد فى إحدى كلمتيه حرف لا يوجد فى الأُخرى ، وجميع حروف الأُخرى موجود فى الأُولى ، وقسم فى وسطها وقسم فى آخرها : مثال الأَوَّل قوله تعالى : (والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)(٤) ومثال الثانى قولهم : من جدَّ وجد ، ومثال الثالث البيت الذى ذكر لأَبى تمَّام وهو قوله : «يمدُّون من أيدٍ» البيت .

وقد تكون الزيادة حرفين : فإما أن يقعا فى أَول الكلمة ويكونا متقاربين

---

(١) سورة الأنعام : ٢٦

(٢) الطراز ٢ : ٣٦٧ ونهاية الارب ٧ : ٩٤ وهو بعض حديث ، النهـــاية لابن الاثير ٣ : ١١٣ وخزانة ابن حجة : ٣٦

(٣) البيت للشريف الرضى ديوانه ٢ : ٨٦٩ الخزانة لابن حجة : ٢١ وروايته فيها مختلفة .

(٤) القيامة : ٢٩ ، ٣٠

كقولهم : ليل دامس ، وطريق طامس ، وإما أن يقعا فى وسطها كقولهم ما خصَصْتنى بل خسَسْتنى . أو آخر الكلمة ويكونا متباعدين كقولهم سالب وساكب . أو متقاربين كقولهم : شاحب وشاغب .

ومن القسم الذى توسَّط فيه الحرف الواحد قوله تعالى (وإنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ،وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)[1] .

وقالوا : هوا لذى يرجِّع فيه لفظ الكلمة الأُولى فىالكلمة الأُخرى ، كقول أبى تمَّام[2] : (طويل)

يَمُدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ　　تَصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وعندى أن تسميتهُ تجنيس التداخل لدخول إحدى الكلمتين فى الأُخرى أو تجنيس التضمين لتضمّن إحدى الكلمتين لفظ الأُخرى أولى بالاشتقاق إذ لا معنى لقولهم : يرجع لفظ إحدى الكلمتين فى لفظ الأُخرى لأن ظاهر الرجوع يؤْذن بذهاب قبله ولا ذهاب ، أو كما قالوا : تجنيس التذييل وتجنيس العكس ، وهو مما لم يذكره التبريزى ، وتعريفه أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأُخرى بتقديم بعض حروفها على بعض ، كقوله تعالى : (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ)[3] وكقول عبد الله بن رَواحة يمدح رسول الله ــ صَلى الله عليه وسلَّمَ ــ : (بسيط) .

تحملهُ النَّاقةُ الأَدْماءُ مُعْتجِرًا　　بالبُرْدِ كالبدْرِ جلىَّ ليلةَ الظُّلَمِ[4]

---

(١) والعاديات ــ ٧ و ٨

(٢) ديوانه : ٢١٣ والوساطة : ٤٣ ، الصناعتين : ٣٢٤ اسرار البلاغة : ١٣ ، الجامع الكبير ٢٦٠ ، نهاية الأرب ٧ : ٩١ ، الطراز : ٢ : ٣٦٢ ، المصباح ٨٦ ، الوافى للتبريزى ٥٨ . وعواصم : موانع : قواض : قاضبات . وقواضب : قواطع .

(٣) طه : ٩٤

(٤) ساقط من ت ، والناقة الادماء هى القوية التى اشرب لونها البياض ، والمعتجر : الملتف من اعتجز الرجل اذا لف عمامته على راسه .

وفى عطافَيْه أو أثناء بُردته ... ما يعلم الله من دين ومِنْ كَرمِ

وكقول البحترى[1] : (طويل)

إذا احْتَرَبَتْ يوماً فغاضتْ دماؤُها ... تذكَّرتِ القربى ففَاضتْ دموعُها

شَواجِرُ أرماحٍ تُقَطِّع بينَهم ... شواجرَ أرحام مَلُومٍ قطوعُها

أخذ البحترىُّ معنى البيت الأوّل من رجل من بنى عقيل ، وقصَّر حيث قال : (وافر)

ونَبْكى حين نقتلكمْ عليكمْ ... ونقتلكمْ كأنَّا لا نبالى[2]

والبيت الثانى من بَيْتى البحترىِّ أَردت .

وتجنيس التركيب مما لم يذكره التبريزى ، وهو أن تركَّب كلمة من كلمتين ليماثل بها كلمة مفردة فى الهجاءِ واللفظ ، وهو قسمان : (قسم تتشابه الكلمتان فيه لفظاً وخطًّا ، وقسم يتشابهان فيه لفظاً لا خطًّا)[3] ، فالأوّل كقول القائل :[4] (مجزوء الكامل)

يا من تُدِلُّ بوجنةٍ ... وأنامل من عَنْدَمِ

كُفِّى جُعلت لكِ الفِدا ... ألحاظَ عينِك عن دَمِى

---

(1) ديوانه : ٣١٧ ، وفى رواية الصناعتين ٢٠٨ « ففاظت نفوسها » والمعنى عليها يستقيم ايضا ، المصباح ٨٧ ، واحتربوا : اوقدوا نار الحرب ، وشواجر ارماح : كواسر ارماح .

(2) البيت ساقط من ت ، وهو فى هامش ا

(3) هذه العبارة التى بين قوسين ساقطة من ت وهى فى هامش ا

(4) البيتان فى خزانة ابن حجة : ٢٣ غير منسوبين

وكقول الآخر :[1] (متقارب)

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذا هبةْ فدعْه فدولتُه ذاهبةْ

ومثال الثانى قول الشاعر : (رمل مجزوء)

كلُّكمْ قد أخَذَ الجَا مَ ولا جامَ لنا[2]
ما الذى ضرَّ مُديرَ ال جام لو جاملَنَا

(والأبيات الأُولى من القسم الأول ، والأُخرى من القسم الثانى)[3]

فهذه أقسام التجنيس الثمانية.

وأما القسم الذى جعلته لها تاسعاً ، وهو الذى ذكره التبريزى وسماه التجنيس المضاف ، وأنشد فيه قول البحترى[4] : (وافر)

أيا قمر التِّمام أعنت ظُلْماً علىَّ تَطَاوُلَ اللَّيل التِّمامِ

فهو مع قطع النظر عن الإضافة من تجنيس التحريف ، لكن هو قسم قائم بذاته ، لاتصال المضاف بالمضاف إليه . والله أعلم .

(١) البيت لأبى الفتح البستى كما فى نهاية الارب ٧ : ٩٢ ، والايضاح ٦ : ٩٤ ، والمعاهد ٣ : ٢١٠ ، والمصباح ٨٥ .

(٢) الجام : اناء من فضة ، والبيتان لأبى الفتح البستى كما فى الايضاح ج ٦ : ٩٤ ، والمعاهد ج ٣ : ٢٢١ وورد البيت الاول فى المفتاح ٢٢٨ غير منسوب

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى هامش ا

(٤) ديوانه : ٢٤٦ ، والبيت من قصيدة يمدح بهـا محمد بن عبد الله بن طاهر . والوافى للتبريزى ٥٨ والليل التمام بكسر التاء : الطويل

بـــاب الطِّـبَـــاق*

الطباق اللغوى الذى أخذ منه الصناعى هو قول العرب : طابق البعير فى مشيه إذا وضع خفَّ رجله موضع خف يده ، وقد رد ابن الأثير[1] على كل من ألَّف فى الصناعة هذا الباب ، وقال : إن الجمع من تسميتهم الضدين فى هذا الباب خطأ محض ، لأن أصل الاشتقاق يقتضى الموافقة لا المُضادَّة ، وهو أولى بالخطإ منهم ، لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد فى موطىء واحد ، والرجل واليد ضدان ، أو فى معنى الضدّين ، فرأوا أن الكلام الذى قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين) وهو على ضربين : ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتى بألفاظ المجاز : فما كان منه بلفظ الحقيقة سمِّى طباقاً ، وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤًا ، فمثال التكافؤ قول أبى الشغب[2] العَبْسىّ من إنشادات قُدامة (كامل) :

---

* بحثه فى العمدة ٢ : ٥ ، قواعد الشعر لثعلب : ٥٦ ، بديع ابن المعتز : ٢٤٧ ، نقد الشعر تحت اسم التكافؤ : ٥١ ، الوساطة : ٤٤ الصناعتين ٣٠٧ ، سر الفصاحة: ١٨٨ ، أسرار البلاغة ١٤ ، الموازنة للآمدى٢٥٦ روضة الفصاحة : ٣٦، الايضاح ٦٠٦ الخزانة لابن حجة ٦٩ ،المثل السائر تحت اسم التناسب بين المعانى ج ٢ : ٢٧٩ ·بديع ابن منقذ تحت اسم التطبيق ١٨ ، التبيان للزملكانى : ١٢٥ ، نهاية الارب ٧ : ٩٨ ،الطراز ٢ : ٣٧٧ ؛ حسن التوسل ٤٩ ، اللمعة فى صنعة الشعر ١ ، الوافى للتبريزى ٥٧ ، معالم الكتابة ٧٤ ، المصباح ٨٧ .

(١) من اول الباب الى هنا ساقط من ت و هو فى هامش ا .

(٢) كذا فى جميع الأصول . والذى فى نهاية الأرب ٧ :١٠٠ « ابو الأسعث » وفى نقـــد الشعر : ٥٢ « أبو الشعب » وفى حسن التوسل : ٤٨ «أبو الشعث» وابو الشغب اسمه عكرشة ابن اربد بن عروة بن مسحل بن شيطان بن خزيمة الشاعر . قال صاحب تاج العروس : « قرات شعره فى الحماسة ، والذمار : كل ما يلزم الانسان حفظه وحياطته وحمايته ، ويطلق على الحرم والأهل .

حُلْوُ الشَّمائل وهو مُرٌّ باسلٌ   يَحْمى الذِّمار صبيحةَ الإرهاقِ

ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق : (طويل)

وقد أطفأُوا شمسَ النَّهار وأوْقدوا   نجومَ العَوالى فى سَماء عَجَاجِ[1]

لما كان[2] قوله «حلو» و «مرّ» خارجاً مخرج الاستعارة» (إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما يذاق بحاسّة الذوق، كان هذا تكافؤًا .

وكل أمثلة التكافؤ صالحة لأن تكون أمثلة لباب المقارنة من الأبواب التى استنبطتها، وستأتى فى آخر الكتاب)[3] .

وأما الطباق الذى يأتى بألفاظ الحقيقة فقد قسموه إلى ثلاثة أقسام : طباق الإيجاب، وطباق السلب، وطباق الترديد .

فمثال طباق الإيجاب قوله تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكَى، وأنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيِي)[4]، وكقول الرسول ـ صَلى الله عليه وسلم ـ للأنصار ـ رضى الله عنهم ـ : (انكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع[5])، فانظروا إلى فضل هذه العبارة كيف أتت المناسبة التامة فيها ضمن المطابقة .

وكقول علىّ ـ كرّم الله وجهه : من رضى عن نفسه كثر من يسخط عليه، وكقول دعبل الخزاعى[6] : (كامل)

---

(١) الطراز ٢ : ٣٧٢ نهاية الأرب ٧ : ١٠٠ الايضاح ٦ : ١١

(٢) عبارة ت، ١ لأن قول ابى الشغب « حلو ومر » وقول ابن‌رشيق : «اطفاوا واوقدوا» كل ذلك خارج مخرج الاستعارة

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى هامش ١

(٤) النجم آيتا ٤٣ و ٤٤

(٥) نهاية ابن الاثير ج ٣ : ١٩٩

(٦) نقد الشعر ٢٩، الوساطة : ٤٤ ـ الصناعتين : ٢٩٧، العقد الفريد : ٤ : ٢، عيار الشعر ٧٧، الأغانى ١٨ : ٣٢، معالم الكتابة لابن شيث : ٧٤، ديوان المعانى ٢ : ٥٩، نهاية الأرب ٧ ـ ٩٩، نقد الشعر ٥٢، الوافى للتبريزى ٥٧

لا تعْجَبِي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِه فَبَكَى

وهذا البيت (مع سهولة سبكه وخفّة ألفاظه وكثرة الماء فى جملته قد جمع بين لفظى التكافوء والطباق معاً)[١] لأَن ضَحِكَ المشيب مجاز ، وبكاء الشّاعر حقيقة ، وكقول الفرزدق[٢] وهو من إنشادات ابن المعتز : (كامل)

لَعَن الإِلَهُ بنى كُلَيب إنّهمْ لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُون لجارِ
يَسْتَيْقظُون إلى نَهيقِ حِمَارِهِم وَتَنامُ أعينهم عَنِ الأَوْتَارِ

غير أن هذين البيتين من أفضل شعر سمعته فى هذا الباب ، لأَنهما جَمَعا بين طباق السلب والإِيجاب ، ووقع فيهما مع الطباق تكميل لم يقع مثله فى باب التكميل ، لأَن هذا الشاعر لما وصف هؤُلاء القوم بالضعف حيثُ قال : «لا يغدرون» وعلم أنه لو اقتصر على ذلك احتمل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنّب الغدْر قد يكون عن ضعف وعن عفة ، أَتى بصريح الهجاء (ليدل بذلك على أنه أَراد بكلامه الأَول محض الهجاء ، واقتضت الصناعة أن يأْتى بذلك فى لفظ ينتظم به وبما بعده طباق ، فقال : «ولا يفون لجار» فتكمّل الهجاءُ ، (إذ سلبهم الغدر والعجز والوفاء للُّؤْم)[٣] وحصل فى البيت

---

(١) كذا فى الاصل : والذى فى ا و ت عبارة تخالف ما ورد فيه لفظا لا معنى وهذا نصها : وهذا البيت قد استشهد به على المطابقة ، وهو لا مطابقة محضة ولا تكافؤ بحت لأن ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة والمطابقة لا مجاز فيها والتكافؤ لا حقيقة فيه

(٢) ديوانه ٢ :٧٨ ، بديع ابن المعتز وروايته « قبح الاله » : ٨٠ وكذلك رواه ابن الاثير ٢:٢٨٢ والصناعتين : ٣١٣ ، والايضاح : ٦ : ١١ (٣) ، نهاية الأرب ٧ : ١٠١ .

(٣) كذا وردت هذه العبارة التى بين قوسين فى الأصل . وفى أ و ب وردت هكذا : « ليبقى احتمال المدح واوجبت عليه الصناعة ان ينفى احتمال المدح فى لفظ ينتظم منه ومما بعده طباق فقال بعد قوله « لا يغدرون » ولا يفون » فكمل الهجاء اذ جعل تجنبهم الغدر عجزا والوفاء لؤما »

مع الطباق والتكميل الدالَّين على غاية الهجاء إيغال حسن ، لأنه لو اقتصر على قوله «لا يغدرون ولا يفون» تم له القصد الذى أراده ، وحصل المعنى الذى قصده ، لكنه لما احتاج إلى القافِية ليصيِّر الكلام شعرًا أفاد بها معنى زائدًا حيث قال : «لجار» لأن الغدر بالجار أشد قبحاً من الغدر بغيره (فإن قيل : لعنة الشاعر لهم فى أول كلامه تدل على أنه أراد بقوله : «لا يغدرون» الهجاء فبطل؛ تأويله .

قلت : ظاهر الغدر القبح ، وإنما يستحسن إذا أريد به وصف فاعله بالقدرة وهو من مذهب الجاهلية والشعر الإسلامى ، فيحتمل منه لعنهُ لهم إذا حملنا نفى الغدر عنهم على صفة المدح أنه أراد باللعنة المبالغة فى استحسان ما وصفهم به ، فإن من مذهب العرب ذلك ، ألا تراهم كانوا يسمون نوادر الأشعار كالمعلَّقات وأمثالها المخازىَ والملاعن ، لأن سامعها يقول : أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أصدقه)[1]

وطباق السلب ، وهو أن يأتى المتكلم بجملتين أو كلمتين احداهما موجبة والأخرى منفيَّة ، وقد تكون الكلمتان منفيَّتين ، وقد تقدم فى شعر الفرزدق مثال ما وقع فيه الكلمتان منفيّتين ، وأما ما وقعت فيه إحدى الكلمتين منفية والأخرى موجبة فمثاله قول بشر بن هارون وقد ظهر منه فرح عند الموت ، وقيل له : أتفرح بالموت؟ فقال : ليس قدومى على خالق أرجوه كمُقامى مع مخلوق لا أرجوه ، وقد نظم منصور الفقيه هذا المعنى فقال[2] (كامل) :

(١) ما بين القوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ١

(٢) هذان البيتان وردا فى الصناعتين : ٥٣ غير منسوبين مع اختلاف فى روايتهما .

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الحَيَاةَ فأَطْنَبوا   فى الموتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لا تُوصفُ
مِنْها   أَمانُ   لِقَائه بلقائِه   وفِراقُ كلِّ مُعاشِرٍ لا يُنْصِفُ

ومن أمثلة القسم الثانى من طباق السلب قول البحترى[1] : (طويل)

يُقيِّضُ لى مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الهوى   ويَسْرى إِلىَّ الشَّوقُ من حيثُ أعلمُ

وطباق الترديد ، وهو أن يُرَدَّ آخر الكلام المطابق على أوله ، فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأعجاز على الصدور ، ومثاله قول الأعشى[2] (بسيط)

لا يَرْقَعِ النَّاسُ ما أَوهَوْا وإن جهدوا   طُولَ الحَياةِ ولا يُوهُونَ ما رقَعُوا

(وقد[3] يقع فى الطباق ما هو معنوى ، كقوله تعالى : (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)[4] ، معناه ربّنا يعلم إنا لصادقون ، والله أعلم[3]) .

(١) ديوانه ٢ : ٢٢٩ ، والوساطة : ٤٦ ، والطراز ٢ : ٣٨٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٠٠ ، والايضاح ٦ : ١٢ ، والخزانة ٧٠ ، والواق ٥٧

(٢) هو اعشى ميمون وروايته فى الديوان : ١٣ ط ليبسيك ١٨٧٥ م :

لا يرقع الناس ما اوهى وان جهدوا   طول الحياة ولا يوهون ما رقعا

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت وهو فى هامش ا

(٤) يس : ١٦ ، ١٧

باب رد الأعجاز على الصّدور *

وهو الذى سماه المتأخرون التصدير ، وقد قسمه ابن المعتز ثلاثة أقسام الأول ما وافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره ، (أو كانت مجانسة لها .)[1] كقول الشاعر[2] : (كامل)

يُلْفَى إذَا مَا كَانَ يَوْمُ عَرَمْرَمٍ   فى جَيْشِ رأيٍ لايُفَلُّ عَرَمْرَمِ

والثانى ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه كقول الآخر[3] : (طويل)

سَريعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يَشْتم عِرْضَهُ   وَلَيْسَ إلى دَاعى النَّدى بسَريعِ

والثالث ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته فى أىّ موضع كان ، كقول الشاعر[4] (طويل) :

سَقَى الرّملَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ غَمامُه   وما ذَاك إلَّا حُبُّ منْ حَلَّ بالرَّمْلِ

× بحثه فى بديع ابن المعتز : ٦٢ ، والعمدة ٢ : ٤ تحت اسم التصدير ، والصناعتين : ٣٨٥ ؛ والمثل السائر ا : ٢٥٢ تحت اسم التجنيس معارضا الحاتمى فى فصله عن التجنيس وهو منه ، وخزانة ابن حجة : ١٤ تحت اسم التصدير ، والايضاح ٦ : ١٠٣ ، والبيان للزملكانى : ١٣١ ؛ وروضة الفصاحة : ٣١ ، وحسن التوسل : ٥٢ ؛ والمفتاح : ٢٢٨ ، والوافى للتبريزى : ٦٠ .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت

(٢) يصف الشاعر ممدوحه بالحزم وحسن التصرف فى الأمور ، مع دقة بصره بها ، وهو فى العمدة ٢ : ٤ والصناعتين ٣٨٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٠٩

(٣) هو المغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر ، وهو من شعراء الأغانى ١٠ ، ٨٤ — ٩٧ بولاق . ومعالم الكتابة : ٨٤

(٤) البيت لجرير ديوانه : ٤٦٠ ، والعمدة ٢ : ٥ ، والوافى ٦٠ .

هكذا عرّف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير ، وهو عندى مدخول التعريف من أجل قوله : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته فى أىّ موضع كانت ، فإنها لو كانت فى العجز لم يسم تصديرا لأن اشتقاق التصدير من صدر البيت ، فلابد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من الدَّخَل بحيث يقول : «بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من حشو صدره» . وأظن ابن المعتز اتكل فى ذلك على البيت الذى جاء به مثالا (ولا ألوم ابن المعتز. وهذا ابن الخطيب[1] على تأخّر زمانه واطلاعه لأجل التأخر على أكثر ما قيل ، وتقدمه فى الفضائل قد جاء على بعض أقسام التصدير بقول الشاعر[2] (طويل) :

(وإنْ لَمْ يَكُنْ إلا مُعَرَّس ساعة قَلِيلًا فإنِّى نَافِعٌ لى قَلِيلُها[2])

ولم يضع ابن المعتز لهذه الأقسام اسماً يُعرّف بعضها مِن بعض، والذى يحسن أن نسمى به القسم الأول تصدير التقفية ، والثانى تصدير الطرفين والثالث تصدير الحشو . وقد وقع من التصدير فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُل مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[3] وقوله تعالى : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِن السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ)[4] وفى السنّة النبوية من ذلك قوله ــ عليه السلام ــ

---

(١) هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازى صاحب نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت ــ وهو فى هامش ا ، والبيت لذى الرمة انظر ديوانه ص ٥٥ ط كلية كمبردج . والتعريس : نزول آخر الليل .

(٣) الأنعام : ١٠

(٤) يس : ٢٨

ـ وقد رأى أبا مسعود البدريّ يضرب عبدًا لهـ ـ : « أبا مسعود ، لَلّه عليك أقدر منك عليه »[(1)] وهذه الأقسام الثلاثة فيما الكلام فيه موجب. وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز ، وهو يأتى فيما الكلام فيه منفىّ . واعتراض فيه إضراب عن أوله كقول الشاعر[(2)] : (طويل)

فإنَّكَ لم تَبْعُد عَلَى مُتَعَهِّدٍ ... بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التراب بَعِيدُ

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر غير ما ذكرنا ، وسمّاه التبديل[(3)] وهو أن يصيِّرَ المتكلم الآخِر من كلامه أوّلا وبالعكس ، كقولهم : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، ولم أقف لهذا القسم على شاهد شعرىّ فقلت : (منسرح) .

اصبرْ على خُلْقِ مَنْ تُعاشِرُهُ ... واصْحَبْ صَبُورًا على أذَى خُلُقِكْ

ولم يفرد له قدامة باباً فأذكره فى أبوابه . والله أعلم .

(1) ما بين القوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا ونص ما ورد فى كتاب الاستيعاب ٢ : ٦٨٧ : قال ابو مسعود : كنت اضرب غلاما لى فسمعت خلفى صوتا : اعلم ابا مسعود اعلم ابا مسعود مرتين ان الله اقدر عليك منك عليه ، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(2) البيت لأبى عطاء السندى الحماسة ٢ : ١٥٢

(3) لم نجد هذا الاسم فى نقد الشعر انظر قدامة بن جعفر والنقد الادبى ٣٦٨

باب المذهب الكلامى*

(المذهب الكلامىّ عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذى.هو عبارة عن إثبات أُصول الدِّين بالبراهين العقلية)[1] وهو الذى نُسبت تسميته إلى الجاحظ ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد فى الكتاب العزيز ، وهو محشوّ منه ، ومنه فيه قوله تعالى حكايةً عن الخليل – عليه السلام –: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ)[2] إلى قوله عز وجل : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)[2] وقوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ والْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى) وقوله سبحانه : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) وقوله : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)[4] ومن هذا الباب نوع منطقى ، وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين ، فإن أهل هذا العلم قد ذكروا أن من أوّل سورة الحج إلى قوله : (وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ)[5]

---

* بحثه فى بديع ابن المعتز : ١٠١ . والعمدة تحت باب التكرار ٢ : ٦٣ ، والصناعتين : ٤١٠ ، والوافى للتبريزى ٦٤ ، والايضاح ٦:٦٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٤، وحسن التوسل : ٥٥، واللمعة فى صنعة الشعر ٧ .

(١) من اول الباب الى هنا ساقط من ت ، وهو فى هامش ا

(٢) الأنعام آيتا ٨٠ و ٨٢ .

(٣) يس ٧٩ - ٨١ .

(٤) الأنبياء : ٢٢

(٥) الحج : ٧

منطو على خمس نتائج من عشر مقدّمات ، فالمقدمات من أوّل السورة إلى قوله تعالى : (وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) والنتائج من قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ) إلى قوله : (وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال : الله أخبر أن زلزلة الساعة شيء عظيم ، وخبره هو الحقّ ، (وأخبر عن المغيّب بالحق ، فهو حقّ)[1] فالله هو الحق ، والله يأتي بالساعة على تلك الصفات ، ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى ، ليدركوا ذلك ، (ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى[2]) فهو يحيي الموتى ، وأخبر أن يجعل الناس من هول الساعة سُكارى لشدّة العذاب ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب إلاّ من هو عَلَى كلّ شيء قدير فالله على كل شيء قدير ، وأخبر أن الساعة يجازى فيها من يجادل فى الله بغير علم ، ولا بدّ من مجازاته ، ولا يجازى حتّى تكون الساعة آتية .

ولا تأتى الساعة حتّى يبعث من فى القبور (فهو يبعث من فى القبور)[2] وأن الله ينزّل الماء على الأرض الهامدة فتُنبت من كل زوج بهيج والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من فى القبور . وأن الله يبعث من فى القبور . وقد ساق الرمّاني[3] فى الضرب الخامس من باب المبالغة فى إعجازه إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل، للاحتجاج بقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)[4] وقوله سبحانه

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا
(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا
(٣) النكت فى اعجاز القرآن له ص ٩٧
(٤) الزخرف : ٨١

(وَهُوَ الذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه وَهُو أهوَنُ عَلَيْهِ)[1] ونظائر هذه الآيات ، ومن ذلك فى الشعر قول النابغة يعتذر إلى النعمان : (طويل)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِىَ[2] ريبةً ... وَلَيْسَ وراءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغتَ عَنِّى خِيانةً[3] ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشِى أَغَشُّ وأَكذبُ
ولَكِنَّنِى كُنْتُ امرأً لِىَ جَانِبٌ ... مِنَ الأَرْضِ فِيه مُسْترادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وإِخْوانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ ... أُحكَّمُ فى أَمْوالِهِمْ وأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فى قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ ... فلم تَرَهُمْ فى مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُـوا

فانظر إلى حذق الشاعر فى الاحتجاج بقوله لهذا المَلِك : أنت أحسنتَ إلى قَوْم فمدحوك ، وأنا أحسَنَ إلَىَّ قَوْمٌ فمدحتُهم ، فكما أنَّ مدحَ أُولئك لا يُعَدُّ ذنباً فكذلك مدحى لمن أحسن إلىَّ لا يُعدُّ ذنباً .

ومن هذا الباب قولُ الفرزدق[4] : (طويل)

لكلِّ امْرِئٍ نَفْسَانِ : نَفْسٌ كريمةٌ ... ونفسٌ يُعاصِيهَا الفَتَى وَيُطِيعُها
وَنَفْسك من نفسَيْكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى ... إِذَا قلَّ من أَحْرَارِهنّ شَفِيعُها

يقول هذا الشاعر : لكل إنسان نفسان : مطمئنةٌ تأمر بالخير ، وأمَّارةٌ تأمر بالشرّ ، والإنسان يُعاصِى الأمَّارة مرّة ويطيعها أُخرى ، (وأنت أيها الممدوح نفسك الأمَّارة إذا أمرتك بترك النَّدى شفعت المطمئنة إلى الأمَّارة فى الندى

(١) الروم : ٢٧
(٢) كذا فى الأصل . و فى باقى الاصول «لنفسك» وهى رواية العمدة ١ : ١٩١ والطراز : ٣ : ٣١٨، ومعاهد التنصيص ٢ : ٤٨ ، والايضاح ٦ : ٦٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٤ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
(٣) فى نهاية الأرب ٧ : ١١٤ « جناية »
(٤) بديع ابن المعتز : ١٠١ ، العمدة ٢ : ٦٤ والصناعتين : ٤١٠ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٤٩ ونهاية الأرب ٧ : ١١٤ .

في الحالة التي يقلّ الشفيع في الندى من النفوس ، فأنت أكرم الناس)[1]

ومن هذا الباب أيضاً قول ابن المعتز[2] : (مديد)

كَيْفَ لَا يَخْضَرُّ عَارِضُه ومِيَاهُ الحُسن تَسْقِيهِ

كأنه قال : كلُّ نبت يُسقى فهو أخضر ، وشاربُ هذا الغلام نبت ومياه الحسن تسقيه ، فكيف لا يخضرّ (وعلى[3] هذا فقس) .

ومن هذا الباب جواب سؤال مقدَّر ، كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ)[4] : الآية ، لأن التقدير أن قائلا قال بعد قوله تعالى : (ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ[5]) الآية ، فقد استغفر إبراهيمُ لأبيه ، فأخبر بقوله : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ[4]) الآية . والله أعلم) .

---

(١) هذه هي عبارة الأصل وكما في هامش ا اما عبارة ت ، ا فهي : ونفسك انت المطمئنة تشفع عندك في الندى الذي امرتك الامارة بهجره في الوقت الذي تقل شفاعة النفوس المطمئنات فيه ، فنفسك اكرم النفوس المطمئنات .

(٢) لم اعثر عليه في ديوانه الذي بين يدي ، وهو في معاهد التنصيص ٣ : ٤٩ وروايته فيه « شاربه » مكان « عارضه » وهي توافق رواية ا و ت من الأصول .

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت وهو في هامش ا

(٤) التوبة : ١١٤

(٥) التوبة : ١١٣

باب الالتفات*

فسّر قدامة[1] الالتفات بأن قال : هو أن يكونَ المتكلِّم آخذا فى معنى فيعترضه إمّا شك فيه ، أو ظنٌّ أن رادًّا يردّه عليه ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيلتفت إليه بعد فراغه منه ، فإما أن يجلى الشك فيه أو يؤكده ، أو يذكر سببه كقول الرمّاح بن ميّادة[2] (طويل) .

فلا صَرْمُهُ يَبْدُو فَفِى الْيَأْسِ رَاحةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَبْدو لَنَا فنُكَارِمُهْ

فكأن هذا الشاعر توهّم أن قائلا يقول له : وما تصنع بصَرمه ، فقال : لأن فى اليأس راحة .

وأما ابن المعتز[3] فقال : الالتفات انصراف المتكلِّم عن الإخبار إلى المخاطبة ، ومثاله من القرآن العزيز قوله تعالى بعد الإخبار بأنَّ الحمدَ للهِ رَبِّ الْعَالمِينَ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[4] وكقوله سبحانه : (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)[5] وكقوله

× بحثه فى نقد الشعر : ٥٣ ، وبديع ابن المعتز : ١٦٠ ، والعمدة ٢ : ٤٤ ، والصناعتين : ٣٩٢ ، وبديع ابن منقذ : ٦ ، والمفتاح : ٢٢٧ ، والمثل السائر : جـ ٢ : ٤ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢ والتبيان للزملكانى : ١٢٧ ، واللمعة فى صناعة الشعر ٧ ، وروضة الفصاحة : ٤٢ والطراز ٢ : ١٣١ ، وخزانة ابن حجة : ٥٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٦ ، وحسن التوسل : ٥٦ .

(١) ملخصا من نقد الشعر له ص ٥٣

(٢) نقد الشعر : ٥٣ ، والصناعتين : ١٩٣ ، و نهاية الأرب ٧ : ١١٦ ، والصرم بالفتح ويضم : الهجر وانقطاع الكلام .

(٣) بديعه : ١٠٦ ملخصا

(٤) فاتحة الكتاب : ٥

(٥) الأحزاب : ٥٠

تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فى الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ[1]) ومثال ذلك من الشعر قول جرير[2] (وافر) :

مَتَى كَانَ الخِيامُ بِذِى طُلُوحٍ سُقيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيامُ

أو انصراف المتكلم عن الخطاب إلى الإخبار كقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)[3] ومثال ذلك من الشعر قول عنترة (كامل)[4] :

ولقد نَزَلتِ فَلَا تَظُنِّى غَيرَه مِنِّى بمَنْزِلَةِ المُحبِّ المُكْرَمِ

ثم قال يُخْبر عن هذه المخاطبة بقوله : (كامل)

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَربَّع أَهْلُها بعُنَيْزَتين وأَهْلُنا بالغَيلَمِ

أو انصراف المتكلِّم من الإخبار إلى التكلم كقوله تعالى : (وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ[5] أو انصراف المتكلم من التكلم إلى الإخبار كقوله تعالى : (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)[6] وقد جمع امرؤُ القيس الالتفاتات الثلاثة فى ثلاثة أبيات متتاليات . وهى قوله[7] : (متقارب)

تطاوَل ليلُك بالأَثمَدِ ونام الخلىُّ ولم ترقُدِ

---

(1) الأنعام : ٦

(2) ديوانه ٢ : ٩٨ ، وبديع ابن المعتز : ١٠٧ والعمدة ٢ : ٢٨ ، ونهاية الأرب ٧: ١١٦

(3) يونس : ٢٢

(4) المعلقات ٩٢ ، ومختار الشعر الجاهلى : ٣٧٠ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٧ وعنيزتان والغيلم : مواضع .

(5) فاطر : ٩ (6) فاطر آيتا ١٦ و ١٧

(7) ديوانه : ١٨٥ تحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ، الخلى : الخالى من الهموم . مختار الشعر الجاهلى شرح وتحقيق الاستاذ مصطفى السقا : ١٣١ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٧ . والأثمد كأحمد : موضع .

وباتَ وباتت له ليلةٌ كليلةِ ذى العائر الأرمدِ[1]

وذلك من نبأٍ جاءنى وخُبِّرْتُه عن أبى الأسوَدِ

فخاطب فى البيت الأول ، وانصرف عن الخطاب إلى الإخبار فى البيت الثانى وانصرف عن الإخبار إلى التكلّم فى البيت الثالث على الترتيب .

وفى الالتفات [2] نوع غير النوعين المتقدمين ، وهو أن يكون المتكلم آخذا فى معنى فيمرّ فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما ، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولا من وجه غير الوجه الذى بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام ، فيزيد فيه ما يخلّص معناه من ذلك الدَّخَل ، كقول شاعر الحماسة : [3] (طويل)

فإنك لم تبعدْ على متعهِّد بَلَى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

فإن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور قريب من الحيّ الذى يريد تعاهده بالزيارة ، إذ القبور بأفنية البيوت غالباً ، فلما فرغ من العبارة عن معناه الذى قدَّره على هذا التقدير ، عرض له كأن قائلا يقول له : وأى قرب بين الميت المدفون تحت التراب والحيّ ، فالتفت متلافياً هذا الغلط بقوله :

.... بلَى كلُّ من تحت التراب بعيد

كأن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور إلى [بُعْد] [4]

---

(1) العائر : كل ما اعل العين ، وهو بثر فى الجفن الأسفل منها
(2) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت
(3) ناظره فى باب رد الأعجاز على الصدور
(4) هذه الكلمة أو ما يؤدى معناها ساقط من الأصول

والفرق بين الاحتراس والالتفات أن الاعتراض والانفصال يكونان فى بيت واحد، وفى بيتين، وفى آية، وفى آيتين، والالتفات لا يكونان فيه إلا فى بيت واحد وآية واحدة. والله أعلم .

بــــاب التــمـام

وهو الّذى سمّاه الحاتمىّ التتميم ، وسماه ابن المعتز[1] قبله : اعتراض كلام فى كلام لم يتمّ معناه ، ثم يعود المتكلم فيُتمّه ، وشرح حَدّهِ : أنه الكلمة التى إذا طرحت من الكلام نقَص حسنُ معناه أو مبالغته ، مع أن لفظه يوهم بأنه تام ، وهو على ضربين : ضرب فى المعانى وضرب فى الألفاظ : فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى ، والذى فى الألفاظ هو تتميم الوزن ، والأول هو الذى قدمنا حدّه (ومجيئه على وجهين للمبالغة والاحتياط ، ويجىءُ فى المقاطع كما يجىءُ فى الحشو ، مثل قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا فى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[2] فجاءت الفاصلة كلّها تتميما ، لأن المعنى ناقص بدونها ، لكنه متى جاء فى المقاطع سُمّى إيغالا . ويكثر مجيئه فى الحشو) ومثاله قوله سبحانه (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)[3] فقوله تعالى «من ذكر أو أنثى » ، تتميم ، وقوله : «وهو مؤمن » تتميم ثان فى غاية

---

x نقد الشعر : ٤٦ ، والعمدة ٢ : ٤١ ، و الصناعتين : ٣٨٩ ، وسر الفصاحة تحت اسم كمال المعنى : ٢١٩ ، وبديع ابن منقذ : ٢٧ ، والتبيان للزملكانى : ١٣٧ . وخزانة ابن حجة ١٢١ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٨ ، وحسن التوسل : ٥٦ ، والطراز ٣ : ١٠٤ ، واللمعة فى صنعة الشعر : ٦

(١) بديعه : ١٠٨

(٢) العنكبوت : ٢٧

(٣) النحل : ٩٧

البلاغة التى بذكرها تمّ معنى الكَلَام ، وجرى على الصحّة ، ولو حذفت هاتان الجملتان نقص معناه واختلّ منه حسن البيان[1] .

من هذا القسم قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ :[2] « ما من عبد مسلم يصلّى لله كلّ يوم اثنَتَىْ عَشْرة ركعةً من غير الفَريضة إلا بَنَى الله له بيتاً فى الجنة »[3] فوقع التّتميم فى هذا الحديث فى أربعة مواضع : منها قوله : مسلم ، وقوله : لله ، وقوله : كل يوم ، وقوله : من غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على هذا القسم قول الشاعر[4] (طويل) :

أُنَاسٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمُ ... ويُعطَوهُ عَاذُوا بالسُّيوفِ القَوَاضِب

فقوله : « ويُعْطَوْه » تتميم فى غاية الحسن ، وهذا شاهد ما جاء منه للاحتياط ، ومثال ما جاء للمبالغة قولُ زهير[5] (بسيط) :

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمًا ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

فقوله « على علاّته » تتميم جاء للمبالغة ، وشاهده من كتاب الله تعالى قوله عز وجل : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ)[6] إن عاد الضمير على الطعام ، وإن عاد على اسم الله فهو للاحتياط .

وأما الذى فى الألفاظ فهو الذى يؤْتى به لإقامة الوزن ، بحيث لو طرحت

---

(١) زاد فى ا و ت بعد هذه الكلمة ما نصه : وكذلك قوله تعالى : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » الآية فان تعقيب ذكر البرد بذكر السلام تتميم فى غاية الحسن اذ المعنى بالاقتصار على البرد ناقص لأن البرد يهلك كما يهلك الحر .

(٢) رواية ا ومن هذا القسم قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما انفرد به مسلم .. الخ

(٣) مسلم ا ٢ : ١٦٢

(٤) هو نافع بن خليفة الغنوى نقد الشعر : ٤ وروايته « القواطع » بدل « القواضب » والعمدة : ٢ : ٤١ ، والصناعتين : ٣٩٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ١١٨

(٥) ديوانه : ٥٢ ، ونقد الشعر : ٢٣ ، والعمدة ٢ : ٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ ، والطراز ٢ : ١٠٥

(٦) الانسان : ٨

الكلمة استقل معنى البيت بدونها ، وهى على ضربين أيضاً: كلمة لا يفيد مجيئها إلّا إقامة الوزن فقط ، وأُخْرَى تُفِيدُ مع إقامة الوزن ضَرْباً من المَحَاسن[1] ، والأُولى من العُيوب ، والثانية من النُّعوت ، وهذا موضع الثانية لا الأُولى ، ومثالها قولُ المُتَنَبِّي[2] (كامل) :

وخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رأَيْتِ لَهيبَه ... يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتِ[3] فيه جَهَنَّمَا

فإنه جاء بقوله : «يا جنّتى» لإقامة الوزن ، وقصدها[4] دون غيرها مما يسُدُّ مَسَدَّها ليكونَ بينها وبين قافية البيت مطابقة لو كان موضعها غيرها لم تحصل ، والله أعلم .

---

(1) رواية ت « ضربا من البديع وذلك من المحاسن » .

(2) ديوانه شرح العكبرى ٢ : ٢٩٦ ، نهاية الارب ٧: ١١٩ الطراز ٢ : ١٠٦

(3) هذه رواية الاصل والطراز ورواية الديوان ونهاية الارب « لظننت » والمعنى عليه يستقيم ايضا .

(4) كذا فى الاصل . وعبارة ا و ت « يكفى قصده لها دون ما يقوم به الوزن وغيره ليكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لم تحصل بغيرها فانه لو قال موضعها « يا منيتى » لم يحصل فى البيت مطابقة البتة والله اعلم » . وهى اظهر فى رايى .

بـــاب الاســتطراد*

ذكر الحاتميّ فى (حلية المحاضرة) أنه نقل هذه التسمية عن البحترى[1] الشاعر ، وهو الذى سماه ابن المعتز الخروج من معنى إلى معنى ، وفسّره بأن قال : هو أن يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحاً أو قدحاً أو وصفاً أو غير ذلك ، (ورأيت غالب وقوعه فى الهجاء ، وإن وقع فى غيره[2]) ولا بد من ذكر المستطرد به باسمه ، بشرط ألا يكون جرى له ذكر فى الكلام قبل ذلك ، ومن أمثلته فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[3]

ومن أمثلته الشعريّة قول حسّان بن ثابت[4] : (كامل)

---

* بحثه فى بديع ابن المعتز تحت اسم حسن الخروج : ١٠٩ ، قواعد الشعر : ٥٠ ، العمدة٢: ٣١ ، الصناعتين : ٣٩٨ ، التبيان للزملكانى : ٣٣ ، الطراز ٣ : ١١ ، الايضاح ٦ : ٣١ ، خزانة ابن حجة : ٤٤ ، نهاية الارب ٧ : ١١٩ ، حسن التوسل : ٥٧ .

(١) انظر الموازنة للآمدى ٢ : ١٤٤ — ادب طلعت وزاد فى نسختى ا و ت بعد هذه الكلمة ما نصه : « عن ابن تمام الطائى . واحسب الحا تمى نقل ذلك من رسالة ابى بكر الصولى فى أخبار أبى تمام فانى رايتها هناك بالسند المتصل وهو الذى سماه » الخ ....

(٢) سقطت هذه العبارة التى بين قوسين من ت ، وهى فى هامش ا

(٣) هود : ٩٥ .

(٤) الديوان ٣٦٣ وروايته فيه « الذى » بدل « التى » .

إنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّتى حَدَّثْتِنى فَنَجَوْتِ منْجا الحَارث بنِ هِشَام ِ
تَرَكَ الأَحبَّةَ أنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ونَجَا برأسِ طِمِرَّةٍ [1] ولِجام ِ

فهذا ما وقع من الاستطراد فى الهجاء .

وأما ما جاء منه فى المدح والهجاء معاً فقول بكر بن النطَّاح [2] (طويل) :

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنى لِتَرْضى فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنى بِكَوْكَبِ
فقلتُ لَهَا هَذَا التعنُّتُ كلُّه كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنْقَاءَ مُغْرِب
سَلِى كُلَّ شَىءٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُه ولا تَذْهَبِى يَا بَدْرُ بِى كُلَّ مَذْهَبِ
فَأُقسمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فى عِزِّ مَالِك وَقُدْرَتِه أعيا بِمَا رُمْتِ مَطْلَبى
فتًى شَقِيَتْ أَمْوالُه بنَوالِه كَمَا شَقِيتْ بكْرٌ بأَرْمَاحِ تَغْلِب

وهذا أبدع استطراد سمعته فى عمرى ، فإنه قد جمع أحسن قَسَم وأبدع تخلُّص ، وأرشق استطراد ، وتضمّن مدح الممدوح بالكرم ، وقبيلته بالشجاعة والظفر ، وهجاء أعدائهم بالضعف والخور ، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده إلى وقتنا هذا .

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم — وأتى بالاستطراد — فى المجون وهو غريب جدا [3] (خفيف) :

اكْشِفِى وجهك الَّذى أَوْحلَتْنى فِيهِ مِنْ قَبْل كَشْفِهِ عَيْنَاكِ

---

(١) الطمرة من الأفراس : المستعدة للعدو . أو الكثيرة الجرى . وقد اشار حسان فى هذين البيتين الى فرار الحارث بن هشام بن المغيرة يوم بدر انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة والاغانى ٤ : ١٦٩ ط دار الكتب .
(٢) الأبيات فى العمدة ٢ : ٥٣ ، والطراز ٣ : ١٨ .
(٣) نهاية الأرب ٧ : ١٢١ وحسن التوسل : ٥٧ .

غَلَطِي فى هَوَاكِ يُشْبهُ عِنْدِى غَلَطِى فى أَبِى عَلِىٍّ بنِ زَاكى

وأحسب أن أول من استطرد بالهجاء السموْءل [1] حيث يقول (طويل) :

وإنَّا أُناسٌ لا نَرى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأْتهُ عَامرٌ وسَلُولُ

وفى النسيب امرؤُ القيس [2] حيث قال (كامل) :

عُوجَا عَلَى الطَّلَل المحيل لَعَلَّنَا [3] نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِمَامِ [4]

---

(١) دبوانه : ١٢، نقد الشعر : ٧٤، الصناعتين : ٣٩٩، نهاية الأرب ٧ : ١١٩، الحماسة ١ : ٥٨، الطراز ٣ : ١٧

(٢) دبوانه : ١٢٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢١ ، الطراز ٣ : ١٧

(٣) كذا فى جميع الأصول والذى فى الديوان « لأننا » وهى لغة فى « لعلنا » .

(٤) كذا فى جميع الأصول ونهاية الأرب ، وحسن التوسل ، ورواية الديوان والطراز « ابن خزام » . وابن حمام : شاعر يقال له امرؤ القيس ايضا . وليس المراد عروة بن حزام كما توهم ابو عبيدة .

باب تأكيد المدح بما يشبه الذم*

أنشد ابن المعتز فيه قول النابغة الذبيانى :[1] (طويل)

وَلَا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهمْ ... بِهنّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكَتَائب

وقول النابغة الجَعْدِىّ[2] (طويل) :

فَتىً كَمُلَتْ أَخْلاقُه غيرَ أَنَّه ... جَوَادٌ فَمَا يُبقِى مِنَ الْمالِ باقيا

فَتىً تمّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَه ... عَلَى أَنَّ فِيه مَا يَسُوءُ الْأَعادِيا

وقد رأيت[3] لابن المغربى الوزير مما هو داخل فى هذا الباب ما يروق السامع ، وهو قوله (طويل) :

ويَعدِلُ فى شَرْق الْبلادِ وَغَرْبِهَا ... عَلَى أَنَّه للسَّيْف وَالْمَالِ ظَالِمُ

ورأيت أحسنَ من هذا لبعضهم ، وهو (طويل) :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنَّ سَمَاحَنَا ... أَضَرَّ بِنَا وَالْبَأْسَ مِنْ كُلِّ جَانبِ[4]

---

x بحثه فى بديع ابن المعتز : ١١١ ، الصناعتين تحت اسم الاستثناء : ٤٠٨ والعمدة ٢ : ٣٩ ، المفتاح ٢٢٦ ، الايضاح : ٦ : ٧٦ ، نهاية الأرب ، ٧ : ١٢١ ، حسن التوسل : ٥٨ ، الطراز وقد تكلم عنه تحت اسم التوجيه ٣ : ١٣٦

(١) بديع ابن المعتز : ١١١ ، العمدة ٢ : ٣٩ الصناعتين : ٤٠٨ ، الطراز ٣ : ١٣٦ ، معاهد التنصيص ٣ ١٠٧٠ الايضاح : ٦ : ٧٦ مختار

(٢) بديع ابن المعتز : ١١١ : ٢ ، العمدة ٢ : ٣٩ ، سيبويه ١ : ٣٦٧ ، اعجاز القرآن للباقلانى : ٩٤ ، الصناعتين : ٤٠٨ والبيت الثانى نسبه صاحب الصناعتين مرة للنابغة الجعدى : ٣٣٨ ، واخرى لجندل بن جابر الفزارى : ٤٠٨ فتأمل .

(٣) زيد فى ا و ت بعد هذه الكلمة قوله : فى غير كتاب ابن المعتز لابن المغربى الوزير ، واسمه ابو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى انظر وفيات الأعيان ١ : ٤٢٨

(٤) الشعر لأبى هفان ، العمدة ٢ : ٣٩ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٢ ، الطراز ٣ : ١٣٧ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٠٩

فَأَفْنَى الرَّدَى أَعمارَنا غيرَ ظَالِمٍ ... وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبِ
أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كلِّهِم ... أَباً واحِدًا أَغْنَاهُمُ بالمَنَاقِبِ

وقد خلَط (١) المتأَخِّرون (٢) باب الاستثناء بهذا الباب ، (وكنت أرى أنهما باب واحد ، إلى أن نبَّهنى عليه عند قراءته من أَلَّفت له هذا الكتاب ، فرأيت إفراده منه ، وسيأْتى فى موضعه بعد الفراغ من أبواب ابن المعتز وقدامة إن شاء الله) (٣)

(١) زاد فى ت قبل هذه العبارة ما نصه : وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : « أذلة على المؤمنين » فالمح هذه البلاغة وقد خلط .. الخ ..

(٢) منهم أبو هلال العسكرى فى الصناعتين .

(٣) كذا الأصل . والذى فى ١ ، ت « فلما رأيت شواهدهما متباينة أفردته منه ، والذى أوهمهم أنهما باب واحد اعتقادهم أن الاستثناء يكون « بغير » كما يكون « بالا » وسهوا أن يلحظوا الاستثناء الذى يتضمن تأكيد المدح بما يشبه الذم من غيره والله أعلم .

بـاب تجاهـل العارف*

وقد سمّاه من بعد ابن المعتز الإعنات[1] ، وهو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه به ليُخرج كلامه مخرج المدح أو الذّم ، أوليدلّ على شدة التّدلّه فى الحب ، أو لقصد التعجب ، أو التقرير ، أو التوبيخ ، (وهو على قسمين :قسم يكون الاستفهام فيه عن شيئين أحدهما واقع والآخر غير واقع ، وقد ينطق بأحد الشيئين ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه .

وهو على قسمين : موجَب ، ومنفِيّ)[2] .

وقد جاء منه فى الكتاب العزيز ما لا يلحق سبقاً ،كقوله تعالى : (أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ[3]) فهذا خارج مخرج التعجب ، وقوله سبحانه : (أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) [4] وهذا خارج مخرج التوبيخ ، وقوله عز وجل : (أَأَنْتَ قُلْتَ

---

x بحثه فى الكامل للمبرد ١ : ٣٨٤ / بديع ابن المعتز : ١١١ / الصناعتين : ٣٩٦ ، بديع ابن منقذ : ٤٧ ، التبيان للزملكانى تحت اسم التجاهل : ١٣٨ ، المفتاح تحت اسم سوق المعلوم مساق غيره : ٢٢٧ ، الايضاح ٦ : ٨٥ ، عروس الافراح ٢ : ٨ / خزانة ابن حجة : ١٢٢ ، نهاية الارب ٧ . ١٢٣ ، حسن التوسل : ٥٨ ، الطراز ٣ : ٨٠ ، اللمعة فى صنعة الشعر : ٨

(١) لم يسمه أحد الاعنات ، وانما الاعنات شيء آخر اخطأ فيه المؤلف وسماه عتاب المرء نفسه ، وسأبين ذلك فى موضعه .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٣) القمر : ٢٤ .

(٤) كذا فى جميع الأصول . وهى قراءة نافع بن الازرق . ورواية حفص « صلاتك » وعليها رسم المصحف . وهى آية ٨٧ من سورة هود .

لِلنَّاس اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ)[1] (وقوله تعالى : (أَأَنْتَ فَعلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبرَاهِيمُ) [2] وهذان الموضعان خرجا مخرج التقرير .

وأما ما جاء منه فى المدح فكقول بعض المحدثين [3] (بسيط) :

بَدَا فَرَاعَ فُؤَادِى حُسْنُ صُورَتِهِ فَقُلْتُ هَل مَلِكٌ ذا الشَّخصُ أَم مَلَكُ

وأما ما جاء منه للذمّ فكقول زهير بن أبى سُلمى [4] (وافر) :

وَمَا أَدْرِى وَسَوفَ إِخَالُ أَدْرِى أَقَومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ

وأمّا ما دلَّ منه على التَّدلُّه فى الحُبِّ فكقول العرْجى (بسيط) :

باللهِ يَا ظَبَياتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَاىَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ [5]

وكل ما[6] أوردناه من الآيات فى هذا الباب مما نطق فيه بأحد الأمرين لدلالة القرينة على الآخر ، وبيت المدح من القسم الأول ، والبيتان الأخيران من القسم الآخر ، والله أعلم ، وهذا كله مما جاء من القسم الأول .

ومما جاء من القسم الثانى فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)[7] فحصل فى فصاحة النسوة من المبالغة والتهذيب

---

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) سقطت هذه العبارة التى بين قوسين من ت وهى آية ٦٢ من سورة الانبياء

(٣) نسبة النويرى فى نهايته للبحترى . ولم اعثر عليه فى ديوانه الذى بين أيدينا .

(٤) ديوانه : ٣٣ ، بديع ابن المعتز : ١١١ ، العمدة ٢ : ٥٣ الايضاح ٦ : ٨٥ ، الطراز ٣ : ٨١ معاهد التنصيص ٣ : ١٨٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٢ .

(٥) العمدة ٢ : ٥٣ ، الصناعتين : ٣٩٦ ، الايضاح ٦ : ٨٦ الطراز ٣: ٨١ نهايةالأرب ٧ : ١٢٣ اللمعة ٨

(٦) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت وهو فىهامش أ

(٧) يوسف : ٣١

ما لم يقع فى فصاحة العرب حيث شبّهوا كلٌّ من راعَهم حُسنه بالجنّ، وتبعهم المتنبّى فقال (طويل) :

لجنِّيَّةٍ أَم غَادَةٍ رُفِع السَّجْفُ[1] . . . .

---

(1) ديوانه ١ : ٤١٣ وهو صدر بيت له وعجزه : « لوحشية لا ما لوحشية شنف » .. ومعاهد التنصيص ٣ : ١٠٧ ، الايضاح ٦ : ٧٦ ، السجف : الستر ، والشنف ، ما علق فى أعلى الأذن .

باب الهزل الذى يراد به الجد *

وهو أن يقصد المتكلّم مدح إنسان أو ذمّه ، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب ، والمجون المطرب ، كما فعل أصحاب النوادر ، مثل أشعب (١) وأبى دلامة (٢) وأبى العيناء (٣) ومُزبّد (٤) ومن سلك سبيلهم ، كما حُكى عن أشعب أنه حضر إعذارًا (٥) صنعه بعض وُلاة المدينة ، وكان مبخَّلا ، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جَدْىٌ مشوىٌّ ، فيحوم الناس حوله ، ولا يمسّه منهم أحد لِعلْمهم ببخله ، وأشعب فى كلّ يوم يحضر ويرى الجَدى ، فقال فى اليوم الثالث : زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجَدى بعد أن ذبح وشوى أطول منه قبل ذلك .

× بحثه فى بديع ابن المعتز : ١١٢ ، الطراز ملحقا بتجـــاهل العارف ٣ : ٨٢ ، معـــاهد التنصيص ٣ : ١٥٦ والايضاح ٦ : ٨٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٤ - اللمعة فى صنعة الشعر : ٨

(١) هو أشعب بن جبير وكنيته ابو العلاء امه كانت مولاة لاسماء بنت ابى بكر ولد سـنة تسع للهجرة وكان ابوه مملوكا لعثمان بن عفان وعمر اشعب حتى مات فى ايام المهدى وكانت وفاته بعد سنة اربع وخمسين ومائة (نهاية الأرب ٤ : ٥٣) .

(٢) أبو دلامة هـو يزيد بن الحارث كان مولى لبنى اسد وكان ابوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاقص وكان ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعا للفرائض مجاهرا بذلك وادرك آخر زمن بنى امية ولم تكن له نباهة فى ايامهم ، ونبغ فى ايام بنى العباس فانقطع الى ابى العباس السفاح حتى مات (نهاية الأرب ٤ ص ٤٧) .

(٣) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر من بنى حنيفة من اهل اليمامة وكان ضرير البصر وهو ممن اشتهر بالمجون وله نوادر وحكايات مستطرفة ومراسلات عجيبة . انظر نهاية الأرب ٤ : ٨٢ وما بعدها .

(٤) مزبد المدنى كمحدث صاحب النوادر المشهورة كذا فى شرح القاموس .

(٥) الاعذار : طعام الختان .

ومن شواهد الهزل الذى يُراد به الجدّ من الشعر العربىّ قول الشاعر[1]:
(طويل)

إذَا مَا تَمِيمِىٌّ أتَاكَ مُفَاخِرًا ... فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أكْلُكَ لِلضَّبِّ

وقد أنشد ابن المعتز فى هذا الباب قول أبى العتاهية[2] (بسيط):

أرْقيكَ أرْقِيكَ باسْمِ الله أرقيكَا ... مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ الله يَشْفِيكَا
ما سَلْم كَفِّكَ إلا مَن يُتارِكُها ... ولَا عَدوُّكَ إلاَّ مَنْ يُرجِّيكَا

والفاتح لهذا الباب امروُّ القيس حيث يقول[3] (طويل):

وَقَدْ عَلِمتْ سَلْمى وإنْ كانَ بَعلُها ... بأَنَّ الفَتَى يَهْذِى وَلَيْسَ بفعّالِ

وما رأيت أحسنَ من قوله ملتفتاً: «وإن كان بعلها».

---

(١) هو ابو نواس انظر بديع ابن المعتز : ١١٣ ؛ الطراز ٣ : ٨٢ ،الايضاح: ٦ : ٨٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٤ ، المعاهد ٣ : ١٥٦ ، والبيت من قصيدة يهجو بها تميما واسدا ويفتخر بقحطان .

(٢) ديوانه ٢٨٩ ، والبديع لابن المعتز ١١٢ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ١٥٨ .

(٣) ديوانه : ٤٨ ، الايضاح ٦ : ٨٥ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٥٨ .

باب حُسن التضمين

وهو أن يُضمِّن المتكلِّم كلامَه كلمة من بيت ، أو من آية ، أو معنًى مجرَّدا من كلام ، أو مثلا سائرًا أو جملة مفيدة ، أو فقرة من حكمة كقول عليّ[1] ـ عليه السلام ـ في جواب كتاب لمعاوية : « وما الطُّلقاءُ وأبناءُ الطلقاء ، والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ، هيهات « لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها[2] » ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها » فضمَّن كلامَه هذا المَثلَ العَرَبيَّ وهو قوله : « لقد حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْها[3] » وكقوله في آخر هذا الكتاب : وإني[4] مُرْقِلٌ نَحْوَكَ بَجَحْفَلٍ من المهاجرين والأنصار والتابِعِين لهم بإحسان ، شديدٍ زحامُهم ، ساطِعٍ قَتامُهم[5] متسربلين سرابيلَ الموت ، أحبُّ اللِّقاءِ إليهم لقاءُ ربهم ، قد صحبتْهم ذريَّة بدريَّة ،

× بحثه في البيان والتبيين تحت اسم الاقتباس والتضمين ٢ : ٦ ، بديع ابن المعتز ١١٤ ، العمدة ٢ : ٦٨ ، النكت في اعجاز القرآن ٩٤ ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الاعجاز تحقيق الاستاذ محمد خلف الله وآخر ، بديع ابن منقذ ١٢١ ، التبيان للزملكاني : ١٤٧ ، المثل السائر ٢ : ٣٤١ ، خزانة ابن حجة تحت اسم الاقتباس : ٤٤٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٦ ، اللمعة في صنعة الشعر ٩ .

(١) نهاية الارب ٧ : ٢٣٤ .

(٢) مجمع الامثال للميداني ١ : ١٧٥

(٣) زاد في ا ، ت بعد هذه الكلمة ما نصه : « أصل هذا المثل ان قداح الميسر تكون غالبا من صنف واحد من الخشب ، فاذا أجالها القامر صك بعضها بعضا ، فسمعت أصواتها فاذا كان منها قدح من غير خشب القداح خالف صوته أصواتها ، فتقول العرب : « حن قدح ليس منها » ثم ضربته مثلا لمن يدخل نفسه في أمر هو بعيد منه .

(٤) الأرقال : ضرب من الميسر في اسراع . و الجحفل : الجيش العظيم .

(٥) القتام : الغبار .

وسيوف هاشميّة عرفتَ مواقع نِصالها فى أخيك (١) وخالك وجدِّك (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(٢) فضمّن كلامه هذه الآية .

ومن إنشادات ابن المعتزّ فى هذا الباب (سريع) :

عَوَّذَ لمَّا بتُّ ضَيْفًا لَهُ   أَقْرَاصَهُ مِنِّىٌ بِيَاسِينِ (٣)
فبتُّ والأَرضُ فِرَاشِى وَقَدْ   غَنَّتْ قِفَا نَبْكِ مَصَارِينِى

فضمّن هذا الشاعرُ بيته الأَول كلمة من السورة ، وبيته الثانى جملة من البيت الذى هو أوّلُ القصيدة المشهورة .

وقد وقع من ذلك فى الكتاب العزيز ما تضمّنه من التّوراة كقوله سبحانه : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْس بِالنَّفْسِ) (٤) الآية .

ومن لطيف التضمين فى الشعر قول أَبى تمّام (٥) (طويل) :

لَعَمْرٌو مَعَ الرَّمْضاء والنَّارُ تَلْتَظِى   أرَقُّ وأَحْفَى مِنكَ فى سَاعَةِ الكَرْب

فضمّن بيته كلماتٍ من البيت المشهور وهو (بسيط) :

الْمُستَجِيرُ بعَمْرٍو عندَ كُرْبتِهِ   كَالمُستَجِير من الرَّمْضَاء بالنَّارِ (٦)

وفى الكتاب العزيز من هذا الباب ما حكاه فيه سبحانه من صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، وذلك قوله : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)(٧) إلى

---

(١) اخوه حنظلة ، وخاله الوليد بن عتبة ، وجده عتبة بن ربيعة .

(٢) هود : ٨٣

(٣) بديع ابن المعتز : ١١٤ ، العمدة ٢ : ٧١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٦

(٤) المائدة : ٤٥ .

(٥) ديوانه : ٤٣٣ وروايته « ارق واحمى » وهى توافق ما فى العمدة ٢ : ٧١ وما اثبتناه عن الاصـــول ، وهو يوافق ما ورد فى معاهـــد التنصيص ٤ : ٢٠١ ، واحفى : احفل .

(٦) العمدة ٢ : ١٧٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٢٧ ، معاهد التنصيص ٤ : ٢٠١ ، وقصة هذا البيت مذكورة فيه فانظرها ثم .

(٧) الفتح : ٢٩ .

قوله : (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فى الإِنْجِيلِ) (فضمَّن كتابَنا صفتهم من الكتابين الأوّلين[1]) ، والفرق بين التَّضمين والإيداع والاستعانة والعنوان أن التَّضمين يقع فى النَّظم والنَّثر ولا يكون إلا بالنثر[2] ويكون من المحاسن ومن العيوب ، ولكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم ، والإيداع والاستعانة وإن وقعا معاً فى النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر.

(وأما[3] العنوان فإنه يَقع فى النَّظم والنَّثر ولا يَقَع بالنَّثر ، وهو بخلاف التضمين لا يكون إلا من المحاسن دون العيوب ، والتضمين منهما معاً وسيأتى بيان ذلك فى موضعه ، والله أعلم) .

---

(1) ما بين القوسين ساقط من ت وهو فى هامش ا

(2) عبارة ت ويكون بالنظم والنثر ، وهى اصح لأن ما بعدها يعينها .

(3) كذا فى الأصل . ولا يخفى ما فيها من اضطراب فى المعنى . وعبارة ا ، ت « واما العنوان فانه كالتضمين لوقوعه فى النظم والنثر والنظم والنثر لكنه يفارق التضمين فى كونه لا يكون الا مشيرا الى الاخبار الطويلة والقصص البسيطة ولا يكون الا من المحاسن ، والتضمين انما يشير الى البيت الواحد والآيه المفردة ، والمثل السائر ، ويكون من المحاسن والعيوب معـا فهو اعم الأبواب الثلاثه . والعنوان اعم من الايداع والاستعانة .

باب الكناية *

وهى أن يعبِّر المتكلِّم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وعن الفاحش بالطاهر ، كقوله سبحانه : (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) [1] كناية عن الحدث . وكقوله تعالى : (أَوْجَاءَ أَحدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ)[2] كناية عن قضاء الحاجة ، وكقوله عز وجل :(وَلَكِنْ لَا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا) [3] كناية عن الجماع ، قال امرُؤُ القَيْس[4] (طويل) :

أَلَا زعمتْ بَسْبَاسَةُ الْحَىِّ أَنَّنِى   كَبِرْتُ وأَلَّا يُحْسِنُ السِّرَّ أَمْثَالِى

ذهب كل من فسّر شعرَه من العلماء أنه أَراد بالسِّرِّ الوِقَاع[5] ، (وكقوله[6] سبحانه : (وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ)[7] يريد به ما يكون بَيْن الزَّوجَيْن من المُبَاضَعَةِ ، وكقول الله تعالى : (الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ)[8] ،

---

* بحثها فى قواعد الشعر لثعلب تحت اسم لطافة المعنى : ٤٣ ، بديع ابن المعتز : ١١٥ ، العمدة ١ : ٢٠٩ والصناعتين : ٣٦٨ ، سر الفصاحة : ١٥٦ ، بديع ابن منقذ : ٥٠ ، المثل السائر ٢ : ١٩١ ، المفتاح ٢١٣- ، الطراز ١ : ٣٦٤ ، الايضاح ١ : ٤٣ ، نهاية الأرب ٧ : ٥٩ ، حسن التوسل : ٢٦ ، اللمعة فى صنعة الشعر ٧ .

(١) المائدة : ٧٥ .   (٢) المائدة : ٦ .

(٣) البقرة : ٢٣٥ .

(٤) ديوانه : ٤١ وروايته فيه :

الا زعمت بسباسة اليوم اننى   كبرت والا يحسن اللهو امثالى

(٥) فى ت ، « الجماع » بسباسة : امرأة عيرته لكبره فقال بعد ذلك :

كذبت ، لقد أصبى على المرء عرسه   وامنع عرسى ان يزن بها الخالى

(٦) ما بين قوسين ساقط من ت .   (٧) النساء : ٢١ .

(٨) النور : ٢٦

وهو سُبْحانه يريد الزِّنا) وعلى الجُمْلَةِ لا تَجد مَعْنىً من هذه المعانى فى الكتاب العزيز يأتى إلّا بلفظ الكِناية ، لأن المعنى الفاحش متى عبّر عنه بلَفْظه الموضوع له كان الكلام معيباً من جهة فحش المعنى ، ولذلك عاب قُدامةُ على امرئ القيس قوله [1] (طويل) :

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْت ومُرْضع   فأَلْهَيْتُها عَنْ ذِى تَمائمَ مُحْوِلِ
إِذَا مَا بَكَى من خَلْفِها انْصرفَتْ له   بشِقٍّ وتَحْتِي شِقُّها لَمْ يُحَوَّل

وقال (أعنى قدامة) : وعيب هذا الشعر من جهة فُحْش المعنى ، يريد أنه عبّر عنه بلفظه ، فجاء الكلام فاحشاً ، وهو عيب ، ولذلك تنزَّه القرآن عنه ، ولو استعار امْرؤُ القيس لمعناه لفظ الكناية كما فعل فى البيت الذى تقدَّم هذين البيتين لم يكن إلى عَيْبِه سبيل .

وفى السنّة النبويّة من الكناية ما لا يكاد يُحصَى ، كقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لا يضَع العصا عن كَتفه) كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر.

وحكى ابنُ المعتزّ أن العربَ كانت تقول : « فلان يَخْبَأُ العصا لمن به أُبْنة ، وأنشد (رجز مجزوء) :

زَوْجُكِ زَوجٌ صَالِحٌ   لَكِنَّه يَخْبَا العصا [2]

ومن أناشيد ابن المعتز لبشّار فى اثنين كانا يتفاعلان (خفيف) :

وإِذَا مَا الْتَقَى مُثَنًّى وَبَكْرٌ   زَادَ فى ذَا شبرٌ وفى ذَاكَ شبرُ [3]

وأنشد لأَبِى نُوَاس فى الكناية عن جَلْد عَمِيرة [4] ما لا يُدْرك شأْوُه وهو (طويل) :

(١) ديوانه : ١٩ ، نقد الشعر : ٥ ، الوشح : ٣٦ ، الصناعتين : ٣٦٥

(٢) البيت فى كنايات الجرجانى : ٢٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٦ .

(٣) بديع ابن المعتز : ١١٥

(٤) جلد عميرة : الاستمناء بالكف ، وهى عادة ذميمة يعبر عنها بالانتحار البطىء .

إذَا أَنْتَ أَنْكَحْتَ الكَرِيمَةَ كُفُوَّها   فأَنْكِحْ حُبَيْشاً راحةَ ابنة سَاعِدِ (١)
وقُل بالرِّفا ما نِلْتَ من وَصْل حُرَّةٍ   لَهَا سَاحَةٌ حُفَّتْ بِخَمْسٍ وَلاَئدِ

ومن أحسن الكنايات فى الهجاء قول بعض الشعراء يهجو إنساناً به داءُ الأَسَدَ ، فكَنَى عن ذلك ورَمَى أُمّه بالفُجور بطريق الكناية أيضاً حيث قال : (وافر)

أراد أبوكَ أُمَّك حِين زُفَّتْ   فَلَم تُوجَدْ لأُمّك بِنْتُ سَعْدِ

يريد به عُذْرةً ، ثم قال (وافر) :

أَخُو لخْمٍ أَعَارَكَ منه ثَوْبًا   هنِيئًا بالقَمِيصِ المُسْتَجَدِّ

يريد : جذاماً فإنه أخو لخم .

وأنشد ابن المعتز فى الكناية عن حَجّام لبعض الشعراء : (طويل)

إذَا عَوّج الكُتَّابُ يومًا سُطُورَهُمْ   فَلَيْس بِمُعْوجٍ له أبدا سَطْرُ (٢)

ومن نخوة العرب وغَيرتهم كنايتُهم عن حرائر النساء بالبيض ، وقد جاء القرآن العزيز بذلك ، فقال سبحانهِ : (كأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) (٣) وقال امرؤُ القيس (٤) (طويل) :

وَبيْضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها   تَمَتَّعْتُ من لَهْو بها غَيْرَ مُعْجَلِ

ومن مليح الكناية قول بعض العرب (وافر) :

أَلا يا نَخْلةً من ذاتِ عِرْقٍ   عليك ورَحْمَةُ اللهِ السَّلامُ

---

(١) الكنايات للجرجانى : ٣٢ ، بديع ابن المعتز : ١١٦ ، الصناعتين : ٣٧٠
(٢) بديع ابن المعتز : ١١٦
(٣) الصافات : ٤٩
(٤) ديوانه : ٣١

سأَلتُ الناسَ عنكِ فَخَبَّرُونى هَنًا[1] من ذَاكَ يكرهُهُ الكِرَامُ
ولَيْسَ بما أَحلَّ اللهُ بَأْسٌ إذا هُو لَمْ يُخَالِطْه الحَرامُ

فإن هذا الشاعر كَنَى بالنخلة عن المرأة ، وبالهَناء عن الرَّفث ، فأَما الهناءة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن طريف الكناية وغريبها .

(١) الأصل فيه هناء ، وهى مخففة هنا للشعر .

بابُ الإفراطِ فى الصفة *

وهو الذى سمّاه قدامة المُبالغة ، وسمّاه مَن بعدَه التَبْلِيغ ، وأكثر الناس على تسمية قدامة ، لأنها أخفُّ وأعْرَف ، ومن أناشيد ابن المعتزّ فيها : (كامل)

مَلِكٌ تَراهُ إذَا احْتَبى بنِجادِهِ غَمرَ الجَماجِمَ والصُّفوفُ قِيامُ[1]

وحدَّ قدامة المبالغة بأن قال : «هى أن يذكر المتكلِّم حالا من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت ، فلا يقف حتى يزيد فى معنى ماذكره ما يكون أبلغ فى معنى قصده ، كقول عمرو بن الأهتم التَّغْلَبىّ[2] (وافر) :

× بحثه فى قواعد الشعر تحت اسم الافراط فى الاغراق : ٣٩ ، البديع لابن المعتز : ١١٦ ، نقد الشعر : ٥٠ : العمدة ٢ : ٤٣ ، النكت للرمانى : ٩٦ الصناعبن : ٣٦٥ ، سر الفصاحه : ٣٥٦ ، اسرار البلاغة : ٢٥٧ ، بديع ابن منقذ : ٥٣ ، الطراز ٣ : ١١٦ ، الايضاح ٦ : ٦٢ ، خـزانة ابن حجة : ٢٢٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٤ ، حسن التوسل : ٥٩ ، اللمعة فى صنعة الشعر ٣

(١) البيت لأبى نواس انظر ديوانه : ٦٤ ، و الطراز ٣ : ١٢٨ ونسبه الى ابن المعتز، نقد الشعر: ١١٧ وروايه « اغر » بدل « تراه » والاحتباء : الاشتمال ، ورواية الديوان توافق روايه نقد الشعر .

(٢) نقد الشعر : ٥٠ وفيه « سارا » بدل «مالا » والصاعتين : ٣٦٦ وفيه عميرة بن الاهتم و « هو » تصحيف ، معاهد التنصيص ٣ : ٢٥ وينسبه لعمرو بن الاهتم التغلبى ، خزانة الادب لابن حجة ، ٢٧٩ ، ونسبه محقق الايضاح لعمر بن الايهم التغلبى وقد اخطأ النقل عن نقد الشعر اذ فيه عمير لا عمرو ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٤ ، والصحيح انه عمرو بن الاهتم ، وهو ابن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث، والحارث هو مقاعس بن عمر بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وسمى سنان الاهتم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد اهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فاه وهذا ما قاله عنه ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وقيل : بل هتم فوه يوم الكلاب الثانى . وبنو الاهتم اهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام . انظر زهر الآداب ١ : ٦ تحقيق الاستاذ على البجاوى .

ونُكرِم جارَنَا مَا دَامَ فِينا ونُتْبعه الْكَرامةَ حَيثُ مَالَا

وأنا أقول : قد اختُلِفَ فى المبالغة ، فقوم يرون أنَّ أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجّون بما جرى بين النابغة الذُّبيانى وبين حسّان فى استدراك النابغة عليه تلك المواضع فى قوله (طويل) :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْن فى الضُّحى وأَسْيَافُنا يقْطُرْن مِنْ نَجْدةٍ دَمَا[1]

فإن النابغة إنما عاب على حسّان ترك المبالغة ، والقصّة مشهورة ، والصواب مع حسّان ، وإن رُوى عنه انقطاعُه فى يد النابغة . وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ، ولا يرون من محاسنه إلا ما خرج مخرج الصدق ، وجاء على منهج الحق ، ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلِّم وعجزه عن أن يخترع معنى مبتكَرًا ، أو يفرِّع معنًى من معنًى ، أو يحلِّيَ كلامَه بشيء من البديع ، أو يَنْتَخِبَ ألفاظاً موصوفة بصفات الحُسْنِ ، ويجيد تركيبَها ، فإذَا عَجَزَ عن ذلك كلِّه أتى بالمبالغة لسدِّ خللِه . وتَتْمِيم نَقْصه ، لما فيها من التَّهْويل على السامع ، ويدّعون أنها ربما أحالت المعانى فأخرجتْها مِنْ حدِّ الإمكان إلى حدّ الامتناع .

وعندى أن المذهبين مردودان .

أمّا الأَول فلقول صاحبه : إن خيرَ الكلام ما بُولغ فيه ، وهذا قول من لا نظر له ، لأَنا نَرى أنَّ أكثرَ الكلام والأَشْعارِ جارياً على الصدق ، خارجاً مخرج الحقّ ، وهو فى غاية الجَوْدةِ ونهاية الحسن وتمام القوّة ، كيف لا

(1) ديوانه : ٣١٧ والعمدة ٢ : ٤٣ والطراز : ٢٢٠ ، والجفنات : جمع جفنة وهى القصعة ، والغر : البيض من كثرة الشحم ، والشاعر يصف قومه بالندى وشدة البأس .

والمبالغة ضرب واحد من المحاسن، والمحاسن لا تنحصر ضروبُها ، فكيف يقال : إنَّ هذا الضرب على انفرادِهِ يفضل سائر المحاسن على كثرتها ؟

وهذا شعر زهير والحطيئة وحسّان ومن كان مذهبه توخِّي الصدق فى شعره غالباً ليس فوق أشعارهم غاية لمُتَرقٍّ ،ألا تَرى إلى قول زهير (طويل) :

وَمَهْمَا تكنْ عند امرى من خليقةٍ   وإنْ خَالَهَا تَخْفى علَى النَّاسِ تُعْلَمِ [1]

وإلى قول طَرَفة[2] (طويل) :

لَعمرُكَ إن المَوتَ ما أَخْطَأَ الْفَتَى   لَكَالطِّوَل المُرْخَى وثِنْياهُ فى اليَدِ

سَتُبدِى لَكَ الأَيّامُ ما كُنْتَ جَاهلا   ويأتيكَ بالأَخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وإلى قول الحطيئة (بسيط) :

مَنْ يَفعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ   لايَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ[3]

فإنك تجد هذه الأَشعار فى الطبقة العليا من البلاغة وإن خَلَتْ من المبالغة . والذى يدلُّ على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق فى أشعارهم على الكذب ما رُوِى عن (الحَرُورِيَّة امرأة عِمْران بن حَطَّان الخَارجىّ أنها قالت له يوماً)[4] : أنت أعطيت الله عهدًا ألاَّ تكذب فى شعرك ، فكيف قلت (كامل مجزوء) :

فهُناكَ مَجْزَءَةُ بنُ ثَوْ   رٍ كَانَ أَشْجعَ مِنْ أُسامهْ

---

(١) ديوانه : ٣٢ ، نقد الشعر : ٥٥ ، الوساطة ٣٦٥ ، الطراز ٣ : ٢٢٠ ، نهاية الارب ٧ : ١٢٨

(٢) شرح المعلقات ٤٥ و ٥١ ، نقد الشعر : ٥٥ ، الصناعتين : ٢٧٤

(٣) ديوانه : ٥٤ ، عيار الشعر : ١١٠

(٤) عبارة ا و ت عن ابنة زهير انها قالت لأبيها يوما الخ وبالرجوع الى ديوان زهير لم نقف على هذا البيت فيه .

فقال : ياهذه[1] إنَّ هذا الرجل فتح مدينةً وحده ،وما سمعتُ بأسد فَتحَ مَدِينةً قَطُّ . وهذا حسّان يقول[2] (بسيط) :

وإنمَا الشِّعرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُه عَلَى المَجَالِسِ إن كَيْساً وإن حُمُقاً
وإنَّ أَشْعرَ بَيْتٍ أَنتَ قائلُهُ بيتٌ يقالُ إذا أنشدتَه : صدَقَا

على أن هؤلاء الفحول وإن رجّحوا هذا المذهب لا يكرهون ضدَّه ، ولا يجحدون فَضْلَه ، وقلّما تخلو بعض أشعارهم منه ، إلاَّ أنَّ توخِّيَ الصدق كان الغالب عليهم ،وكانوا يكثرون منه ، ومن أكثر من شيء عرف به ، كما أن النابغة ومن شايعه على مذهبه لا يكره ضد المبالغة ، وإلا فكل احتجاجاته على النعمان فى الاعتذار جارٍ مجرى الحقيقة ، كقوله (طويل) :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهبُ[3]

فعائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئٌ ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيب ، وخير الأمور أوساطها ، وكيف تعاب المبالغة وقد وُجدتْ فى الكتاب العزيز على ضروب : منها المبالغة فى الصفة المعدولة من الجارية بمعنى المبالغة فإنها جاءت على ستّة أمثلة : فَعْلان كرحمان ، عُدِل عن راحم للمبالغة ولا يوصف به إلا الله تعالى ، لأن رحمته وسعتْ كل شيء ، وفعّال معدول عن فاعل للمبالغة كقوله تعالى (لغفّار لِمَنْ تَابَ)[4] (تَوَّابٌ رَحِيمٌ)[5] (عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[6] (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)[7] وفعول عدل

---

(١) رواية ا و ت « يا بنية » .
(٢) ديوانه ٢٩٢ (وعيار الشعر : ١١٠) انظر الكلام على هذين البيتين فى الصناعتين : ٢٣٩
(٣) انظر البيت فى باب المذهب الكلامى .
(٤) طه : ٨٢ .
(٥) الحجرات : ١٢ .
(٦) المائدة : ١١٦ .
(٧) البروج : ١٦ .

عن فاعل للمبالغة (كغفور) و (شكور) و (ودود)، وفعيل عدل عن فاعل، (كرحيم) و (حكيم) و (عليم) و (قدير) و (سميع) و (بصير) ومفعل معدول عن فاعل (كمِدْعَس) و (مطعن)، ومفعال معدول عن فاعل للمبالغة (كمطعام) و (مطعان).

والضرب الثانى من المبالغة وهو ما جاء بالصِّيغة العامّة فى موضع الخاصّة كقولِكَ: أتانى النّاسُ كلُّهم، ولم يكن أتاك سِوَى واحد أردت تعظيمه، ومن هذا الضرب قول أبى نواس[1] (سريع):

وليْسَ لله بمُسْتَنْكَرٍ   أنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فى واحِدِ

ومن هذا الضرب فى الكتاب العزيز قوله تعالى: (إنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب)[2] فوعدهم سبحانه بجزاء غير مقدَّر، لمجيئه بالصِّيغة العامة تَعْظيما له (وَكُلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار)[3] والضرب الثَّالث من المُبالغة إخْراج الكلامِ مَخْرَجَ الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، والإخبار عنه مجاز، كقول من رأى موكِباً عظيما أو جيشاً خِضَمًّا: جاء الملك نفسُه وهو يعلم حقيقةً أنّ ماجاء جيشه، وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[4] فجعل مجىء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه، وكقوله تعالى: (وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ)[5] فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجداناً للمجازى.

(١) ديوانه: ٨٧ والصناعتين: ٢١٦، ونهاية الأرب ٧: ١٦٦ وروايته: «وليس على الله» وفيه الخزم.

(٢) الزمر: ١٠

(٣) الرعد: ٨

(٤) الفجر: ٢٢

(٥) النور: ٣٩

والضرب الرابع من المبالغة إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ، ليمتنع وقوع المشروط ، كقوله تعالى : (وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ)(١) .

والضرب الخامس من المبالغة ما جَرَى مَجْرَى الحقيقة ، وهو قسمان : قسمٌ كانَ مجازًا فصار بالقرينة حقيقة ، كقوله تعالى :(يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبصارِ)(٢) فإن اقتران هذه الجملة بيكاد صرفها إلى الحقيقة فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان .

وقسم أتى بصيغة أفعل التفضيل ،وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله تعالى : (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وأَعَزُّ نَفَرًا)(٣)

والضربُ السادس من المبالغة ما بولغ فى صفته بطريق التشبيه ، كقوله تعالى : إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ(٤) فهذه ضروبُ ما ورد من المبالغة فى الكتاب العزيز .

والمبالغة(٥) تأتى فى الكلام على ضربين : ظاهرة ومدمَجة ، وكلّ ما قدّمناه من مبالغات الكتاب العزيز من الظاهرة .

ومن المدمَجة قوله تعالى : (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جهَرَ بهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيلِ وسَاربٌ بالنَّهَار)(٦) فإن المُبالغة أَتَتْ فى هذه

(١) الأعراف : ٤٠ .
(٢) النور : ٤٣ .
(٣) الكهف : ٣٤ .
(٤) آيتا ٣٢ و ٣٣ من سورة والمرسلات . وقوله « جمالات » قراءة ورش عن نافع ، اما قراءة حفص فهى « جمالة » وعليها رسم المصحف .
(٥) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى هامش ا .
(٦) الرعد : ١٠ .

الآية مدَمجةً فى المقابلة ، والجواب : هذه المبالغة بالنسبة إلى المخاطَب لا إلى المخاطِب) وقد جاء منها فى سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لا يُحصَى كثرةً ، ولا يلحق بلاغة ، كقوله ـ عليه السلام ـ مخبرًا عن ربّه أنه قال سبحانه : « كلّ عملِ ابن آدم له إلا الصِّيام فإنَّه لى ، وأنا أجزى به » وقوله فى بقيّة هذا الحديث : « والَّذى نَفْسُ محمد بيده لخَلُوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك » . فى هذا الحديث مبالغتان : احداهما كون الحق ـ سبحانه ـ أضاف الصيام إلى نفسه دون سائر الأعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وتشريفه ، وأخبر أنه عز وجل يتولّى مجازاة الصائم بنفسه ، مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ، ونحن نعلم أن الأعمال كلَّها لله سبحانه ولعبده باعتبارين : أما كونها للعبد فلأنّه يُثابُ عليها ، وأما كونها لله تعالى فلأنّها عُملت لوجهه الكريم ، ومن أجله فتخصيص الصيام من بينها بالإضافة إلى الرّبّ سبحانه ، وتخصيص ثوابه بما خصّصه به إنما كان للمبالغة فى تعظيمه والحضّ عليه ، والمبالغة الثانية إخبار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدتقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، ففضّل تغييرَ فم الصائم بالإمساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الّذى هو أطيب الطِّيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك وريح تغيُّر فم الصائم ، وأتى المعنى بصيغة أفعل للمبالغة ، فجمع هذا الكلام بين قسمَى المبالغة المجازىّ والحقيقىّ.

ومن أمثلة المبالغة فى الشعر قول امرئ القيس[1] (طويل) :

---

(١) ديوانه : ٣٣ والايضاح ٦ : ٦٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٢٤ والوساطة : ٣٩٨ والايضاح ٦ : ٩٣

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْر ونَعْجَة   دِراكا ولم يُنْضَحْ بماءٍ فيُغْسلِ

فإنه أخبر عن هذا الفرس أنه أدرك ثورًا وبقرة وحشيَّةً فى مضمار واحد ، ولم يَعرَق ، ومثله قول أبى الطيّب [1] (طويل) :

وأصرَعُ أىّ الوَحْش قفَّيتُه به   وأُنزِلُ عنه مثلَه حين أرْكَبُ

وما يعاب من المبالغة إلا ما خرج به الكلام عن حدّ الإمكان إلى الاستحالة وأما إذا كان كقول قيس بن الخَطِيم [2] (طويل) :

طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طعنةَ ثائرٍ   لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها

ملكتُ بها كفِّى فأَنْهَرْتُ فتقَها   يُرَى قائما مِن دونها ما وراءها

فإنَّ ذلك من جيِّد المبالغة إذا لم يكن خارجاً مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية فى وصف الطعنة ، وما سمعت ولا غيرى بمستمعٍ (مثلَ [3] قول أبى تمّام (بسيط) :

تكادُ تنتقلُ الأَرواحُ لو تُرِكَتْ   من الجُسومِ إليها حِينَ تَنْتَقِلُ [4]

فإنه لم يقنع فى تصحيح المبالغة وقربها من الوقوع ، فضلا عن الجوار بتقديم كاد حتى قال : لو تركت ؛ وهذا أصحّ بيت سمعته فى المبالغة وأحسنه وأبلَغه ، وكقول شاعر الحماسة حيث بالغ فى مدح ممدوحِه بقوله (طويل) :

---

(١) ديوانه ١ : ١١٤ والوساطة : ٣٩٨ والا يضاح ٦ : ٩٣ والطراز ٣ : ١٢٤ ونسبه لأبى تمام وهو خطا ، ونهايه الأرب ٧ : ١٢٤ والمعنى يقول فيه : اننى اذا طاردت به وحشا لحقته فصرعته. واذا نزلت عنه بعد الصيد والطرد كان مثله حين اركبه ، يريد لم يلحقه تعب ولا يعتريه كلال لقوته وسرعة وثوبه . ا هـ ملخصا .

(٢) ديوانه : ٣ ، وعيار الشعر : ٥٧ والموشح : ٢٤٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٢٥ وانهرت : وسعت.

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٤) ديوانه : ٢٢٧

رهنتُ يدِى بالعجز عن شكر بِرِّه وما فوقَ شكرى للشَّكور مزيدُ[1]
ولو كانَ مما يُسْتَطَاعُ استطعتُه ولكنَّ ما لا يُستطاع شديدُ

فإن هذا الشاعر ألقى بيده وأظهر عجزَه واعترَف بقُصورِه عن شكر برٍّ هذا الممدوح ، وفطن إلى أنه لو اقتصر على ذلك لقيل له : عجزك عن شكر هذا الرجل لا يدل على كثرة برّه ، وإنما يدل على ضعف مادّتك عن الشكر إذ لا يلزم من عجز الإنسان عن شئ تعظيم ذلك الشئ على الإطلاق ، لاحتمال أن يكون العجز لضعف فى الإنسان ، فاحترس عن ذلك بقوله :

* وما فوق شكرى للشكور مزيد *

ثم تمّم المعنى بأن قال : «للشكور » أى للمبالِغ فى الشكر ، لأن « شكور» معدول عن شاكر للمبالغة كما تقدم ثم أظهر عذره فى عجزه مع قدرته بأن قال فى البيت الثانى :

* ولو كان مما يستطاع استطعته *

ثم أخرج بقيّة البيت مخرج المثل السائر حيث قال :

* ولكنّ ما لا يستطاع شديد *

فهذا أبلغ شعر سمعتُه فى هذا المعنى لجَوْدة مفردات ألفاظه ، وسهولة سبكه ومساواة لفظه لمعناه ، ومتانة مبناه ، وكثرة معانيه ، وصحة المبالغة فيه ؛ فإن قيل : لم بالغت فى وصف هذا الشعر وهو عندك داخل فى القسم المعيب من المبالغة لكونه أخرج الكلام من حد الإمكان إلى حد الامتناع حيث جعل شكر هذا الممدوح لا يستطاع ؟ فإنى أقول : ليس كل برٍّ يمكن شكره ، ولا يقوم المدح بحقِّه ، فإنا لو قدَّرنا أن إنساناً فكَّ إنساناً من الأَسر واستنقذه من

---

(1) نهاية الأرب ٧ : ١٢٥

القتل لما وفى شكره ببرِّه ولو كان أشكر الناس ، واستنفد فى شكره بقية عمره ، لا سيَّما لو قدّر أن ذلك الممتنّ ببقاء النفس أضاف إلى ذلك توابع إحسان ، وعوارف امتنان ، على ممرّ الزمان ، فإن الشكر لا يقوم ببرّ ذلك الإنسان ، ولو تجاوز فيه الشَّكور حدّ الإمكان ، فقد وضح أن من البرّ ما لا يؤدَّى شكرُه ، ومن هذا قول أبى نواس[1] :

لا تُسدينَّ إلىَّ عارفةً حَتىَّ أقومَ بشكر ما سَلَفَا

وهذا سيّد المرسلين الذى بُعث بجوامع الكَلِم ، وهو أفصح من نطق بالضَّاد يقول لعظمة نعم ربِّه عليه : « لا أُحصى ثناء عليك » . ومعلوم أن نِعَم الله - سبحانه - لا يقوم شكر جميع العباد بمعشارها ، ولا كذلك نِعَم بعضهم على بعض ، لكن يشبّه شكر أحدنا نعمة صاحبه إلى شكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - نعمة ربه كنسبة نعم بعضنا على بعض إلى نسبة نعم الله تعالى - سبحانه - على نبيّه أو على عبد من عبيده . (وإن[2] كانت نعم الله تعالى على نبيّه أعظم من نعمه على سائر خلقه ، بدليل قوله تعالى : (وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عظِيماً)[3] لأن بين بلاغة أحدنا وبين بلاغة الرسول كما بَيْن نعمة أحدنا ونعمة الله سبحانه ، وإذا وقع للقضية مثال واحد فى الوجود عُلم إمكان وقوعها ، وخرجت بذلك من حدّ الاستحالة والامتناع إلى حدّ الجواز والإمكان[4] .

---

(١) دوانه تحقيق الغزالى : ٤٣٢ والجامع الكبير : ٢٤٥ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت . (٣) النساء : ١١٣

(٤) ورد فى ا ، ت بعد هذه الكلمة ما نصه : « ومن مايح المبالغة التى كان فيها ممتنعا فخرج باقتران كاد من حد الامتناع الى حد الامكان قول أبى صخر الهذلى :

تكاد يدى تنـدى اذا ما لمستها وينبت فى أطرافها الورق الخضر

والبيت فى الحماسة ٢ : ٦١ والصناعتين ٢٩٧ والكامل للمبرد ١ : ٣ والبيان ٢ : ٣٠ ، والأمالى ١ : ١٤٩ والمفتاح : ١٧٩ .

والمذهب المُرضِى أن المبالغة ضرب من المحاسن إذا بعدت عن الإغراق والغلوّ، وإن كان الإغراق والغلو أيضاً ضربين من المحاسن إذا اقترنا، وعيبين إذا أطلقا، (ألا ترى[1] كلّ مبالغة وقعت فى الكتاب العزيز كيف أتت على قسمين: قسم ممكن غير مقترن، وقسم غير ممكن لا يأتى إلاّ مقترناً، كقوله سبحانه: (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)[2] وفى غير الممكن كقوله سبحانه: (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ)[3] الآية، لأن المبالغة فيها عرفية، معناه أنَّ عِلْم ذلك متعذر عندكم، وإلاّ فهو بالنسبة إلى علم الله — سبحانه — ليس بمبالغة، وقد قال امرؤُ القيس فى غير الممكن (طويل):

من القاصراتِ الطَّرف لو دبَّ محوِلٌ من الذَّرِّ فوق الإتْبِ منها لأثَّرا[4]

ولأن قوة الشعر وضعفه وماءه ورونقه أمر خارج عن البديع جملة، والمحاسن بتّة، فربَّ شعر فى غاية الجودة ونهاية القوة مع كونه قد بلغ فيه قائلهُ إلى حدّ الإغراق أو الغلوّ، وربّ شعر فى غاية الرداءة مع الخلو عن هذين الضربين، فإن الكلام يكون جيّدًا بدون البديع، ورديئاً مع وجوده، فإنكار المبالغة فى الكلام القوىّ الجيّد ما لا سبيل إليه.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت وهو فى هامش ا .

(٢) النور : ٤٣ .

(٣) الرعد : ١٠ .

(٤) ديوانه ٦٨ ، والقاصرات الطرف : المتحببا ت الى أزواجهن اللائى يقصرن نظرهن عليهم ، والمحول : الذى أتى عليه حول ، كناية عن الصغير ، الاتب : ثوب رقيق له جيب وليس له كمان . يقول : لومر المحول من الذر فوق ثيابها لأثر فى جلدها لرفاهيتها ورقة بشرتها .

وأما قول من قال : إن الكَلامَ لا يَحْسُن بدون المبالغة فإنْ لم يُحمل كلامه على التقييد، وإلا فهو محال بيّن الإحالة ، وأحسب قائل هذا ذهب إلى التمييز بين كلامين استوَيا فى خفّة مفردات الألفاظ وتَوسّط استعمالها وحُسن تَرْكيبها وخلوّ الكلام بعد التركيب عن العيوب جملة وتفصيلا ، وتَماثَلا فى جودة المعنى وتمامه ، وكثرة الماء فيهما ، وتحَلَّيا من البديع بما أتى الطبع به عفوًا من غير تكلّف ولا تَعَسّف، وقدبُولغ فى أحدِهما مبالغة مرضية والآخر لم يبالغ فيه ، فإنّ ما بولغ فيه أفضلُ من الآخر، (وأكثرُ[1] النقّاد على أن خير الكلام ما كان متوسطاً بين الغلوّ والاقتصاد والسلامة والمتانة والغرابة والاستعمال والتّصنّع والاسترسال ، وما أحسن قول البُحتريّ فيما قدمته من هذا الكلام حيث قال يصف لفظ بعض الكتاب (خفيف)[2] :

فى نظامٍ من البلاغة ماشكْ ... لكَ امرؤٌ أنه نظامُ فريدِ
وبديعٍ كأنه الزّهَر الضّا ... حكُ فى رَوْنَق الرّبيع الجَدِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَل الكلام اختيارًا ... وتجنّبْن ظُلمةَ التّعقيدِ
وَرَكِبْنَ اللّفظَ القَريبَ فأدْرَكْ ... نَ به غايةَ المرام البعيدِ

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت وهو فى هامش ا .
(٢) ديوانه ١ : ٢٠٦ وزهر الآداب ١ : ١ .

باب التشبيه*

التشبيه عبارة عن العَقْد على أن أحد الشَّيئَيْن يسدّ مسدّ الآخر فى حال أوعقد ، هكذا حدّ الرُّمّانى ، وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره ، ثم إن الرمانى بعد حدّه قال : والتشبيه تشبيهان : تشبيه شيئين مُتّفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر ، كقولك : ماءُ النيل مثل ماء الفرات ، وتشبيه العرض بالعرض كقولك : حمرة الخد كحمرة الورد ، وتشبيه الجسم بالجسم كقولك : الزَّبَرْجد مثل الزُّمُرّد ، وتشبيه شيئين مختلفين بالذات يجمعهما معنى مشترك بينهما : كقولك ، حاتم كالغمام ، وعنترة كالضرغام ، والتشبيه المتفق تشبيه حقيقة ، والتشبيه المختلف تشبيه مجاز للمبالغة .

وحد التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف ، ووقوع حسن البيان فيه على وجوه ، منها :

إخراج مالا تقع عليه الحاسّة[1] كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ

---

* بحثه فى الكتاب ١ : ١٢١ ، وقواعد الشعر : ١٣١ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٩ ، وبديع ابن المعتز : ١٢١ ، ونقد الشعر ، ٣٦ ، والعمدة : ١ : ١٩٤ ، والوساطة : ٤١ ، والنكت فى اعجاز القرآن : ٧٤ ، والصناعتين : ٢٣٩ ، وسر الفصاحة : ٢٣٥ ، واسرار البلاغة : ٥٢ ، التبيان للزملكانى : ٧٠ ، وروضة الفصاحة : ١٠ ، والمفتاح ١٨٧ ، والمثل السائر : ٢٣٢ ، والايضاح ٤ : ٩٣١ ، وخزانة ابن حجة ١٧٣ ، ونهاية الأرب ، ٧ : ٣٨ ، وحسن التوسل : ١٣ ، وقد الف فيه الاستاذ على الجندى كتابا خاصا تحت اسم فن التشبيه .

(١) زاد فى ا وت بعد هذه الكلمة قوله : « الى ما تقع عليه الحاسة » وبه يتضح الكلام .

شَيْئًا)(١) فهذا بيان إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا فى بطلان التوهّم مع شدّة الحاجة، ولو قيل: يحسبه الرائى ماءً لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظّمآن أشدّ حِرْصاً عليه، وأكثر تعلُّق قلب به، وتشبيه أعمال الكفار بالسَّراب من أحسن التشبيه، فكيف وقد تضمّن مع ذلك حسن النظم وعذوبةَ الألفاظ وصحّة الدلالة.

ومنها إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى: (وإذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)(٢) وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، وقد اجتمعا فى معنى الارتفاع فى الصورة.

ومنها إخراج ما لا يُعْلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، كقوله تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والْأَرْضِ)(٣) وهذا بيان قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا فى العظم وحصل من ذلك الوصف التشويق إلى الجنّة بحسن الصفة وإفراط السّعة.

ومنها إخراج ما لا قوّة له فى الصفة إلى ما له قوّة فى الصفة، كقوله تعالى: (وَلَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)(٤) وهذا بيان قد أخرج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فى الصفة، وقد اجتمعا فى العِظَم إلا أن الجبال أعظم، وفى ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخّر الله من الفُلك الجارية على الماء مع عظمها ولطفه، وما فى ذلك من الانتفاع بحملها الأثقال، وقطعها الأقطار البعيدة فى المسافة القريبة.

---

(١) النور: ٣٩
(٢) الاعراف: ١٧١
(٣) الحديد: ٢١.
(٤) الرحمن: ٢٤.

ومنها إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار كقوله تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بالله والْيَومِ الْآخِرِ)[١] وهذا إنكار على من جعل حُرْمَةَ الجماد كحرمةِ من آمن بالله ،وفى ذلك أوفى دلالة على تَعْظيم حالِ المؤمن بالإيمان ، وأنه لا يساوَى به مخلوق ليس على صفته بالقياس .

واعلم أن الشىء لا يشبَّه بنفسه ولا بغيره من كل وجه ، فإن الشيئين إذا تشابها من جميع الجهات اتّحَدا ، ولا يشبَّه الشَّىء بما هو دونه فى الصفة الجامعة بينهما .

والتشبيه الصناعى على ضربين : تشبيه بأداة ، وتشبيه بغير أداة وفائدته[٢] قرب المشبَّه من المشبَّه به .

وأدوات التشبيه خمسة : الكاف ، وكأن ، وشبه ، ومثل ، والمصدر ، بتقدير الأداة . (وفى المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة فيه كقول الشاعر (بسيط) :

* فإنَّما هىَ إقبالٌ وإدبارُ[٣] . *

أى ذات إقبال وذات إدبار .

وفى التشبيه نوع آخر لا بد من تقدير الأداة فيه كقوله تعالى : (وأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُم)[٤] وهو من غير القسمين أعنى قسمى المصادر) فالذى بالأداة قوله تعالى: (مَثَلُ نُورِه كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)[٥] وكقول امرئ القيس (طويل)[٦] :

(١) التوبة ١٩
(٢) زاد فى ا و ت بعد هذه الكلمة قوله : « التشبيه بغير اداة قرب الخ .
(٣) هذا عجز بيت للخنساء ، صدره : * ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * ....
(٤) الاحزاب : ٦ (٥)النور : ٣٥
(٦) ديوانه : ٢٣ والطراز ١ : ٢٨٩ والمهفهفة : الضامرة اللحم . والمفاضة : الضخمة البطن ، والسجنجل : المرآة بالرومية .

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ ترائبها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

والذى بغير أداة كقوله سبحانه : (وَهِيَ تَمُرُّ مرَّ السَّحَابِ)[1] وكقول حسّان[2] (كامل) :

بزُجاجة رقصتْ بما فى قَعْرِهَا رقْصَ القَلُوص براكبٍ مُسْتَعْجِلِ

وكل ضرب من هذين الضربين مقسّم تسعة أقسام : وهذه الأقسام على ضربين أيضا : ضرب متّحد ، وضرب متعدّد ، فالمتحد ينقسم وفق عدد أدوات التشبيه الخمس من تشبيه شَيْء بِشيء ، إلى تشبيه شيء بخمسة أشياء . والمتعدِّد أربعة أقسام : من تشبيه شيئين بشيئين ، إلى تشبيه خمسة بخمسة ؛ فشاهد تشبيه شيء بشيء قول امرئ القيس (طويل)[3] :

وجيدٍ كجيد الرِّئْمِ ليس بفاحش إذا هى نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

وشاهد تشبيه شيء واحد بشَيئين قوله أيضاً (طويل)[4] :

وَتعْطُو برَخْصٍ غيرَ شَثْنٍ كأنّه أساريعُ رملٍ أو مساويكُ إسْحِلِ

وشاهد تشبيه شيء واحد بثلاثة أشياء قول البحترى[5] (سريع) :

كأنّما يَبْسِمُ عن لؤلؤٍ منضَّد أو بَرَدٍ أو أقاحْ

---

(١) النمل : ٨٨

(٢) ديوانه : ٢١٢ ، وبديع ابن المعتز : ١٢٨ ورقصت الزجاجة : اذا اضطرب وجاش ما فى قعرها من النبيذ ، والقلوص : الفتية من الابل .

(٣) ديوانه : ٢٥ والجيد : العنق . والرئم : الظبى . ونصته : رفعته . والمعطل : الخالى من الحلى .

(٤) ديوانه : ٢٦ ، ونقد الشعر : ٢٩ ، والعمدة : ٢٠٤١ ، والطراز ١ : ٢٨٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٤٥ والرخص : البنان . وغير شثن : اى غير غليظ جاف وفى الديوان « أساريع ظبى » وهو اسم رمل ، وأساريعه : دواب تكون فيه بيض ، فشبه بها أصابعها فى لينها ونعومتها وبياضهـا ، أو بالأسحل : وهو شجر غصون يستاك بها .

(٥) ديوانه ١ : ١١٢ ، وحماسة ان الشجرى : ١٩١، والعمدة ١:١٩٨ وأمالى المرتضى ٢ : ١٧٩ ونهاية الأرب ٧: ٤٥ .

وتشبيه شيء واحد بأربعة أشياء قول امرئ القيس (متقارب) :

كأنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغمامِ ... وريحَ الخُزَامى ونَشْرَ القُطُرْ[1]

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا غرّد الطائر المستحِرْ

وتشبيه شيء واحد بخمسة أشياء مثل قول الحريرى[2] (بسيط) :

يفترُّ عن لؤلؤٍ رطْب وعن بَرَد ... وعن أقاحٍ[3] وعن طلْعٍ وعن حَبَبِ

وأما تشبيه شيئين بشيئين من المتعدّد فكقول امرئ القيس[4] (طويل) :

كأنَّ قلوبَ الطير رطْباً ويابساً ... لدَى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

وتشبيه ثلاثة بثلاثة قول ابن المعلّى[5] (مجتثّ) :

ليلٌ وبدرٌ وغُصنٌ ... شَعْرٌ ووجهٌ وقدٌّ

خمرٌ ودرٌّ وَوَرْدٌ ... رِيقٌ وثغرٌ وخَدٌّ

وتشبيه أربعة بأربعة قول امرئ القيس[6] (طويل) :

---

(1) ديوانه : ٧ واللسان مادة قطر والعمدة ٢ : ٤٤ وحماسة ابن الشجرى : ١٩٢ والمدام : الخمر . وصوب الغمام : وقع السحاب . والخزامى نبت صحراوى . والقطر بضم فسكون وبضمتين : العود الذى يتبخر به . ويعل : يسقى مرة بعد مرة . ورواية الديوان « طرب » مكان « غرد » ، والطائر المستحر : المصوت بالسحر .

(2) نهاية الارب ٧ : ٤٥

(3) الأقاح : جمع اقحوان ، والاقحوان : نبت طيب الرائحة حواليه ورق ابيض وتشبه به الاسنان . والحبب بالتحريك : فقاقيع الخمر .

(4) ديوانه : ٥٤ ، والعمدة ١ : ١٩٧ ، واسرار البلاغة : ١٦٨ ، وعيار الشعر : ١٨ ، والتشبيهات لابن عون : ٢ ، والعناب : شجر معروف ، والحشف البالى : ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى .

(5) كذا فى الاصول . واوردهما العمدة ١ ١٩٩ واماليالمرتضى ٢ : ١٣٠ منسوبين لابن المعتز

(6) ديوانه : ٣٠ ونقد الشعر : ٣٨ والعمدة ١ : ١٩٨ وحماسة ابن الشجرى : ٢٣١ ويريد بايطلا الظبى : خاصرتيه ، وواحدها ايطل ، وخص الظبى لأنه ضامر ، وخص النعامة لانها طويلة الساقين صلبتهما . والارخاء : ضرب من الجرى . والسرحان : الذئب . والتقريب : ضرب من العدو . والتتفل : ولد الثعلب .

له أيطلَا ظبْيٍ وساقًا نعامة وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتقريب تتفل

ولقد غيّر أبو نواس فى وجهه حيث قال (سريع):

تبكى فتُذرى الطلَّ من نرجسٍ وتَمْسَح الوردَ بعُنّاب[1]

فإن بيته أخصر وزناً وأبهر حسناً وأقصر معنى.

وشاهد خمسة بخمسة قول أبى الفرج الوأواء[2] (بسيط):

فأمطرتْ لؤْلؤًا من نرجس فَسَقَتْ وردا وعضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

وعندى أن بيت الوأواء هو عين بيت أبى نواس، وإنما حصلت فيه زيادة التشبيه لاتساعِ وزنه، فثبت الفضل لبيت أبى نواس بالسبق إلى نفس المعنى ونفس التشبيه.

واعلم أن زيادةَ التشبيه بما زاد فى بيت أبى الفرج الوأواء عن اللفظ لاتساع الوزن.

(ومن[3] التشبيه نوعان آخران أحدهما تكون أدواته أفعال الظن واليقين كقولك: حسبت زيدًا فى جرأته الأسدَ، وعمرًا فى جودِه الغَمامَ والجاريةُ فى حسنها القَمر، فحاصل ذلك تشبيه الجرىء بالأسد، والجواد بالغمام. والجارية بالقمر، ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ[4]) حاصل ذلك تشبيه أهل الكهف فى حال نومهم بحال الأيقاظ، ومن ذلك فى الشعر قول شاعر الحماسة (طويل):

---

(١) ديوانه: ٣٦١ طبع مصر سنة ١٨٩٨ والعمدة ١: ٢٠٠ والصناعتين: ٢٠١، وبديع ابن المعتز: ١٣١

(٢) ديوانه: ٤٧ طبع ليدن والعمدة ١: ٢٦٣ والصناعتين: ٢٠١ و ٢٥١ غير منسوب للواواء، وامالى المرتضى ٢: ١٣٠ ونهاية الأرب ٧: ٤٦

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، وهو فى هامش ا.

(٤) الكهف: ١٨

* وكنّا حَسبْنَا كلَّ بيضاء شحمة *

وذلك أنه لما كانت الشحمة بيضاء شبّهوا كل بيضاء بها ، وأخرج ذلك مخرج المثل .

والنوع الآخر من التشبيه هو الذى يسمّى تشبيه التوليد والتمثيل كقول الكميت (بسيط) :

أَحلامُكُمْ لسَقَامِ الجَهْلِ شافيةٌ   كما دماؤُكمُ يُشفَى بها الكَلَبُ[1]

(١) هو فى اللسان والتاج مادة « كلب » ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٨ والكلب بالتحريك : داء يصيب الانسان من عض الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض احدا الا كلب .

باب عتاب المرء نفسه *

وهو من إفراد ابن المعتز ، ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدىّ أنشدهما له عن الجاحظ (طويل) :

عصانى قومى فى[1] الرشاد الذى به ... أمرتُ ومن يعص المجرَّبَ يَنْدمِ

فصبرا بنى بكر على الموت إننى ... أرى عَارِضاً ينْهَلُّ بالمَوت والدَّمِ

وما أرى فى هذين البيتين من عتاب المرء نفسه إلا ما يتحيَّل به لمعناهما ، فيُقدَّر أن هَذا الشاعر لما أمر بالرشد وبذل النصح ولم يُطَع ندم على بذل النصيحة لغير أهلها ، ومَلْزوم ذلك عتابه لنفسه فيكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام لا دلالة مطابقة ولا تضمين .

ومثل هذين البيتين قول دريد بن الصِّمّة[2] (طويل) :

نصحتُ لعرَّاض وأصحابِ عارض ... ورَهْط بنى السَّوْداء والقومُ شهَّدى

وقلتُ لهم : ظنُّوا بألْفَى مُدَجَّج ... سَراتُهم فى الفارِسىِّ المسرَّدِ

× تكلم عنه ابن ابى الاصبع على انه من افراد ابن المعتز ومثل له ببيتين لم يرض عنهما لأنهما لا يصلحان شاهدا لهذا النوع ، ثم اتى بامثلة من عنده تصلح لعتاب المرء نفسه ، والحقيقة ان ابن ابى الاصبع فهم ان البيتين لا يصلحان مثالا لهذا الباب ؛ وفاته ان الباب بأكمله مدخول على ابن المعتز ، وهو من جديده وانما تكلم ابن المعتز عن «اعنات المرء نفسه» الذى يعرف «بلزوم ما لايلزم» والتصحيف قريب بين اعنات وعتاب ، وليت الأمر وقف عند ابن ابى الاصبع بل ما وقع فيه هو وقع فيه كذلك جميع اصحاب البديعات بعده ؛ راجع خزانة ابن حجة : ١٤٤ ونهاية الارب : ٧ : ١١٣ ، ١٢٥ .

(١) فى جميع الأصول وبديع ابن المعتز : ١٣٣ « والرشاد » وهو تحريف ، والصواب ما اثبتنا عن نهاية الأرب ٧ : ١٢٥ .

(٢) فى ا ، ت والحماسة ٢ : ١٥٦ « لعارض » وما اثبتناه عن الأصل . وعارض : اخو دريد =

فلما عصوْنى كنت منهم وقد أرَى   غَوايتَهُمْ وأنَّنى غيرُ مُهْتَدِ
وما أنا إلا من غَزِيَّة إن غوت   غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غزيّة أرشدِ
أمرتهمُ أمرى بمنْعَرَج اللِّوى   فلم يَسْتَبِينُوا النصحَ إلّا ضُحى الغدِ

ولا يصلح أن يكون شاهد هذا الباب إلا قول شاعر الحماسة[1] (طويل) :

أقول لنفسى فى الخلاءِ ألومُها   لكِ الويلُ ما هذا التجلُّد والصبْرُ

(وكقول[2] ابن السلمانى من شعراء الحماسة[3]) (طويل) :

لعمرُك إنِّى يوم سَلْع لَلائمٌ   لنَفْسى ولكن ما يَرُدّ التلوُّمُ
أأمكنتُ من نفسى عَدوِّىَ ضَلّةً   ألَهْفى على ما فات لو كنتُ أعلمُ

وقد جاء من هذا الباب فى كتاب الله قوله سبحانه وتعالى :(يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ)[4] والله أعلم .

= وكان له ثلاثة اسماء : عارض ، وعبد الله ، وخالد ، وظنوا : ايقنوا ، والمدجج : التام السلاح المستور به تشبيها بالدجنة وهى الظلمة التى تستر كل شىء ، والمسرد : اللابس السرد المتتابع الحلقات ، وغزية : رهط دريد ، ومنعرج اللوى : تحديد وتوقيت .

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٢٥ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى ها مش ا .

(٣) الحماسة ٢ : ١٣٥ ، وسلع مكان ، واضاف اليوم اليه للتعريف . والتلوم : تكلف اللوم : ضلة : ضلالا وذهابا عن المقصود .

(٤) الزمر : ٥٦ .

باب حسن الابتداءات

هذه تسمية ابن المعتزّ ، وأراد بها ابتداءات القصائد ، وقد فرّع المتأخّرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، وخصّوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وإن وقع فى أثناء القصيدة.

وقد رُوِى أن أحسن ابتداءٍ ابتدأ به مولّد قصيدةً قول اسحاق بن ابراهيم الموصلىّ ، حيث يقول (خفيف) :

هل إلى أن تنامَ عينى سبيلُ   إنَّ عهدِى بالنوم عهدٌ طويلُ[1]

ومن إنشادات ابن المعتز فى هذا الباب قول النابغة الذّبيانى (طويل) :

كِلِينى لهمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ   وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكب[2]

ولعمرى لقد أحسن ابن المعتز الاختيار ، فإنى أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس فى معلّقته حيث قال[3] (طويل) :

---

x بحثه فى البيان والتبيين ١ : ١١٢ وبديع ابن المعتز : ١٣٣ ، والوساطة تحت اسم الاستهلال ٤٨ والتبيان للزملكانى : ١٣٤ وبديع ابن منقذ تحت اسم المبادىء والمطالع : ١٣٤ وروضة الفصاحة تحت اسم حسن المطلع ٤٤ ، والطراز تحت اسم المبادىء والافتتاحات ٢ : ٢٦٦ ، وخزانة ابن حجة تحت اسم براعة الاستهلال : ٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٣٣ ، وحسن التوسل : ٦٥ واللمعة فى صنعة الشعر تحت اسم براعة الاستهلال ٨ :

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٣٤

(٢) ديوانه : ٢ ، وبديع ابن المعتز : ١٣٣ ، و الصناعتين : ٤٣٣ ، والاصمعى حياته وآثاره للدكتور عبد الجبار الجومرت : ٢٥٧ ، والموشح : ٣١ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٣٤ .

(٣) ديوانه : ١٤ ونقد الشعر ١٤ ، وسر الفصاحة : ٣٣٨ ، والجامع الكبير : ٢٥٥ ، والطراز : ٣ : ٣٤

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْط اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ

فرأى أن ابتداء امرئ القيس على تقدّمه وكثرة معانى ابتداءاته متفاوت القسمين جدًّا، لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكثرة المعانى بالنسبة إلى العجز ما لم يجمع العجز، فإن ألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر، والعجز أقل معان من الصدر بخلاف بيت النابغة، فإنه لا تفاوت بين قسميه البتّة، فبيت امرئ القيس وإن كان أكثر معان من بيت النابغة، فبيت النابغة أفضل، من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسميه، ومثل بيت النابغة قول زهير[1] (طويل):

صَحا القلبُ عن سَلْمَى وأقصَرَ باطلُه ... وعُرِّىَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ

فإن قِسْمى هذا البيت متلائمان، فإن لفظ كل واحد منهما متوسط بين الغرابة والابتذال، وفى كل قسم منهما استعارتان، فقد تساويا فى اللفظ والمعنى كبيت النابغة، وهذا من قول امرئ القيس[2] (طويل):

خليلىَّ مُرّا بى على أمّ جُنْدُبِ ... نُقَضِّى لُباناتِ الفؤاد المعذَّبِ

(وإنما عظّم[3] ابتداء معلّقة امرئ القيس فى النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت، فإنه يشغل الفكر بحسنه عن النظر فى ملاءمة عجزه أو عدم ملاءمته، وهو الذى قيل عند سماعه للمنشد: حسبك، فإن قائل هذا الكلام أشعر الناس، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت ولم يستنشد العجز منه شُغْلاً بحسن

---

(١) ديوانه: ١٢٤، وبديع ابن المعتز: ٢٦، ونقد الشعر: ٦٧، والوساطة ٢١٣، والصناعتين: ٢٨٢ والمعنى: انكشف عن القلب ما كان به من سكر باطل وترك الصبا.

(٢) ديوانه: ٥٦، وسر الفصاحة: ١٠١ وحماسة ابن الشجرى: ١٩٤.

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت، وهو فى هامش أ

الصدر عنه ، وإذا تأمل الناظر فى نقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين ، فعلم جملةً أن الابتداء غير موصوف بحسن الابتداء ، إذ حُسن الابتداء عبارة عن ملاءمة القسمين) .

ومن جيّد ابتداءات المولّدين قول أبى نواس – وهو فى غاية الحسن – (طويل) :

خليلىَّ هذا موقفٌ من متيَّمٍ فعُوجَا قليلًا وانْظُرَاه يُسَلِّمِ[1]

وقوله (طويل) :

لمن دِمَنٌ تَزْدادُ حسنَ رُسُومِ على طُولِ ما أقوتْ وطيبَ نسيمِ[2]

ومن إنشادات ابن المعتزّ لأبى تمّام (بسيط) :

يا بُعدَ غاية دَمْع العَيْن إذ بعدوا هى الصّبابةُ طولُ الدّهر والكمدُ[3]

وإذا وصلت إلى قول البحترى (طويل) :

بودّى لو يَهْوى العذولُ ويعْشَق ليعلم أسبابَ الهَوى كيف تَعْلَقُ[4]

وصلت إلى الغاية التى لا تدرك ، (وما[5] سمع أشدّ مباينة كبيت جميل وهو قوله (طويل) :

ألا أيُّها النُّوّام ويحكمُ هُبُّوا أُسائلكمْ هلْ يقتلُ الرّجلَ الحبُّ[5]؟

وهذا البيت الذى قال فيه الرشيد – إما للمفضّل الضّبى أو غيره – : هل تعرف

---

(١) هذا مطلع قصيده له بمدح بها ابراهيم بن عبيد الله . انظر دبوانه : ١٠٤ ، ومعاهد التنصبص ٤ : ٢٢٧ .

(٢) دبوانه : ٨٨ ، وهو مطلع قصيدة بمدح بها الفضل بن الربيع ، ومعاهد التنصيص ٤ : ٢٢٧ .

(٣) دبوانه : ٩٦ وروابه « والسهد » مكان « والكمد » .

(٤) دبوانه ٢ : ١٢٤ ، ومعاهد التنصبص ٤ : ١٢٤

(٤) انوار الربيع : ١٣ ومعاهد التنصيص ٤ : ٢٢٥ والأغانى ٤ : ١٤ طبع دار الكتب والخبر جمعه فيه .

بيتاً نصفه بدوىٌ فى ، شملة وباقيه مخنّث فى بذلة[1] فأنشده البيت فاستحسن ذكره) .

ولقد أحسن أبو الطيب ما شاءَ فى قوله (خفيف) :

تراها لكثرة العُشّاق تَحْسَبُ الدّمعَ خلْقةً فى المآقى[2]

لو لم يكدر صفوه ويقبح حسنه بقوله :

كيفَ تَرْثى الّتى برى كُلَّ جَفْنٍ رَاءَهَا غيرَ جَفْنِها غَيْرَ رَاقى[3]

وأكثر ابتداءات أبى العلاء المعَرّى تأتى على سنن الصواب ، كقوله : (بسيط) :

يا ساهرَ البَرْق أيْقِظْ راقدَ السَّمَرِ لعلَّ بالجِزْعِ أعْوانا على السَّهرِ[4]

وكقوله (طويل) :

طَربْن لضوءِ البارِقِ المُتعالى ببغدادَ وَهْنا ما لهنَّ ومَالِى[5]

وقوله (طويل) :

مغانى اللِّوى من شخصكِ اليومَ أطلالُ وفى النَّوم مغنىً من خيالِكِ مِحْلالُ[6]

وكقوله (خفيف) :

غير مُجْدٍ فى مِلَّتى واعتقادى نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادِ

---

(١) البذلة : الابتذال .
(٢) ديوانه ١ : ٤٦٤ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٣٤ ، وانوار الربيع : ٥ ، ومعاهد التنصيص ٤ : ٢٢٧ .
(٣) راءها : اصلها رآها قدم الألف واخر الهمزة ، وراقى : من رقأ الدمع اذا انقطع .
(٤) شروح سقط الزند القسم الأول من السفر الثانى : ١١٤ ومعاهد التنصيص ٤ : ٢٢٨ .
(٥) شروح سقط الزند القسم الثالث من السفر الثانى ٢ : ٥٢٢ .
(٦) شروح سقط الزند القسم الثالث من السفر الثانى ١٢١ .

فهذه أمثلة ابتداءات القصائد .

وأما أمثلة براعة الاستهلال فمنها قول محمد بن الخياط (١) (طويل) :

لَمَستُ بكفِّى كفَّه أَبتغى الغِنى ولم أَدرِ أَنَّ الجودَ من كفِّه يُعدِى
فلا أَنا منه ما أَفادَ ذَوُو الغِنى أَفدتُ وأَعدانى فأَنفدْتُ ما عِندى

ولقد أحسن البحترىُّ اتباعه فى هذا المعنى حيث قال (كامل) :

أَعدتْ يداهُ يَدِى وشرَّدَ جودُه بُخلِى فأَفقرنى كما أَغْنانِى (٢)
وَوَثِقْتُ بالخُلُق الجميل معجِّلا منه فأَعطيت الَّذى أَعطانِى

وإذا نظرتَ إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن فى الفصاحة ما لا تَقدر العبارة على حَصْر معناه ، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابى المنعوت بالخواطر السوانح فى كشف أسرار الفواتح (٣) والله أعلم .

(١) الصناعتين : ٢٠٠ وأمالى المرتضى ١ : ٥٢٢
(٢) ديوانه ٢ : ٧٢٢ وروايته « ملأت » بدل « أعدت » وما هنا اعم مدحا وفخرا .
(٣) طبع بتحقيقنا سنة ١٩٦١ م .

باب صحة الأقسام *

وهذا أول أبواب قدامة

وصحة الأَقسام عبارة عن استيفاء المتكلِّم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ، بحيث لا يغادر منه شيئاً ، ومثال ذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وطَمعاً)(1) وليس فى روُية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطَّمع فى الأَمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين .

ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع ، إذ كانت الصواعق تقع من أوّل برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد توافر البرقات ، فإن تواترها لا يكاد يُكذِّبُ ولهذا كانت العرب تَعدّ سبعين برقة وتنْتجع ، فلا تخطىءُ الغيث والكلأَ ، وإلى هذا أشار المتنبِّى بقوله (وافر) :

وقد أَرِدُ المياه بغير هادِ ... سِوَى عدِّى لها برقَ الغمامِ(2)

فلما كان الأَمر المَخوفُ من البرق يقع من أول برقة ، أَتى ذكر الخوف

× بحثه فى البيان والتبيين ١ : ٢٢٨ ، ونقد الشعر : ٤٦ ، وجواهرالالفاظ : ٦ والصناعتين: ٣٤١ وسر الفصاحة ٢٢٤ ودلائل الاعجاز : ٨٤ و بديع ابن منقذ : ٣١ والمفتاح : ٢٢٥ والمثل السائر تحت اسم التناسب بين المعانى : ٢٧٩ والايضاح ٦ : ٤٧ وخزانة ابن حجة : ٣٦٢ ونهاية الارب ٧ : ١٣٦ وحسن التوسل : ٦٧ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٠٦ وانوار الربيع : ٦٨٣ واللمعة ٤ .

(1) الرعد : ١٢ .

(2) ديوانه ١ : ٣٧٢ وروايته « فقد » بدل « وقد » .

فى الآية الكريمة مقدماً أولا ، ولما كان الأمر المطمع إنما يقع من البرق ناسخاً للخوف ، لمجىء الفرج بعد الشدّة ، والميسرة بعد الأمر المخوف ، أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانياً ، وليكون الطمع بعد الحزن رحمة من الله - سبحانه - وتعالى بخلقه ، وبشرى بحسن العاقبة لعباده ، (وقد أتى[1] ابنُ رشيق بهذه الآية من شواهد التفسير ، لَمَّا كان قوله سبحانه خوفاً وطمعاً كان مفسراً رؤْية البرق ، وهو قريب) .

ومما جاءت صحة الأقسام فيه مدمجة فى المقابلة من الكتاب العزيز قوله سبحانه : (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فى السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)[2] وقد اعترضت المطابقة بين القسمين المتقابلين واستوعبت أقسام الأوقات من طرفى كل يوم ووسطه .

ومن بديع صحّة التقسيم قول علىّ - عليه السلام - : «أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره » فإنه استوعب أقسام الدرجات العليا والسفلى والوسطى ، وأقسام أحوال الإنسان وبيّن الفضل والنقص والكفاف وأتى فى ضمن ذلك الطِّباق بين الغنى والحاجة والمناسبة فى «أميره » و «نظيره » و «أسيره » .

ومثال صحة الأقسام من الكتاب العزيز أيضاً قوله : «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِم[3] » فلم يترك سبحانه قسماً من أقسام

(١) اللمعة ٣١٢ - وما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(٢) الروم ١٧ ، ١٨ .
(٣) آل عمران : ١٩١ .

الهيئات حتى أتى به ، (ومثل[1] هذه الآية آية يونس وهي قوله تعالى (وَإِذَا مسّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا نَا لِجَنْبِه أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا)[2] لكن وقعت بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها البلاغة ، فتضمّن الكلام بها الائتلاف ، وذلك أن الذكر يجب فيه تقديم القيام لأن المراد به الصلاة والله أعلم. والقيام واجب فيها للمستطيع ، والقعود بعده عند العجز عن القيام ، والاضطجاع عند العجز عن القعود ، والضرّ يجب فيه تقديم الإضطجاع ، وإذا زال بعض الضرّ قعد المضطجع ، وإذا زال كلُّ الضرّ قام القاعد فدعا لِتتِم الصحّة وتكمل القوة ، ويحصل التصرّف. فإن قلت : هذا التأويل لا يتّم إلا إذا كانت الواو هي العاطفة فلم عدل عنها وبها يحصل في الكلام حسن النسق وائتلاف الألفاظ مع المعاني إلى أو التي يسقط معها ذلك ؟ قلت : تأثير الضرّ على أقسام : فإن من الضرّ ما يَصْرعُ المضرور عند وروده ، ومنه ما يُقْعِدُه ، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم ولا يبلغ به شيئاً من هذه الحالات ، والدُّعاءُ عند أول مسّ الضرّ ، فإن الضرّ والجزع عند الصدمة الأُولى ، فوجب العدول عن الواو لأَوْ لِتَوَخّي الصِّدق في الخبر ، والكلام على ذلك موصوف بالائتلاف وبحسن النسق ، والخبر بذلك التأويل الأوّل عن شخص واحد ، وبالتأويل الثاني عن أشخاص ، فغلبت الكثرة ، فوجب الإتيان بأو ، وابتدئ بالشخص الذي يصرعه ، لأَن ضرّهُ أَشدّ ، فهو أكثر تضرّعاً فوجب تقديم ذكره لأَن تقديمَه الأهم ، وإذا تقدّم ذكر المضطجع أوجب حسن الترتيب أن يليه ذكر القاعد وأن يَلِيَ ذكرَ القاعد ذكرُ القائم ،

(١) ما بين قوسين ساقط من ت وهو في ها مش ١ .
(٢) يونس : ١٢ .

فحصل حسن الترتيب، وائتلاف الألفاظ بمعانيها، وترجّح مجيء أو على مجيء الواو، ولما تدلّ عليه من تعدّد المضطرين دون الواو.

(وكقوله : (يَهَبُ لِمنْ يَشَاءُ إنَاثًا وَيَهَبُ لمَنْ يشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا)[1] لأنّه سبحانه إما أن يفرد العبد : بهبة الإناثَ أو بهبة الذكور أو يجمعهما له، أو لا يهبه شيئاً، ووقعت صحة الأقسام فى هذه الآية على ترتيب البلاغة، وهو الانتقال من الأدنى إلى الأعلى فقدم هبة الإناث لينتقل منهاإلى أعلى منها، وهى هبة الذكور، ثم انتقل إلى أعلى منها وهى هبة الإناث والذكور، فجاءت كل أقسام العطية بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخر لأن افضاله على عباده أهمّ من حرمانه إياهم، وتقديم الأهم أولى ، وقال فى معنى الحرمان : ويجعل عادلا عن لفظ الهبة لتأتى الألفاظ ملائمة للمعانى قياساً على قوله تعالى : (أفرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)[2] وهكذا الاعتداد بالماء والنار، فأتى لفظ العطاء بلفظ الزرع، ومعنى الحرمان بلفظ الجعل.

وفى السّنّة من صحة الأقسام قول رسول الله – عليه الصلاة والسلام – : « ليس لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لَبسْتَ فأَبْلَيتَ، أو تصدقت فأمضيت »[3] ولا رابع لهذه الأقسام.

ووقف أعرابىّ على حلقة الحسن البصرى فقال : رحم الله من تصدّقَ من فضل، أو واسَى من كَفاف، أو آثر من قوت : فقال الحسن : ما ترك الأعرابىّ منكم أحدا حتى عمّه بالمسئلة.

---

(١) الشورى : ٤٩، ٥٠.
(٢) الواقعة : ٦٣ – ٦٥.
(٣) مسلم : ٢ : ٣٨.

ومن أمثلة هذا الباب الشّعرية قول نُصيْب (طويل) :

فقال فريقُ القومِ لا وفريقُهم نَعمْ وفريقٌ لَيْمُنُ اللهِ ما نَدْرى[1]

فليس فى أقسام الإجابة غير ما ذكر .

وقال بشار (طويل) :

فراحَ فريقٌ فى الإسار ، ومِثْلُه قتيلٌ ، ومِثْلٌ لا ذَبالبحر هاربُهْ[2]

وأوجزُ من هذا فى معناه قول عمرو بن الأهْتَم (خفيف) :

اشْربا ما شرِبْتُما فهُذَيْلٌ من قَتِيلٍ وهاربٍ وأسيرِ[3]

ومن جيّد صحّة الأقسام قول شاعر الحماسة[4] (طويل) :

وَهَبْها كشئٍ لم يكنْ أو كنازِحٍ به الدّارُ أو من غيَّبتْه المقابِرُ

فلم يبق فى تقسيم المعدوم شيئاً حق ذكره ، لأن الشئ إما مقدرًا لم يوجد ، أو قد وُجد وعُدم إما بالنّزوح أو بالفناء ، وكقول أبى تمام فى الأفْشِين وقد أحرق (كامل) :

صلَّى لها حيًّا وكان وقودَها مَيْتاً ، ويدخُلُها مع الفجّارِ[5]

والبارع فى هذا الباب قول عمرو بن كلثوم (وافر) :

نُطاعنُ ما تَراخَى الصفُّ عنَّا ونَضْربُ بالسّيوفِ إذا غُشِينا[6]

---

(١) نقد الشعر : ٤٦ والعمدة ٢ : ١٩ والصناعتين : ٣٤١ والطراز ٣ : ١٨٠ واللمعة فى صنعة الشعر ٤ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٢٠ والعمدة ٢ : ١٨ ، نهاية الارب ٧ : ١٣٩

(٣) العمدة ٢ : ١٩ ونهاية الارب ٧ : ١٣٧

(٤) هو عمر بن ابى ربيعة ، ديوانه : ٧ والعمدة ٢ : ١٩ والطراز ٣ : ١٠٨ ونهاية الارب ٧ : ١٣٧ .

(٥) ديوانه : ١٥٣ والايضاح ٦ : ٥٤ والافشين : قائد تركى كان يدين بالمجوسية وعبادة النار فغضب عليه المعتصم الخليفة العباسى وقتله حرقا بالنار .

(٦) معلقته : ٧٦ من جمهرة أشعار العرب ط بولاق ، وغشينا : دنا بعضنا من بعض .

وأحسب أن أول من نطق بصحة التقسيم زهير حيث قال[1] (طويل) :

وَأَعْلَمُ ما فى اليَوْمِ والأمسِ قبلَهُ ⁂ ولكنَّنى عن علمِ ما فى غَدٍ عَمِى

ونقل أبو نُواس هذا المعنى من الجِدّ إلى الهزل ، فقال فى الحضّ على الشرب[2] (منسرح) :

أمرُ غَدٍ أنتَ مِنْه فى لَبْس ⁂ وأمسٍ قد مرّ فاسْلُ عن أمسِ

وإنمَا الشأنُ شأنُ يومِك ذَا ⁂ فبَاكِرِ الشّمسَ بابنةِ الشّمسِ .

(وكنتُ[3] أظن أن زهيرًا هو المبتدئُ بصحة التقسيم حتى عَثرت على قول امرئ القيس (طويل) :

وليس بذِى رُمْح فيطْعُنُنى به ⁂ وليس بذى سيْف وليس بنبَّال[4]

فاستوعب آلات القتال ، ورتّبها فى البيت على ما يكون عليه فى الحرب من الأفضل فالأفضل . فَتَمَّتْ صحّة التقسيم بجميع شروطها كما ترى ، وما ألطف قول بعض المغاربة (خفيف) :

شُغِل الدّهر عن لقاءِ حبيب ⁂ ليتَ شَعْرِى مَتى ؟ وكيف ؟ وأينا ؟

فاستوعب أقسام الظروف الزمانية والمكانية . وكيف التى يُسأل بها عن الأحوال).

والنادر فى صحة الأقسام قول عمر بن أبى ربيعة[5] (طويل) :

تَهيم إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْل جامعٌ ⁂ ولاالحَبلُ موصولٌ ولا أنتَ مُقْصِرُ

ولا قربُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لك نافعٌ ⁂ ولا بعدُها يُسْلى ولا أنت تصْبِرُ

---

(1) دبوانه : ٢٩ وعيار الشعر : ١٤٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٢٨ .

(2) تقريب المعاهد فى شرح الشواهد ٣٥٣ .

(3) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى ها مش ا .

(4) دبوانه : ٣٣ .

(5) ديوانه : ٢ وروايته فيه :

اهيم الى نعم فلا الشمل جامع ⁂ ولا الحبل موضول ولا القلب مقصر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ⁂ ولا نأيها يسلى ولا انت تصبر

والطراز ٣ : ١٠٦ ونهاية الارب ٧ : ١٣٧

باب صحة المقابلات *

صحة المقابلات عبارة عن توخّي المتكلّم ترتيبَ الكلام على ماينبغى ، فإذا أتى بأشياء فى صدر كلامه أتى بأضدادها فى عجزه على الترتيب ، بحيث يقابل الأول بالأول ، والثانى بالثانى لا يخرِم من ذلك شيئاً فى المخالف والموافق ، ومتى أخلّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد .

والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين :

أحدهما أن المقابلة لاتكون إلا بالجمع بين ضِدّين فذّين ، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد : ضدّان فى صدر الكلام ، وضدان فى عجزه ، وتبلغ إلى الجَمْع بين عشرة أضداد : خمسة فى الصدر ، وخمسة فى العجز . والثانى أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد .

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى : (ومِنْ رحْمَتِهِ جعلَ لَكُمْ اللَّيْلَ والنَّهَار لِتَسْكُنُوا فِيهِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فضْلِهِ)[1] فانظر إلى مَجِىء الليل والنهار فى صدر الكلام ، ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدّين ، وهما السكون والحركة على الترتيب ، ثم عبّر عن الحركة بلفظ الإرداف ، فاستلزم الكلام

---

* بحثه فى نقد الشعر : ٤٧ والصناعتين : ٤٤٧ وسر الفصاحة : ٢٤١ والايضاح ٦ : ١٦ ونهاية الارب ٧ : ١٠١ تحت اسم المقابلة ، والمثل السائر تحت اسم التناسب بين المعانى : ٢٧٩ والعمدة ٢ : ١٤ واللمعة فى صنعة الشعر تحت اسم المقابلة ٥ .

(١) القصص : ٧٣

ضرباً من المحاسن زائدًا على المقابلة ، وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاءُ الفضل حركة المصلحة دون المفسدة ، وهى تُشِير إلى الإعانة بالقوة ، وحسن الاختيار الدّال على رَجَاحةِ العقل وسلامة الحس ، وإضاءة الظرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليَهْتدِىَ المتحرّك إلى بلوغ المأْرب ، ويتّقى أسباب المهالك ، والآية سيقت للاعتداد بالنّعم ، فوجَبَ العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه ليتمّ حسن البيان ، فتضمّنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدّةً من المنافع والمصالح ، التى لو عُدّدتْ بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة . فحصل فى الكلام بهذا السّبب عدّةُ ضروب من المحاسن ، ألا تراه — سبحانه — جعل العلّة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان ، حيث قال : «لتسكنوا ولتبتغوا» بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلمات المقابلة ، والتعليل ، والإشارة ، والإرداف ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، وحسن البيان ، وحسن النسق ، فلذلك جاء الكلام متلائماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميعَ ما عدّده من النّعم بلفظه الخاص ، وما تضمّنته العبارة من النّعم التى تَلزم من لفظ الإرداف بعض رحمته ، حيث قال بحرف التبعيض : (ومن رحمته) وكلّ هذا فى بعض آية عدّتُها عشر كلمات[1] ، فالحظ هذه البلاغة الباهرة ، والفصاحة المتظاهرة .

---

(١) كذا فى جميع الأصول ، والذى فى « بديع القرآن » : ١٧٤ احدى عشرة لفظة وهو الأصح .

. (ومن أمثلة[1] صحة المقابلات قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« ما كان الرِّفق فى شىء إلا زَانه ، ولا الخُرْق فى شىء إلاَّ شانه »[2]
فقابل عليه السلام الرِّفق بالخُرق ، والزَّيْنَ بالشَّيْن بأَحسن ترتيب وأَتمّ
مناسبة بين الرفق والخرق ولفظَى شانه وزانه .

ومن أمثلة صحة المقابلات الشعرية قول القائل ـ أحسبه كُثَيِّرًا ـ
فى مقابلة الأَضداد من أَناشيد قدامة[3] (طويل) :

فواعَجَبا كَيْفَ اتفقْنا فَنَاصِحٌ   وَفِىٌّ ومَطْوِىٌّ على الغِلِّ غادِرُ

فإن هذا الشاعر لما قدَّم ذكر النصح والوفاء فى صدر البيت ، قابلهما بذكر
الغِل والغدر فى عجزه على الترتيب ، لأَن الغِلّ ضدّ النُّصْح ، والغَدْر ضدّ الوفاء .
وقد وقع فى مقابلة الأَضداد ما جمع بين ستة أَضداد وهو بيت أَنشده
أَبو دُلَامة للمنصور ، وقد سأَله عن أَشعر بيت فى المقابلة فأَنشده (بسيط) :

ما أَحسن الدِّينَ والدّنيا إذا اجْتَمَعَا   وأَقْبَحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجلِ[4] ،

فإن الشاعر قابل أَحسن بأَقبح ، والدِّين بالكفر ، والدنيا بالإفلاس ، فجمع
بيته مالم يجمعه بيت قيل قبله فى التقابل ، ولا خلاف فى أنه لم يقل قبله
مثله ، وأما بعده فقد غيَّر المتنبي فى وجوه الناس بقوله (بسيط)[5] :

أَزورهمْ وَسَوادُ اللَّيل يَشْفَعُ لى   وأَنْثنِى وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِى

فإنه جمع بين عَشْر مقابلات ، قابل أَزور بأَنْثنى ، وسوادًا ببياض ، والليل

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى ها مش ا .
(٢) الجامع الصغير ٢ : ٣٠٧ وروايته فيه ولا نزع من شىء الا شانه » .
(٣) الايضاح ٦ : ١٨ ونهاية الارب ٧ : ١٠٩ وأنوار الربيع ٩٥ والعمدة ٢ : ١٤ .
(٤) البيت فى معاهد التنصيص ٢ : ٢٠٧ و يعزى لابى دلامة .
(٥) ديوانه ١ : ١٠٤ ومعالم الكتابة : ٨٢ (والايضاح) ٦ : ٧١ وأنوار الربيع : ٩٦ .

بالصبح، ويشفع بيغرى، ولفظة لى بلفظة بى على الترتيب، ولا أعلم فى باب التقابل أفضل من هذا البيت لجمعه من المقابلات ما لم يجمعه بيت لشاعر قبله ولا بعده إلى يومنا هذا، مع ما فيه من تمكين قافيته، بخلاف البيت الذى أنشده أبو دلامة، فإن قافيتَه مُسْتدعاة لكون حسن الأشياء التى ذكرها، وقبحها لا يختصّ بالرجل دون المرأة، والمعنى قدتمّ بدون ذكر الرجل، ولو كان لما اضطر إلى القافية التى أفاد بها معنى زائدًا بحيث يقول: بالبَشَر لكان البيت نادرًا، (غير أن[1] المقابلة التى فى البيت الذى أنشده أبو دلامة أفضل من المقابلة التى فى بيت أبى الطيّب؛ لأن المقابلة التى فى البيت الأول بالأضداد. والتى فى بيت المُتَنبِّى بالأضْداد وبغير الأضداد، والمقابلة بالأضداد أفضل مراعاة للاشتقاق، لأن التقابل: التضاد والتناقض، فبيتُ المتنبى فُضِّل بالكثرة والبيت الأول أفضل بجودة المقابلة)، وقد أنشد بعض المؤلفين فى هذا الباب قول أبى نواس[2] (طويل):

أرَى الفضلَ للدّنيا وَلِلدّين جَامعاً ... كَمَا السَّهمُ فيه الفُوقُ والرِّيشُ والنَّصْلُ

وزعم أن هذا البيت فاسدُ المقابلة من جهة أنه قابلَ الدّنيا والدين اللذين هما طَرَفان بطرفَيْ السّهم. وهما الفُوقُ والنّصل، ونفى الريش لا مقابل له، وعندى أن البيتَ صَحِيحُ المقابلة، لأن أبا نواس قصدَ أن الممدوحَ جمع من الدين والدنيا ما يُنْتفع به، وما لا بد للعاقل المكلّف منه، وهما طرفا نقيض، كما جمع طرفا السّهم ما لا غِنى بالسّهم عنه، لأن الفوق

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى ها مش ا.

(2) ديوانه: ٨٨ والعمدة ٢: ١٧ والفوق موضع الوتر من السهم، والنصل: حديدة السهم، والريش: ما يوضع فى السهم.

موضع الوَتَر ، والرّيش الموصِّل ، والنّصل المُصمِي ، فشبه المليوح بالسهم الجامع لمصالح الطرفين ، ولما كان الرّيش والفُوق فى طرف واحد كانا معا مقابلين للنَّصل ، إذ هو فى الطرف الآخر ، ولم يضرّ تعدادهما ، وهو يريد الطرف الجامع لهما (على أن[1] الإخلال بصحّة التّقسيم فى ظاهر اللفظ لا يُفْسِد صحةَ المقابلة ، فرب كلام وقع فى ظاهر لفظه إخلال ببعض أقسامه ، لكون ذلك القسم لم يذكر فيه بالفعل ، وكان مذكورًا فيه بالقوة فى باطنه ، فجاء ظاهر لفظه يُوهِم الإخلال وهو بَرِىءٌ منه ، كما جاء فى قوله تعالى : «الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الْفقْرَ ويأْمُرُكُمْ بِالْفحْشاء واللهُ يعِدُكُمْ مغْفِرةً مِنْهُ وفَضْلًا »[2] فقدّم فى صدر الكلام أمران : الوعد بالفقر ، والأمر بالفحشاء ، ثم قابلَ الشّيئين فى الظّاهر بشىء واحد وهو الوعد ، فأوهم أنه أخلّ بذكْر الأمرِ . وليس كذلك ، وإنما لمّا كان الفضل مقابلا للفقر ، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء لأن الفحشاء تُوجب العُقوبة ، والمغفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله ، لأن ذكر أحدهما ملزومُ ذكر الآخر ، ومثل ذلك من الشعر الفصيح قول القائل[3] (وافر) :

أَسرناهمْ وأَنعمْنا عليهمْ ... وأَسقَيْنا دماءَهم التُّرابا

فما صبروا لبأْس عند حَرْب ... ولا أَدّوْا لِحُسن يَدٍ ثواباً

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، و هو فى هامش أ .

(٢) البقرة : ٢٦٨

(٣) البيتان للطرماح بن حكيم ، انظر نقد الشعر : ٤٨ والعمدة ٢ : ١٤ والصناعتين : ٣٣٩ . وسر الفصاحة ٣١٤ .

فإن ظاهر لفظ البيتين يؤْذن بأَن الشاعر أَخلّ بمقابل قوله :

وأسْقَيْنا دماءهم التّرابا

لأَنه قابل اليأْس بسلب الصبر ، والإنعام بنَفْى الثّواب ، وليس الأَمر كذلك لأَنّ القتلَ والأَسر داخلان فى بأْس الحرب ، فهما شىءٌ واحد وإن تعدّد مقابلهما معا بالصبر ، لأَنه يكون عليهما . والله أَعلم) .

بابـ صحة التفسير والتبيين *

وهو أن يأتى المتكلّم فى أوّل الكلام ، أو الشاعر فى بيت مِنَ الشّعر بمعنى لا يستقلّ الفهمُ بمعرفة فَحْواه دون أن يفسّر ، إما فى البيت الآخر ، أو فى بقيّة البيت إن كان الكلام الذى يحتاج إلى التفسير فى أوله .

ووقوع التفسير من الكلام على أنحاء :

بعد الشرط ، وما هو فى معناه ، وبعد الجار والمجرور ، وبعد المبتدإ الذى التفسير خبره . فمثال ما وقع منه بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق (طويل) (1) :

لقد جئتَ قوما لو لَجأْتَ إليهمُ   طريد دمٍ أو حاملا ثِقْلَ مُغْرَمِ
لألفيت منهمْ مُعْطِياً ومُطَاعِناً   وَرَاءَك شَزْرًا بالوَشِيجِ المُقوّمِ (2)

ومثال ما جاء بعد الجار والمجرور قول الحُسَين بن مُطَير الأَسَدِى » (كامل) :

ولَهُ بلا حُزنٍ ولا بِمَسرّة   ضَحِكٌ يُواصلُ بَيْنه وَبكاءُ (3)

---

* بحثه فى نقد الشعر ٤٨ والعمدة ٢ : ٢٨ والصناعتين : ٣٤٥ وسر الفصاحة : ٣١٨ وبديع ابن منقذ : ٣٧ والتبيان للزملكانى ١٢٩ والمثل السائر ٢ : ٢٧٩ واورده باسم المناسب بين المعانى وخزانة ابن حجه ٤٠٨ والطراز ٣ : ١١٤ونهاية الارب ٧ : ١٧٩ وحسن التوسل : ٦٣ وسر الفصاحة : ٣١٨ واللمعة فى صنعة الشعر تحت اسم التبيين ٥ .

(١) ديوانه ٢ : ٤٧٩ ، ونقد الشعر : ٤٨ والعمدة ٢ : ٢٨ والصناعبن : ٣٤٦ ، نهاية الارب ٧ : ١٢٩ وانوار الربيع ٧٤٩ ، واللمعة : ٦ .

(٢) الشزر : التهيؤ للقتال والوشيج : شجر تتخذ منه الرماح ، والمراد هنا الرمح على المجاز المرسل ، والشاهد فى البيتين تفسيره (حاملا ثقل مغرم) بقوله : « تلقى فيهم من يعطيك » وقوله : « طريد دم » بقوله : تلقى فيهم من يطاعن « دونك » انظر الصناعتين ٣٤٦ .

(٣) نقد الشعر : ٤٨ والصناعتين : ٣١٣ ، والجامع الكبير لابن الاثير : ٣١٢ وانوار الربيع : ٧٤٩ .

وكلا الرجلين ـ أعنى الفَرزدق وابن مطير ـ لم يراعيا الترتيب ، (وإن كان عدم الترتيب مع حُسْن الجِوار وقرب الملائم لا ينقص به حسن الكلام البليغ ، بل هو عندى نوع من صحة التفسير ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فأَمَّا الَّذِينَ اسْودَّتْ وُجُوهُهُمْ)[1] ثم قال بعد ذلك : (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) ومثل ذلك قول الله تعالى : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ)[2] فإنه لما قدَّم ذكر الأَبلغ على ما دونه ـ وطريق البلاغة التَّرَقِّى ـ نعلم من هذا الترتيب أن توخى الملاءمة ، وحسن الجوار أَولى من حسن الترتيب ، إذ كان اسم الله تعالى يختص به دون بقية أَسمائه ، وكان الرّحمن وصفاً مختصاً به دون بقية صفاته ، فأَتْبَع الأَخَصّ بالأَخصّ ، ولتوخّى الملاءمة ومراعاة حسن الجوار عدل عن الإيضاح ، وتعمد التقديم والتأْخير الذى هو أحد الوجوه الثلاثة التى يحصل بها الإشكال . فإن التنزيل لو كان فى آية الطّهارة . (فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَيْنِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ) لم تختلف العلماءُ فى المسح والغسل ، لكن لما قصد إلى نظم الكلام على الوجه الأَحسن من مجاورة الملائم بالملائم ليكون لفظ الكلام مؤْتلفاً مع معناه ، عَدَل عن ذلك الترتيب إلى التقديم والتأْخير ، لأَن كلّ من وصف وضوء رسول الله ـ صلىّ الله عليه وسلم ـ ووضوء أَصحابه والتابعين لهم بإحسان لم يَرْوِ أَنّ أَحدًا منهم غَسَل رِجْلَيْه قبل مَسْح رأسه ، وإذا عُلم أَنَّ مَسْح الرأْس مُقَدّم على غسل الرجلين علم

(١) آل عمران : ١٠٦ و ١٠٧
(٢) فاتحة الكتاب : ١

أن الواجب غسلُ الرِّجْل من حيث إنه سبحانه قدّم ذكر مسح الرأس، ليعلمَنا ترتيب غَسْل الأعْضاء في الوضوء كما كانت في الغَسل، فإن الغَسْل يُختم فيه بغَسل الرّجلين، ولما أخّر ذكر الرجلين أتى بالتحديد ليعلم أن الأمرَ فيهما معطوفٌ على الأعضاء المغسولة، لا على العضو الممسوح، فإن المسح لم تُضْرب له غاية احتراساً ممن يظن أن الرِّجْل ممسوحة، ولعربية الشّافعيّ ومعرفته بكُنه بلاغة العرب أوجب الترتيب في الوضوء، لكون الآية جاءت مُرتّبة للأعضاء، ولم يَحْفَل بالتّقديم والتأْخير، وإن أوجب لَبْساً اتّكالا على ما في التّحديد من دفع ذلك اللّبْس. وما سَمِعتُ ولا غيرى بمُستَمِع كقول الله سبحانه وتعالى: (سُبْحانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)(١) فإن صحة التقسيم اندرجت في صحّة التفسير، واندَمَج التّرتيب والتّهذيب فيصحة التقسيم، وحصل الائتلاف من حصول الترتيب، إذ قدَّم سبحانه النّباتَ، وثنىَّ بأشرف الحيوان، فكان غيره من الحيوان بطريقٍ أولى، ثم ثَلَّثَ بقوله: (ومما لا يعلمون) فاندرج تحت هذا العموم كل ما اختَصَّ الله بعلمه من المولّدات الثلاث، بل من جميع المخلوقات من كلٍّ موجود سوى الله، فحصل التَّرقِّى على سَنَن الفصاحة، والمَشْى على نَهْج البلاغة، وأتت الفاصلة في غاية التمكين، فالآية الكريمة لذلك تصلح أن تكون شاهدا للتفسير، والتقسيم، والتهذيب، والائتلاف، والتمكين، وإنما خَصَصْتُ بها باب التفسير، لأنه أول مذكور فيها، ومنهُ تتفرعُ بقية ما انطوت عليه من

(١) يس: ٣٦.

المحاسن ، ولقد أحسن ابنُ شَرف[1] القَيْروانى فى التفسير الواقع بعد الجار والمجرور حيث قال (طويل) :

لِمُخْتَلِفِى الحاجاتِ جَمْعٌ[2] بِبابه فهذَا لَهُ فَنٌّ وهذا له فَنُّ
فللخامِلِ العُلْيا ولِلْمُعدمِ الغِنى ولِلْمُذْنب العُتْبى وللخَائف الأَمنُ

ومن أناشيد قدامة فيما جاء من التفسير بعد الحروف المتضمّنة معنى الشرط قول صالح بن جناح اللَّخْمِىّ (طويل) :

لئن كُنْتُ مُحْتاجاً إلى الحِلْم إنَّنى إلى الجهل فى بَعْض الأَحَايِينِ أَحْوجُ[3]

ثم فطن الشاعر إلى أنه أَجْملَ فى قوله : وإن كنت محتاجاً إلى الحلم ، فإننى فى بعض الأوقات إلى الجهل أحوج ، ولم يبين كونه إذا احتاج إلى الجهل واضطر له هل يقدر على أن يجهل ؟ فقال فى البيت الثانى (طويل) :

وَلِى فرسٌ لِلْحلم بالحِلْم مُلْجمٌ وَلِى فرسٌ للجهل بالجهل مُسْرَجُ

فبيّن أنّ عنده حلم لمن يعامله بالحلم . وجهل لمن يعامله بالجهل ، وهذا بَسْطُ قول عَمرو بن كُلثوم[4] (وافر) :

أَلا لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهلينا

لكن بيت ابن جناح أَمْشى على سَنَن العدل من بيت ابن كلثوم (لاستضاءته[5]

(١) هو محمد بن سعيد بن احمد بن شرف أبو عبد الله القيروانى أحد فحول شعراء المغرب ، توفى سنة ٤٦٠ هـ وكانت بينه وبين ابن رشيق مهاجاة وعداوة ، ولابن رشيق رسائل يهجوه فيها ، ويذكر أغلاطه وقبائحه ، انظر الشعور بالعور خط ١٢١٥ تاريخ تيمور .
(٢) ما أثبتناه عن ا و ت وهو المناسب والذى فى الأصل : « فن » .
(٣) نقد الشعر : ٤٨ والصناعتين : ٣٤١ .
(٤) معلقته انظر جمهرة اشعار العرب : ٨٣ طبع الأميرية .
(٥) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى هامش ا .

بنور القرآن العزيز ، وتأدُّبه بأدبه لأنه عقد بالوزن قولَه تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُم) .

ثم فطن – أعْنى ابن جناح – إلى كونه لم يتبيّن العلّةَ التى تحوجه إلى الجهل ، فقال فى البيت الثالث (طويل) :

فمن شاء تَقْويمِى فإنىّ مُقوّم ومن شاء تَعْويجى فإنىّ مُعوّجُ

ومثال ما جاء من التفسير بعد خبر المبتدإ بشرط أن يكون المفسّر مُجْملا والمفسَّر له مُنصَّلا قول ابن الرومى [1] (كامل) :

آراؤُكمْ وَوُجوهكمْ وسُيوفكمْ فى الحادثاتِ إذا دجَوْنَ نُجُومُ
منها معالِمُ للهدى ومصابحٌ تَجْلو الدُّجَى والأُخرياتُ رُجومُ

وهذا أفضل ما سمعته فى باب التفسير من الشعر ، فإنه راعى فيه الترتيب أحسن مراعاة ، فلو كمّله بأن يستوعب فيه أقسام منافع النّجوم بأن يضيف إلى ما ذكره سُقياها الأرض ، حصل فى بيته صحّة التقسيم مع صحة التفسير : وإن كان هذا غير لازم للشاعر ، لكنه لو اتفق له ذلك كان أحسن .

ولما لحظت ذلك خطر لى أن أعمل معناه على ما وقع لى من صحة التقسيم مع صحة التفسير ، فقلت فى شرف الدين حسن بن سناء الملك ؛ (طويل) :

لآبائِكَ الماضينَ يا حَسَنَ النَّدَى صِفاتٌ بها لا غيرُ تَعْلو المَراتِبُ
وجوهٌ وآراءٌ وشُهْبُ عَزائمٍ وأَيْدٍ بِدَيْجُورِ الخطوب كواكبُ
يُماطُ الدُّجى مِنهاويُهْدَى بِهَا الوَرَى ويُرْحمُ من يجْنى وتُسْقى السَّحائِبُ

(١) مختارات البارودى ١ : ٤٠١ والايضاح ٦ : ٤٤ ونهاية الارب ٧ : ١٣٠ ووفيات الأعيان ٤٢/٣ ط النهضة .

(ومن بديع[1] التفسير قول أبي جعفر الخرّاز النّظيرى من نَظَر[2] بَلَنْسِيَّةَ ، من شعراء المائة السادسة فى ابن عبّاد (طويل) :

وما زلتُ أَجْنى منك والدّهر مُمْحِلٌ ... ولا ثمرٌ يُجْنى ولا زرع يُحْصَدُ
ثمارَ أَيادٍ دانيات قطوفُها ... لأغصانِها ظِلٌّ علىَّ مُمَدَّدُ
يُرى جاريا ماءُ المكارم تَحْتَها ... وأَطيارُ شكرى فوقهن تُغرّدُ)

ومن التفسير نوع لا تُعرفُ صحته ، لأنه يأتى مفسّرا لِشىء مقدّر فى النفس ، لم يجر له ذكر فى الكلام الذى تقدم ، لكنه يكون ملزوم الكلام المتقدّم من ظاهر اللفظ ، ولأن المفسّر لا تنحصر تفاصيله كقول المتنبى[3]. (كامل) :

وجَلا الوَداعُ من الحبيب محاسِناً ... حُسْنُ العزاء وقد جُلِين قبيحُ
فَيَدٌ مسلِّمةٌ وطَرْف شاخِصٌ ... وحشًا يذوب وَمدْمعٌ مَسْفُوحُ

وذلك أن البيت الثانى لا يصلح أن يكون تفسيرًا للبيت الأول ، لأن البيت الأول أشار إلى صفات الحبيب ، والبيت الثانى يُشِير إلى أحوال المحب ، وإنما لما قال فى البيت الأول إن الوداع جلا من الحبيب محاسناً قَبُح عند رؤْيتها ، كان كأنه قدّر فى نفسه أنه عندما تحقّق مقارنة تلك المحاسن بقيت حاله على ما شرحه وفسّره فى البيت الثانى .

(ومن مليح التفسير وبديعه قول محمدابن[4] وُهَيْب فى المعتصم (بسيط) :

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى ها مش أ .
(2) كذا فى جميع الاصول وانظر نفح الطيب ٢/٢٨١ طبع أوربا .
(3) ديوانه : ١ : ١٥٤ والوساطة : ٣٩٠ .
(4) الطراز ٣ : ١١٥ وأنوار الربيع : ٥٠ والاغانى ١٧ : ١٤٢ وروايته فيه « ببهجتهم » — وهو محمد بن وهيب الحميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية ، وأصله من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف استيطانه اياها ومنشاه بها .

ثلاثة تُشرق الدّنيا بِبهْجَتِها شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

ولقد أحسن مجد الملك بن شمس الخلافة[1] حين تناول هذا المعنى ما شاء، فإنه وطَّأ له توطئة ملائمة، لو اقتصرنا فى تفضيله عليها كانت كافية لاسيّما وقد زاد فيه زيادة غير خافية عن ذى بصيرة حيث قال (كامل):

شيئان حدِّثْ بالقَسَاوَةِ عَنْهُما قلْبُ الَّذى يهواه قَلْبِى والحجرْ
وثلاثةٌ بالجودِ حدِّث عنهمُ البَحْرُ والمَلِكُ المعظَّمُ والمَطَرْ
لكنَّ واسطة الثلاثة خيرُها وكَذَاكَ خيرُ العِقد واسطةُ الدُّرر[2]

ومن التفسير ضرب يأْتى فى حشو البيت، وهو غريب فى التفسير، لأن غالب مجىء التفسير إما فى عجز البيت، أو فى بيت آخر، وهو قول عمرو بن كلثوم[3] (وافر):

ويوم كريهةٍ طَعْناً وضرباً أَقرَّ به مَوَالِيكَ العُيونا

فقوله: «طعْناً وضَرباً» تفسير ليوم الكريهة

ومن لطيف التفسير وغريبه تفسير وقع بعد الإخبار[4]، وهو غير الأقسام المتقدمة، وذلك قول أبى حَيَّة النُميرى (طويل):

فألْقت قِناعاً دونه الشَّمس واتَّقتْ بأَحْسَن مَوْصولَيْن: كَف ومِعْصَم

والمعنى من قول النابغة الذبيانى[5] (كامل)

---

(1) هو ابن الفضل جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار الافضلى نسبة الى الافضل أمير الجيوش بمصر وهو شاعر مصرى ولد سنة ٥٤٣ هـ وتوفى فى المحرم سنة ٦٢٢ هـ ودفن بالكوم الاحمر بظاهر مصر ومن آثاره ـ الآداب النافعة بالالفاظ المختارة الجامعة، انظر الاعلام للزركلى ١ : ١٨٦.

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت، وهو فى هامش ١.

(٣) شرح المعلقات : ١١٠، منتهى الطلب ١ : ١١٧ خط.

(٤) كذا فى الأصل وعبارة ١، ت «بعد الابهام فى الخبر».

(٥) ديوانه : ٢٨٢ ط أوربا، وحماسة ابن الشجرى ١٩٤.

سَقَطَ النَّصِيفُ ولمْ تُرِدْ إسقاطَه فتناولَتْه واتّقتْنا باليَدِ

وبيت أبي حيّة أجزل لفظاً ، وأتمّ معنى ، وأحسن رونقاً وديباجة .

ومن مليح التفسير الذى وقع فى بيتٍ قول بعض المغاربة (بسيط) :

صالوا وجالوا وضاؤوا واحتَبوْا فهمُ أُسْدٌ ومُزْنٌ وأقْمَارٌ وأجبالُ

فإنه أحسن فيه الترتيب ، ووقع التفسير فى عجز البيت كله ، والمفسّر فى الصدر كله بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ، وجمع إلى ذلك المساواة ، فإن لفظه طبق معناه . ومن التفسير نوع يتقدم التفسير فيه على المفسّر ، كقول زينب بنت زياد المؤدّب من شواعر العرب[1] (طويل) :

ولما أبى الواشون إلّا فِراقَنا وما لهُمُ عندى وعندك من ثارِ

وشنُّوا على أسماعنا كلَّ غارةٍ وقَلَّتْ حُماتى عند ذاكَ وأنصارى

غزوْتهمُ من مُقْلَتيكِ وأدمعى ومن نَفَسى بالسّيف والماء والنّارِ

فقولها : من مقلتيك وأدمعى ومن نفسى تفسير لبقيّة البيت .

ومن مُعْجزِ التفسير ما جاء فى الكتاب العزيز منه كقوله تعالى : (وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ منْ يَمْشِى عَلَى بطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُمْ مَنْ يمْشى عَلَى أَرْبعٍ)[2] فذكر سبحانه الجنسَ الأعلى أوّلا حيث قال : « كلَّ دابة » فاستغرق أجناس كل مَا دَبّ ودَرَجَ . ثم فسّر هذا الجنس بعد ذلك بالأجناس المتوسطة والأنواع ، حيث قال :

---

(١) الابيات فى نفح الطيب ٢ : ٦٢٩ طبع اوربا تنسب لاختها حمدونة . وفى الاعلام لخير الدين الزركلى ١ : ٢٧١ يقول : ان حمدة او حمدونة لها اخت اسمها زينب ، وهما شاعرتان وتوفيت سنة ٦٠٠ هـ

(٢) النور : ٤٥ .

فمنهم . ومنهم : ومنهم مراعيا للترتيب وذلك أنه قدّم ما يَمْشى بغير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجّب السامع ، وما يمشى بغير آلة أعجب مما يمشى بـآلة ، فلذلك كان تقديمه ملائماً لمقصود الآية ، ثم ثَنَّى بالأفضل فالأفضل ، فأتى بما يمشى على رجلين ، وهو الآدمى والطائر ، لتمام خلق الإنسان وكمال حسن صورته ، ولِما فى الطائر من عُجْب الطيران الدّالّ على الخِفَّة ، مع مافيه من كثافة الأرضية ، وثلّث بما يمشى على أربع لأنه أحسن الحيوان البهيم وأقواه ، تغليباً له على ما يمشى على أكثر من الأربع من الحشرات ، وإن كان داخلا فيما يمشى على الأربع ، وإنما خص ذلك بالذكر دونه لفضله عليه . فاستوعب الأقسام ، وأحسن الترتيب ، فَتَضمّنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدّةً من المحاسن ، وهى صحة التفسير وصحة التقسيم ، مع مراعاة الترتيب ، والإشارة ، وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق .

باب ائتلاف اللفظ مع المعنى

هذا الباب ذكره قدامة وترجمه منفردًا ، ولم يبيّن معناه ، وشرحه الآمدى فأطال ، ولم توف عبارته بإيضاحه ؛ وتلخيص معنى هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ، ومثال ذلك قوله سبحانه : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ)(١) فعدل سبحانه عن الطِّين الذى أخبر فى كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدمَ منه ، منها قوله تعالى : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ)(٢) وقوله سبحانه حكاية عن ابليس : (خَلَقْتَنِى مِنْ نار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(٢) فعدل عز وجل . وهو أعلم . عن ذكر الطين الذى هو مجموع التراب والماء إلى ذكر مجرد التراب ، لأنه أدنى العنصرين وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى فى المسيح الإلهية بما يصغّر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ، فلهذا كان الإتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود ، ولما أرادَ سبحانه الامتنان على بنى اسرائيل بعيسى ـ عليه السلام ـ أخبرهم عنه أنه

× بحثه فى نقد الشعر : ٥٥ والطراز : ٣ : ١٤٤ وخزانة ابن حجة ٤٣٧ ، وانوار الربيع لابن معصوم : ٧٨٣ . والموازنة ٢٨ وما بعدها .

(١) آل عمران : ٥٩ .

(٢) ص : ٧١ و ٧٦ .

يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه ، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه [1] ليعظّموا قدر النعمة به .

ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزلا إذا كان المعنى فخماً ، ورقيقاً إذا كان المعنى رشيقاً ، وغريباً إذا كان المعنى غريباً بحتاً ، ومستعملا إذا كان المعنى مولدا محدثا ، كقول زهير (طويل) :

أثافىَّ سُفْعًا فى معرَّس مِرْجَلِ ... وَنُؤْياً كجِذْمِ الحَوْضِ لم يتَثلَّمِ [2]
فلما عَرَفتُ الدّارَ قلتُ لربْعها ... ألَا انْعم صباحاً أيُّها الربع واسْلَمِ

فإن زهيرا لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدلُّ على معنى عربىٍّ لكن المعنى غير غريب ، ركّبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ، ولما قصد فى البيت الثانى إلى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان غريباً ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة .

(ومن شواهد[3] هذا القسم من الائتلاف من الكتاب العزيز قوله تعالى : (قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[4] فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القَسَم بالنسبة إلى أخواتها ، فإن والله وبالله أكثر استعمالا وأعرف عند الكافة من تالله لما كان الفعل الذى جاور القسم أغرب الصيغ التى فى بابه ، فإنّ كان وأخواتها أكثر استعمالا من تفتأُ وأعرف عند الكافة ، ولذلك أتى بعدهما

---

(1) كذا فى الاصل . والذى فى ا ، « به » وهو وجه ايضا .
(2) ديوانه : ٧ والطراز ٣ : ١٤٥ والاثافى : جمع أثفية وهى ما توضع عليه القدر . والسفع: السود . والمرجل : القدر يطبخ فيها . والنؤى : الحجارة ، جزم الحوض . أصله ويتثلم . يتكسر .
(3) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(4) يوسف : ٨٥ .

بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة ، وهي لفظة «حرض» ولما أراد غير ذلك قال في غير هذا الموضع (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)[1] لما كانت جميع الألفاظ مستعملة وعلى هذا فقس . والله أعلم.

ومن هذا الباب ملاءمة الألفاظ في نظم الكلام على مقتضى المعنى ، لا من مجرد جملة اللفظ ، فإن الإئتلاف من جهة ما قدمنا من ملاءمة الغريب للغريب والمستعمل للمستعمل ، لا من جهة المعنى ، بل ذلك من جهة اللفظ

وأما الذي من جهة المعنى فقوله تعالى: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)[2] فإنه سبحانه لما نَهَى عن الركون للظالمين ، وهو الميل إليهم ، والاعتماد عليهم ، كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ، أخبر أنَّ العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم ، وهو مَسّ النار ، دون الإحراق والاصطلاء ، وإن كان المس قد يطلق ويراد به الاستئصال بالعذاب وشمول الثواب أكبر مجازا ، ولما كان المس أول ألم أو لذة يباشرها الممسوس جاز أن يطلق على ما يدل عليه استصحاب تلك الحال مجازا ، والحقيقة ما ذكرناه وهو في هذه الآية الكريمة على حقيقته ، والله عزّ وجل أعلم .

---

(١) فاطر : ٤٢

(٢) هود : ١٣

بـــاب المســاواة*

وهذا الباب مما فرعه قدامة من الباب المتقدم عليه ، وشرحه بأن قال : هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التى وصف بها بعضُ الوصّاف بعضَ البلغاء فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه ، ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك ، ومنها قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١)

فإن قيل : معظم هذه الآية من باب الإشارة ، لأن العدل والإحسان والفحشاء والمنكر على قلّة هذه الألفاظ تدل على معانى من أفعال البر وضدها لا تنحصر . ولا معنى للإشارة إلا دلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ، فكيف تجتمع المساواة والإشارة ؟ قلت : المساواة تطلق ويراد بها معنيان : أحدهما أن تكون ألفاظها ألفاظ المعنى الموضوعة له ، فتلك هى التى لا تزيد على المعنى ولا تقصر عنه . وهى التى لا تجتمع مع الإشارة ولا الإرداف ولا غيرهما من الكلام الذى لفظه أقل من معناه . والثانى أن يكون لفظ الكلام غير لفظ معناه الموضوع له . كالإشارة والإرداف وما جرى هذا المجرى . فإن كانت كذلك ولم يأت المتكلم فى أثناء الكلام وخلاله بلفظة

---

* بحثه فى البيان والتبيين ١ : ٩٢ ؛ ونقد الشعر : ٥٥ ، والصناعتين ١٧٩ ، وبديع ابن منقذ ٧٩ ، والبيان للزملكانى ١٣٢ ، وخزانة ابن حجة ٤٥٩ ، واللمعة فى صنعة الشعر ٥ .

(١) النحل : ٩٠

زائدة على لفظ المقصد الذى قصده لإقامة وزن أو لاستدعاء قافية أو تتميم معنى ، أو لإيغال أو سجعة ، فتلك أيضاً مساواة لأن لكل باب لفظاً يخصه ، فمتى زاد على ذلك اللفظ الدال على ذلك المعنى المقصود كان الكلام غير موصوف بالمساواة .

ومن هذا الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ)[1] الآية فإن قيل : لفظة « القوم » فى قوله تعالى : (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1] زائدة يمنع الآية أن توصف بالمساواة ، فإنه لو قال (وقيل بعدا للظالمين) أجزأ . قلتُ : لما سبق قوله تعالى : (وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ)[2] وقوله سبحانه : (وَلَا تُخَاطِبْنى فى الذِينَ ظَلَمُوا) أوجبتْ البلاغة أن يقول فى آخر الكلام : (بعدا للقوم الظالمين) ، ولو اقتصر سبحانه على لفظة الظالمين دون لفظة القوم لتوّهم متوهِّم أن آلة التعريف فى الظالمين للجنس وهو خلاف المراد ، فإن المراد بالظالمين ها هنا قوم نوح الذين قدّم ذكرهم ووصفهم بالظلم ، ونهاه عن المخاطبة فيهم ليرتدّ عجز الكلام على صدره ، ويعلم أن المدعوّ عليهم هم الذين تقدّم ذكرهم احتراساً من وقوع هذا التوهم ، ولا يحصل ذلك إلا بذكر القوم فقد صار الإتيان بها يفيد معنى لم يفده الكلام بدونها .

(واعلم[3] أن البلاغة قسمان : إيجاز ، وإطناب ، والمساواة معتبرة فى القسمين معا ، فأما الإيجاز فكقوله تعالى : (وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)[4]

---

(١) هود : ٤٤ والآية ذكرت فى ت كاملة . (٢) هود : ٣٨ .
(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ .
(٤) البقرة : ١٧٩ .

والإطناب فى هذا المعنى كقوله : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فى الْقَتْلِ) (1) وكقوله سبحانه فى قسم الإيجاز من غير هذا المعنى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)(2) وكقوله تعالى فى الإطناب : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان) (3) الآية ، ولا بد من الإتيان بهذا الفصل لئلا يتوهَّم أن الإطناب لا يوصف بالمساواة .

ومن شواهد المساواة قول امرئ القيس (4) (متقارب) :

فإن تكتُموا الداءَ لا نَخْفِه ... وإن تَبْعثُوا الحربَ لا نقْعدِ

وإن تَقْتلونا نُقَتِّلْكمُ ... وإن تقصِدوا لِدَمٍ نقصدِ

وكقول زهير (5) طويل :

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة ... وإنْ خالَها تَخْفَى على الناسِ تُعلمِ

وكقول طَرَفة (6) (طويل) :

سَتُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا ... وَيأْتيك بالأخبار مَنْ لَم تُزوِّدِ

---

(1) الاسراء : ٣٣ .

(2) الاعراف : ١٩٩ .

(3) النحل : ٩٠ .

(4) ديوانه ١٨٦ برواية مخالفة ونقد الشعر : ٥٥ وامالى المرتضى ١ : ٣٣٢ .

(5) ديوانه : ٣٢ ، ونقد الشعر : ٥٥ واللمعة ٥ .

(6) انظر هذا البيت في باب الافراط فى الصفة .

بـــاب الإشـــــارة *

وهو أيضاً مما فرَّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وشرحه بـأن قال : هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماءٍ أو لمحة تدلّ عليه ، كما قال بعضهم فى صفة البلاغة : هى لَمْحة دالّة ، وشرح هذا الحد أنها إشارة المتكلم إلى معانى كثيرة بلفظ يشبَّه لقلته واختصارِه بإشارة اليد ، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جدًا ، ولا بد فى الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار . لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون ، فإشارته معدودة من العبث . ولهذا قال هِنْد ابن أبى هَالَة فى وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يشيرُ بكفِّه كلها وإذا تعجّب قلبها . وإذا حدَّث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى » فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان . يعنى أنه يشير بيده فى الموضع الذى تكون فيه الإشارة أولى من العبارة . وهذا حِذْق بمواضع المخاطبات . وقوله : « كلّها » أى يفهم بها المخاطب كل ما أراده – بسهولة فإن الإشارة ببعض الكفِّ تصعب . وبكلِّ الكف تسهل ، فأعلمنا هذا

(*) بحثها فى نقد الشعر : ٥٥ والعمدة ١ : ٢٠٦ والصناعتين : ٣٤٨ ، وبديع ابن منقذ : ٥٠ والبيان للزملكانى تحت اسم الايجاز : ٧١ و خزانة ابن حجة : ٢٥٧ ونهاية الارب ٧ : ١٤٠ وحسن التوسل : ٧٠ . واللمعة فى صنعة الشعر ٥ .

الوصّاف أنّه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان سهل الإشارة ، كما كان سهل العبارة)[1]

وهذا ضرب من البلاغة الذى يُمْتدح بمثله ، وهو أيضاً من بلاغة الواصف إذ أشار بقوله : « كلها » إلى كلّ المقصود الذى تدلّ عليه الإشارة ، ومن حذق الواصف إتيانه بلفظ الإشارة فى الوصف، لِمَا أراد أن يصف الإشارة البديعية وقسمها قسمين : قسماً للسان وقسماً لليد ، وقوله : « وإذا تعجّب قَلَبَها » ، يعنى أنه يشير بها على وجهها إذا كان المعنى الذى يشير اليه على وجهه ليس فيه ما يُسْتغرب فيَعْجب منه ، فإنّ الشىء المعجب إنما يكون معجباً لكونه غير معهود ، فكأن الأمر فيه قد قلب لمخالفته المعهود ، فلذلك يجعل ــ صلى الله عليه وسلم ــ قلب يده فى وقت الإشارة إشارة إلى أن هذا الأمر قد جاء على خلاف المعهود ، ولذلك تعجّب منه . وقوله « وإذا حدّث اتّصَل بها » يعنى اتصلَ حديثُه بها فيكون المعنى متصلا ، والمفهوم بالعبارة والإشارة متلاحماً . آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض . وقوله « فضرب براحته اليمنى باطنَ إبهامه اليسرى يعنى أنه عند انتهاء إشارته يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى » مشيرا إلى أنه ختم الإشارة ، لأن الإبهام بها يختم القبض ، ولذلك عطف هذه الجملة بالفاء ، ولم يأت بها معطوفة بالواو ، كما أتى بما قبلها من الجمل لكونها آخر إشاراته ، والواو لكونها غير مقتضية للترتيب ، يجوز أن يكون المتأخر بها متقدماً ولا كذلك الفاء ، إذ لا بد أن يكون المعطوف بها متأخرا لكونها موضوعة للتعقيب .

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى ها مش ا .

وأما اقتصاره على باطن الإبهام دون ظاهرها فمعناه أنه جعل آخر الإشارة متصلا بأول العبارة اتصالا متلائماً كملاءمة باطن الكف التى ضرب بها باطن الإبهام التى ضرب عليها ، وهذه أيضاً من بلاغة الواصف – رضى الله عنه.

ومن شواهد الإشارة فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَغِيضَ الْمَاءُ)[1] فإنه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض ، وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الأرض قبل الإخبار إذ لو لم يكن ذلك لما غاض الماء .

وكقوله سبحانه : (فِيهَا ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ)[2] فالمح كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات وتلتذه الأعين من المرئيات ، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جدا عبّر عن معان كثيرة لا تنحصر عدّا . وكذلك قوله تعالى : (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سواءٍ)[3] بمعنى قابلهم بما يفعلونه معك ، وعاملهم بمثل معاملتهم لك سواء مع ما تَدُلُّ عليه لفظة سواءٍ من الأمر بالعدل ، ومثل هذا المعنى قول زهير (وافر) :

فإنِّى لَو لَقِيتُك واتَّجهْنَا ... لكَانَ لِكُلّ مُنكَرة كِفاءُ[4]

يعنى : قابلت كل منكرة منك بكفئها .

وإذا علمت ذلك فانظر ما بين هذا البيت وبين قوله تعالى : (فانْبذ إليهم على سواءٍ) لتعلم فرق ما بين الكلامين .

---

(١) هود : ٤٤ .
(٢) الزخرف : ٧١ .
(٣) الانفال : ٥٨ .
(٤) ديوانه : ٨١ ، ونقد الشعر : ٥٦ و العمدة ١ : ٢٠٦ ، ونهاية الارب ٧ : ١٤١ .

ومن أمثلة هذا الباب قول امرئ القيس[1] (وافر) :

بِعزِّهمُ عززتَ وإن يَذِلُّوا ... فذُلُّهمُ أنالَكَ ما أنالَا

فانظر كم تحت قوله : « أنا لك (ما أنا لا) » من أنواع الذلّ ، وكذلك قوله للمسيّب (كامل)[2] :

ولأشكرنَّ غريب نِعمته ... حتى أموتَ وفضلُه الفضلُ

أنتَ الشجاعُ إذا همُ نَزَلُوا ... عند المَضِيق وفعلُك الفعلُ

فالحظ كم تحت قوله «وفضله الفضل» بعد إخباره بأنه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح ، وترجيح فضله على الشكر ، وفي قوله «غريب نعمته» غاية المدح ، إذ جعل نعمته نعمةً لم يقع مثلها في الوجود قط ، وكذلك قوله : «وفعلك الفعل» بعد إخباره بنزول القوم عند المضيق الدالّ على صبرهم وشجاعتهم ، وما في ذلك من ترجيح شجاعة الممدوح عليهم .

وكذلك قوله في صفة الفرس (طويل) :

على هيكلٍ يُعطيك قبلَ سؤاله ... أفانينَ جَرْىٍ غير كَزٍّ ولا وانِ[3]

فإنه أشار بقوله «أفانين جرى» إلى جميع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على أنه أراد الأفانين المحمودة ، نفيه عن الفرس الكزُوزَة والوَنَى ، فسلبه صفات القبح من الجماح والحرن والاسترخاء والفتور ، وجعله يعطى هذا الجرى عفواً من غير طلب ولا حث ، وهذا كمال الوصف

---

(١) ديوانه : ٣١١ بتحقيق الاستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، ونقد الشعر ٥٦ ،

(٢) جمهرة اشعار العرب ١١٢ ط بولاق ١٣٠٨ هـ .

(٣) ديوانه : ٩٨ ، ونقد الشعر : ٥٦ والعمدة ٢ : ٤٢ ، والصناعتين : ٣٤٩ .

وتمام النعت ، ولو عدّت هذه المعانى بألفاظها الموضوعة لها لاحتيج فى العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة.

(ومن الإشارة[1] نوع يقال له اللّحن والوَحْى ، وهو يجمع العبارة والإشارة بِبُعْدٍ لا يَفْهم طريقَه إلا ذو فهم ، كما قال الشاعر (كامل) :

ولقد وَحيْتُ لكم لِكَيْما تَفْطِنوا ولحَنْتُ لحناً ليس بالمُرتابِ

ومثال ذلك ما حكى عن رجل من بَلْعَنْبَر[2] ، أُسر فى بكر بن وائل فسألهم أن يرسل إلى قومه ؛ فقالوا : ترسل بحضرتنا ، وخافوا أن ينذرهم ، فإنهم عزموا على غزو قومه ، فحضروا وأحضروه عبدا ، فقال له : أتعقل ؟ قال : إنى لعاقل ، فأشار إلى الليل ، وقال : ما هذا ؟ فقال : الليل ؛ فقال : أراك عاقلا ، فملأ كفه من الرمل وقال : كم عدد هذا ؟ فقال : لا أدرى وإنه لكثير ، فقال : أيها أكثر : النجوم ، أم النيران ؟ فقال : إن كلا لكثرة ، فقال : إيت قومى ، وأقرئهم السلام وقل لهم : أكرموا فلاناً فإن قومه لى مكرمون ، يعنى أسيرًا كان عند قومه من بكر بن وائل ، ثم قل لهم : إن العَرْفَج قد أوفى وقد اشتكت النساءُ ، ومرهم أن يُعروا ناقتى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، ويركبوا جملى الأصهب ، وبآية ما أكلتُ معكم حَيْساً وسلوا عن خَبَرَىّ أخى الحارث ، فلما قال لهم العبد ذلك قالوا : لقد جُنّ الأعور والله ما له ناقة ولا جمل ، فلما سألوا أخاه سأل العبد عما قال له أولا فأخبره ، فشرحه ، وقال لهم : قد أنذركم ، أما الليل فإنه أشار إلى أنكم فى عمياء مظلمة ، وأما الرّمل فإنه أشار إلى أنكم تُغزَون بمثل عدده ، وأما

(1) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(2) بلعنبر : حى من تميم .

النجوم والنّيران ، فأشار بذلك إلى كثرة عدد عدوكم ، وأما قوله : أوفى العرفج فإنه أشار إلى أن العدو قد اسْتَلأموا وركبوا ، وأما قوله : اشتكت النساء ، أى اتّخَذوا القِرَب للغَزْو ، وأما الناقة الحَمْراءُ فَعَنَى الدهناء ، وقوله أطلتم ركوبها ، إشارة إلى أنكم قد عرفتم بإيطانها لطول مقامكم بها فأمركم أن ترحلوا عنها ، وتنزلوا الصَّمّان[1] ، وهو الجمل الأصهب الذى أمركم بركوبه ، ففعلوا فسَلِمُوا ، وأما الحَيْس ، فإشارة إلى أن عدوَّكم قد جمع لكم أَخْلاطاً كما جمع الحَيْسُ السمنَ والتّمر والأقط والله أعلم .

ومن أمثلة الوحى والإشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد ، وقد بلغه عنه تلكؤه عن بيعته : أراك تقدِّم رِجلا وتؤخِّر أُخرى ، فإذا قرأْت كتابى هذا فاقعد على أيِّهما شئت .

ومن ذلك قول الحجّاج للمهلَّب : إن فعلت وإلا أشرعت لك صدر الرمح ، فقال المهلَّب متى أشرع الأمير إلىَّ صدر الرمح قلبت له ظَهْرَ المِجَنّ .

ومن شواهده الشعرية قول امرئ القيس[2] (طويل) :

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتَضْربى   بسهمَيْكِ فى أَعْشارِ قلبٍ مقتَّلِ

وقول عمرو بن معد يكرب[3] (طويل) :

فلو أَنَّ قَوْمى أنطقَتْنى رماحهُمْ   نَطَقْتُ ولكنَّ الرماحَ أَجَرَّتِ

---

(١) الصمان : الارض الصلبة .

(٢) ديوانه : ١٣ ، وديوان الحماسة ١ : ٨٤ وخزانة الادب للبغدادى ١ : ٤٢٢ .

(٣) البيت فى عيار الشعر : ٢٩ وخزانة الادب للبغدادى ٢ : ١٩٣ ، والنقائض ١ : ٥٢ .

وكقول شاعر الحماسة(١) (طويل) :

بَنِى عمِّنَا لا تَنْبِشُوا الشعْر بعد ما   دفنتم بصحراءِ الغُميْرِ القَوَافيا

وكقول الآخر(٢) (طويل) :

أقول وقد شدُّوا لسانى بنِسْعةٍ   أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقوا من لِسانيا

وكل هذا من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أنشده العباس بن مِرْداس (متقارب) :

* أتجعل نَهْبِى ونهب العبيد *

فقال : يا علىّ ، اقطع لسانه عَنىّ ، فأخذ علىٌّ بيده فأخرجه ، فقال أقاطع لسانى يا أبا الحسن ؟ فقال : إنى لممض فيك ما أمر ، وكل هذا من قوله تعالى : (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ(٣) ويدخل فى هذا قوله عز وجل : (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ)(٤) أى بدنك ، قال الأصمعى : فى تفسير هذا الحرف : تقول العرب فدى لك ثوبى ، يريدون نفسه ، وأنشد (وافر) :

ألا أبلغ أبا حَفْص رسولًا   فِدًى لك من أخِى ثقةٍ إزارى(٥)

وقال عنترة (كامل) :

فشككتُ بالرُّمح الطويل ثِيابَه   ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ(٦)

---

(١) البيت لسويد بن صميع المرثدى من بنى الحارث وكان قتل أخوه غيلة فقتل قاتل اخيه نهارا فى بعض الأسواق ، ويعرف سويد بالشمذر الحارنى ، وصحراء الغمير : مكان . والمعنى : دعوا التفاخر فى الشعر وبالشعر ، فانكم فصرتم بصحراء الغمير ولم تبلوا فيها لأنكم أمتم قوافى الشعر ودفنتموها .

(٢) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثى انظر شرح الحماسة للمروزقى ٢ : ١٦٣ واورده كذلك صاحب اللسان مادة نسع والمفضليات ١ : ٥٥ والنسعة : سير مضفور تشد به الرحال.

(٣) البقرة : ١٧٥ .   (٤) المدثر : ٤ .

(٥) البيت لابى المنهال بفيلة الاشجعى ، انظر مشكل القرآن تحقيق الاستاذ سيد احمد صقر ١٠٨ .   (٦) شرح المعلقات : ١٠١ .

باب الأرداف والتتبيع

هذا الباب مما فرّعه قدامة أيضاً من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وسمّاه × هذه التسمية ، وشرح تسميته بأن قال : هو أن يريد المتكلّم معنى فلا يعبِّر عنه بلفظه الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه أى قريب من لفظه قربَ الرّديف من الردْف ، مثل قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) (1) فإنَّ حقيقَةَ ذلك وجلست على هذا المكان ، فعدل عن لفظ المعنى الخاص به إلى لفظ هو رِدْفه ، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما فى الاستواء الذى هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ، وهذا لا يحصل من قولك جلست أو قعدت أو غير ذلك من ألفاظ الحقيقة ، إذ كان المراد — والله أعلم — الإخبار بنفى الأسباب الموجبة خَوْفَ أهل السفينة من السفينة فى حالَتَىْ حركتها وسكونها ، وذلك لا يحصل حتى يفهم السامع أنها جلست جلوساً متمكناً لا ميل فيه يوجب الخوف ، ولا يحصل إلا بلفظ الاستواء دون غيره ، وقد جاء فى السنّة من أمثلة هذا الباب قول النبيِّ — صلّى الله عليه وسلم — حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع حيث قالت : «زَوْجى رَفِيع العماد ، عظيم الرّماد ، قريب البَيْت من

× بحثه فى نقد الشعر : ٥٧ ، والعمدة ٢ : ١٥ تحت اسم التتبيع ، والصناعتين : ٣٥٠ وخزانة ابن حجة : ٣٧٦ ، وانوار الربيع : ٧٢٣

(1) هود : ٤٤ .

النّاد » ، فإنها أرادت مدح زوجها بتمام الخلق والتقدّم على قومه ونهاية الكرم ، ولو عبّرت عن هذه المعانى بألفاظها لاحتاجت بإزاء كل معنى لفظاً يخصه ، فتكثر الألفاظ ، ولا يدلُّ كلُّ لفظ إلا على معناه فقط ، وألفاظ الإرداف كل لفظ منها يدلّ على جميع ما أرادت من صفات المدح على انفراد ، لأن قولَها «رفيع العماد » يدلّ على تمام الخلق إذ بناءُ البيوت على مقادير أجسام الداخلين لها غالباً ، ويدل على عظم قدر صاحبه ، إذ لا يقدر على أن يرفَع بيتَه على البيوت إلا من قَدرُه مرتفع على الأقد ، ارويدل على الكرم أيضاً ، لأن الوفود والضيفان يعمدون إلى قصد البيوت المرتفعة دون بيوت الصِّرْم[1] وكذلك عظم الرماد يدل على عظم القدر وعِظَم الكرم وكثرة الثروة ، ومثله قولها «قريب البيت من الناد » ليسبق إلى الضيف ، لأن الضيف يقصد النادى ، وهو موضع مجمع رجال الحىّ للحديث ، فإذا كان البيت قريباً منه كان صاحبه إلى الضيف أسبق ، ولا تحصل هذه المعانى إلا من لفظ الإرداف ، (فإن قيل[2] : فإذا كانت كلّ لفظة من ألفاظ الإرداف تدلّ على عدّة معان فما الفرق بين الإرداف والإشارة ؟ قلت : لفظ الإرداف يتضمّن مع الدلالة على المعانى الكثيرة زيادة مدح للمدوح ، ووصف للموصوف ، ولفظ الإشارة لا يتضمن إلا الدلالة على كثرة المعانى فقط .

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول امرئ القيس[3] (طويل) :

---

(١) الصرم بكسر الصاد : الدور المنجمعــة المنقطعة من الناس .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٣) ديوانه : ١٧ ، ونقد الشعر : ٥٧ ، والعمدة ٢ : ٢١٥ ، والصناعتين : ٣٥٢ .

ويُضْحِي فتيتُ المسك فوق فِراشِها نؤُوم الضحى لم تَنْتَطِقْ عن تفضُّلِ

فإنه أراد أن يصف هذه المرأة بأنها مخدومة ، لها من يكفيها أمرَ بيتها ، فعبّر عن ذلك بلفظ يدلّ على أنها موصوفة بالنعمة ودقة البشرة واقتبال الشباب وكثرة الحُظوة وعظم الثروة ، فعدل عن لفظ هذا المعنى الذى أراده إلى لفظ هو ردفه حيث قال (طويل) :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤُوم الضحى ....

لأنها لا تنام الضحى إلا وهى مخدومة عندها من يكفيها أمر بيتها ، فهى لا تباشر الأعمال ، ولذلك تكون منعّمة مرفّهة[1] غير شظِفة[2] ولا ممتهنة ، ألا تراه أكد ذلك بقوله : «لم تنتطق عن تفضل» أى لم تشدّ فى وسطها نطاقاً على ثوبها الذى تنام فيه كفعل من يريد أن يعمل عملا من النساء ، ودل قوله :

* ويضحى فتيت المسك فوق فراشها *

على أنها حظيّة عند الرجال المثْرِين ، وأنهم فى غاية الميل إليها مع القدرة بالثروة على الاستكثار من حرائر النساء ومن الإماء ، إما لإفراط جمالها ، أو لسعدِ جَدّها ، وأنها ممن يسمح لها من أعلى الطيب وأغلاه بما يبقى فتيتُه فى صبيحة كلّ ليلة على فراشها ، بعد ما يتصعّد منه ويلصق بجسمها ، ويعْلَق بشعرها وبشرتها ؛ ولا يعطى قوله : إن هذه المرأة لها من يخدمها جميع ما يعطيه قوله « نؤُوم الضحى » فإن هذا اللفظ مع

(١) فى ا ، ت « مترفة » .
(٢) كذا فى الأصل . والذى فى ت « منطقة » وشظفة : اى خشنة العيش .

دلالته على أنها مخدومة يدلّ على كثرة النوم الذى لا يكون إلا من غلبة الدم الطبيعىّ فى سن النموّ ، وطبيعة الدم حارّة رطبة ، وهى طبع الحياة ومادتها ، فيكون اللونُ به مشرقاً ، والماءُ فى الوجه كثيرا ، والأخلاق حسنةً ، لأجل اعتدال المزاج ، ولو تَرَك لفظَ الإرداف وعبر عما قصده باللفظ الخاص وهو قوله : «إنها مخدومة» لم تحصل هذه المعانى التى حصلت من لفظ الإرداف ، وكذلك لو قال : إنها من أهل الثروة لم يوف بما أراد من كونها معشّقة للمُثْرِين من الرجال ، مع القدرة بالثروة على الاستكثار من النساء ، وأنها ممن يُسْمَح لها بذلك ، فوجب العدول عن لفظ المعنى إلى لفظ الإرداف ، لدلالته مع اختصاره على المعانى التى لا يدل عليها لفظ الحقيقة ، ولِمَا يتضمن من زيادة الوصف ، وقد انتحل ابن رشيق[1] احدَ اسْمَى هذا الباب وهو «التتبيع» وأفرده بابا من الإرداف ، وزعم أن غيره واستشهد عليه بشواهد فيها ما لا يمس به ألبتّة ، وبقيتها لا يُعقل الفرق بينه وبين شواهد الإرداف ، وهو يظن أنه قد فرق بينهما منها قول المتنبي[2] (طويل) :

إلى كم تردّ الرُّسْلَ عما أتوْا له ... كأنَّهمُ فيما وَهَبْتَ مَلَامُ

وقال : (أعنى ابن رشيق) دلَّ هذا البيت على الشجاعة بلفظ الإرداف ، ودل على الكرم بلفظ التتبيع يعنى أن الإرداف اشتقاقه من الرّدْف فلفظه

(١) لم أعثر على هذا الكلام الذى نسبه المؤلف لابن رشيق فى كتاب العمدة ، ولعله فى كتابه تزييف نقد قدامه الذى لم أعثر عليه أيضا ، والذى يقوى هذا ما يأتى من الكلام بعد من تعليق على بيت المتنبى .

(٢) ديوانه ٢ . ٢٧٦ والمعنى انك لا تصغى الى ملامة لائم فى سخائك ، كما أنك لا تصغى كذلك الى طلبهم الهدنة (١ هـ ملخصا)

أقرب إلى لفظ المعنى ؛ والتتبيع : من التتابع ، والتابع يكون قريباً ويكون بعيدًا . ويعُد ذلك على قدامة من أغاليطه وهو أولى بالغلط منه ، لأن التتبيع وإن كان فى نفس الأمر كما ظنّه لكنه فى هذا الموضع أراد به التّابع القريب (بدليل[1] أنه ذكره بلفظ التفعيل الدال على النكتتين ، ولو لم يقصد ذلك لقال : الإتباع دون البعيد) فإن الألفاظ إذا كانت من أجل الوضع تدل على معنيين بحيث لا يتخلّص إلى أحدهما دون الآخر إلا بقرينة ، كانت حال اقترانها بالقرائن مخلصة للمعنى الذى تدلّ عليه القرينة .

وقدامة أتى بلفظ التتبيع مقترناً بالإرداف ، فعُلم أنه أراد التابع القريب والرديف تابع قريب ، فلا فرق بينهما فى هذا الموضع .

وأما بيت المتنبىّ الذى أتى به ابن رشيق ليكون دليلا له فهو دليل عليه ، لأنه عكس ما فسّره به ، وذلك أن اللفظ الدال فيه على الكرم هو الذى يجب أن يسمّى إردافاً لأنه أقرب إلى لفظ الكرم ، لكونه صرّح فيه بلفظ الهِبَة ، واللفظ الدال على الشجاعة بعيد من لفظ الشجاعة بالنسبة إلى لفظ الكرم ، وقدامة رأى الفصحاء قد دلُّوا تارة على مقاصدهم بألفاظ قريبة من الألفاظ الموضوعة لتلك المقاصد ، (وطورا[2] بألفاظ بعيدة من الألفاظ الموضوعة لتلك المقاصد) فسمى الأول إردافاً ، والثانى تمثيلا ، لأن المثل وإن وجد قريباً من المثل وبعيدا فلا يبلغ قرب التابع القريب ولا الرديف ، وسيأتى بيان ذلك فى الباب الذى يلى هذا الباب ، والله أعلم .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٢) هذه العبارة التى بين قوسين ساقطة من الأصل ، وهى عن ا ، ت والمقام يقتضى اثباتها .

وأخذ[1] ابن الأثير يؤيّد ما ذكره ابن رشيق بأن قال : وفى الألفاظ ما يدلّ على المعنى بظاهره ، وفيها ما يدلّ على المعنى بتأويله ، والأول هو الإرداف ، والثانى هو التتبيع ، ومثال الأول قول عمر بن أبى ربيعة[2] (طويل) :

بعيدةُ مَهْوَى القُرط إمّا لنوفَلٍ   أبوها وإمّا عبدُ شَمْسٍ وهاشمُ

وقال: بُعْد مهوى القرط يفْهم منه طولُ العنق بغير تأويل ، بخلاف قول المتنبىّ :

* إلى كم ترد الرسل عما أتوا له *

فإن صدر هذا البيت لا يدلُّ على الشجاعة بظاهره ، وإنما يدل عليها بالتأويل .

ولو رأى ضياءُ الدين – رحمه الله – كتابَه الذى سمّاه تَزْييف النقد ، يرد به على قدامة رأى كتاباً يَحْلف الحالف صادقاً أنه ما تكلّم فيه بحرف واحد إلا وهو مطبق الجفون ليس له وقت إفاقة ألبتَّة .

وأما كلامه فى هذا الفصل فما هو عندى بالبعيد من كلامه فى هذا الكتاب الذى أشرت اليه .

وأما قول ضياء الدين – رحمه الله تعالى – : إنَّ مَهْوى القُرط يدلّ على طول العنق بغير تأويل ، فكل مميز من بنى آدم يعلم أن قولَنا : طويلة العنق يفارق قولنا : « بعيدة مهوى القرط » من جهة أن الأول علامةٌ لطول العنق ، متى سُمع فهم منه هذا المعنى ، بخلاف قوله : بعيدة مهوى القرط ، فإنه

(1) انظر كلامه هذا فى باب الكتابة من المثل السائر ٢ : ١٩ وما بعدها .

(2) ديوانه : ٤٣ ، ونقد الشعر : ٥٧ والعمدة ١ : ٢١٦ والصناعتين : ٣٥٢ والمثل السائر ٢ : ٢٠١ ونهاية الأرب ٧ : ٦٠ .

لا يفهم منه معنى طول العنق إلا بالتأويل ، وهو أن قُرْطها إنما كان بعيد موضع الهبوط لطول عنقها ، فدلالة الأول دلالة مطابقة ، ودلالة الثانى دلالة التزام ، وكذلك قول المتنبي :

* إلى كم تردّ الرُسل *

فإنه أيضاً يدل على الشجاعة بالتأويل ، فقد استويا فى الدلالة على المعنى بالتأويل ، إذ لايصلح واحد منهما أن يدلّ على المعنى بظاهره ، فلا فرق بينهما من هذا الوجه ، وإنما الفرق بينهما من جهة القرب والبعد ، فإن لفظ بُعد مهوى القرط أقرب إلى لفظ طول العنق من لفظ رد الرسل إلى لفظ الشجاعة ، فلا جرم أن الأول يسمى إردافاً ، والثانى يسمىً تمثيلا ، لقرب الإرداف من لفظ المعنى ، وبُعدِ التمثيل من لفظه ، وليس العجب من كون هذا الموضع أشكل على ابن رشيق ، فإنه قد أشكل عليه ما هو أوضح منه ، وإنما العجب كيف يمشى على ضياء الدين ــ رحمه الله ــ مع رجاحة عقله ،وثقوب ذهنه ،وسلامة حسه (والله أعلم) .

بابُ التمثيل*

هذا الباب أيضاً مما فرَّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وقال : هو أن يريد المتكلِّمُ معنى فلا يدلّ عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه ، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلا ، يصلح أن يكون مثالا لِلفَظ المعنى المراد ، مثل قوله تعالى : (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) (١) وحقيقة هذا : أى هلك من قُضِيَ هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن اللفظ الخاص إلى لفظ التمثيل لأمرين : أحدهما اختصار أمر اللفظ ، والثانى كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعى آمرًا ، وقضاؤه يدلُّ على قدرة الآمر ، وطاعة المأمور ، ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص .

ومن شواهده فى السنَّة قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٢) حكايةً عن بعض النسوة فى حديث أم زرع : « زَوْجى ليلُ تهامة ، لا حرٌّ ولا برد ، ولا وخامة ولا سآمة » فعدلت عن لفظ المعنى الموضوع له إلى لفظ التمثيل ، لما فيه من الزيادة ، وذلك تمثيلها الممدوحَ باعتدال المزاج المستلزم حسن الخُلق ، وكمال العقل اللذين يُنْتجان لينَ الجانب وطيبَ المعاشرة ، وخصّت

(*) بحثه فى نقد الشعر : ٥٨ والعمدة ١ ، ١٨٧ وجعله من أقسام الاستعارة وأسرار البلاغة ٩٠ وسر الفصاحه ٢٢١ والطراز ٢ : ٢ وخزانة ابن حجة ١٣٤ ونهاية الأرب ٧ : ٦٠ .

(١) هود : ٤٤ .

(٢) انظر الكلام عن هذا الحديث فى أنوار الربيع ص ٣٤١ .

الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان ، وخصوصاً الإنسان ، لأنه يستريح فيه من الكدّ والفكر ، ولكون الليل جعل سَكَناً ، والسكَنُ الحبيب ، لاسيا وقد جعلته ليلا معتدلا بين الحر والبرد ، والطول والقصر ، وهذه صفة ليل تِهامة ، لأن الليل يَبْرد فيه الجوُّ بالنسبة إلى النهار مطلقاً ، لغيبة الشمس ، وخلوص الهواء من اكتساب الحر ، فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد ، وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابه ، فقالت : زوجى مثل ليل تِهامة ، وحذفت أداة التشبيه ، ليقرب المشبَّه من المشبَّه به ، وهذا مما يبيّن لك لفظ التمثيل فى كونه لا يجىء إلا مقدّراً بمثل غالبا ، ولا كذلك لفظ الإرداف ، وإلا فانظر إلى قول صاحبتها فى الإرداف : «زوجى رفيع العماد» فتجدها قد وصفته بصيغة المبتدأ والخبر ، لكون الخبر غير المبتدأ لامثله ، إذ لا يجوز ها هنا تقدير «مثل» فى الكلام لتعلم أن لفظ الإرداف أقرب إلى لفظ المعنى من التمثيل .

ومن شواهد التمثيل الشعرية قول الرّماح بن مَيَّادة [1] (طويل) :

أَلم أَكُ فِى يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِى ... فلا تَجْعَلَنِّى بَعْدَها فى شمالكا

فإن هذا الشاعر أراد أن يقول : ألم أكن قريباً منك ، فلا تجعلنى بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ التمثيل ، لما فيه من الزيادة فى المعنى ، لما تعطيه لفظتا اليَمين والشمال من الأوصاف التى لا تَحْصل إلا بذكرهما ، وذلك لأن اليمين أشد قوة من الشِّمال غالبا وهى أقرب إلى

---

(١) هذا البيت فى نقد الشعر : ٥٩ والصناعتين : ٣٥٥ وسر الفصاحه ٢٧٣ ويلاحظ أن الشاعر أخذه من قول طرفة :

أبينى فى يمنى يديك جعلتنى ... فافرح أم صيرتنى فى شمالك

ربّها من الشّمال لأنها بها يأخذ ، وبها يعطى ، وبها يَبْطش ، وهى مكرّمة عنده ، قد أُهّلت لطعامه وشرابه واستغفاره وأذكاره ، والشّمال موهّلة لاستنجائه ، واستنثاره ، والمهنة الدنيّة ، واسم اليمين مشتقّ من اليُمْن ، وهو البركة ، واسم الشمال مشتقّ من الشؤم ، وهو ضدّ البركة ، ولهذا حض الشارع ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التيامن ، فقال لأنس لما أراد سقى أبي بكر بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على شمال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعلى يمينه أعرابى : اسق الأعرابى الأيمن فالأيمن .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ ، كان رسول ـ الله صلى الله عليه وسلم ـ يحب التيامن حتى فى وضوئه وانتقاله[1] ، وقال عمرو بن كلثوم (وافر) :

صَدَدْتِ الكأْسَ عنا أمّ عمرو وكان الكأْسُ مجراها اليَمينا[2]

وقال الله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيمِينِ فِى سِدْر مَخْضُودٍ)[3] وقال بعد ذلك : (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فى سَمُومٍ) فكأن هذا الشاعر قال لممدوحه : ألم أكن مكرماً عندك فلا تجعلنى مهاناً ، وكنت منك فى المكان الشريف ، فلا تتركنى فى المنزل الوضيع ،

(وما[4] سمعت فى هذا الباب كقول شاعر الحماسة (كامل) :

وإذا الرِّياحُ مع العَشِيِّ تناوحَتْ نَبَّهنَ حاسِدةً وهِجْن غَيُورَا

لأنه أراد أن يقول : أبدين خَمَص بطنها ودقّة خصرها ورجَاجَةَ رِدْفها ،

(١) صحيح البخارى ١ : ٤٥ .

(٢) معلقته بشرح التبريزى ١٠٩ وجمهرة أشعار العرب : ٧٥ .

(٣) الواقعة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ١ والبيت منسوب للأعشى ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى : ١٠٦٤

التمثيل ، وهو يقابل الرياح التى تفعل هذا عند تقابلها ، وحصل فى البيت مع التمثيل تنكيت عجيب فى قوله مع : « العشىّ » لأنه إنما خص العشىَّ لأنه الوقت الذى تتخلّى فيه النساءُ من شغلهن ، ويَبْرزن للعبهن ، وتَنْتدِى[(١)] الرجال للحديث ، ليتمّ له ما قصد من اجتماع الحاسدة والغيور اللذين يريان هذه المرأة عند بروزها ، وقد قيل : إن أكثر ما تتقابل الرياح فى وقت العشىّ) .

ويلتحق بهذا الباب ما يخرجه المتكلِّم مخرج المثل السائر كقوله تعالى : (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ)[(٢)] وقوله سبحانه : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[(٣)] وقوله عز وجل : (صُنْعَ اللهِ) وقوله : (صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً)[(٤)] وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسأْتُمْ فَلَهَا »[(٥)] إلى كثير من الآى .

ومما جاء من ذلك فى السنة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحَلاَل بَيِّنٌ والحَرَام بَيِّنٌ »[(٦)] وقوله ـ عليه السلام ـ : « لا ضَرَرَ ولا ضِرَار »[(٧)] وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « خَيْر الأُمورِ أَوْسَاطُها »[(٨)] وكقوله ـ عليه السلام ـ : « المؤمنون تتكافأُ دماؤهم »[(٩)] وقد طوى كتاب[(١٠)] أبى أحمد العسكرى

---

(١) تنتدى : تتجمع .
(٢) النجم : ٥٨ .
(٣) النمل : ٨٨ .
(٤) البقرة : ١٣٨ .
(٥) الاسراء : ٧ .
(٦) كشف الخفاء ١ : ٣٦٥ .
(٧) كشف الخفاء ٢ : ٣٦٥ والجامع الصغير ٢ : ٤٥٣ .
(٨) كشف الخفاء ١ : ٣٩١ .
(٩) بعض الحديث تكملته : « يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٥ .
(١٠) هو أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن اسماعيل بن زيد بن حكيم العسكرى اللغوى كان من الأئمة المشهورين فى أنواع العلوم واشتهر بالاتقان والدراية وانتهت اليه رئاسة الحديث والاملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان وكتابه هو الحكم والأمثال لم أعثر عليه .

ـ رحمه الله تعالى ـ من هذا الباب على بدائع من جوامع الكلم لا يُشق غبارُها ، ولا يُقْتحم تيّارها ، فمن أراد ذلك فعليه به .

ومن أمثلة هذا الباب الشّعريّة قول زهير (طويل)[1] :

وهل يُنْبتُ الخَطِّىُّ إلا وَشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ إلا فى منابِتِها النَّخْلَ

وكقول النابغة[2] (طويل) :

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخا لا تَلمُّه ... على شَعَثٍ أىُّ الرّجال المهذَّبُ

وكقول بشار[3] (طويل) :

فعِشْ واحدا أو صِلْ أخاكَ فإنَّه ... مُقَارِفُ ذنبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ

إذا أنت لم تَشْرب مرارًا على القَذَى ... ظَمِئتَ وأىُّ النّاس تَصْفُو مشاربُهْ

وكقول الآخر[4] (طويل) :

* فما الكَرَجُ الدُّنيا وَلَا النّاسُ قَاسِمُ *

وكقول الآخر (مجزوء الخفيف) :

ما علَى النّاس بعدَها ... فى الدّنيّات من حَرَجْ

وكقول أبى تمام (بسيط) :

* والنارُ قد تُنتَضَى من نَاضِرِ السَّلَمِ[4] *

وكقوله (وافر) :

---

(١) ديوانه : ١١٥ ، ونقد الشعر : ٢٣ . والخطى : الرماح نسبة الى الخط جزيرة بالبحرين والوشيج : القنا ، ويعنى لأنهم كـــرام ولا يولد الكرام الا فى موضع كريم .

(٢) ديوانه : ٢٧٩ والصناعتين ٥٧ والموشح : ٣٣ والطراز ٣ : ١١٣ والايضـــاح ٦ : ١٤٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٣٥٨

(٣) ديوانه ١ : ٣٠٩ .

(٤) هذا عجز بيت لمنصور بن باذان ، وقيل لبكر بن النطاح ، وصدره :

دعينى أجوب الأرض فى فلواتهـــا ... .

انظر وفيات الاعيان ٣ : ٢٣٩ ط النهضة .

(٥) هذا عجز بيت له وصدره :

* أخرجتموه بكره من سجيته *

ديوانه : ٢٦٩ .

* لسان المرءِ من خدم الفؤَادِ[١] *

وكقوله[٢] (وافر) :

فلو صوّرتَ نفسك لم تَزِدْها　　　على ما فيكَ من كَرم الطِّباعِ

وكقوله[٣] (كامل) :

نقِّل فؤادَك حيثُ شئتَ من الهَوى　　　ما الحبُّ إلَّا لِلْحبيبِ الأَوَّلِ

وقد استخرجت أمثالَ أبي تمام من شعره فوجدتُها تسعين نِصْفاً وثلاثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتاً بعد استيعاب أمثال المتنبي فوجدتها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفاً وأربعمائة بيت؛ وأنا على عزم أن أُخرج من أمثال أبي الطيب ما أخذ من أمثال أبي تمام فأَجمعها، وأُقدّم قبلَهما جميع ما وقع من الأَمثال في الكتاب العزيز والسنة النبوية (وقد أمضيت والحمد لله هذا العزم، وفَرَغت من كتاب الأَمثال بزيادات على ذلك، وهي أمثال الأَشعار السّتة؛ والحماسة، بعد أن تَلَوتُ أمثالَ القرآن بأَمثال دواوين[٤] الإسلام الستة. وخَتَمت الجميعَ بأَمثال العامّة، لتكون إحماضاً[٥] يُتروَّح اليه بعد الجدّ، وقد اقترح على زيادات فيه لم أُكملها إلى الآن.

ومن أمثلة هذا الباب للمتنبيِّ[٦] قوله (بسيط) :

---

(١) هذا عجز بيت له، وصدره: * ومما كانت الحكماء قالت * ديوانه: ٨.

(٢) ديوانه: ١٩٥ والوساطه: ٢٠٥.

(٣) ديوانه: ٤٥٧.

(٤) دواوين الاسلام الستة هي البخارى ومسلم. والترمذى، والموطأ، والنسائى، وسنن ابى داود انظر بديع القرآن: ٨٧

(٥) الاحماض: التنقل من الجد الى ما يتفكه به بالاخذ في مليح الكلام والحكايات، ومنه الحديث كان يقول «اذا افاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير: احمضوا حتى لايلحقهم الملل والسأم.

(٦) هذا عجز بيت له صدره: * والهجر اقتل لى مما أراقبه *. ديوانه: ٢: ٦٥.

* أنا الغريقُ فما خوْفى من البلَلِ *

وقوله [1] (بسيط) :

* ليس التّكحّل فى العينين كالكَحلِ *

ولقد أحسن المعرِّى حيث قال[2] : (بسيط)

لو اختصرتمْ من الإحسان زُرْتكمُ والعذْبُ يُهْجرُ للإفراطِ فى الخصرِ

(١) هذا عجز بيت صدره :

* لأن حلمك حلم لا تكلفه *

ديوانه ٢ : ٧٣ .

(٢) شرح سقط الزند ، السفر الثانى القسم الأول : ١٤٤ والخصر بالتحريك : البرد .

بابُ ائتلافِ اللفظ مَع الوزن *

قال قدامة : هو أن تكون الأسماءُ والأفعالُ تامّة ، لم يضطر الشاعرَ الوزنُ إلى نقصها عن البقية ، ولا إلى الزيادة فيها ، ولا يقدّم منها المؤخّر ، ولا يؤخر منها المقدّم ، ولا يُدخل فيها ما يلتبسُ به المعنى ، ولم يأتِ قدامة بأمثلة فى هذا الباب ، ولم يذكر غير ذلك بل قال أعنى قدامة : كل شعر سلِم من هذا الذى قدّمت ذكره هو مثال لهذا الباب ، لكنه أتى فى عيوب الوزن بأمثلة يجب ذكرها ها هنا ليُعلم أن كل بيت جاء بضدّها هو شاهد لهذا الباب ، كقول القائل يصف دِرْعا (كامل) :

* من نَسْج داود أبي سَلَّام(١) *

فإنه يريد سليمان ، لكن الوزن اضطره إلى حذف الياء والنون من سليمان ، وتشديد اللام وتقديم الألف على الميم .

ومثل ذلك قول الآخر (رجز) :

حتّى إذا خرّت على الكَلْكال(٢)

فإنه اضطره الوزن إلى زيادة الألف على بنية هذا الإسم ، ومثال ما اضطر الوزن فيه إلى التقديم والتأخير قول الفرزدق (طويل) :

---

* بحثه فى نقد الشعر ٦١ ، خزانة ابن حجه ٤٣٧ ، الطراز ٣ : ١٤٤ ، انوار الربيع ٧٨٧ .

(١) هذا عجز بيت للأسود بن يعفر ، صدره

* ودعا بمحكمة امين سكها *

(انظر اللسان مادة سلم) .

(٢) هذا صدر بيت ذكر فى اللسان مادة كلكل غير منسوب ، وعجزه :

* يا ناقتى ما جليت من مجال *

وما مِثْله فى النَّاس إلا مُملَّكٌ   أَخُو أُمِّه حيٌّ أَبُوه يقاربُهْ[1]

فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السَّبْك ، فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهْم معناه بسرعة ، ولو قال : وما مثله إلا مملك أَبوه يقارب خَاله لسهل مأْخذُه ، وقرب متناولُه ، ومهما كان الشعر سليماً من مثل هذا كان هو الشعر الذى ائتلف لفظه مع وزنه .

(١) ديوانه : ١٠٨ وروايته « أبو أمه » والصناعتين : ١٦٢ وعيار الشعر : ٤٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٤٣ .

بابُ ائتلافِ المعنى مَعَ الوزنِ*

وهو أن تـأْتى المعانى فى الشعر على صحّتها ، لا يضطر الشاعر الوزنُ إلى قلبها عن وجهها ، ولا خروجها عن صحّتها ، كقول عُرْوة بن الورد (وافر) :

فإنِّى لو شَهِدتُ أبا سُعاد غَداةَ غدٍ بمُهجته يفُوقُ[1]
فديتُ بنفسِه نَفْسى وَمَالى وما آلوهُ إلّا ما أُطيقُ .

فإنه أراد أن يقول : فديت نفسَه بنفسى ومالى ، فألجأته ضرورةُ الوزنِ إلى قلبِ المعنى كما ترى ، ومهما كان الشعر سليماً من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه .

× بحثه فى نقد الشعر ٦١ وخزانة ابن حجة ٤٢٧ والطراز ٣ : ١٤٤ وأنوار الربيع ٧٨٧ .
(١) يفوق : يحتضر . والبيت فى نقد الشعر ٨٧ .

باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت

وهو الذى سماه من بعد قدامة التمكين ، وهو أن يمهّد الناثر لسجعة فقرته ، أو الناظم لقافية بيته ، تمهيدا تأتى القافية به متمكّنة فى مكانها ، مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى موضعها ، غيرَ نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى البيت كلّه تعلقاً تاماً ، بحيث لو طُرِحتْ من البيت اختلّ معناه واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكّنها بحيث يقدّم لفظها بعينه فى أول صدر البيت ، أو معنى يدلّ عليها فى أول الصدر ، أو فى أثناء الصدر ، ولا أن يفيد معنى زائدا بعد تمام معنى البيت ، فإن الأول يُسَمى تصديراً والثانى توشيحاً ، والثالث إيغالا ، ولا يقال لشىء من ذلك تمكين ألبتّة ، وقد جاء من ذلك فى فواصل الكتاب العزيز كل عجيبة باهرة ، ومنه قوله تعالى : (قَالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا أَوْأَنْ نَفْعلَ فى أَمْوَالِنَا ما نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)[1] فإن هذه الآية الكريمة لمّا تقدّم فيها ذكر العبادة والتصرّف فى الأموال كان ذلك تمهيدا تامًّا لذكر الحلم والرُّشد ، لأن الحلم : العقل الذى يصح به التكليف ، والرشد حسن التصرف فى الأموال ، وكقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ

(×) بحثه فى نقد الشعر : ٦٢ والطراز تحت اسم الائتلاف ٣ : ١٤٤ وخزانة ابن حجة تحت اسم التمكين ٤٣٨ وأنوار الربيع ٧٥٩ تحت اسم التمكين أيضا .

(١) هود : ٨٧ .

كلها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ[1]) وكقوله سبحانه ـ (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ[1]) وكقوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ[1]) وكل فواصل الكتاب العزيز بين تمكين ، وتوشيح ، وإيغال وتصدير .

ومن أمثلة هذا الباب الشِّعريّة قول أبي تمام (وافر) :[2]

ومن يأْذنْ إلى الواشين تُسْلَقُ ... مسامعُــه بألسنةٍ حِـدادِ

وقولُه أيضاً في غزل هذه القصيدة :

مَذَاكِي حَلْبةٍ وشُروبِ دجْنٍ ... وسامرِ قَيْنةٍ وقُدُورِ صادِ[3]

وأَعينِ ربْربٍ كُحِلَتْ بِسِحرٍ ... وأجسادٍ تَضَمَّخُ بالجِسَادِ[4]

وقوله (طويل) :

محاسنُ ما زالتْ مَسَاوٍ من النَّوى ... تُغَطِّي عليها أو مساوٍ من الصَّدِّ[5]

وقوله أيضاً (طويل) :

أموسى بنَ إبراهيم دَعْوةَ خامسٍ ... بِهِ ظَمَأُ التثْريب لاظمأُ الوِرْدِ[6]

---

(١) يس : ٣٦ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ .

(٢) ديوانه : ٨١ ، وتسلق : من سلفه بالكلام ادا آذاه به . والألسنة الحداد : السليطة .

(٣) المذاكي والمذكيات . الخيل التي تم سنها وكملت فواها ، والدجن : المطر الغزير ، وسامر قينه : احتفل بالقيان . والصاد : الصفر والنحاس ، قال حسان :

* رأيت قدور الصاد حول بيوتنا *

(٤) الربرب : بقر الوحش . ونضمخ : تلطخ ، والجساد بكسر الجيم : الزعفران .

(٥) ديوانه . ١٢٧ والمساوء : السيئات ، وخالف القياس هنا للشعر ، وكان القياس ان يقول مساوء .

(٦) الخامس . الظمآن الذي لم برد الماء منذ أربعة أيام . والتثريب : اللوم .

أَتَانى مع الرُّكبان ظنٌّ ظَنَنته　　لَفَفْت له رأسى حَياءً من المجد

أأتبــع[1] هُجْر القول من لو هَجَوْتُه
إذًا لهجَانى عنـــه معروفُه عِنْـــدى

نَسيتُ إذًا كم من يَدٍ لَكَ شاكَلَت
يدَ القُرْبِ أعدتْ مُسْتهاما على البُعدِ[2]

ومن زَمنٍ ألبَسْتَنِيهِ كأنه　　إذا ذُكِرتْ أيَّامهُ زمن الورْدِ

وأنّك أحكمْتَ الذى بين فِكْرتى
وبين القوافى[3] من ذِمَامٍ ومن عَقْد

وأصَّلْتَ شِعرى فاعتلَى رونَق الضُّحى
ولولاكَ لم يَظْهر زمانا من الغِمْدِ[4]

وكقول البحترى[4] (طويل) :

فلم أر ضِرْغامين أَصْدقَ منهما[5]
عِرَاكا إذا الْهَيَّابة النِّكْسُ أَكْذَبا[6]

حَمَلْتَ عليه السّيفَ لاعَزْمُك انْثَنى
ولا يدُكَ ارتدّت ولا حَـــدُّه نَبـــا

وكُنْتَ مَتى تجمع يمينك تهتك الضَّـــــرِيبة أولا تُبْقِ للسَّيف مَضْرِبا

(١) رواية الديوان « اسرائيل » وهجر القول : فاحسة · والمعروف : العرف ·
(٢) يلاحظ ان هذا البيت وما بعده من الأبيات سابق لما قبله فى ترتيب القصيدة ، واليــد . النعمه ، والمستهام : العاسق .
(٣) فى الديوان « الليالى » واحكمت : شددت .
(٤) أصل شعره : أشهره وأظهره ·
(٥) ديوانه : ١ : ٥٦ وأسرار البلاغة : ٢٧٦ .
(٦) كذا فى الأصل · وروايه الديوان ، ١ ، ت «منكما»و«كذبا» . والهيابة : الهيوب . والنكس : الجبان ·

أَلَنْتَ لِيَ الأَيامَ من بعد قَسْوة وعاتبتَ لى دَهْرى الْمسيءفأَعْتَبا

وأَلبسْتَنِى النُّعْمى الَّتى غَيَّرْت أَخِي

علَّ فأَمْسَى نازحَ الوُدَّ أَجْنَبَا[(١)]

فلا فُزْتُ من مرِّ اللَّيالى براحَةٍ

إذا أَنا لم أُصْبِح بشكرِك مُتعبَا

وكقول المتنبّى[(٢)] (بسيط) :

يا من يعزُّ علينا أَنْ نفارقَهم وِجْدانُنا كلَّ شيء بعدكمْ عَدَمُ

إنْ كان سرَّكُمُ ماقالَ حَاسدُنا فما لجُرحٍ إذا أَرضاكُمُ أَلَمُ

ومنها :

وبيننا لو رَعَيْتُمْ ذاكَ معرفةٌ إنَّ المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَمُ[(٣)]

لئن تَرَكْنَ ضُمَيْرا عن مَيَامِننا

لَيَحْدثُنَّ لِمن فارقْتُهُمْ نَدَمُ[(٤)]

إذا ترحَّلْتَ عن قَوْمٍ وقد قَدَروا أَلاَّ تفارقهم فالراحلون هُمُ

ولم نسمع لمقدّم شعرا أَشدَّ تمكين قوافٍ من قول النابغة الذبيانى (كامل) :

كالأُقْحوانَ غَداة غِبِّ سمائِه جفَّتْ أَعاليهِ وأَسفلُه ندِى[(٥)]

زعَمَ الهُمَامُ ولم أُذُقْه بأَنَّه يُرْوِى بريقتِه من العطش الصَّدِى

---

(١) كدا فى الأصل ورواية الديوان ' ا ، ت ، نازح الدار . ونازح الود : بعيده . والأجنب : البعيد ايضا .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٩٥ وهذه الأبيات من قصيدة عاتب فيها سيف الدولة اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(٣) النهى : العقول .

(٤) ضمير . جبل قريب من دمشق . ورواية الديوان « ودعتهم »

(٥) ديوانه : ٢ : ٢٥٩ وغب السماء : المطر . والصدى : الظمآن .

بـاب التوشيح

سُمّي هذا الباب توشيحاً لكون معنى أول الكلام يدلُّ على لفظ آخره ، فيتنزَّل المعنى منزلة الوشاح ، ويتنزَّل أولُ الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللَّذين يجول عليهما الوشاح ، وهذا الباب مما فرّعه قدامة أيضاً ، من ائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت ، وقال : «هو أن يكون فى أول البيت معنى إذا عُلِم عُلمت منه قافيةُ البيت ، بشرط أن يكون المعنى المتقدِّم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، أو من لوازم لفظه» (ومن ذلك[1] فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعَالَمِينَ[2]) ، فإن معنى اصطفاء المذكورين تُعلم منه الفاصلة ، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين ، وكقوله تعالى : (وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ[3]) ، فإنه من كان حافظاً لهذه السورة ، متفطِّناً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ، وسمع فى صدر هذه الآية (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) علم أن

(×) بحثه فى البيان والتبيين تحت اسم الارصاد ١ : ١١٥ ، وقواعد الشعر : ٧١ ، ونقد الشعر : ٦٣ والصناعتين ٣٨٢ ، وسر الفصاحة : ١٨٧ تحت اسم التسهيم وبديع ابن منقذ : ٤٥ ، والجامع الكبير لابن الاثير : ٢٤٢ والمثل السائر له أيضا ٢ : ٣٥٩ والطراز ٣ : ٧ وخزانة ابن حجة : ١٠٠ والايضاح تحت اسم الارصاد ٦ : ٢٥ ، وحسن التوسل : ٦٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٢٧ .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ .

(٢) آل عمران : ٣٣ .

(٣) يس : ٣٧ .

الفاصلة «مظلمون» ، فإن من انسلخ النهار عن ليلهِ أظلم ما دامت تلك الحال .

وكقول الراعى النُّميرىِّ (وافر) :

فإنْ وُزِنَ الحَصَى فوزَنْتُ قَومى وجدتُ حَصَى ضريبتِهم رَزينا[1]

فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى ، وتحقَّق أن القافية مجرّدة مطلقة . رويُّها النون وحَرْف إطلاقها ألف ، ورأى فى صدر البيت ذكر الزّنة ، تحقَّق أن القافيةَ تكون رزيناً ليس إلا .

ومن عجائب أمثلة هذا الباب ، ماحكى عن عمر بن أبى ربيعة المَخْزومىّ أنه أنشد عبدَ الله بن العبّاس –رضى الله عنهما – (متقارب) :

* تَشِطُّ غدا دارُ جيراننا[2] *

فقال له عبد الله :

* وَللدارُ بعد غــدٍ أبعدُ[2] *

فقال عمر : هكذا والله قلت . فقال له ابن العباس : وهكذا يكون ويقربُ من هذه القصة قصة[3] عدِىّ بن الرِّقاع العاملىّ حين أنشد الوليد ابن عبد الملك بحضرَة جرير والفرزدق كلمتَه التى مطلعها (كامل) :

* عَرفَ الدِّيار توهّما فاعتادَها[4] *

---

(١) نقد الشعر : ٦٣ ، والعمدة ٢ : ٢٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٢٨ .

(٢) ديوانه . ٧٢ .

(٣) انظر الأغانى ٨ :١٧٥ طبع دار الكتب . والعمده : ٣.٢ وطبقات فحول الشعــراء لابن سلام : ٥٥٨ وأسرار البلاغة عبد القاهر : ١٣٢ وعيار الشعر : ١٨

(٤) هذا صدر بيت له وعجزه :

* من بعد ما شمل البلى أبلادها *

حتى انتهى إلى قوله :

* تُزجى أغنَّ كأنَّ إبرَةَ رَوْقِهِ[١] *

ثم شغل الوليد عن الاستماع ، فقطع عدىّ الإنشاد ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ : فقال جرير : أراه يستلب منها مثلا ، فقال الفرزدق ، يالُكَع ، إنه سيقول (كامل) :

* قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدّواة مِدَادَها *

فلما عاد الوليد إلى الاستماع وعاد عدىّ إلى الإنشاد قال :

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

قال جرير للفرزدق : أكان قلبك[٢] مخبوءا فى صدره ؟ فقال الفرزدق : شغلنى سبّك عن جيد الكلام ، فقال الفرزدق : والله لما سمعتُ صدَر بيته رحمتُه ، فلمّا أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا (وعندى أن بين ابن العباس - رضى الله عنه - وبين الفرزدق فى استخراجه العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل فى كل فن ، لأن بيت عدىّ من جملة قصيدة تقدَّم سماع معظمها ، قد علم أنها دالية مردفة بألف موصولة مخرَجة بألف من وزن معروف ، ثم تقدَّم فى صدر البيت ذكر ظَبْية تَسوقُ خِشْفاً[٣] لها ، قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قَرْنه ، مع العلم بسواده ما دلَّ على عجز البيت ، بحيث يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حذّاق الشعراء ، وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من أى ضرب هى من القوافى

---

(١) الازجاء : السوق ، والأغن : ذو الغنة ، وهى صوت يتردد بن اللهاة والانف ، وكذلك صوت الظبى ، ولذلك غلب عليه لقب الاغن ، والروق : القرن . وابرته : راسه ، وتكون سوداء .
(٢) كذا فى الأصل والذى فى ا ، ت « سمعك » .
(٣) الخشف بالتثليث : ولد الظبى حينما يولد .

ولا رويّه من أىّ الحروف ، ولاحركة رويّه من أى الحركات ، فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العُسْر ونهاية الصعوبة ، لولا ما أمدّ اللهتعالى به هؤلاءالقوم من الموادِّ التى فضلوا بها غيرَهم ، ومن حذْق عبد الله بن العباس – رضى الله عنهما – ودقيق معرفته باختيار الكلام ، جعله قافية للعَجُز الذى أتى بعد «أبعد» ولم يجعلها «أنزح» وكان ذلك ممكناً له . لكون «أبعد» أسْرع وُلوجاً فى السمع ، وأسبق إلى الذهن ، وأدخل فى القلب ، وأكثر استعمالا وأعرف عند الكافَّة ، وبها جاء القرآن العزيز دون «أنزح» وهى أخفّ على اللسان ، وأولى بالبيان ، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما يدلّ صدرُه على عجزه .

والفرق بينهما أنَّ دلالة التصدير لفظيّة ، ودلالة التوشيح معنويّة .

والفرق بين التوشيح والتمكين أن التوشيح لا بدّ أن تتقدم القافية معنى يدل عليها ، ولا كذلك التمكين . ولا تكون كلمة التّوْشيح إلا فى أول الصدر ، وإن لم تكن كذلك فلا توشيح . والله أعلم .

بـــابُ الإيغـــالـــ *

سُمِّى هذا النَّوع إيغالا ، لأَن المتكلِّم أَو الشاعر أَوْغَل فى الفكر حتى استخرج سجعة أَو قافية تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام .

وأَصله من الإيغال فى السَّير وهو السرعة ، فإن الإيغال فى السير يُدْخل السائرَ فى المكان الذى يَقْصده بسرعة ، (يُقال[1] : أَوغل فى الأَرض الفلانية أى بلغ منتهاها . أَو ما قاربه . فكأَن المتكلِّم قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه . وبلغ إلى زيادته عن الحد ، كما أَن من دخل العريش مثلا من أَرض مصر فقد دخل مصر . فإذا أَوغل فى مصر فوصل إلى الصعيد يقال : قد أَوغل فى مصر لتجاوزه الحد بالزيادة عليه ، فكذلك المتكلم إذا تَم معناه ثم تعدَّاهُ عند الإتيان بسجعة أَو قافية بزيادة عليه ، فقد أَوغل فى ذلك المعنى . ولا يكون مُوغلا حتى يَنْتهى معناه إلى آخر البيت .

وهذا الباب مما فرعه قدامة أَيضاً من " ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت » . وفسره بأَن قال : هو أَن يَسْتكمل الشاعرُ معنى بيته بتمامه قبل أن يأْتى بقافيته . فإذا أَراد الإتيان بها ليكون الكلام شعرًا

× بحثه فى قواعد السعر تحت اسم الأبيات العر ۰ ٦٧ ونقد الشعر . ٦٣ والعمدة ٢ : ٤٥ والصناعتين ٢٨٠ ، وسر الفصاحة فى اثناء الكلام على الحشو ١٨٢ وخزانة ابن حجة : ٢٣٤ والطراز ٣ : ١٣١ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٨ ويسميه الحاتمى التبليغ انظر العمدة ٢ : ٤٦ .

(١) ما بين قوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا .

أفاد بها معنى زائدًا على معنى البيت نحو قول ذى الرمة[1] (طويل) :

قِفِ العيسَ فى آثار ميَّةَ واسْألِ   رُسُوماً كأَخْلاَقِ الرِّدَاءِ المُسَلْسَلِ

فتمَّ كلامه قبل القافية ، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائدًا .

وكذلك صنع فى البيت الثانى حيث قال :

أظنّ الذى يُجْدِى عليكَ سؤَالُها   دُموعاً كتَبْذير الجُمانِ المفصَّلِ

فإنه تمّ كلامه بقوله : كتبذير الجُمَان ، واحتاج إلى القافية فأتى بها تفيد معنى زائدًا ، ولو لم يأْت بها لم يحصل .

وقد حكى عن الأَصمعى أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأْتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرًا ، وإلى الكبير فيجعله خَسِيساً أو ينقضى كلامه قبل القافية ، فان احتاج إليها أفاد بها معنى ، فقيل له : نحو من ؟ فقال : نحو الفاتح لأَبواب المعانى امرئُ القيس حيث قال (طويل) :

كأَنَّ عيونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا   وأرحُلِنا الجَزعُ الَّذى لم يُثَقَّبِ[2]

فإنه انقضى كلامُه عند قوله : « الجَزْع » ثم أفاد بالقافية معنى زائدًا ، إذ قال : « لم يثقَّب » لأَن عيونَ البقر غير مثقبة .

ونحو زهير حيث يقول[3] (طويل) :

كأَن فُتاتَ العِهْنِ فى كلِّ منزلٍ   نزلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

فإنّ حب الفنا أَحمر الظاهر ، أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصُّوف

---

(١) ديوانه : ٥٠١ ، والعمدة ٢ :٤٦ ، ونهايه الأرب ٧ ١٣٨ ، والرداء المسلسل : الردىء النسج .

(٢) ديوانه ٦٨ : والجزع : الحرز اليمانى والصينى الاسود الذى يشوبه بياض .

(٣) ديوانه : ١٢ ونقد الشعر : ٦٣ والعمدة ٢ : ٤٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٣٩ ، وفتات العهن : ماتناثر من الصوف. وحب الفنا : عنب الثعلب ، شبه ما نفنت من العهن الذى علق بالهوادج اذا تزلن بمنزل بحب الفنا .

الأحمر إلا ما لم يحطِّم ، (وقد يكون[1] الإيغال تتميماً كبَيْتَيَ امرئُ القيس وزهير ، ولكن ذلك لا يسمى إلا إيغالا لانتهاء المعنى إلى آخر البيت ، وهذا إيغال الاحتياط ، وهو دون إيغال المبالغة من جهة الاصطلاح لكونه لم يفد إلا الاحتياط من الدَّخَل دون الإتيان بمعنى زائد على معنى الكلام ، والإيغال الذى ليس بتتميم فى بيتى ذى الرمة هو إيغال المبالغة) .

وأعظم ما وقع فى هذا الباب قول الخنساء (بسيط[2]) :

وإنّ صَخْرا لتأْتمُّ الهداةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ

وعندى أن هذا البيت لو أُفرد بالتمثيل فى هذا الباب لأغنى عما ساقه قدامة فى باب «ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت» من بابى «التوشيح» و «الإيغال» ، لأن صدره يدلّ على عجزه دلالة التوشيح ، ومعنى جملة البيت كامل دون قافيته وفيه بوجودها زيادة لم تكن له قبلها ، فإن هذه المرأة لم ترض لأخيها بأن تأتم به عِلْيةُ الناس ، حتى جعلته علما يأْتمُّ به أئمة الناس ، وهذا تتميم أُدمج فى صدر لفظ «التوشيح» ، ولم ترض تشبيهه بالعَلَم ، وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية ، حتى جعلت فى رأسه نارا . وإذا وصلت إلى بلاغة القرآن العزيز ، وصلت إلى الغاية القُصْوى ، وذلك قوله تعالى : (وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[3]) فإن المعنى قد تم بقوله ـ سبحانه ـ : «ولا تسمع الصم الدعاء» ثم أراد ـ وهو يعلم ـ تمام الكلام

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ١ .

(٢) الديوان : ٩٢ خط والعمدة ٢ : ٤٧ والصناعتين : ٣٩١ والطراز ٣ : ١٣١ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٩ .

(٣) النمل : ٨٠ .

بالفاصلة فقال : « إذا ولّوا مدبرين » فإن قيل : فما معنى مدبرين ؟ ، وقد أغنى عنها قوله : « إذا ولوا » قلت لا يُغْنى عنها قوله : « وَلّوا » فان التولّى قد يكون بجانب دون جانب ، بدليل قوله تعالى : (أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ)[1] وإن كان ذكر الجانب هنا مجازا ، ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صمٌّ لا يَسْمعون ، أراد تتميم المعنى بذكر تولّيهم فى حال الخطاب ، ليَنْفِىَ عنهم الفَهْم الذى يَحْصل من الإشارة ، فإن الأَصمّ يَفْهم بالإشارة ما يَفْهمه السميع بالعبارة ، ثم علم أن التولّى قد يكون بجانب من المتولّى ، فيجوز أن يَلحظ بالجانب الذى لم يتولّ به ، فيحصل له إدراك لبعض الإشارة ، فجعل الفاصلة « مدبرين » ليعلم أن التولّى كان بجميع الجوانب ، بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرًا ، فاحتجب المُخاطِب عن المخاطَب ، إذ صار من ورائه ، فخفيت عن عينيه الإشارة ، كما صم أذناه عن العبارة . فحصلت المبالغة فى عدم الإسماع بالكليّة (وهذا[2] الكلام وإن بولغ فيه بنفى الإسماع بتّةً ، فهو من إيغال الاحتياط الذى أُدمجت فيه المبالغة فى نفى الاسماع ، وقد يأْتى الاحتياط فى غير المقاطع من مجموع جُملٍ مُتَفرّقة فى ضروب من الكلام شتّى يجمعها معنى واحد كقوله تعالى : (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ[3]) الآية ؛ وقوله سبحانه : (قُلْ فَأْتُوا بَعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ[4]) وقوله : (فَأْتُوا

---

(١) الاسراء : ٨٣ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٣) الاسراء : ٨٨ .

(٤) هود : ١٣ .

بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ[1]) كما يقول الرجل لمن يَجْحَده : ما يستحق عَلَيَّ درهما ولا دَانقاً ولاحبَّة ، ولا كثيرًا ولا قليلا ، ولو قال : ما يستحق عليَّ شيئاً ، لأغنى فى الظاهر عن ذلك ، لكن التفصيل والتَّنزُّل دلَّ على الاحتياط وعلى شدة الاستبصار فى الإنكار .

ومن إيغال الكتاب العزيز أيضاً قوله تعالى : (اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[2] ، فإن المعنى تم بقوله سبحانه : « من لايسألكم أجرًا » ثم أراد الفاصلة لمناسبة رءُوس الآى ، فأوغل بها كما ترى ، حيث أتى بها تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام، وجاء فى الكلام إيغال حسن بعد تَتْميم) ولقد أحسن ابن المعتز فى قوله لابن طَبَاطَبا العَلَوِىِّ (متقارب) :

فأَنْتمْ بنو بنْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عمِّه المُسْلِمِ[3]

فإنَّه أعطى بنى عمِّه حَقَّهم من الشَّرف ، واعترف لهم من فضل الأَبوين بما اعترف ، ثم فطن إلى أنه إن اقتصر على ذلك فَضَّلهم على بنتِه ، فتحيَّل على المساواة ، إذ لا طريق له إلى التفضيل بأَن قال :

* ونحن بنو عمِّه المسلمِ *

فجعل هذه الفضيلة قُبَالة تلك ، وهذا القسم من الإيغال يحسن أن يسمَّى إيغال التَّخيير ، فإنه تخيَّر من القوافى التى تفيد الإيغال قافية يكون ما تفيده مُوفياً بمقصوده من غير معارضة ، فإنه لو قال : « بنو عمِّه الأَفضل » لكونه مسلماً لَعُورض بحمزة – رضى الله عنه – ، وهو إيغال الاحتياط ، لكونه تتميماً للمعنى ؛ وقد ذهب بعض النقّاد إلى أنه بهذا الإيغال أراد الاستدلال

(1) البقرة : ٢٣ . (2) يس : ٢١ .
(3) العمدة ٢ : ٤٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٩ .

على استحقاق بنى العبّاس الخلافة وسوّى بين بيته . وبيت مروان بن أبي حَفْصة[1] وهو قوله (كامل) :

أنَّى يَكُونُ وليسَ ذَاكَ بكائنٍ لِبَنِى البَناتِ وِرَاثةُ الأَعْمَامِ

وبين البيتين بون بعيد فى الجَوْدة وصحة المعنى ، فإن بيت ابن المعتز أَقْصَرُ وزناً وأَصحُّ معنى ، وأعذبُ ألفاظاً ، وأوجزُ جملا ، وأخفُّ محملا مع ما وقع فيه من التلطّف لبلوغ الغرض من غير مجاهزة بلفظ ولا مواجهة بمضض ، فأما صحّة معناه بالنسبة إلى بيت مروان فمن جهة أن مروان زعم أن بنى الأعمام أحقّ بالفضل من بنى البنات ، فأخذ بعموم هذا الاستدلال ، وذهل عن أن هذه القضية التى هو آخذ فيها خارجة من هذا العموم ، لأن بَنِى علىّ بنو بنات وبنو أعمام ، وما ذكره مروان لا يتناول إلا من لم يكونوا بنى أعمام من بنى البنات ، فأما من لم يمتّ بالقُربى من طرفيه ، ويدلى بالاستحقاق من جهة أبويه ، فخارج عما ذكر ، (ولا يقال[2] هذا مايُرَدّ على مروان ، لأنه صرّح بالإرث ، ولا الأعمام أحقّ بالإرث من بنى البنات ، فإنى أقول : إنْ لم يُرد بالإرث الفضل فكلامه محال ، إذ لايصح أن يريد إرث المال ولا إرث الخلافة ، أما المال فلأن النبىّ — صلى الله عليه وسلم — لا يورث ، وسيأتى بيان ذلك[3] .

وأما الخلافة ، فلأن الخلافة لو كانت بالإرث لما وصلت لأبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — قبل العباس — رضى الله عنه — فإذا أُحْسِن الظن بمروان حمل

(1) الاغانى ٨ ، ١٥ طبع الاميرية .
(2) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(3) انظر الكلام على هذا الحديث فى صفحة ٢٢٨ وما بعدها .

قوله «وراثة الأعمام» على وراثة الفضل ، وحينئذ يأتى ما ذكرناه ، ولم يرد بالأعمام إلا بنى الأعمام ، وببنى البنات إلا بنى على - رضى الله عنهم - فإنه مدح بالقصيدة الرشيد ، وعرّض بيحيي بن عبد الله بن الحسن بن على ، والأولُ بنو أعمام فقط ، والأُخرُ بنو أعمام وبنو بنات ، فكانت للأُول مزيّة لم تكن للأُخر ، قابلها ابن المعتز بأن أباه بنو العمّ المُسْلم فكانت هذه بتلك ، فحصلت المساواة ، فثبَت الفضلُ لبيته على بيت مروان) وما يستكثر مثل هذا الجهل من مروان وهو يقول فى هذه الأبيات للرشيد (كامل) :

يابْن الّذى وَرِث النبيَّ محمدا دون الأقارب من ذَوِى الأرحامِ

فليت شعرى ماالذى ورثه العباس - رضى الله عنه - من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دون ذوى رحمه ، وكيف يقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يورث؟ وهذا أفضل الصحابة وأفقههم يحتجّ على فاطمة - عليها السلام - فى أمر فَدَك والعَوَالى ، بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نَحْنُ معاشِرَ الأنبياء لا نُورَث ، ما تركناه صدقة »[1] فإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يورث فلم مُنِعتْ فاطمة ما ادّعتْ[2] وإن كان لا يورث فلمَ يدّعى هذا الجاهل أن العباس - رضى الله عنه - ورثه دون ذوى رحمه؟ وأصل الحديث يروون أن أبا بكر - رضى الله عنه - أعطى عليًّا عِمامة رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - وسيفَه دون العباس ، ثم لم يقنع مروان بهذا حتى قال (كامل) :

---

(١) شرح البخارى للقسطلانى ١٢ : ٤ .

(٢) كذا فى الأصل و ١ . والذى فى ت « فلم منعت فاطمة حقها الذى ادعته ؟ » .

ما للنساءِ معَ الرِّجالِ فَرِيضةٌ نَزَلَتْ بذلك سورةُ الأَنعامِ

فما أدرى على ما ذا أحسده ، أعلى معرفته بالفرائض ، أم على حفظه للقرآن ؟ وما أعلم من أين فى سورة الأَنعام ذكر شىء من الفرائض ، أوحكم من أحكام المواريث ، أو ذكر نسب أو شىء مما يقارب هذا الشأن ، وليتنى أعرف فى أى موضع من القرآن ذكر أن النساء لا فريضة لهن مع الرجال ؟ ومن يقع فى مثل هذا لا يستعظم منه خطوه فى البيت الذى ذكرناه له أوَّلا . هذا الفساد من جهة المعنى .

وأما ترجيح اللفظ فإن بيت ابن المعتز من محذوف المتقارب ، حروفه ستة وثلاثون حرفاً ، وبيت مروان من مَقْطوع الكامل ، حروفه اثنان وأربعون حرفاً ، إلى سهولة سبكه ، وجَوْدة تركيبه ، وإيجاز جُمَلِه وخفَّة مفرداته ، وكَثْرةُ استعمالِ كلماته ، (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار[1]) ولم أر من أمثلة هذا الباب مثل بيتٍ من بيتَىْ الحماسة أغفله النقَّاد وهو (طويل) :

وما شَنَّتَا خرقاءَ واهِيَتَا الكُلَى سَقَى بهما ساقٍ ولمَّا تَبَلَّلا[2]

بأَضيَعَ من عَيْنَيْك للدّمع كلَّما توسَّمْتَ دارا أو ترسّمتَ مَنزِلا

والبيتَ الأَولَ أردتُ ، فإنه وقَع الإيغالُ فيه بعد ثلاث جمل : فى كل جملة تَتْميم ، الأُولى قوله : شَنَّتا ، فإن الشنَّة المزادة العتيقة ، وإضافتهما إلى خرقاءِ التى هى ضد الصَّناع ، يريد أن خَرْزَهما غيرُ مُحْكَم ، فهما يضيِّعان

(١) سورة الحشر : ٢ .

(٢) البيتان لذى الرمة انظر ملحقات ديوانه : ٦٧١ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى القسم الثالث ١٣٧٢ . والشنة : السقاء البالى .. والخرقاء التى لابصيرة لها بالأعمال .

الماء أبدا ، فصار ذلك تَتْمِيمَيْن ، ثم قال بعد ذلك «واهيتا الكلى» أى كُلاهما مخروقتان ، ثم أوغل بقوله :

* سقى بهما ساقٍ ولما تبلَّلا *

فإن المزادة إذا ابتلَّت تمدّد أديمُها ، وانتفخت سيورُها ، وانسدّ أكثرُ بثُوقها ، وإذا كانت يابسة عدمت ذلك كلَّه ، فكانت للماء أضيع منها وهى مبتلَّة ، ثم فى مجموع البيتين بعد ذلك تفريع حَسن ، وستعلم حقيقة التفريع فى بابه ، فتقدِّر ما وقع فى هذين البيتين منه قَدرَه .

(ومن أعجب[1] إيغال وقَعَ فى الشعر قول عبد الله بن الزبير الأَسدِى[2] (طويل) :

هُمَا خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤك منهما ... رُكوبُك حَوْليًّا من الثَّلج أَشْهَبَا

فإن هذا البيت وقع فيه الاستعارة ، والتورية ، والترشيح ، والإيغال . فالاستعارة فى قوله : «ركوبك» فإنه استعار الركوب للمسافر فى الثلج لاحتياج المسافر للركوب ، والتورية فى قوله «حوليًّا» ولو لم يرشّح بلفظة الركوب لما حصلت التورية فى لفظ حولى ، ورشح بمجموع الاستعارة والتورية للإيغال ، إذ لو لم يذكر (الركوبَ والحولىَّ) لما حَسُن أن يقول : «أَشْهَبَا» وقد وقع من الإيغال فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً[3]) ثم احتاج الكلام إلى فاصلة تناسب القرينة الأُولى ، فلما أتى بها أفاد مجيئها معنى زائدًا .

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٢) انظر الأغانى ١٤ : ٢٤٥ ط دار الكتب المصرية .

(٣) المائدة : ٥٠ .

والفرقُ[(١)] بين التَّتميم والإيغال من ثلاثة أوجه :

أحدها أن التتميم لا يَرِد إلا على كلام ناقص شيئاً ما ، إما حُسْن معنى أو أدبٍ ، أو ما أشبه ذلك ، كالبيت الذى تقدم ، فإن المعنى بدون قوله : « ويُعْطوْه »[(٢)] ناقص ، والإيغال لا يرد إلا على معنى تامٌ من كل وجه .

والثانى اختصاص الإيغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه ، لأَن الموغل فى الأَرض هو الذى قد بلغ أَقصاها أَو قارب بلوغه ، فلما اختص الإيغال بالطَّرَف لم يبق للتَّتميم إلا الحشو .

والثالث أن الإيغال لا بدّ وأن يتضمَّن معنى من معانى البديع ، والتتميم قد يتضمن وقد لا يتضمن ، وأَكثر ما يتضمَّن الإيغال التشبيه ، والمبالغة ، حتى لو قيل : إنه لايتعدَّى هذين الضربين لكان حقًّا ، والتتميم يتضمن طورًا المبالغة ، ويتضمن حيناً الاحتياط ، ويأْتى مرّة غير متضمِّن شيئا سوى تتميم ذلك المعنى ؛ والله أعلم .

تمت أبواب قدامة بتمام هذا الباب ، بعد أبواب ابن المعتز ، وجميعها ثلاثون باباً وهى الأُصول[(٣)] .

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

(٢) انظر البيت لنافع بن خليفـــة فى باب التتميم من هذا الكتاب .

(٣) ورد فى «أ» بعد هذه الكلمة ما نصه : « وهذا آخر الجزء الأول من هذا الكتاب . الجزء الثانى من هذا الكتاب ومن هاهنا الخ ».

تحرير التحبير

في

صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن

الجزء الثاني

ومن ها هنا نَبْتدئُ فى سياقة : أبواب المتأَخِّرين بعدَهما[1] ، فأوّلها :

بـــابُ الاحـتـــراس*

وهو أن يأْتى المتكلّم بمعنى يتوجَّه عليه دَخَلُ ، فَيفْطِنِ له ، فيأْتى بما يخلّصه من ذلك ، والفرق بين الاحتراس ، والتكميل ، والتتميم أن المعنى قبل التكميل صحيح تام ، ثم يأْتى التّكميل بزيادة يَكْمُل بها حُسْنُه إما بفن زائد ، أو بمعنى ، والتَّتميم يأْتى ليتمّمَ نَقْصَ المعنى ونقصَ الوَزْن معاً والاحتراس لاحتمال دَخَل على المعنى ، وإن كان تامّا كاملا ، ووزن الكلام صحيحاً ، (وقد[2] جعل ابنُ رشيق الاحتراس نوعاً من التتميم ، وسوّى بينهما ، وقد ظهر الفرق بينهما ، فَجَعْلُهما فى باب واحد غير سائغ)

والفرق بينه وبين المواربة بالراء المهملة أيضاً ، أن الاحتراس يُؤْتى به وقت العمل عند ما يَتَفَطَّن المتكلّم لموضع الدَّخَل ، والمواربة يُؤْتى بها وقت العمل ، وبعد صَيْرُورة الكلام ، والمواربة بالراء المهملة ، تكون بالتّصْحيف والتحريف واهتدام الكلمة ، والزيادة والنقص ، والاحتراس بزيادة الجُمَل المفيدة المتضمِّنة معنى الانفصال عمّا يحتمله الكلام من الدّخل ، والمواربة تكون فى نفس الكلام وتكون منفصلة عنه .

---

(١) اى بعد ابن المعتز وقدامه .

* بحثه فى البيان والتبيين ١ : ٢٢٨ . والعمدة تحت اسم التتميم : ٤١ . وسر الفصاحة تحت اسم التحرز مما يوجب الطعن : ٣٢٢ . وبديع ابن منقذ : ٢٨ والايضاح تحت اسم التكميل ٣ . ٢٣٤ وخزانه ابن حجة ٤٥٨ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت . وهوفى فى هامش ١ .

والاحتراس لايكون إلا فى نفس الكلام ، وسيأتى بيان المواربة وأمثلتها فى بابها .

والفرق بين الاحتراس ،والمناقَضَة والانفصال ، أن الاحتراس هوما فطن له الشاعر أو النّاثر وقت العمل فاحترس منه . والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخلَ عليه ، فيأتى بجملة من الكلام ، أو بيت من الشعر يَنْفَصِل به عنه ذلك الدّخل .

والفرق بين المواربة والانفصال ، أن المواربة تكون كما تقدّم فى كلمة من الكلام ، أو فى كلام مُنفصل عنه ، والانفصال لايكون إلا ببيت مُسْتقلٍّ ، أو جملة مُنْفردة ، عن سياقِ الكلام مُتعلّقة به ، داخلة فيه .

ومن أمثلة الاحتراس فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1] فإنه تعالى لمَّا أخبَر بهلاك من هلك بالطُوفان ، أَعقبه بالدعاء على الهالِكين ، وَوَصفهم بالظُّلم ، ليعلمَ أن جميعَهم كان مستحقاً للعذاب احتراسا من ضعيف يتوهُّم أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق العذاب ، فلما دعاعلى الهالكين ووصفَهم بالظلم عُلِم استحقاقُهم لما نزل بهم ، وحلّ بساحتهم وظهَر من ذلك صدقُ وعدِه لنبيّه نوح عليه السلام ، وأعلمنا أنه قد أنجزه وعدَه الذى قال فيه :(وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)[2] ، وأعجبُ احتراس وَقَع فى كتاب الله الكريم قوله ــ سبحانه ــ : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الأَمْرَ)[3] ، فإنه ــ تبارك وتَعالى ــ لمَّا نَفَى عن حبيبِه ورسولهِ

(١) هود : ٤٤ . (٢) هود : ٣٧ .
(٣) القصص : ٤٤ .

صلى الله عليه وسلم - أن يكون بالمكان الذى قَضَى فيه لموسى - عليه السلام - الأمر ، عرّفَ المكانَ بالجانبِ الغربىّ ، ولم يقل فى هذا الموضع ، كما قال فى الإخبار عن موسى - عليه السلام - : (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ)[1] أدباً مع نبيّه وحبيبِه محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يَنْفىَ عنه كونه بالجانب الأيمن ، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكَرَ الجانب الأيمن تشريفاً لموسى - عليه السلام - فالمح لطيف هذا الاحتراس من بلاغة الكتاب العزيز جلّ المتكلّم به[2] .

ومثال الاحتراس من السنَّة قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على لسان إحدى النّسْوة من حديث أم زَرْع ،حيث وصفت زوجَها فقالت : المسّ مسّ أَرْنبٍ ، والريحُ ريح زَرْنَب ، وأَغْلِبُه والناسَ يغلب » فقولها : والناسَ يغلب احتراس حسن ، لأنها لو سكتَتْ على قولها : وأَغْلِبه ، لقيل لها : إن رجلا تغلبُه امرأة لمغَلَّبٌ ضَعيف ، فاحترسَت من ذلك فقالت : « والناسَ يغلِب » ، فناسبت بين قرائنها بجملة تتضمّن معنى الاحتراس مما يتوجه على معنى المدح من الدَّخَل الذى ينقص به المعنى ، فحصل فى الكلام احتراس مُدْمَج فى موضع إيغال . (ومتى وقع[3] الاحتراس والتتميم فى موضع الإيغال أوهم أنه إيغال ، فيجب[4] أن نعرف أن الإيغال

---

(١) مريم : ٥٢ .

(٢) زاد بعد هذه الكلمه فى ا ، ت ما نصه « ومن لطيف الاحتراس فى القرآن ايضا قوله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون » فان هذا الكلام لو اقتصر عليه لجاء موافقا لمعتقد المشركين فى انكار البعث، فلا جرم أن البلاغة أوجبت الاحتراس من هذا الاحتمال بقوله سبحانه : « وان كل لما جميع لدينا محضرون » ومن أمثلة الاحتراس الخ ..

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٤) كذا فى الأصل . والذى فى هامش ا « انه ايغال صحته ان نعرف » الخ .

كون القافية تفيد الكلامَ معنى زائدًا بعد تمام معناه وصحّته ، والإيغال يفارق التّكميل بأمرين :

مجيئه فى القافية فقط ، واختصاصه بالمعانى دون الفنون .

ومن أمثال هذا الباب الشعرية قول الخَنْساء فى أخيها صخر (وافر) :

ولولا كَثْرةُ الباكين حَوْلى ... على إخوانِهمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى[1]

ثم تخيَّلتْ أن قائلا قال لها : لقد ساويتِ أخاك بالهالكين من إخوان الناس ، فكيف أفرطت فى الجزع عليه دونهم؟ ، فاحترست من ذلك بقولها (وافر) :

وما يَبْكون مثلَ أخِى ولكنْ ... أعزِّى النَّفسَ عَنْه بِالتَّأسِّى[2]

---

(١) انيس الجلساء : ٨١ .

(٢) راد فى ا ، ت بعد هذا البيب قوله : ومن الاحبراس نوع لطيف جــدا لم أسـبق الى استحراحه وهو ان بذكر المتكلم جملة للدلالة على عرضه ، او افتصر عليها ما تم غرضه الذى لجأ البه ، ولو عطف على مظهرها مضمرا لم يتم ذلك الغرض ايضا ، لأن غرضه الاقتصار على الجملة الاولى ظنا منه انها كافيه فى غرضه فلما فطن الى قصورها عن الغرض عطف عليها جملة يشعر بانها مستانفه ، لكون الاتيان بها مهما كالاتيان بالاولى وذلك كقوله تعالى : «يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا » فانهم تكلموا بالجملة الاولى ظنا ان من اطاع الله وعصى رسوله كان مطيعا ، ثم علموا ان طاعة الرسول مشروطة مع طاعة الله تعالى ، فاتوا بالجملة الثانيـه بلفظ مشعر انه مستقل فى المعنى ، وان كان معطوفا فى اللفظ ، فقالوا : واطعنا الرسول ولم يقولوا : اطعنا الله والرسول .

بـــابُ المـُـوارَبـَـة

براء مهملة

وهى من وَرَبَ العِرْق بفتح الواو والراء : إذا فَسَد ، فهو وَرِبٌ بكسر الراء ، فكأن المتكلِّم أفسدَ مفهومَ ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه .

وحقيقتُها أن يقولَ المتكلِّم قولا يتضمَّن ما يُنْكر عليه بسببه ، لبعدِ ما يتخلَّص به منه ، هذا إن فطن له وقت العمل وإلا ارتجل – حين يُجْبَه به – ما يخلِّصه منه من جواب حاضر ، أو حجَّة بالغة ، أو تصحيف كلمة أو تحريفها ، أو زيادة فى الكلام أو نقص ، أو نادرة مُعْجِبة ، أو ظُرْفة مُضحكة .

فأما شاهد ما وقع من المواربة بالتَّحريف ، فقول عُتْبَان الحَرُورِى (١) (طويل) :

فإن يَكُ مِنكمْ كان مَرْوانُ وابنُه ... وعَمْرٌو ومنكمْ هاشمٌ وحبيبُ
فمِنَّا حُصَينٌ والبُطَينُ وقَعْنَبٌ ... ومنا أميرُ المؤْمنين شَبيبُ

فإنه لما بلغ الشَّعر هشاماً ، وظفِر به قال له : أنت القائل :

* ومنا أميرُ المؤْمنين شبيب *

فقال : لم أقل كذا وإنما قلت :

* ومنا أميرَ المؤْمنين شبيب *

× بحثها فى خزانة ابن حجة : ١٦٢ وأنوار الربيع : ٢٣٧ .

(١) الخبر مع البيتين فى النهاية لابن كثير ٩ : ١٠ والموازنه للآمدى : ٨٦ وبديع القرآن : ٩٥ وأنوار الربيع : ٢٣٨ .

فتخلص بفتحذ الراء بعد ضمّها ، وهذه ألطف مواربة وقعت ، ودونها قول نُصَيْب (طويل) :

أهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإن أَمُتْ
فَواكَمَدِي من ذا يَهِيمُ بها بَعْدِي[1]

وقيل له : اهتمَمْت بمن يفعل بها بعدك ، فقال : لم أقل كذا ، وإنما قلت :

* فواكَمَدى ممّن يهيم بها بعدى *

فتخلّص بإبدال كلمة من كلمة ، فهذا وأشباهه يحتمل أن يكون الدَّخَل وقع فيه للشاعر وقت العمل ، ويحتمل ألا يكون وقع له ، وارتجل التخلّص عند سَماعه ، والذى لايحتمل أن يكون فطن له حتى قيل له — قول الأخطل[2] (طويل) :

لقد أوقَعَ الجحّافُ بالبِشْر وَقْعةً ... إلى الله منها المُشْتَكَى والمعوَّلُ
فإلاَّ تُغَيِّرها قُرَيشٌ بمَلْكِها[3] ... يكنْ عن قُرَيشٍ مُسْتَمازٌ ومزْحَلُ

فقال له عبد الملك بن مروان : إلى أين يا بن اللَّخْناء ؟ فقال : إلى النار ، فضحك منه ، وسكَت عنه ، فتخلّص بهذه النادرة .

وقد تكون المواربة من غير هذين النَّمَطَيْن ، كقوله عليه السلام

(١) الشعر والشعراء ١ : ٣٧٣ .

(٢) عيار الشعر : ٩٣ ، والبشر : جبل بالجزيره فى عين الفرات الغربى ، وله يوم ، انظر تفصيل ذلك فى ديوانه ١٠ .

(٣) ضبطت هذه الكلمه فى الديوان : ١١ بضم الميم ، وهو خطا والصواب ما اثبتنا عن اللسان مادة « ماز » ليستقيم المعنى به لأن الشاعر يريد بقوله : بملكها بفتح الميم ، أى باستطاعتها والضم هنا لايفيد هذا المعنى ، وشاهده من القرآن الكريم قوله تعالى ، « قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا » الخ ، ومستماز : من ماز الرجل اذا انتقل من مكان الى مكان ، ويقال امتاز واستماز القوم : أى تنحى جماعه منهم ناحيه ، والمزحل : مصدر ميمى من زحل .

للعبّاس بن مِرْداس[1] حين أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (متقارب) :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونهبَ العَبيدِ بين عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يفوقانِ مِرْداسَ فى مَجْمَعِ
وما أنا دُون امرئٍ مِنْهما ومن تَضَع اليومَ لا يُرْفعِ

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا علىّ ، اقطع لسانَه عنّى ، فقبض علىٌّ - عليه السلام - على يَدِه وخرج به ، فقال : أَقاطعٌ أنت لسانى يا أبا الحسن ؟ فقال : إنى لمُمضٍ فيك ما أمر .. فهذه أحسن مواربة سمعتُها فى كلام العرب ، ثم مَضىَ به إلى إبل الصدقة فقال : خذ ما أَحبَبْتَ أو كما قال .

(ومن المواربة[2] متّصل ومُنْفصل ، وقد أتينا بأَمثلة القِسْمين ، فالمتّصل منها ما كان تخلّصه فى نفس الكلام ، والمنفصل ما كان التخلُّص فيه من كلام آخر ، كالذى تقدّم لعلىٍّ - عليه السلام - والأَخطل .

ومن أَوضح أَمثلته قصّة كُثَيِّر مع عبد الملك بن مروان ، وقد أنشده (طويل) :

على ابن أَبى العاصِى دِلاصٌ حَصِينةٌ
أَجادَ المُسَدِّى نَسْجَها فأَذالَها

(١) ترجمته والابيات فى الاغانى ١٤ طبع دار الكتب ٣٠٨ .
(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

فقال له عبد الملك : قول الأعشى[1] فى صاحبه خير من قولك هذا فِىَّ حيث يقول (كامل) :

كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ   بالسَّيف تَضْرب مُعْلِماً أَبطالَها

فقال : الأعشى وصفَ صاحبَه بالخُرْق ، ووصفتك بالحَزْم .

(١) ديوانه : ١٨ .

باب الترديد *

وهو أن يعلِّق المتكلم لفظةً من الكلام بمعنى ،ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ، كقوله ــ سبحانه وتعالى ــ : (حَتَّى يُوتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاَتِهِ »[1] فالجلالة الأُولى مضاف إليها ، والثانية مبتدأ بها[2] وقوله : « وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا »[3] ، وكقوله ــ عز وجل ــ : « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فيه رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا »[4] .

ومن الترديد نوع يُسمّى التَّرديد المتَعدّد ، وهو أن يتردّد حَرْفٌ من حروف المعانى ،إما مرّة أو مراراً ، وهو الذى يتغيّر فيه مفهوم المسمّى لتغيّر الاسم : إما لتغاير الاتصال ؛ أو تغاير ما يتعلّق بالاسم . ومثال هذا النوع قوله تعالى : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » فإن اتّصال مِن بضمير المخاطبين الغائبين فى الموضعين مع ما تضمَّنت مَن مِنْ معنى الشرط ــ أصارت المؤمنين كافرين عند وقوع الشرط ، وقد يرتدّ حرف الجرّ فى الجملة من الكلام

× بحثه العمدة ٢ : وبديع ابن منقذ : ٢٦ وخزانة ابن حجة : ١٦٤ والطراز ٣ : ٨٢، ونهاية الارب ٧ . ١٤١ وحسن التوسل : ٧٠

(١) هذه قراءة ورش ، هى آيه ١٢٤ من سورة الانعام .

(٢) زاد فى ١ ، ت بعد هذه الكلمة ما نصه ، وكقوله « ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم » .

(٣) الروم : ٦ ، ٧ .

(٤) التوبة ١٠٨ وهى ساقطة من ت وموجودة فى هامش ١ .

والبيت من الشعر مرارًا عدّة فى جُمَلٍ متغايرة المعانى ، ومثاله قول الشاعر (بسيط) :

يُريك فى الرّوْع بدْرًا لاَحَ فى غَسَقٍ فَلَيْثَ عِرِّيسَةٍ فى صُورَةِ الرَّجُلِ

وربما كان المتردّد غير حرف الجر ، كحرف النداء أو غيره ، ومثاله قول المتنبي (منسرح) :

يابدرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ليثَ الشَّرَى[1] ياحِمَامُ يارجلُ

ومثال المُتَردِّد من الجُمل غير المتعدِّدةقول أبى نُواس[2] (بسيط) :

صفراءُ لا تَنْزِل الأَحْزانُ ساحتَها لو مسَّها حَجرٌ مسَّته سَرَّاءُ

فقوله : مسّها ، ومسّته – ترديد حسن .

وقد يَلْتبس الترديد الذى ليس تعدّدا من هذا الباب بباب التعطُّف ؛ والفرق بينهما : أن هذا النوع من الترديد يكون فى إحدى قسْمَى البيت تارة وفيهما معًا مرة ، ولا تكون إحدى الكلمتين فى قسم والأُخرى فى آخر ، والمراد بقربهما أن يتحقَّق الترديد ، والتعطُّف وإن كان ترديدَ الكلمة بعينها ، فهو لايكون إلا متباعدًا ، بحيث تكون كلٌّ كلمة فى قسم . والتَّرديد يتكرر ، والتعطف لا يتكرر ، والترديد يكون بالأَسماء المفردة ، والجمل المؤْتلفة والحروف ، والتعطُّف لا يكون إلا بالجمل غالباً ، (والفَارِق[3] بين الترديد والتكرار أن اللفظة التى تُكَرَّر فى التَّكرار لاتُفيد معنى زائدًا ، بل الأُولى

(١) ديوانه ٢ : ١٥٧ والشرى : طريق فى سلمى كثير الاسد ، والحمام بكسر الحاء : الموت.
(٢) ديوانه : ٢٤٣ ، والطراز ٣ : ٨٢ ونهاية الأرب ٧ ١٤١ .
(٣) ما بين قوسين ساقط من ت.وهو فى هامش ١ .

هى تَبْيِينٌ للثانية وبالعكس ، واللَّفظة التى تَتَردَّد تفيد مَعْنَى غير معنى الأُولى منهما ، واشتقاقُهما مُشْعِرٌ بذلك ، لأَن الرَّادّ من وجهٍ لايبلغ إلا الموضع الذى أَراده ، والكَّارُّ هو الذى انتهى إلى الموضع المراد ، وكَرَّ راجعاً ، ومنه الكَرُّ والفَرُّ وقول امرئٌ القيس : « مكر مفر »[1] وأنه لايكرّ إلا بعد الفرار) وبيت أَبى نواس الذى قدمناه مما جاء التَّرديد فى عَجُزه دون صَدْره .

وأَما ما جاء فى الصَّدر والعَجُزِ فكقول أَبى تمام (طويل) :

دِيارُ نوارٍ ما ديار نوارٍ كسونَك شجواً هنَّ منه عَوَارِ

ومثال ما جاء فى الصدر والعجُز معا قول أَبى نواس[2] (خفيف) :

قل لِمَنْ سادَ ثُمَّ سادَ أَبُوه قبْلَه ثم قبلَ ذلك جَدُّهْ

ومن الترديد نوع آخر يُسَمَّى تَرْديد الحَبْكِ ، ويسمى بيته المَحْبوك ، وهو أَن تَبْنِى البيتَ من جمل تردّ فيه كلمة من الجملة الأُولى فى الجملة الثانية ، وكلمة من الثالثة فى الرابعة ، بحيث تكون كلّ جملتين فى قسم ، والجملتان الأَخيرتان غير الجملتين الأُوليين فى الصورة ، والجمل كلها سواءٌ فى المعنى ، كقول زهير (بسيط) :

يَطْعنُهمْ ما ارتَمَوْا حتّى إذا اطَّعنُوا

ضَارَبَ حتّى إذا ما ضَاربوا اعْتَنَقَا[3]

فقد ردَّد كلمةً من الجملة الأُولى فى الجملة الثانية ، وردَّد كلمةً من الجملة الثالثة فى الجملة الرابعة ثنتان فى كل قسم ، وكلُّ جملتين متفقتان

---

(١) بعض بيت له وتكملته ... مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٢) ديوانه : ١٢٢ .

(٣) ديوانه : ٥٤ ونقد الشعر : ٢٣ والعمدة ٢ : ٢٢ والوساطة : ٤٦ .

فى الصورة غير أنهما مختلفتان ، إذا نظرت إلى كل قِسْم وجملته ، وإن اشتركا فى المعنى ، فإن صورةَ الطَّعن غير صورة الضَّرب ، ومعنى الجميع واحد ، وهو الحماسة فى الحرب ، والبيت أعنى بيتَ زُهير مع كونه من شواهد التَّرديد المحبوك ، فإنه يصلح أن يكون من شواهد صحّة التقسيم ، لأنه استوفى فيه أقسامَ حالات المُحَارِب ، وإن جاءت صحة التقسيم مُدْمَجةً فى التَّرديد ، والله أعلم .

باب التعطف *
(وقد سماه قوم المشاكلة) [1]

وقد تقدم أن التعطُّف كالترديد فى إعادة اللفظة بعينها فى البيت ، وأن الفرق بينهما بموضعهما وباختلاف التردُّد ، وثبت أن التعطُّف لابدَّ وأن تكون إحدى كلمتيه فى مصراع والأُخرى فى المصراع الآخر ، ليشبه مصراعَا البيت فى انعطاف أَحدهما على الآخر بالعطفين فى كل عطف منهما يميل إلى الجانب الذى يميل إليه الآخر .

ومن أمثلته قول زهير (بسيط) :

من يَلْقَ يوماً على علاَّته هَرِما   يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا[2]

وكقولِ عَقِيل بن عُلَّفة[3] (طويل) :

فتًى كان مولاه يَحُلُّ بفَجْوةٍ   فَحَلَّ المَوَالَىَ بَعْدَه بمَسِيلِ

(*) بحثه فى الصناعتين ٤٢٠ والايضاح ٦ : ٢٧ تحت اسم المشاكلة ، وخزانة ابن حجة ٤١٧ ومعاهد التنصيص ٢ . ٢٥٢ تحت اسم المشاكلة ، وأنوار الربيع ٦٧٩ تحت اسم المشاكلة ايضا ، وتعريب المعاهد فى شرح الشواهد ٣٢٧ خط .

(١) الحقيقة هى ان التردد والمشاكلة والتعطف ـ على راى من سماه بهذا الاسم ـ نوع واحد . والخلاف بين هذه التسميات : ان الترديد هو ترديد الكلمتين فى مصراع واحد ، أو فى جملة واحدة والتعطف او المشاكله هو ترديدها فى مصراعين ، وكان الأجدر بعلماء البديع الا يكثروا من التفريع والتلوين فى هذه الألوان ويجعلوها لونا واحدا نطلق عليه اسم واحد ما دام المعنى متفقا .

(٢) ديوانه : ٥٣ ، ونقد الشعر : ٢٣ والعمدة٢ : ٢ ، وقد تكلم عنه صاحبه تحت اسم الترديد ، ولم يفرق بينهما كما فرق ابن ابى الاصبع بين الترديد والتعطف ، والطراز ٣:١٠٥ ونهاية الأرب ٧:١٤١ .

(٣) الاغانى ١١ : ٢٢ ط بولاق وروايته: « بربوة »

وكقول أبي تمام[1] (كامل) :

فلَقيتُ بين يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِه ولقيت بين يَدىً مُرَّ سؤالِه

وكقول المتنبي (طويل) :

فَسَاقَ إلىَّ العُرفَ غيْرَ مُكَدّر وسقتُ إليه المدح[2] غيرَ مُذمَّمِ[3]

وهذا البيت أفضل بيت سمعته فى هذا الباب ، فإنه انعطفت فيه ثلاثُ كلمات من صدره على ثلاثِ كلمات من عَجزُه ، ففيه بهذا الاعتبار ثلاث تعطُّفات ، وذلك قوله : « فساق » . فإنها انعطفت على قوله فى العجز : « وسقت » ، وقوله : « إلىّ » فإنها انعطفت على قوله فى العجز : « إليه » وقوله « غير » فإنها انعطفت على قوله فى العجز[4] « غير » ، ثم فى البيت من المناسبة ما لم يتفق فى بيت غيره ، فإن كلاً لفظة فى صدره على الترتيب وزن كلّ لفظة فى عجزه : وكلّ جملة كقوله « فساق » و « سقت » و « وإلىّ » و « إليه » و « العرف » و « الشكر » و « غير » و « غير » و « مكدر » و « مذمم » فهذه مفردات الألفاظ — وأما الجمل المركَّبة منها . فانظر إلى قوله : « فساق إلىَّ » . و « سقت إليه » . والعرف ، والشكر . وغير مكدّر ، وغير مذمّم . ولم أر مثل هذا اتفق إلّا لأبي تمام فى البيت الذى قدمته على هذا البيت ، لأنه ساوى بيت المتنبي فى التعطُّفات الثلاثة : والمناسبة الناقصة ، وفَضَلهُ بيت

---

(١) ديوانه . ٢٤٠ .

(٢) ق ١ ، ب والديوان : « الشكر » .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٧٠ وروايته « غير مجمجم » والمجمجم : الذى لا يفهم ولا يأتى على الوجه ، من جمجم كلامه اذا عماه وستره .

(٤) ما بين موسين ساقط من الأصل وهو عن ا ، ت ولا يستقيم الكلام بدونه .

أبي تمام بالمناسبة التامة والطباق ، وله فضيلة السبق ، فثبت له التقدم هذا وقد أتى به توطئةً لقوله (كامل) :

وإذا امرؤٌ أهدى[1] إليكَ صنيعةً من جاهِه فكأنَّها من مالِهِ

«وقد جاء[2] من التعطُّف فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)[3] فإن التعطف فى هذه الآية الكريمة فى موضعين . وكذلك جاء فى قوله سبحانه : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُم)[4] ، وكقوله سبحانه : (وهُمْ عَنِ الآخِرةِ هُمْ غَافِلُونَ)[5] والله أعلم» .

---

(١) كذا فى الاصل . والذى فى ١ ، ت والديوان : « اسدى » .
(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو فى هامش ١ .
(٣) التوبة : ٥٢ .
(٤) البقرة : ٤٠ .
(٥) الروم : ٧ .

بـــابُ التَّفويف *

اشتقاق التَّفْويف من الثَّوْب الذى فيه خطوطٌ بِيضٌ ، وأَصل الفُوفِ : البياض الذى فى أظفار الأَحداث ، والحبَّة البيضاءُ فى النَّواة ، وهى التى تَنْبت منها النَّخلة ، والفُوفَة القِشْرة البيضاءُ التى تكون على النواة ، والفُوف : الشىءُ . والفوف : قطع القطن ، وبُرْد مُفَوَّف : أَى رقيق . فكأَن المتكلِّم خالف بين جمل المعانى فى التَّقفية كمخالفة البياض لسائر الأَلوان ، لأَن بُعْده من سائر الأَلوان أَشدُّ من بعد بعضها عن بعض ، إذ هو بسيط بالنِّسبة إليهمَا . وكُلُّهَا مُرَكَّبَةٌ بالنسبة إليه . لأَنه قابلٌ لجميع الأَلوان ، وجميع الأَلوان تقبل التغيّر إلى لون آخر بحسب التركيب . والشدة والضعف إلا السواد ، فإنه لا يقبل تركيباً أَلبتَّة . فهو ضدُّ البياض ونقيضه ، ولا جرم أَن الجَمْع بينهما فى الكلام يُسمَّى مطابقة . بخلاف بقية الأَلوان . والتَّفويف فى الصناعة[1] : عبارة عن إتيان المتكلِّم بمعان شتَّى من المدح

---

* بحثه فى البيان للزملكانى ١٢٧ والإيضاح ٢٤٠ والطراز ٣ : ٨٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ ، وحسن التوسل : ٧٠ وأنوار الربيع : ٢٤١ وتكلم عنه أبو هلال العسكرى تحت اسم جمع المؤتلف والمختلف ٤٠١ من الصناعتين .

(١) الذى يلوح لى أنه لا صلة بين تعريف التفويف صناعيا ولغويا . وهذا الذى حدا بالمؤلف الى أن يعرف بينه وبين جمع المؤتلف والمختلف ، اذ ان جمع المؤتلف والمختلف هو الجمع بين فنون وأغراض شتى . ومعنى التفويف عند ابن أبى الاصبع هو ذلك ولكن حقيقة التفويف التى نلمسها من الأمثلة التى أتى بها أنه المخالفة بين جمل المعانى فى التقفية كمخالفة البياض سائر الالوان الدالة على قدرة الشاعر وتذليله صعب الالفاظ . بخاصة ما كان بالجمل القصيرة منها ولم أر من كتب عن هذا اللون بهذا الاسم قبل المؤلف .

أو الغزَل ، أو غير ذلك من الفنون والأغراض ، كلُّ فن فى جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتَّجْميع غالباً ، مع تساوى الجُمل المركَّبة فى الوزنيَّة . ويكون بالجمل الطويلة والمتوسِّطة والقصيرة .

فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة ، قول النابغة الذبيانى (طويل) :

فلِلّه عَيْنا منْ رأى أهل قُبَّةٍ أضرَّ لِمَنْ عادَى وأكثرَ نافعَا[١]

وأعظمَ أحلاماً وأكبرَ سَيِّدًا وأفضلَ مشفوعاً إليه وشافعا

(وأحسب[٢] أن أول من نطق بالتَّفْويف المركب من الجمل الطويلة عنترة ، فقال (كامل) :

إن يلْحَقوا أكْرُر ، وإنْ يُسْتَلْحَموا

أَشدُدْ ، وإن نَزَلوا بضَنْكٍ أَنْزِلِ

ومثال ما جاء منه فى الجمل المتوسطة قول أبى الوليد بن زيدون (بسيط) :

تِهْ أحْتَمِلْ ، وَاحْتَكِمْ أَصْبرْ ، وعِزَّ أَهُنْ

وَدِلَّ أَخضعْ . وقلْ أَسْمَعْ ، ومرْ أطِعِ[٣]

ومثال ما جاء منه بالجُمل القصيرة قول المتنبى (بسيط) :

أَقِلْ أَنِلْ أقْطِع احْمِل عَلِّ سَلِّ أعِدْ

زِدْ هَشِّ بَشِّ تفضَّلْ أَدْنُ سُرَّ صِلِ[٤]

---

(١) ديوانه : ٢٧١ والعمدة ٢ : ٢٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ وأنوار الربيع ٢٤٢ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت . وهو فى هامش ١ . والبيت فى البلاغة الفنية ٦٤ .

(٣) ديوانه : ١٧٠ وروايته « واستطل : أصبر » « وقل أقبل » .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٢ والوساطة ٣٣٧ ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ .

(وقد جاء[1] من التَّفويف المركَّب من الجُمَل الطويلة في الكتاب العزيز قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)[2] وفي الجمل المتوسِّطة قوله سبحانه: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)[3]، ولم يأْت من الجُمل القصيرة شيء في فصيح الكلام. والله أعلم).

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، وهو في هامش ا.
(٢) الشعراء: ٧٨ ــ ٨٢.
(٣) آل عمران: ٢٧.

بـــابُ التّسهيـــم *

هو من الثَّوب المُسَهَّم ، وهو الَّذى يدلّ أَحدُ سهامه على الذى يليه ، لكون لونه يَقْتضى أن يليَه لون مخصوص له ، بمجاورة اللون الذى قبله أو بعده .

وهذا الباب عرَّفه من تقدَّمنى بأن قال : هو أن يكون ما تقدَّم من الكلام دليلا على مايَتْلوه ، ورأيتُ هذا التعريف وإن روعى فيه الاشتقاق لايخصُّ هذا الباب من البديع ، بل يدخلُ معه غيرُه . والذى عندى أن هذا الباب من مشكلات هذا الفن ، ويَصلح أن يعرَّفَ بقول القائل هو أن يتقدَّم من الكلام ما يدلّ على ماتأَخَّر منه ، أو يتأَخَّرمنه ما يدل على ما تقدَّم بمعنى واحد أو بمعنيين ، وطوراً باللفظ ، كأَبيات جَنُوب أُخت عَمْرو ذى الكَلْب ، فإن الحذَّاق ببِنْيَةِ الشعر وتأليف النَّثر يعلمون أن معنى قولها (متقارب) :

* فأُقسِمُ يا عَمْرو لو نَبَّهاكَ *

يَقْتضى أن يكون تمامه :

* إذا نبَّها مِنْك دَاءً عُضَالا[1] *

وليثاً غضوباً وأفعى قتولا ؛ وموتا ذَرِيعاً ، وسُمًّا وحيًّا ، وغضْبا صَقيلا ، كَرْباً شديدًا ، وغمًّا طويلا ، إلى أَشياءَ يعزُّ حصرُها ، لكن معنى البلاغة

(×) بحثه فى البيان والتبيين ١ : ١١٥ وقواعد الشعر تحت اسم الأبيات المحجلة ٧١ : ونقد الشعر تحت اسم التوشيح ٦٣ والصناعتين : ٢٨٢ تحت التوشيح والعمدة ٢ : ٢٦ وسر الفصاحة تحت اسم المغالطة ١٨٧ والمثل السائر ٢ : ٣٤٨ تحت اسم الارصاد وبديع ابن منقذ ٦٤ والايضاح تحت اسم الارصاد ايضا ٦ : ٢٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٢ وحسن التوسل : ٧١ .

(١) انظر العمدة ٢ : ٢٦ وعيار الشعر : ١٢٧ والصناعتين : ١٤٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٢ ، وخزانة ابن حجة : ٣٧٤ ، وديوان الهـــذليين القسم الثالث : ١٤٠ طبع دار الكتب .

يقتضى اقتصارها من ذلك كلّه على الأوّل . لكونه أبلغ ، وإنما قلت : إنه أبلغ . لأن الليثَ الغَضُوب . والأفعى القتول ، يمكن مغالبتهما وغلبهما ، والسيف الصَّقيل يمكن التَّوقِّى منه ، والحيدة عنه ، وما كل جريح يتوقَّع موْته ، ولا يُيْئس من بُرْئه ، والكرب الشديد ، والغم الطويل ، يُرْجَى انكشافُهما . والسُّمّ الوحِيّ . والموت الذَّريع . يريحان صاحبهما ، فأشدُّ من الجميع الداءُ العضال الذى لا يميت فيُريح ، ولا يأمل صاحبه مداواته فيستريح ، فلذلك علم الحذَّاق باختيار الكلام وبنيته أن قولها :

* فأُقسم يا عمرو لو نبَّهاك *

يقتضى أن يكون تمامه :

* إذًا نبها منك داءً عضالا *

دون كل ما ذكرت وما لم أذكر . فإن ما ذكرت هو دليل على ما لم يُذْكر . إذ لا يخرج ما لم يذكر عن أن يكون أمرًا يمكن مغالبته وغلبه . أو شيئاً يُرْجى انكشافُه وزواله . أوشيئاً يُريح بسُرْعة كالسُّم الوحِيّ . والموت الذريع (وكما يدل[1] الأول على الثانى كما ذكرت كذلك . يَدلُّ الثانى على الأول . فإنَّه لو قيل لحاذق بما يصلح أن يوطأ لقولها «إذا نبها منك داءً عضالا» فإنه لا يجد إلاّ قولَها : فأُقسم يا عمرو لو نبهاك . فهذا ما يدلُّ الأول فيه على ما بعده دلالة معنوية .

وأما ما يدل فيه الأول على الثانى دلالة لفظية) فقولها :

إذنْ نَبَّهَا ليثَ عِرِّيسةٍ مُفِيتاً مُفيدا نُفُوسا ومَالا

(١) ما بين قوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا .

فإن العارف ببِنْية الشِّعر إذا سمع قولَها: مفيتا مفيداً، تحقَّق أنَّ هذا اللفظ يوجب أن يتلوَه قولُها «نفوساً ومالا»، وكذلك قولها:

وخَرْقٍ تجاوَزْتَ مجهولَه   بوجْناء حَرْفٍ تشكَّى الكَلاَلا
فكنتَ النَّهارَ به شَمْسُه   وكنتَ دُجى اللَّيل فيه الهلالا

والبيت الثانى أردت، وإن كان البيتُ الأوَّل فيه من التَّسهيم ما فيه لكن الثانى أوضح، لأن قولَها، يقتضى أن يتلوه:

فكنت النهار به شمسه   وكنت دجى الليل فيه الهلالا

ومن جيد أمثلة التَّسهيم قول عَمْرو بن كُلثوم (وافر):

ونوجَدُ نحن أحماهُمْ ذِمَارا   وأوفاهُمْ إذا عَقَدوا يَمِينا[1]

واستخراج التَّسهيم من هذا البيت عَسِرٌ جدًّا، وهو مما ينبغى أن يُسأل عنه من يتعاطى هذه الصناعة، وطريقُ استخراجه منه أن يقال: لمَّا قدَّم فى صدْر بيته الفخْر بصفات المدح فى الحرب، أوجبت عليه البلاغةُ أن يكمِّل الفخرَ بصفات المدح فى السّلم، والسِّلمُ لايكون إلا بالعهود والأيمان، وهذان لا يُمْدَح الإنسانُ فيهما إلا بالوفاء بهما، إذ ليس من المدح أن تقول: حَلَف فلان ولا استحلف بل تقول: فلان وفَّى بعهده ويمينه، فلما اقْتَضى المعنى تكميل المدح فى حالة السّلم بالأمر الذى هو أُسُّ السّلم وأصلُه، كما مَدَح فى حالة الحرب بما هو من صفات المدح فى الحرب - اقتضى اللفظ أيضاً أن يكون ما يأتى به من الألفاظ مناسباً لما قدّمه، وقد قال فى صدر البيت: «ونوجَد نحن أحماهم» فتعيّن لمراعاة

(1) معلقه: 11 ومنتهى الطلب 119 خط.

المناسبة أن يقول فى العَجُز «وأوفاهم» لاسِيَّما وهى تُعْطى المعنى الذى يَكْمل به المدح ، وقال : «إذا عقَدوا يمينا» يريد الحالة التى هى أَشَدُّ أحوال الحالف ، فإنَّه لوقال : «إذا حلفوا» لم يُعط من المعنى البليغ ما يعطيه «عقدوا» إذ الحالف قد يَحْلف لغوا . وتَعْقيد اليمين يدلّ على النّية والتصميم ، قال الله سبحانه : (لايُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ)[1] فقد اقتضى صدرُ هذا البيت من جهة اللفظ والمعنى أن يكون تمامُه ما ذكره والله أعلم .

ومن أمثلة هذا الباب للمُحْدَثِين قول البحترىّ ، وهو مما جاءت دلالتهُ لفظية أيضاً (طويل) :

فَلَيْس الَّذى حلَّلْتِه بمحلَّلٍ   وليسَ الذى حَرَّمته بحَرَامِ[2]

وكقول الآخر (خفيف) :

من غُصُونٍ كأنهن قُدُودٌ   وقُدودٍ كأنَّهن غصـونُ

وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهدًا للتّسهيم ، لكون أوَّله لا يَقْتضى آخرَه لأنه لو قال :

من غصون كأنهن قدودٌ   ذاتِ نَوْرٍ مثلِ الثُّغورِ العِذَابِ

أو «ذاتِ وَرْد كأنَّه الوَجَنات» حسُن أن يكون تماماً له ، ومتى كان التّقدير كذلك انخرم ضابط التسهيم ، وإنما ذكرته سهوًا كما سَها من ذكره قبلى ثم فطنت لذلك بعد إثباته .

---

(١) المائده : ٨٩ .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢٣ والصناعتين ٣٨٢ والجا مع الكبير : ٢٧٩ والايضاح ٦ : ٢٧ والطراز ٣ : ٢٢٧ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٣ وتقريب المعاهد : ٢٢١ .

والفرق بين التَّسهيم والتَّوشيح من ثلاثة أوجه :

أحدها أنَّ التَّسْهيم يُعْرفُ به من أول الكلام آخرَه ، ويُعلم مقطعُه من حشوه من غير أن تتَقَدَّم سجعةُ النثر ولا قافيةُ الشعر ، والتَّوشيح لاتُعرف السّجعة والقافية منه إلا بعد أن تتقدَّم معرفتهما . والآخر أن التَّوشيح لا يدلُّك أوله إلا على القافية فحسب ، والتسهيم يدلّ تارة على عجز البيت وطورًا على ما دون العجز ، بشرط الزيادة على القافية ، وما حكيناه[1] عن ابن العباس – رضى الله عنه – فى بيت عمر بن أبى ربيعة ، وعن الفرزدق فى بيت عَدىّ بن الرّقاع فنادر لايقاس عليه .

(والثالث[2] أن التسهيم يدلُّ تارة أولُه على آخره ، وطورًا آخرُه على أولهِ بخلاف التوشيح .

وقد جاء من التسهيم فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَاتَحْرُثُون ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) وقوله : (أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ)[3] إلى آخر الآية .

فانظر إلى اقتضاء أوّل كلِّ آية آخرها اقتضاءً لفظيًّا ومعنويًّا . وائتلاف الألفاظ مع معانيها ، ومجاورة الملائم بالملائم . والمناسب بالمناسب ، لأن ذكرَ الحَرْث يلائم الزرعَ ، وذكر الحُطام يُلاَئِمُ التَّفكُّه ومعنى الاعتداد بالزرع يقتضى الاعتداد بصلاحه وعدم فساده ، فحصل التفكّه ، وكذلك فى بقية الآيَاتِ ، فإذا علمت ذلك بَهْرج النَّقد عندَك ما تقدَّم من الأشعار الفصيحة والمعانى البليغة .

---

(١) انظر باب التوشيح من هذا الكتاب .
(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت . وهو فى هامش ا . ويلاحظ ان هذا هو الفرق بين تعريف المؤلف وتعريف من سبقه للتسهيم .
(٣) الواقعة ٦٣ – ٦٥ ، ٦٨ .

بـــابُ التّـوريـــة *

ويسمَّى التَّوجيه ، وهى أن تكون الكلمة تَحْتمل معنيين ، فيَسْتعمل المتكلِّم أحدَ احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمَله لا ما استعمله ، كقول عليٍّ – عليه السلام – فى الأَشْعَث بن قَيْس : وهذا كان أبوه ينسج الشِّمال باليمين ، لأَن قيساً كان يحوك الشِّمال التى واحدتها شَمْلة .

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول عمر بن أَبى ربيعة[1] (خفيف) :

أَيّها المُنْكِح الثُّريّا سُهَيْلا ... عَمْرَكَ اللهَ كيف يجْتمعانِ
هى شاميّةٌ إذا ما استقلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَمانِ

فذكر عمرُ الثُّريّا وسُهيلا ليوهم السامع أنه يريد النَّجمين المشهورين ، لأَن الثُّريا من منازل القمر الشَّامية . وسهيلا من النُّجوم اليَمانيَّة ؛ وهو يريد صاحبَته الثُّريّا . وكان أبوها قد زوَّجها برجل من أهل اليمن يُسَمَّى سُهَيلا ، فتمكَّن لعمر أَن وَرَّى بالنَّجْمين عن الشخصين ، ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أَراد ، وهذه أحسن تَوْرية وقعت فى شعر لمتقدِّم (مرشَّحة . فإن قولَه المُنكح ترشيح للتورية)[2] على قلَّتها فى أشعار

(×) بحثها فى العمدة ١ : ٢١٢ وبديع ابن منقذ ٣١ . وروضة الفصاحة ١٦ والمصباح تحت اسم الايهام . ٢٢٦ والتلخيص ٢٤٨ ، والايضاح ٦ : ٣٩ . وخزانة ابن حجة ٢٣٩ والطراز ٣ : ٦٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٣١ تحت اسم الايهام والتخييل ، وأنوار الربيع ٥٧٢ وألف فيه صلاح الدين الصفدى كتابا اسماه فض الختام عن التورية والاستخدام .

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٣١ والأغانى ١ : ٢٣٤ طبع دار الكتب .

(٢) هذه العبارة ساقطة من ت ، وهى فى هامش ا .

المتقدِّمين وكثرتها فى أشعار المُحْدَثين ، وخصوصاً شعراءُ العَجَم العصريين كالأَرَّجانى وأمثاله ، (وأما البيت الثانى فإنه أبدَع من البيت الأَوَّل ؛إذ أخرجه مخرج التَّعليل ، للإنكار الذى وقع فى عجز البيت الأَول ، وجاءَ فيه مع التَّعليل تَنْكيت حسن مُدْمج فى تجنيس الازدواج ، فإن قولَه «إذا مااستقلت » و « إذا استقل » تجنيس ازدواج ،والنُّكْتة فى ترجيح استقلت على أَخواتها فيما يقوم مقامها إشارتُه بها إلى أَن الزَّوج يبعد بالزوجة عن أَهلها ووطنها ، فيكون ذلك أشدَّ تأْنيباً له على تَزويجه ، وأَدْعى لندامته على ذلك ، وكان من الاتّفاق الحَسَن أن الرجلَ يمانىٌّ القبيلة والبلد ، والمرأَةَ شاميّة ، فحصل الاتّفاق مُدْمجاً فى الاستخدام ، فإنه استعمل فى هذا البيت احتمالَىْ كلّ لفظة من قوله : شامية ويمان ؛وختم البيتَ بالتَّوشيح . وهو دلالة معنى صدر البيت على قافيته ،فجاءَ فى البيت سبعة أَضرب من البديع : وهى التعليل ، والاتّفاق ، والاستخدام ، وتجنيس الازدواج فى استقلّت واستقلّ والإدماج والتنكيت ، والتوشيح .

ومارأيت لعربىّ ولا لعجمىٌّ مثل تورية وقعت للقاضى عِياض صاحب « الشِّفا فى تعريف حقوق المصطفى » – صلى الله عليه وسلم – وصاحب الإكمال فى شرح مسلم ، وغيرهما فى بيتين وصف فيهما صيغة نادرة أنشد فيهما الفقيه الإمام الحافظ المُتقن العلامة زكىّ الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى نفع الله به ، وبلَّغه من خير الدارين كما بلَّغه

من العلم نهاية مطْلبه بالسند المتَّصل بقائلهما رحمهُ الله تعالى وهما (بسيط) :

كأَنَّ كَانونَ أَهْدَى من مَلَابِسِهِ لِشَهْرِ تَمُّوزَ أنواعاً من الحُلَلِ[1]

أَوالغَزالةَ من طولِ المَدَى خَرِفَتْ فما تُفَرِّق بين الجَدْيِ والحَمَلِ

وإذا وصلت إلى ما وقع من التورية فى الكتاب العزيز وَصَلت إلى الغاية القُصْوى ، وهى قوله تعالى : (قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)[2] فانظر إلى كون الضَّلال له محملان ، وهما الحب وضدّ الهدى وكيف أهمل أَحدَ الاحتمالين ، وهو الحب ، واستعمل دلالته على ضدِّ الهدى ، والمراد ما أهمل لا ما استعمل فستجده أوجز لفظ وأحلاه ، والله أعلم .

---

(١) الايضاح : ٦ ٤١ وكانون : من أشهر البرد ، وتموز من أشهر الحر .

(٢) يوسف ٩٥ .

بـــابُ الـتـرشـيـح *

وهو أن يُؤْتى بكلمة لاتصْلح لضَرْب من المحاسن حتى يؤْتى بلفظة تؤَهِّلها لذلك كما حكيناه عن على – عليه السلام – فى قوله للأشعث بن قيس(١) : «وهذا كان أبوه يَنْسِج الشِّمال باليمين . فإنه عليه السلام لو قال ينسج الشِّمالَ بيده أوْ ينسج الشِّمال وسكت لم يكن فى لفظة الشِّمال تورية ألبتَّةَ فلما قَصَد التورية عدل عن لفظ اليد ، وعن الاقتصار على ما قبلها وأتى بلفظ اليمين ليرشِّح لفظة الشِّمال للتورية ، ولا ينتقد علينا مجىءُ الآية الواحدة ، والبيت الواحد شاهداً على عدَّة أبواب من المحاسن ، فإن ذلك بحسب ما يكون فى الكلام من البديع ، فإن قيل : فما الفرق بين الترشيح والاستعارة ، والتورية ، وقد جعلت مثالهما واحداً ؟ قلت : الفرق بينهما من ثلاثة أوجه :

أحدها أن من التورية ما لا يحتاج إلى ترشيح . وهى التورية المَحْضة .

والثانى أن الترشيح لا يخصّ التورية دون بقية الأبواب ، بل يعمّ الاستعارة والطباق وغيرهما من كثير من الأبواب ، ألا ترى إلى قول أبى الطيب (كامل) :

وخفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبَه ... يا جَنَّتى لَظَنَنْتِ فيه جَهنَّما(٢)

---

* بحثه فى اسرار البلاغـه ٢٥٧ وخزانة ابن حجة ٣٧٢ وانوار الربيع ٧٦٧ .

(١) انظر باب التورية من هذا الكتاب .

(٢) انظره فى باب التمام من هذا الكتاب .

فإن قولَه : يا جنَّتى : رشَّحت لفظةَ «جهنَّم» للمطابقة ، ولو قال مكانها يا «مُنْيتى» لم يكن فى البيت طباق ألبتة :

(الثالث[١] أن لفظة الترشيح فى الكلام المورّى غيْر لفظة التورية فإن التورية فى قول على – عليه السلام – فى لفظة الشِّمال ، والترشيح فى لفظة اليمين) ، فإن قيل : لفظتا الثُّريا وسهيلا رشّحت كلّ واحدة منهما أُختَها للتَّورية ، فإنه لولا ذكر سُهيل لم تصلح الثُّريا للتَّورية ، ولولا ذكر الثُّريا لم يصلح سُهَيل للتورية ، كما أن لفظةَ اليَمين هى التى رشَّحت الشِّمال للتورية ، فلم يعقل الفرق إذًا بين التورية والترشيح .

قلت :كل من لفظَى الثُّريا وسهيل لايفتقر فى التورية بهما إلى صاحبتهما ، بخلاف لفظة اليمين ، وذلك أن عمر لو قال (خفيف) :

أيها المُنكِحُ الثُّريَّا زيادًا   عمْرك الله كيف يجتمعان

لصحّت التورية بدون ذكر سُهَيل ؛ لأن الثُّريا ، يَقَع على النَّجم وعلى المرأة ، والنجم لا يجتمع ورجل أبدًا ؛ وكذلك لو عكس فقال :

أيها المنكح الخَلُوب سُهَيلا   عَمْرك الله كيف يَجْتمعان

لصحَّت التورية أيضاً ، لأَن سُهَيلا يقع على الكَوْكب ، وعلى الرجل . والكوكب والمرأة لا يجتمعان ، ولا كذلك لفظة اليمين ، فإنَّها لو لم يؤْت بها لم يكن فى الشِّمال تورية أَصلا ورأساً ، وإنما الواقعة التى وقَعَت لعمر اتَّفق له فيها موافقة اسم الزَّوجَيْن لاسمَى النَّجْمَين فتهيّأً له من التورية

(١) ما بين قوسين وهو الفرق الثالث ساقط من ب ، اذ لم تفرق فى هذه النسخة بين الترشيح والتورية الا بالوجهين الأولين فقط .

ما لم يتهيَّأ لغيره ، وتمَّ المعنى كون الثريا التى هى النَّجم ، وصاحبته شاميين ، وسهيل وزوجها يمانيَّين ، فتم لعمر ما أراده من الإنكار عليهما ، وعلى من جمع بينهما ، (وحصل[1] فى بيتيه التورية والاتفاق . فلذلك حَسُناً جداً)

ومما يبين أن التورية المحْضة لا تحتاج إلى ترشيح قول القاضى السعيد ابن سناء الملك رحمه الله تعالى (مجزوء الكامل) :

يا هذه لا تَسْتَحِى منِّى قد انكشَفَ الغطاءُ[2]

فإن فى قوله : « قد انكشف الغطاءُ » تورية غير مُفتقرة إلى ترشيح ، لأن ظاهر اللفظ يدلّ على أنه أراد انكشاف الأمر ، وهو يريد انكشاف العُضْو فقصد الثانى وورّى بالأول . ولا كذلك قول أبى تمام[3] (كامل) :

* كُشِف الغطاءُ فأوقدى أو أخمدى *

فإن لفظة « كشف الغطاءُ » لا تحتمل إلا معنى واحداً ، وهو الذى قصده أبو تمام من انكشاف الأمر .

ومن الترشيح[4] للتورية فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (اذكُرْنِى عِنْد رَبِّكَ فأنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ[5]) . فإن لفظة « ربّك » رشَّحت لفظة رَبِّه ، لأن يكون تورية ، إذ يحتمل أن يراد بها الإله — سبحانه — والملك ، فإنه

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(٢) لم أعثر على هذا البيت فى ديوانه الذى بين يدى .
(٣) هذا صدر بيت له من مطلع قصيدة يمدح بها المأمون وعجزه :
* لم تكمدى فظننت ان لم تكمدى *
انظر الديوان : ١١١ .
(٤) ما بين القوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا .
(٥) يوسف : ٤٢ .

لو اقتصر على قوله تعالى : (فأنساه الشيطان ذكر ربه) لم تدل لفظة ربّه إلا على الإله ، فلما تقدّمت لفظة ربك صلحت للمعنيين .

وأما ترشيح الاستعارة فنى قول بعض العرب (طويل) [١] :

إذا ما رأيتُ النَّسْر عَزَّ ابْنَ دَايَةٍ
وعَشَّشَ فى وَكْرَيْهِ طارت له نَفْسِى

فإنه شبّه الشّيْب بالنّسر لاشتراكهما فى البياض ، والشّعر الأسود بابن داية ، وهو الغراب لاشتراكهما فى السّواد ، واستعار التّعشيش من الطائر للشّيب لما سمّاه نسرًا ، ورشّح به إلى ذكر الطيران الذى استعاره من الطائر لنفسه ، فقد رشّح باستعارة إلى استعارة .

(وأما ترشيح[٢] التشبيه فكقول النابغة الذّبيانى[٣] (طويل) :

إذا استُنزلوا عنهنّ للطّعن أرْقَلوا
إلى الموت إرقالَ الجِمَالِ المصَاعبِ

فإنه رشّح بالاستعارة فى قوله : « أرْقَلوا » إلى التشبيه فى قوله : « إرقال الجمال » ، فإنه تشبيه بغير أداة ، وفحول النّقاد تُسَمّى هذا النوع من التشبيه استعارة ، والله أعلم .

---

(١) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى اللسان مادة غرب غير منسوب .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت وهو فى هامش ا .

(٣) ديوانه : ط بيروت ، والارقال : ضرب من السير . والشاعر يصف قوما بالشجاعة فى الحرب . والمصاعب : جمع ومصعب : وهو الفحل المتخذ للفحلة .

بـــابـُ الاسـتخـدام *

وهو أن يأتى المتكلِّم بلفظة لها معنيان ، ثم يأتى بلفظتين تَتَوسّط تلك اللفظة بينهما ، ويَستخدم كلٌّ لفظة منهما لمعنًى من معنىْ تلك اللفظة المتقدّمة ، وربما التبس الاستخدام بالتورية أيضاً من كون كلٌّ واحد من البابين مفتقرا إلى لفظة لها معنيان .

والفرق بينهما أَن التورية استعمال أَحد لمعنيين من اللفظة ، وإهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معاً .

ومن أمثلته قول البحترى (١) (كامل) :

فسَقَى الغَضَا والساكِنِيه وإنْ هُمُ شَبُّوه بين جوانحٍ وقلُوبِ

فإن لفظةَ الغَضَا محتملة الموضع والشجر والسّقيا الصالحة لهما ، فلما قال والساكنيه استعمل أَحد معنيي اللفظة ، وهو دلالتها بالقرينة على

× بحثه فى بديع ابن منقذ : ٤٢ والتلخيص : ٢٤٨ . والايضاح ٦ : ٤٢ وخزانة ابن حجة : ٥٢ وحسن التوسل : ٧١ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٣ ، وأنوار الربيع : ٩٧ ، وهذا النوع له معنيان أحدهما أن يونى بلفظ له معنيان فاكثر مرادا به أحد معــانيه ثم يؤتى بضمير مرادا به المعنى الآخر ، أو بضميرين مرادا بأحدهما أحد المعانى وبالآخر المعنى الآخر ، فالأول كقول جرير :

اذا نزل الـسماء بأرض قوم رعينـــــاه وان كانوا غضــابا

اراد بالسماء الغيث ، وبالضمير الراجع من رعيناه النبت ، والثانى البيت الـذى أتى به ابن الاصبع . وهذا المعنى لهذا النوع سـار عليه الخطيب القزوينى فى الايضاح ٦ : ٤٢ ومن تبعه من أصحاب البديعيات ، والمعنى الثانى لهذا النوع هو ما أورده المؤلف هنا ومشى عليــــه وتبعه فيه بدر الدين ابن مالك صاحب المصـــباح فى اختصار المفتاح المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ومعالم الكتابة ٨٢ والايضاح ٦ : ٤٣ وأنوار الربيع : ٩٧ والغضا : أرض لبنى كلاب ، وواد بنجد وشجر معروف ،فأراد بأحد الضـميرين الراجعين الى الغضــا وهو المجرور فى الساكنيه أحد المكانين ، وبالآخـر وهو المنصوب فى شبوه الشجر ، اى اوقد وأثار الغضا بين جوانح وقلوب وشبوه : أوقدوه .

الموضع . ولما قال : شبُّوه : استعمل المعنى الآخر ، وهو دلالتها بالقرينة أيضاً على الشجر.

وفى الكتاب العزيز من الاستخدام قوله تعالى : (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، يَمْحو اللهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ[1]) ، فإن لفظة «كتاب» يراد بها الأمد المحتوم ، والكتاب : المكتوب ، وقد توسّطت بين لفظتى أجل ويمحو ، فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الأمد ، واستخدمت يمحو لمفهوم الآخر ، وهو المكتوب والله أعلم .

(1) الرعد : ٣٨ و ٣٩ .

باب التغاير*

وهو تَضادُّ المذهبين إما فى المعنى الواحد بحيث يمدح إنسانٌ شيئاً ويذمّه ، أو يذمّ ما مدحه غيره ، أو يفضّل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل المفضولَ فاضلا ، أو يفعل ذلك مع غيره ، فيجعل المفضولَ عند غيره فاضلا ، وبالعكس .

فأما التفضيل بين الشيئين المتغايرين من كلِّ وجـــه فلم يقل به إلا ضياءُ الدين بن الأثير[1] – رحمه الله تعالى – ، وسنأتى بتفصيل مذهبه فى آخر هذا الباب . وأما مدح الإنسان ما ذمّه غيرُه فلم أسمع فيه كقول الإمام علىّ – عليه السلام – فى خطبة له مدح فيها الدنيا مغايرًا لنفسه فى ذمّها حيث قال : أيها الذّام للدنيا ، المغترّ بغرورها ، بم تذمّها ؟ أنت المتجرِّم عليها ، أم هى المتجرِّمة عليك ؟ متى استهوتك ، أم متى غرّتك ؟ بمصارع آبائك من البلى ، أم بمضاجع أُمَّهاتك تحت الثرى ؟ كم علّلت بكفَّيْك ، وكم مرَّضت بيديك ، تبغى لهم الشفاء ، وتستوصف لهم الأطباء ، لم ينفع أحدَهم إشفاقُك ، ولم تُسعف فيه بطلبتك ، ولم تَدفع عنه بقوتك ، قد مثَّلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ، إن الدنيا دارُ صدْق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزوّد منها ، ودار

× بحثه فى العمدة ٢ : ٨٠ ، وخزانة ابن حجة ١٠٢ ، ونهـــاية الأرب ٧ · ١٤٥ وحسن التوسل ١٧٢ ، وأنوار الربيع تحت اسم المغايرة : ٢٦٤ .

(١) انظر المثل السائر ١ : ٣٢ ومابعدها ومقدمة كتاب الاستدراك له .

موعظة لمن اتّعظ بها ، مسجدُ أحبّاء الله ، ومصلّى ملائكته ومَهبط وحى الله ، ومَتْجر أولياء الله . اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمّها ، وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ، ونَعَتْ نفسَها وأهلَها ، فمثّلت لهم ببلائها البَلاءَ ، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور ، راحت بعاقبة ، وابتكرت بفجيعة ، ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيرًا ، فذمّها رجالٌ غداةَ النّدامة ، وحمدها آخرون يوم القيامة . ذكّرتهم فذُكّروا ، وحدّثتهم فصدّقوا . ووعظتهم فاتّعظوا ، (فقلت[1] ناظماً لمعانى هذه الخطبة على أحد طريقى البلاغة ، وهو الإيجاز (خفيف) :

مَن يذمّ الدّنيا بظلم فإنى   بطريق الإنصاف أثنى عَليها
وَعَظَتْنا بكلّ شىء لو انّا   حينَ جدّتْ فى الوعظ من مُصْطفَيها
وأرتنا الوجهين منها فَهِمنا   للهوى بالبيان من وجهيها
نصحتْنا فلم نَر النُّصح نُصحاً   حين أبدتْ لأهلها مالديها
أعْلَمَتْنا أن المَآل يقينا   للبِلَى حينَ جدّدت عَصْريها
كم أرتْنا مصارعَ الأهلِ والأحـ   ـباب لو نَسْتفيقُ بين يديها
ولكَمْ مُهْجة بزهرتِها اغترّ   رَت فأدمتْ نداماةً كفيها
أتُراها أبقتْ علَى سَباٍ من   قبلنا حين بدّلت جنتيها
يومُ بُؤْس لها ويومُ رخَاءٍ   فتزوّد ما شئت من يَوْميها
وتيقّن زوالَ ذَاك وهذا   تَسْلُ عما تراه من حادثيها

(1) هذه التكملة عن ا و ت وقد سقطت من الاصل .

دارُ زادٍ لمن تزوّد منها ... وغرور لمن يَميل إليها
مَهْبِط الوَحى والمصلّى التى كَمْ ... عفَّرت صورةٌ بها خَدَّيْها
مَتْجرُ الأَولياء قد ربحوا الجنْـ ... ـنَـــة فيها وأُوردوا عينيْها
رغَّبت ثمّ رهبت ليرى كلْـ ... ـلُ لبيب عُقْباه من حالتيْها
فإذا أَنْصَفت تعيّن أن يُثْـ ... ـنِى عليها ذو البرِّ من وَلَدَيْها

(وأما قوله[1] مغايرًا لنفسه فإنه فى أكثر كلامه يذمّ الدنيا ، ومنه قوله : يا دنيا أَبِى تعرضْتِ ، أم إلىَّ تشوّفْتِ ؟ هيهات هيهات ، غرِّى غيرى ، قد بِنْتُكِ ثلاثاً لا رجْعةَ لى فيك ، فعمرك قصير ، وعَيْشُك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق) .

وروى له – عليه السلام – فى ذلك (سريع) :

يا مؤْثَر الدنيا على دينِه ... والتّائهَ الحيرانَ فى قصدِه
أَصبحتَ ترجو الخُلْد فيها وقد ... أبرز نابُ الموتِ عن حدّه
هيهات ، إن الموتَ ذو أسهُمٍ ... من يَرْمِهِ يوماً بها يُرْدِه
لا يَشرَحُ الواعظ صدرَ امرئٍ ... لمْ يَعزِمِ اللهُ على رُشْدِه

وأما ما جاء من ذلك فى الشّعر ، فقول بعض العرب يمدح قوماً بالأَنفة (كامل) :

لا يَشْربون دماءهم بأَكفِّهم ... إن الدماءَ الشّافياتِ تُكَالُ[2]

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(٢) العمدة ٢ : ٨٠

فإنه وصف هولاء القوم بالأنفة من أخذ الدِّية عن قتلاهم ، فيصير حاصل ما يأخذونه شربهم اللبن . فكأنهم شربوا دماءهم . ثم قال : إنّ مثل هذا الدم لايَشْفى ، وإنما يشفى من الدماء ماأخذه مكايَلةً صاعاً بصاع . يعنى دماً بدم كفء ، فحاصل معناه أن الدماء تكال ؛ وقال الآخر مغايراً لهذا المعنى وقد قتل بقتيله دونه معتذراً عن ذلك . مغايراً للمعنى الأول (طويل) :

فيقتل خيرٌ بامرئٍ لم يكن له وفاءٌ ولكنْ لا تكايُلَ بالدَّم[1]

ويروى : لم يكن له بَوَاءٌ بباءٍ موضع الفاء ، أى كفءٌ مأخوذ من قولهم لمن يقتلونه فى دم : بُؤْبِدَمِ فلان . فذهب هذا القائل إلى أن قتيلَه لا نظير له ، فاو ذهب إلى أنه لايقبل به إلا كُفْأَه لطاح دَمُه هدرا ، إذ لم يجد له كفؤًا . فلهذا اضطُرّ إلى قتل من دونه ، ثم قال : لاَتكايل بالدّم . مستدلًّا بذلك القول على صحة ما أتاه . لكون أرباب الدماء متفاوتى الدّرجات . فلا تتكافأ دماؤهم . (هذا[2] مذهب الجاهلية ، وقد أتى الإسلام بخلافه . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهم » ولهذا قال عمر – رضى الله عنه – لجَبَاةَ : الإسلام ساوى بينكما) فتغاير المعنيان . وهما مع المغايرة صحيحان . (وقد أتى[3] حكم الله فى كتابه العزيز مغايراً هذا الحكم . فقوله تعالى : (وَمَنْ قُتِلَ مظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ[4]) وقوله : (الْحُرُّ بالْحُرِّ وَالْعَبْدُ

---

(١) الحبر برمه فى العمده ٢ ٨٠ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا .

(٤) الاسراء : ٣٣ .

بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى[1]) مما يصحح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تتكافأُ دماؤُهم» ؛ وقد غايرت أحكامُ القرآن العزيز أحكامَ الجاهلية فى عدّة مواضع ، وذمّ من ابتَغَى حكم الجاهلية ، ومن ذلك ذمُّ الظلم وأهله ، وقد كانت العرب تمدحه وتُمدح به وأشياء غير ذلك) .

ومن هذا قول أبى تمّام[2] يغاير جميع الناس فى تفضيل التّكرم على الكرم ، بقوله لأبى سعيد الثَّغْرِىّ (خفيف) :

قد بلوْنا أَبا سعيد حديثاً وبَلَونا أَبا سعيد قديما
وَوَرِدْناه سائحاً وقَليباً ودَعَيْناه بارِضاً وجَميما[3]
فعلمنا أنْ لَيْس إلاَّ بشقّ النْ نَفس صار الكَريمُ يدعى كريما

ثم غايره المتنبي فقال على الطريق المألوف (منسرح) :

لو كَفَرَ العالمُون نعمتَه لما عَدَتْ نفسُه سجاياها[4]
كالشمس لا تبتغى بما صَنعتْ منفعةً عندهمْ ولا جاها

وهذا المعنى من قول أبى تمام[5] (بسيط) :

لايُتْعِبُ النائلُ المبذولُ همَّتَه وكيف يُتْعِبُ عينَ الناظرِ النظرُ

وكل ذلك من قول بشّار[6] (خفيف) :

ليس يُعطيكَ للرّجاءِ ولا الْخَوْ فِ ولكنْ يَلَذّ طعمَ العَطاءِ

(١) البقرة ١٧٨ .
(٢) ديوانه ٢٩٢ والعمده ٢ : ٨٢ ونهايه الأرب ٧ : ١٤٥
(٣) السائح : الماء الجارى ، والقليب : البئر ، البارض . اول ما يظهر من نبات الأرض ، والجميم النبات الطويل المنتشر ، أو هو ما ينقص منه .
(٤) ديوانه ٢ : ٤٦١ والعمدة ٢ . ٨١ .
(٥) البيت للبحترى لا لأبى تمام وهو من قصيده له مدح بها على بن مر الأرمنى أولها :
فى الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا انه حجر
(٥) ديوانه ١ : ١١١ .

وأبو تمام أخذ معناه الذى غاير فيه الناس من قِبَل ابراهيم بن سيَّار ، النَّظام ، لأنه غاير فيه جميع العلماء فى استدلاله على أن شكرَ المُنعِم لا يجب عقلا ولا شرعاً ، وقال فى نظم الدَّليل كلاماً نقَّحته وحررته فقلت : المعطى لايعدو بعطائه أحد أربعة أقسام حاصرة : إما للخوف ، وإما للرجاء ، وإما لطلب الثَّناء ، وإما للعشق فى العطاء .

(فأما المعطى للخوف ، فحثُّه على ذلك العطاء اتِّقاؤه ما خافه بعطائه ، فلا يجب شكره ، والمُعطى للرجاء إما أن يرجو المكافأة عن عطائه ممَّن أعطاه ، أو يرجو بذلك ثواب الله ، وهو فى كِلْتَا حالتيه لايجب شكره ، والمُعطى لطلب الثَّناء حقُّ عطائه أن يُثْنَى عليه ، فإذا أُثنى عليه ، فقد سقط حقُّه ، فلا يجب شكره ؛ والمُعطى للعِشْق فى العطاء ، مسكِّنٌ بعطائه غليلَ قلبه ، ومنفِّس به من كَرْبه ، فلا يجب شكره ، ووجه الرَّد على النظام أن يقال : المُعطى لطلب الثناء ، إما أن يكون عطاؤُه موجباً للثناء عليه ، أو لا يكون ، فإن كان الأول فقد وجب شكر المُنعِم . وإن كان الثانى فقد فسد التقسيم الأول ، وصار للعطاء قسم خامس لغير العلل التى علل بها ، ولم تبق علَّةٌ لهذا التقسيم من العطاء سوى التبذير والعبث ، وهذا القسم مرفوض لايستحق الكلام عليه ، فإن قيل المُعطى للثَّناء قد يُثْنَى عليه وقد لايثنى فإن أُثنى عليه فقد سقط حقّه ، فلا يجب شكره ، وإن لم يثن عليه خلا عطاؤُه عن الفائدة .

قلت : القعود عن أداء الواجب لايسقط الواجب ، فإن تارك الصلاة لايُسقط إخلالُه بهذا الواجب وجوبَها ، ولا يخلو المُثنى على المعطى لطلب

الثناء إما أن يكون فَعَل واجباً ، فقد وجب شكر المعطى ، وإما أن يكون ما فعله غير واجب فقد صار العطاءُ لا للثناء . (ثم أقول :[1] المعطى رغبة فى الثناء لايخلو إما أن يكون المُثنى فَعَل بثنائه واجباً أَوْلا ، فإن كان الأَول فقد وجب شكر المنعم ، وإن كان الثانى ، فإما أن يكون عَدَم الثناء عليه من جهة تقصير المعطى ، فقد بَيَّنَّا أن الإخلال لايُسقط وجوبَ الشُّكر ، فإن قلت : إنما أثنى المُثنى عليه تفضّلا . قلت : هذا محال لأَنَّه تقدّم منه العطاءُ ليشتريَ به الثناءَ ، فثناءُ المُعْطَى ثمن لإنعام المُعطِي ، فكيف يعدّ تفضلا ! فقد ثبت وجوب شكر المنعم ، وفسد تقسيم النّظام ، ثم قول القائل : لا يخلو المُعطِي للثناء ، إما أن يثنى عليه وإما أن لايثنى عليه لازم فى جميع الأَقسام ، فإن المعطى لطلب المكافأَة . إما أن يُكافأَ ، وإما أن لايكافأَ ، وكذلك المعطى للخوف ، ولم يبق قسم لايدخله هذا الاحتمال ، سوى المُعطِي للعشق فى العطاء ، فإنه وإن لم يجب شكره على نفس العطاء لكونه مسكِّناً به غليلَ قلبه . ومشبعاً غرضَ نَفْسه ، فهو مشكور على عِشْق أحسن الخِلال ، وأكرم الفعال . وكيف لايستحق المنعم الشكر ، والمنعم على كل تقدير أَحد رجلين : رجل مطبوع على العطاء مجبول عليه ، فهو مشكور على كرم طبعه ، وسماحة جِبلَّته ، ورجل غير مطبوع على ذلك فهو يجاهد نفسَه ، ويغالبُ طبعَه على التكرُّم حتى يتعَمَّد العطاءَ ويتكلّف الحِباءَ ، وهذا كما قال سيد المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : إنما

---

[1] ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

الصدقة أن تتصدَّقَ وأنت صحيح شَحِيح ، تخاف الفَقْرَ وتأمل الغنى[1] .

ومن هنا قال أبو تمام (خفيف) :

فَعَلِمنا أَنْ ليس إلا بشِقِّ النْ
نَفْسِ صار الكريمُ يُدعى كريما

ولقد أحسن المتنبي حين أخذ هذا المعنى من أبي تمام ، وزاد عليه ونقله من فن المدح إلى فن الأدب ، فقال مخرجاً ذلك مخرج المثل (بسيط) :

لولا المَشَقَّة سادَ الناسُ كلُّهمُ ... الجودُ يُفْقِر والإقدامُ قَتَّالُ[2]

ومن التغاير تفضيل القلم على السيف ، والمعتاد عكس ذلك ، (ويدُل[3] عليه قول البحتريّ فى صاحب خراسان المعروف بابن هَرْمَة (بسيط) :

تَعْنو له وزراءُ المُلْك راغبةً ... وعادةُ السَّيف أن يَسْتخدم القَلما[4]

وما سمعت فى هذا المعنى مثل قول ابن الرومى[5] (بسيط) :

إنْ يَخْدمِ القلمَ السيفُ الذى خضَعَتْ
له الرِّقابُ ودانَتْ خوفَه الأُممُ

فالموت والموت لا شيءَ يعادلُه ... ما زال يُتْبَع ما يجرِى بهِ القلمُ

كذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِيَتْ ... أنَّ السيوفَ لها مذ أُرهفتْ خَدَمُ

(١) النهابه لابن الأبر ٢ : ٢٠٧ .
(٢) ديوانه ٢ · ٢٠٤ والاسدراك : ١٣٣
(٣) ما بين قوسين ساقط من ت . وما ابنناه من عامس ا .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٥٩ والعكبرى ٢ . ٢٨٤ .
(٥) ديوانه : ٣٧٢ ط النوفيو ونهاية الأرب ٧ : ١٤٥ .

وغايره المُتَنَبي فقال على الطريق المألوف (بسيط)[1] :

حتى رَجعتُ وأقلامى قوائلُ لِى   المجدُ للسّيف ليسَ المجدُ لِلْقلمِ

أُكتبْ بها أبدا قَبْل الكتاب بنا   فإنّما نحن للأَسْياف كالخدمِ

فانظر إلى تقصير المتنبي فى المعانى وسبكها ، وإلى كونه قليل الابتكار لايتوكأُ إلا على المعانى المطروقة ، ولا يُرى فيها إلا تابعاً مقصرًا ، فإنه أخذ هذا المعنى من قول أبى تمام[2] (بسيط) :

* السّيف أَصدق أنباءً من الكتب *

فإن حاصلَ بيت المتنبي مأخوذٌ من هذا الصَدر ، ليس فى بيته زائد على ما فى الصّدر ، سوى ما أخذه من ابن الرومى وقصّر وهو قوله فى العجز :

* فإنما نحن للأَسياف كالخدمِ *

لأَن ابن الرومى جعل السيوف خدماً للأَقلام ، والمتنبي جعلها كالخدم ، وفرق بين عين الشيء وشبيهه ،ولا يقال : إن صدر بيت المتنبي هو المأْخوذ من صدر بيت أَبى تمام ، فلم قلت : إن بيت المتنبى كلّه مأخوذ من صدر بيت أَبى تمام ، لأَنى أَقول : صدر بيت المتنبي مفتقر لما قبله ، أَو

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٨٤ والوساطة ٢٣١ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٦ .

(٢) هذا صدر بيت له وعجزه :

فى حده الحد بين الجد واللعب

وهو مطلع قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد ويذكر فتح عمورية ، ديوانه : ٧ .

لتقديم ما بعده ، لما فيه من الضمائر الظاهرة والمستترة التى متى أفرد لايوجد فيه ما يعود عليه ، فلا يكمل معناه الذى أخذه من بيت أبى تمّام حتى يقدَّر تقديم العجز ، فيصير تقدير البيت : نحن للأسياف كالخدم فاكتب بالأسياف قبل أن تكتب بنا ، وحاصل هذا كله قول أبى تمام :

* السيف أصدق أنباءً من الكتب *

فلم يرض أبو تمام أن يقول : السيف أصدق أنباءً من القلم حتى قال : من الكتب التى لا تُكتب إلا بالقلم ، والدواة والقرطاس ، والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالْحظِ الفرقَ بين كلامه ، وكلام المتنبى لتعلم مقدار ما بينهما .

وقد غاير[1] ابن الرومى الناس فى إبطال فائدة التناسى حيث قال[2] (خفيف) :

ومُعَزٍّ عن الشباب مُؤَسٍّ ... بمشيب اللِّدَات والأتراب

قلتُ لمَّا انتحى يعدّ أسَاةً ... من مُصاب يُشِيبُه ومُصَاب

ليس تأسُو كلُومُ غيرى كلومى ... ما بهم ما بهم ومَا بِيَ ما بى

فإنه غاير القائل (طويل) :

ولولا الأَسَى ما عِشْتُ فى النَّاس بَعْدَهُ

وَلَكِن متَى ما شِئتُ جاوَبنى مِثْلِى

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(2) ديوانه : ورقة ٤٢ وهو من مقطوعة يندب فيها الشباب .

وأمثاله كثير ، وكل ما أتيت به مما غاير فيه الشعراءُ بعضهم بعضاً .

وأما ما يغاير الشاعرُ فيه نفسَه ، فكقول الفرزدق (طويل)[1] :

ألم تَسْمَعا يابْنَىْ حكيمٍ حَنينَها
إلى السَّيف تَسْتَبكى إذا لم تُعقَّر

فذكر أن إبلَه تحِنُّ إلى السيف لإلفها به إذا لم يَعْقِرها للضيفان .

وقال يصفها بالجزع من الموت (طويل) :

ترى النِّيبُ من ضَيفى إذا ما رأينَه
ضُمُورا على جِرَّاتِها ما يُجِيرها[2]

وهذا من قول بعض الشعراء يمدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كامل) :

وأبيكَ حقّا إنَّ إبْلَ مُحمّد عُزْلٌ نوائحُ أنْ تَهُبّ شمالُ
وإذا رأينَ لدى الفِنَاء غريبةً فدموعُهن على الخدود سِجالُ

يقول هذا الشاعر : إذا هبت الشمال ، وهى من ريح الشتاء ، وهبوبها من علامات المَحْل ، أيقنت هذه الإبل أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ينحرها للضِّيفان والجيران ، فهى نوائحُ لذلك ، واستعار لها لفظة عُزْل : من الرجال الذين لاسلاح معهم يدفعون به عنهم ، أى هى لا تمانع ؛ ثم قال فى البيت الثانى : وإذا رأين ناقة غريبة عَرفْن أنَّها ناقةُ ضيف فتُذْرى

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٧٨ والصناعتين : ٣١٣

(٢) ديوانه ٢ : ٤٥٧ والنيب : النوق . وجراتها . ضروعها . يقول هذه النـــوق اذا رأت ضيفان ربها ضمرت ضروعها ، وجفت ألبانها خوفا من عقرها للضيفان ، وهى اذ ذاك لا تجد من يجيرها ، وفى الديوان ضمورا بالزاى المعجمة ويحيرها بالحاء المهملة وهو تصحيف .

كلٌّ واحدة دمعَها لاتَدْرى أهى المنحورة أم غيرها ؟ ، وقوله « حقا » بعد القسم ليست من الحشو الذى تُسَدّ به الأبيات لإقامة الوزن ، وإنما هى مؤكّدة لصدق القسم ، إذ المدح فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولو كان فى غيره لكانت حشواً لايفيد إلا إقامة الوزن . وهذا من دقيق ما فى الشعر ، وهو من لطيف المدح ، وَقَلَّ كلّ مدح فى حق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومثل هذا التتميم الذى وقع لهذا الشاعر ـ رضى الله عنه ـ فى المدح تتميم وقع للأخطل[1] فى الهجاء حيث قال (بسيط) :

وأَقْسَمَ المجدُ حقًّا لا يحَالِفهمْ حتَّى يحالفَ بطنَ الراحة الشَّعَرُ

ومن التغاير[2] ما قاله زَبّان بن منظور الفَزَرِىّ ، وقد اتفق مع النابغة على الغزو ، فوقعت جوادُه على النابغة ، فتطيّر بها ورجع ، ومضى زبّان فغنم وسلم ، فقال النابغة (وافر) :

تَعـــلَّمْ أنَّه لا طيرَ إلا على مُتَطيّر وهو الثُّبورُ
بلى شئٌ يوافقُ بعضَ شئٍ أحايينًا وباطلُه كَثِيرُ
ومَن يُنْزَحْ به لابدَّ يوماً يجئُ به نعىٌّ أو بَشيرُ

فغاير النابغةُ معظمَ العرب فى ذلك ، وأعجبنى مقالُه لموافقته قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا هَامَة ولا طِيرة ولا صَفَر[3] » .

وهذه أمثلة التغاير فى المعنى الواحد .

(وأما تغاير المعنيين المتضادّين فإن الترجيح بينهما راجع إلى النظر فى مفردات الألفاظ وتركيبها لتعلم كم فى كل كلام منهما من ضروب العيوب ،

(١) ديوانه : ١١٢ .
(٢) النهايه لابن الاثير ٣ . ٥١ .
(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

وأنواع المحاسن ، ويقابل كلٌ ضرب بضرب مثله : فما كانت محاسنُه ، أكثر وعيوبه أقل كان أفضلَ من الآخر ، وهذا هو الذى أشار إليه ضياءُ الدين بن الأثير[1] ، ووعدت فى أول هذا الباب بذكره ، فإنه أيضاً غاير النّقاد فى هذا المكان ، إذ عادتهم ألا يرجحوا بين الكلامين إلا إذا اشتركا فى معنى واحد والله أعلم .

ومثال ما تقع فيه المفاضلة بين الكلامين المختلفى المعنى قول الله سبحانه وتعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِى مَاءَكِ[2]) وقال عز وجل : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ[3]) الآية ، فإن الأُولى فى الطبقة العليا من البلاغة والفصاحة ، والثانية فى الطبقة الوسطى بالنسبة إليها ، لأن الثانية وإن كانت بديعة فالأُولى أبلغ ، وإن كانت كثيرة المعانى ، فالأُولى أكثر ، فالأُولى أفضل مع كون مقصد الاثنين مغايراً مختلفاً ، وعلى هذا فقس ترشد والله عز وجل أعلم .

---

(١) انظر مقدمة الاستدراك لابن الأثير (المفاضله بين الشعراء) .
(٢) هود : ٤٤ .
(٣) النحل : ٩٠ .

بابُ الطـاعة والعِصْـيَان *

هذا النوع استنبطه أبو العلاء المعرّى عند نظره فى شعر أبى الطيِّب المتنبِّى[1] وشرحِهِ له من قوله (طويل) :

يَردّ يَدًا عن ثَوْبها وهو قادِرٌ ويَعْصى الهَوى فى طَيْفِها وهو راقدُ

وسماه الطاعة والعصيان ، أعنى المعرّى ، وفسّره بأن قال : وهو أن يريد المتكلِّم معنى من معانى البديع ، فيستعصى عليه لتعذُّر دخُوله فى الوزن الذى هو آخذ فيه ، فيأتى موضعَه بكلام غيره يتضمَّن معنى كلامه ، ويقوم به وزنُه ، ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذى قصده ، كهذا البيت الذى ذكرتُه للمتنبي ، فإنه ارد أن يكون فى البيت مُطابقة ، فيحتاج لأَجلها أن يقول :

* يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظٌ *

حتى إذا قال :

* ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد *

يكون فى البيت مطابقة فلم يطعْه الوزن فأَتى بقادر مكان مستيقظ . لتضمّنه معناه . فإن القادر لا يكون إلا مستيقظاً ، وزيادة فقد عصاه فى البيت الطِّباق ، وأَطاعه الجناس ، لأَن بين قادر وراقد تجنيس عكس . هذا كلام المعرّى على هذا البيت ، وهذا المعنى من البديع ،

(*) بحثه فى بديع ابن منقذ ٩١ ، وخزانة ابن حجة ٤١٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٦ ، وحسن التوسل ٧٣ ، وأنوار الربيع ٧١١ .

(١) ديوانه ١ ١٦٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٦ ، وأنوار الربيع ٧١١ ، وبديع القرآن ١١٠ .

ولم يأت بشاهد غيره ، وتَبِعَه الناس بعد ، فأثبتوا هذا الباب وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام ، واستشهدوا بهذا البيت ، ولم يأت أحدٌ منهم بغيره ، وأضربوا جميعَهم عن النَّظر فيه ، إما لحُسن ظنّهم بالمعرّى وموضعه من الأدب ، واعتقادهم فيه العِصْمة من الخطإ والسهو فيه ، وإما أن يكونوا قد مر عليهم ما مرَّ عليه فى هذا البيت .

والذى ذهب عليهم أن البيت ليس فيه شىءٌ أطاع الشاعر ، ولا شىءٌ عصاه ، ودليل ذلك أن قولَ المعرِّى إن المتنبِّى أراد مستيقظاً ، ليحصل منها ومن لفظة راقد طباق ، فعصَتْه لفظةُ مستيقظ لامتناعها من الدخول فى هذا الوزن . فيحكم على المتنبى ، لأنه لو أراد أن يكون فى بيته طباق فحسب ، كان له أن يقول : يردُّ يدًا عن ثوبها وهو ساهر أو ساهد ، ويحصل له غرضُه من الطباق بالجمع بين ساهر وراقد ، ولا يكون عصاه شىءٌ وأطاعه غيره وإنما المتنبى قصَدَ أن يكون فى بيته طباق وجناس ، فعدل عن لفظة ساهر وساهد إلى لفظة قادر ، لأن القادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كلّ ساهر قادرًا ، والقادر لا بدَّ أن يكون ساهرًا ، ليحصل بين قادر وراقد طباق معنوى ، وجناس عكس ، لأن الطباق أنواع : منه المعنوى ، كما أن الجناس أنواع : منه جناس العكس . وكما لم يأت بأوّل نوع من الجناس ، كذلك لم يأت بأول نوع من الطباق . وهو الطباق اللّفظىّ ، وأتى بالطباق المعنوىّ ، لأن مذهبَه ترجيح المعانى على الألفاظ . لاسيما وبالعدول عن الطباق اللفظىّ حصل فى البيت الطباق والجناس معا ، وما كان فيه طباق وجناس أفضل مما ليس فيه سوى الطباق فقط ، ولو عدل المتنبِّى إلى

ما ذكره المعرّى من الإتيان بشاهد مثلا لفاته هذا الفضل ، وأتى فى بيته ما دلّ على عدم تدقيق النّقد ، إذ يأتى فيه بأول نوع من الطباق ، ولم يقابله بأول نوع من الجناس ، مع ثبوت نيّته الجمع بينهما ، والله أعلم .

فقد تبين من هذا البحث أن بيتَ المتنبّى هذا لايصلح أن يكون شاهداً على هذا الباب ، لأنّه لم يَعْصه فيه شىءٌ ولم يطعْه غيره ، ولا بد إذ قد أُثْبِت هذا الباب لرشاقة تسمية من الإتيان بشاهد يليق به ؛ والذى يليق به من الشواهد قول عَوْف بنُ مُحَلِّم السَّعْدِىّ[1] (سريع) :

إن الثّمانين وبُلِّغْتَها   قدأحْوجتْ سَمْعِى إلى تَرْجُمَانِ[2]

لأنّا نعلم أن أول ما يقصده المتكلّم إخراجَ معناه فى لفظ مساو له ، إذْ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها ، وخير الأُمور أوساطها ، (ولذلك[3] وصف به كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

قال هِنْد بن أبى هَالَة فى صفتِه : ويتكلّم بجوامع الكلم قولا فصلا ، لا فضلا ولا تقصيراً ؛ وقالت أمّ مَعْبدٍ فى صفة كلامه أيضاً : حُلْو المنطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر ، كأن منطقه خَرَزات نَظْمٍ يتحَدّرْن ، وهذا المعنى بلفظه أخذه ذو الرمّة[4] فقال (طويل) :

---

(١) هو أبو المنهال عوف بن محلم السندى ، أحد السعراء والأدباء والفصحـــاء واختصه طاهر بن الحسين لمنادمته . الجامع الكبير ١٢٠ ومعالم الكتابة ٨١ ، ونهـاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، وتقريب المعاهد فى شرح الشواهد ١٧٨ .

(٢) لم يعجبه شاهد هذا النوع وأعجبتـه تسميته فدفعه حبه وغرامه بالبـديع الا يترك النوع كما ترك شاهده فالتمس له شاهدا يتفق ومسماه .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٤) ديوانه : ٢١٢ ط أوربا وروايته رقيق بدل رخيم . والهراء : الكلام الكثير من غير معنى .

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ رَخِيمُ الحَواشى لاهُراءٌ ولا نَزْرُ)

فاذا اضطرَّ الوزن إلى الزيادة على اللفظ أو النقص منه اضطرارًا ، فقد عصته المساواة وأطاعه غيرُها مما يأتى فى كلامه من البديع بعد الزيادة والنقص الذى استقام بهما الوزن ، بشرط أن يكون عدولُه عن المساواة إلى غيرها من البديع اضطرارًا لا اختيارًا .

(وقد يعدل المتكلِّم[1] عن المساواة اختيارًا ، ولا تكون المساواة عَصَتْه إلا فى ظَنِّ من يَرَى ظاهرَ كلامه فيجد فيه ما يوهم بأنه زيادة ، ويكون عدولَه لمعنى أَجَلَّ من المساواة ، فيكونقد أطاعه ذلك المعنى ، ومن ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ[2]) فإن ظاهرَ اللَّفظ يوهِمُ أن لفظةَ «بالحق» مستغنى عنها ، للعلم بأن الله — سبحانه — لا يحْكم إلا بالحق ، فإنَّه قد ثبت أنه موصوف بالعدل بالدليل العقلى ، فعُدل عن المساواة ، وأتى بهذه الزيادة ليضمِّن الكلامَ ضرباً من المحاسن يسمَّى الافتنان . فإن المرادَ تعجيل ما يستحقّه الكفارُ من العذاب ، ولذلك حصل فى الكلام افتنان ، وهو الجمع بين الأدب والهجاء ، لأن من يستحق الدعاء عليه بالعقوبة ملوم ، والله أعلم .

وقد أفردت لهذه الآية الكريمة تأليفاً استخرجت منها ستة عشر ضرباً من البديع ، خفت من سياقتها فى هذا الكتاب من الإطالة) ، فعلى هذا يكون مراد عَوْف فى بيته الذى قدمناه عند ما وقع المعنى فى نفسه ،

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٢) هذه قراءة ورش ، وهذه آية ١١٢ : الأنبياء ، وقراءة حفص : قال .

وقصد إخراجه من القوة إلى الفعل أن يقول : إن الثمانين قد أحوجت سمعى إلى تَرْجُمان . وعلم أن الوزنَ لا يستقيم إلا بزيادة كلمة على هذا اللفظ المساوى معناه . فأتى بها مُتضمّنة معنى الدعاء للمدوح ، ليحصل بها فى الكلام ضرب من البديع ، وهو التّتميم ، نظرًا إلى نقص الوزن ، والتكميلُ نظرًا إلى كون المعنى تامًّا . وليكونَ عِوضاً مما فاته من المساواة حذقاً منه ، ولو أتى بها لايفيد إلا إقامة الوزن فحَسْب ، كانت عيباً فليسوغ أن يقال : إن فى هذا البيت طاعةً وعصياناً . لكون الشاعر عصته فيه المساواة التى قصدها وقت الشروع فى سَبْكه وبنيته ، وأطاعه التّتميم . وعلى هذا يكون كل بيت من شواهد التتميم . وقع التتميم الذى فيه زائدًا على معناه غير متممّ لنقصه شاهدًا للطاعة والعصيان ، ومثل هذا هو تتميم الوزن لاتتميم المعنى ، والله أعلم .

بــابُ التّسـميْط *

وهو أن يَعْتمدَ الشاعرُ تَصْيِيرَ بعض مقاطع الأَجزاء ، أو كلَّها في البيت على سجع يخالف قافية البيت ، كقول مَرْوان بن أبي حَفْصَة[1] (طويل) :

هم القومُ إن قالوا أصابوا ، وإن دُعُوا
أجابو ؛ وإن أَعْطَوْا أطابوا ، وأَجْزَلُوا

فأتت بعض أجزاء هذا البيت مسجَّعةً على خلاف قافيته ، لتكونَ القافية بمنزلة السِّمط ، والأَجزاءُ المسجَّعة بمنزلة حبِّ العقد ، لِكون التَّسميط يجمع حبِّ العقد ويربطه ، والفرق بين التسميط والتَّفويف ، تسجيع بعض أجزاء بيت التَّسميط ، وخلوّ كلّ أجزاء بيت التفويف من السجع بَتَّةً ، والمراد بأجزاء التَّسميط بعض أجزاء التقطيع . ويسمى تسميط التبعيض .

ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التَّقطيع[2] ، وهو أن يسجّع جميعَ أجزاء التَّفعيل على رَوِيّ يخالفُ روِيَّ القافية ، كقولي (بسيط) :

(×) بحثه في اللمعة في صنعة الشعر للانبارى . ٣ والطراز ٣ : ٩٧ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، وخزانة بن حجة ٤٣٤ ، وحسن التوسل ٧٣ ، وأنوار الربيع ٧٧٤ .

(١) البيت في الأغاني ١٠ : ٦٠ وهو من أبيات أولها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم　　اسود لها في بطن خفان أشبل

والعمدة ٢ : ٤٨ وعيار الشعر : ٦٧ .

(٢) هذا نوع لم يسبقه اليه أحد فهو من جديده .

وأَسْمَرٍ (١) مُثْمِرٍ بِمُزْهِرٍ نَضِرٍ
من مُقْمِرٍ مُسْفِرٍ عن مَنْظَرٍ حسَنٍ

فجاءت جميع أجزاء التفعيل فى هذا البيت من سباعيّها وخماسيّها مسجّعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافية البيت ، والله أعلم .

---

(١) صرف الشاعر هذه الكلمة هنا لضرورة الشعر ، وصرف ما لا ينصرف جائز فى مثل هذا قال الحريرى فى ملحمته :

وجائز فى صنعة الشعر الصلف … أن يصرف الشاعر ما لا يصرف

بـاب المـمـاثـلة*

وهو أن تتماثلَ ألفاظُ الكلام أو بعضها فى الزِّنَةِ دون التقفية ، كقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[1] فالطَّارق والثَّاقب وحافظ متماثلات فى الزِّنة دون التقفية ،وقد تـأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفَّاة من غير قَصْد ، لأن التقفية فى هذا الباب غير لازمة ، كقول امرئ القيس (متقارب) :

فَتُورُ القيام ، قَطوعُ الكَلام تَفْتَرُّ عن ذِى غُرُوبٍ خَصِر[2]
كأَنَّ المُدامَ ، وصوبَ الغَمام وريحَ الخُزَامى ، ونَشْرَ القُطُرْ[3]
يُعَـــلُّ به بردُ أنيابها إذا غرَّد الطائر ، المُستَحِرّ

(×) بحثها فى الصناعتين ٣٥٣ وخزانة ابن حجة ٣٧٠ ، وأنوار الربيع ٦٣٩ ، والمماثلة عند ابن ابى الاصبع غيرها عند أبى هلال العسكرى ، اذ المماثلة عند ابن أبى الأصبع تحسينا لفظيا لتماثل الألفاظ بعضها فى الزنه ، ولكنها عند ابى هلال محسن معنــوى ، اذ انها التعبير عن معنى بلفظ مماثل للفظ المعنى الأول ، وهى قريبـــة النسبه عند أبى هلال العسكرى بالتمثيل أما عند ابن أبى الأصبع فهى قريبه الشبه بالتسجيع والتجزئه ، الا أن الفرق بينها وبين التجزئة التقفية ، وكل من المماثلة عند ابن أبى الأصبع والتجزئة والتسجيع والترصيع والتصريع والتشطير الآتى بعد ، محسنات لفظية .

(١) الطارق من ٢ـ٤ ،

(٢) ديوانه : ٧ والصناعتين ٣٧٥ وفتور القيام : متراخية ليست بوثابة فى قيامهـــا ، وقطوع الكلام قليلته ، وتفتر : تبسم . والغروب : حدة الأسنان . والخصر : البارد .

(٣) صوب الغمام : وقعه ، والخزامى : خيرى البر ، وهو نبت ذو رائحة طيبة . والنشر : الريح . والقطر : العود الذى يتبخر به ويعل : يسقى مرة بعد مرة ، والطائر المستحر : المصوت وقت السحر .

وكقول الشاعر على أصل الباب فى التزام الزّنة دون التقفية (متقارب) :

صَفوحٌ ، كريمٌ ، رصينٌ إذا رأيتَ العقولَ بدا طَيْشُها[1]
نداه سَحُوحٌ على أنْفسٍ به اخضرّ لما سَقَى عيشُها

والبيتَ الأول أردت .

والفرق بين المماثلة والمناسبة تَوَالى الكلمات المستويات فى المماثلة ، وتفارقها فى المناسبة ومن أمثلة المماثلة قول أبى ذؤيب[2] (وافر) :

معتّقةٌ ، مصفّقةٌ ، عُقارٌ شآميةٌ ، إذا جُلِيتْ مَروحُ

فقوله : معتّقة ،مصفقة ، شآمية متماثلة لتساوى الكلام فى الزّنة ، وهذا البيت من أقوى دليل على أن التّقفية فى المماثلة غير لازمة ، إذ لو كانت لازمة لأتى بشآمية على سجع معتّقَة مصفّقة .

لكنه لما لم يأت بأول العجز على سجع أول الصدر ، علم أن التقفية فى هذا الضرب غير لازمة . ومثله قول أوْس بن حَجَر[3] (متقارب) :

مَليحٌ ، نَجيحٌ ، أخو مَأْقِط يَكادُ يخبِّر بالغائب

---

(١) بالبحث فيما لدينا من المظان لم نهتد الى هذين البيتين ، ونرجح أن يكونا لابن أبى الأصبع لأن هذا النوع لم أره لمن تقدمه من علماء البلاغة

(٢) ديوان الهذليين قسم ١ : ٦٩ وروايته :

مصفقة مصفاة عقار

ومصفقة : تحول من اناء الى آخر كأنه مزاج لها ، عقار : لازمت العقل والدن ، ومروح : لها سورة فى الراس .

(٣) ديوانه : ٣ ط أوربا ، ونقد الشعر : ٣٦والمأقط : موضع القتال : يقول : انه أخو حرب فهو لا يفارق موضع القتال .

بـــابُ التّجزئـــة *

وهو أنّ الشاعرَ يُجزِّئُ البيتَ من الشّعر جميعَه بأجزاءٍ عروضية ، ويسجّعها كلّها على رويّين مختلفين ، جزءٌ بجزءٍ ، إلى آخر البيت الأوّل من الجزأين ، على رويّ مخالف لرويّ البيت ، والثانى على روى البيت كقول الشاعر[1] (رمل) :

هنديّةٌ لَحَظاتُها ، خَطِّيّةٌ خَطَراتُها ، داريّةٌ نَفَحاتُها

(ومثال[2] الثانى الذى سجع كلّ ثانٍ من أجزائه زائدًا على قافيته قول أبى تمام (طويل) :

تجلّى به رُشدى ، وأثْرَتْ به يَدى
وطاب به ثَمْدى ، وأورى به زَنْدى)[3]

وكقول المتنبى (بسيط) :

فنحن فى جَذلٍ ، والرّوم فى وَجَلٍ والبَرُّ فى شُغُلٍ ، والبحرُ فى خَجَلٍ[4]

والتجزئة تفارق[5] التسميط من وجهين :

أحدهما تقسيم بيتها على ثلاثة أجزاء مسجعة إن كان مُداسِياً ، أو أربعة مسجعة إن كان ثمانيا .

والثانى التزام السجع فى الأجزاء على قافية البيت والله أعلم) .

* بحثه فى خزانة ابن حجة : ٤٣٥ ، وانوار الربيع : ٧٧٧ .
(١) وردت هذه الأبيات فى خزانة ابن حجة وانوار الربيع غير منسوبه .
(٢) ما بين قوسين ساقط من الأصل وقد أثبتناه عن ا و ت اذ به يستقيم الكلام ، وأثرت به يدى : أى كثر مالها . والثمد : الماء القليل لا مادة له ، وأورى به زندى : أى قوى ساعدى به .
(٣) ديوانه : ١١٦ .
(٤) ديوانه ٢ : ٦٨ ، والجذل بفتح الذال : الفرح ، والوجل . الخوف .
(٥) ما بين قوسين ساقط من ت .

بـــابُ التسجيع *

وهو أن يتوخَّى المتكلِّم أو الشاعر فى أجزاء كلامه ، بعضها غير متَّزنة بزنة عروضيَّة ولا محصورة فى عدد معين ، بشرط أن يكون روىُّ الأسجاع روىَّ القافية ، والفرق بينه وبين التسميط كون أجزائه على روى قافيته ، وبينه وبين التجزئة اختلاف زنة أجزائه ، ومجيئها على غير عدد محصور معيَّن ، ومثاله قول أبى تمام[1] (طويل) :

تجلَّى به رُشدى ، وأثرتْ به يدى
وَطابَ به ثَمْدى ، وأورى به زَنْدى

وقول ديك الجنِّ[2] (كامل) :

حُرُّ الإهاب وسيمُه ، بَرُّ الإيا
ب كَرِيمهُ . محْضُ النِّصاب صَمِيمُه

× بحثه فى البيان والنبيين ١ : ٢٨٥ وسر الفصاحه تحت اسم السجع والازدواج : ٢٠١ ، واسرار البلاغه ١٠ ، ودلائل الاعجاز : ٤٩ ، والجامع الكبير تحت اسم السجع والاردواج أيضا : ٢٥١ ، والتلخيص ٢٥٥ ، والايضاح ٦ : ١٠٧ ، والطراز ٣ : ١٨ ، وخزانة ابن حجة ٤٢٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٠٣ ، وحسن التوسل : ٤٩ والعـفبه الاسناد على الجندى كتابا تحت اسم فى الا سجاع .

(١) سبق هذا البيت فى باب التجـــزئة ، ويلاحظ ان المؤلف اضطرب فى التفـــرقة بين التسميط والتجزئة والتسجيع ، لأن ما أورده فرقا بين النجزئة والنسجيع من أنه اختلاف زنة اجزاء البيت ومجيئها على غير عدد محصور معين لاينهض دليلا قويا على التفرقة بينهما ، وبخاصه ان ما مثل به للتجزئة مثل به كذلك للتسجيع كهذا البيت وانما دفعه الى هذا الاضطراب حبــه فى البديع ، وغرامه به حتى أخذ يخترع الأسماء لأقسام الألوان البديعية ، فكان الأجدر به أن يجعل التجزئة قسما من اقسام التسجيع لا بابا مفردا بذاته ، وليس ببعيد علينا تقسيم علماء البديع للتجنيس ، ولم ار من علماء البديع قبل المؤلف من نهج نهجه وفصل التجزئة عن التسجيع ، وعنه أخذ علماء البديع هذه التسميه ، وكانوا مضطربين فيها كاضطرابه أيضا . انظر خزانة ابن حجه وانوار الربيع .

(٢) برجوعنا الى ما لديك الجن من شعر فى مصادر كثيرة لم نعثر على هذا الشعر له .

والأجزاءُ المسجَّعة مِن هذا البيتَ التى هى بعض أجزائه غير متَّزنة زنة عروضيَّة ، وإن تماثلت فى زنة بعضها لبعض ، والفرق بينه وبين المماثلة ، كون أجزائه المسجَّعة اتزنتْ زنة غير زنة عروضية ، وأتت مفرَّقا ما بينها ، وأتى تسجيعها على روى بيتها ،بخلاف أجزاء المماثلة ،وتسجيع أجزاءِ المماثلة على غير روى بيتها والله أعلم .

باب الترصيع *

الترصيع كالتسجيع[1] فى كونه يُجزئُ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً ، أو أربعة إن كان ثمانياً[2] وسجع على ثانى العروضين دون الأول ، وأكثر ما يقع الجزءان المسجَّع والمهمل فى الترصيع مُدْمَجَيْن إلا أن أسجاع التَّسجيع[3] على قافية البيت ، والفرق بينه وبين التسميط المسمَّى تسميط التَّبعيض أن المسجَّع من قسْمَى التَّسميط معا هى أجزاءٌ عروضية ، والمسجَّع من الترصيع أجزاءٌ غير عروضية لوقوع السجع فى بعض الأجزاء ، ومثال الترصيع قول أبى صَخْر من أناشيد قدامة[4] (بسيط) :

وتِلك هَيْكَلَةٌ خَودٌ مُبَتَّلَةٌ صَفْرَاءُ رَعْبَلَةٌ فى مَنْصِبٍ سَنِمِ[5]
عَذْبٌ مُقَبَّلُها خَدْلٌ مُخَلْخَلُها كالدِّعْص أَسْفلُها مَخْضُوبةِ القَدَمِ[6]

× بحثه فى نقد الشعر ١١ والجامع الكبير ٢٦٣ وسر الفصاحة ٢٢٣ وخزانه ابن حجه ٤٢٢، وانوار الربيع ٧٦٣ ، واللمعة فى صناعة الشعر ٣٠ ولا أرى سببا فى تركه لهذا النوع وعدم عده له من الأصول علما بان قدامة جعله من نعت الوزن وتكلم عنه بايضاح .

(١) فى أوت كالنجزئة وهو المناسب لما بعده .

(٢) هكذا قال : «هنا» وفى المجزئة قال « رباعيا » وكل هذا يدل على خلطه واضطرابه هنا

(٣) كذا فى الأصل وفى ا ، ت « النجزئة » وهو الأصوب لأنه بصدد التفرقة بينها وبين الترصيع .

(٤) نقد الشعر : ١٣ وما بقى من أشعار الهزليين ط أوربا :

(٥) الهيكل : الجواد ، وهو يشبه به هنا ممدوحه ، والخود : المراه الشابة ، والمبتلة : التامة الخلق الجميلة ، والرعبلة : الضخمة أو الرعناء والسنم : المشرف العالى .

(٦) خدل مخلخلها . ممتلىء ، والدعص : الكثيف من الرمل .

سُودٌ ذوائبُها ، بيضُ تَرائِبُها

مَحْضٌ ضَرائِبُها ، صِيغتْ على الكَرَمِ (١)

سُمْحٌ خلائقُها ، دُرْمٌ مرافِقُها يَرْوَى مُعانِقُها من باردٍ شَبِمِ (٢)

كأَنّ مُعْتقةً ، فى الدّنّ مُغْلَقةً صفرًا مُصَفّقَةً من رَابئٍ وَدَمِ

شِيبتْ بمَوْهبَةٍ ،من رأس مَرْقَبَةٍ جَرْدَاءَ مَهْيبَةٍ ، فى حَالقٍ شَمِمِ (٣)

خالطَ طعمَ ثناياها وريقتها إذا يكون تَوالى النَّجم كالنُّظُمِ

فهذا القسم من التَّرصيع يحسن أن يسمَّى الترصيع المُدْمجَ ، لأَن كل جزءٍ مسجَّع من أَجزائه مُدْمج فى الجزءِ الذى قبله فرقاً بينه وبين ما ليس كذلك من التَّرْصيع ؛ فإن من التَّرصيع ما أَجزاؤه المسجَّعة غير مُدْمجة فيما قبلها ، ومثاله قول مُسْلم بن الوليد (بسيط) :

كأَنّه قمرٌ ، أوْ ضيغمٌ هَصِرُ

أو حَيَّةٌ ذَكَرٌ ، أَو عارضٌ هَطِلُ (٤)

وهذا القسم من الترصيع يلتبس بالتسميط التباساً شديدًا ، والفرق بينهما أَن التسْجيع فىالتسميط على الجزءِ الأَول من الأَجزاءِ العروضية ، وفى الترصيع على ثانى العروضيين ، ألا ترى التسْجيع من التسميط فى بيت مروان جاءَ فى الخماسىٍّ لما كان من بحر طويل ، وجاءَ التسجيع

(١) النرائب جمع تربيه وهى عظام الصدر. محض ضرائبها : خالصة سجيتها .

(٢) درم : مستوية ، الماء الشبم : العذب .

(٣) شيبت : مزجت والموهبه : ثغرة فى الجبل يستنقع فيهـا الماء ، والمرقبـة : المكان المشرف ، وجرداء : خالية . والمهيبة : المخوفة . والحالق النسم : المرتفع العالى .

(٤) ديوانه : ١٩٤ والضيغم : الأسـد ، والهصر : الذى يكسر فريسته ، والحية الذكر : التى لا تنفع منها الرقية ، والعارض الهطـل :السحاب المؤذن بالمطر الكثير .

من الترصيع فى بيت مسلم فى الخماسىّ أيضاً لمّا كان البيت من بحر البسيط ، لكون الخماسىّ أول الجزأين من الطويل والخماسى ثانى الجزأين من البسيط ، وهذا الوضع مما يسأل عنه من يدّعى هذا العلم . وَيُتَنَخَّل من ذلك أن الفرق بين التشميط والتّرصيع من وجهين :

أحدهما كون الترصيع يكون بأجزاء مُدْمجة وغيرها ، والتسميط لا يقع فيه الإدماج ألبتة .

والثانى أن ما لا إدماج فى أجزائه من الترصيع يقع التسجيع منه فى ثانى العروضين ، ومن التسميط فى أولهما ، والله أعلم .

بـــابُ التّصْـــريع*

التّصريع على ضربين : عروضىٌّ ، وبديعىٌّ ، فالعروضى عبارة عن استواء عروض البيت وضربه فى الوزن والإعراب والتّقْفية ، بشرط أن تكون العروض قد غيِّرت عن أصلها لتلحقَ الضّرب فى زنتهِ .

والبديعىُّ استواءُ آخر جزءٍ فى الصدر ، وآخر جزءٍ فى العجز فى الوزن والإعراب والتقفية ، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر ، وهو فى الأشعار كثير ، لاسيما فى أول القصائد ، وكثير ما يأْتى فى أثناء قصائد القدماء ؛ ويندر مجيئُة فى أثناء قصائد المُحْدَثين ، ووقوعه فى الأشعار دليل على غِزَر مادة الشاعر ، وحكمُه فى الكَثْرة والقلّة حكم بقية أنواع البديع ، إذ كلُّ ضرب من البديع متى كثر فى شعر سَمُج ، كما لا يحسُن خلوُّ الكلام منه غالباً ، وكلُّ ما جاء منه متوسِّطاً من غير تكلف فهو المستحسن ، وقد يأْتى بعض أوائل القصائد مُصْمَتاً ، ويأْتى التصريع فى أثنائها بعد ذلك . وقد قسمه أهل الصناعة قسمين :

قسم سمّوه تصريع التّكْميل ، وقسم سموه تصريع التّشطير ، ورأيت منهم من جعل هذا القسم الثانى باباً مفردًا يسميّه التشطير من غير أن يضيف إليه لفظة التّصريع .

ومثال التصريع العروضىِّ قول امرىءِ القيس[1] (طويل) :

(×) بحثه فى سر الفصاحة ٢٢١ والايضاح ٦ : ١١٢ وخزانة ابن حجـــة ٣٦٦ ، وأنوار الربيع : ٦٧٥ .

(١) ديوانه : ٣٨ وسر الفصاحة ٢٢١ .

أَلاَ عِمْ صباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالِى

وهل يَعِمَنْ من كان فى العصر الخَالِى

ومثال التصريع البديعىّ قوله فى أثناء هذه القصيدة

ألا إنَّنى بال على جَمَل بالِ   يقودُ بنا بال ويتبعُنا بالِ

وقوله أيضاً بعد تصريع أولَ القصيدة المعلقة ، وإن كان إطلاق التصريع عليها اطلاقاً بديعيا ، لاعروضياً ، إذ أولها عند العروضين مقفّى لامصرّع (طويل) :

ألا أيُّها اللَّيل الطويلُ ألا انْجَلِى   بصُبْح ومَا الإصْباح مِنك بأَمْثَلِ[1]

ومثال ماوقع فى أثناء القصيدة وأولها مُصمَت قوله[2] (متقارب) :

تَرُوحُ من الحى أم تبتكرْ   وماذا يَضيرُكَ لو تَنْتَظِرْ

فإن أول هذه القصيدة على أصح الرّوايتين

لا وأبيكِ ابنةَ العامرىّ   لا يدَّعى القومُ أنىّ أفِرْ

ثم والى التصريع بعد قوله :

* تروح من الحى أم تبتكرْ *

فقال

أَمَرْخٌ خيامُهم أم عُشَر   أم القلب فى إثرهمْ مُنْحَدِر[3]

وشاقَك بين الخَلَيط الشُّطُرْ   وفيمن أقامَ من الحىّ هِرْ

---

(١) ديوانه ٢٩ ، ونقد الشعر : ١٤ وحماسة بن الشجرى : ٢١٦ والموشح ٣١ سر الفصاحة : ٢٢١ والطراز ٣٧٣ .

(٢) ديوانه : ٥ .

(٣) المرخ : من نبات نجر ، والعشر من نبات الغور ، وكنى بالشجر عن الموضعين .

وأهل البديع يسمون التقفية تصريعاً ، إذ لا يعتبرون الفرق بينهما . والتصريع فى أثناء القصائد والإصمات فى أوائلها يستحسن من القدماء ، ويُسْتهجن من المحدثين ، لأنه من العرب يدلّ على قوة العارضة وغِزَر المادة ، وعدم الكلفة وتخلية الطبع على سجيته ، وهو من المحدثين دليل على قوة التكلُّف غالباً ، ولايحسن التصريع لأنه لايأتى منهم إلا مقصودًا ؛ ولا يحسن التّصريع إلى ابتداء شعر غير الشعر الذى تقدم ... ألا ترى إلى كون امرئ القيس لما فرغ من ذكر الحماسة فى القصيدة الرائية التى ذكرنا منها الأبيات المتقدّمة ، وشرع فى ذكر النّسيب صرّع ، وإذا استقريت أشعارهم وجدتَ أكثرَها كما ذكرت لك .

بــابُ الــتَّشطير *

هو أن يقسِّم الشاعرُ بيته شطرين ، ثم يصرِّع كل شطر من الشُّطرين ، لكنه يأْتى بكل شطر مخالفاً لقافية الآخر ليتميز من أخيه ، فيوافق فيه الاسم المسمَّى ، وذلك كقول مسلم بن الوليد[1] (بسيط) :

مُوفٍ على مُهَجٍ ، فى يوم ذى رَهَجٍ ‏ ‏ ‏ ‏ كأَنَّه أَجَلٌ ، يَسْعَى إلى أَمَل

وكقول أبى تمام[2] (بسيط) :

تدبيرُ مُعْتَصِم ، بالله مُنْتَقِمٍ ‏ ‏ ‏ ‏ لله مرتغِبٍ ، فى الله مرتَقِبِ

وعندى أن بيت أبى تمام أولى من بيت مسلم بهذا الباب ، لأَنه عَمدَ إلى كل شطر قدّره بيتاً وصرّعه تصريعاً صحيحاً ، وبيت مسلم شطره الأَول مصرَّع تصريعاً صحيحاً ، وشطره الثانى ليس بمصرع لمخالفة روىِّ وَسطِه روىَّ آخرِهِ فى الإعراب ، اللهم إلا أن يُجعل الشَّطر على ضربين : ضرب يصرَّع فيه أحد الشطرين دون الآخر ، وضرب يصرَّعان فيه معاً . والله أعلم

(×) بحثه فى الصناعتين : ٤١١ ، وهو من مخترعات أبى هلال ، والايضاح ٦ : ١١٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٧ .

(١) ديوانه ٩ والصناعتين : ٢٠٥ يقول . هوموف على مهج ، يوفى عليها بالقتل فى يوم ذى وهج : — أى فى يوم كثيرة الغبار من شدة الحرب — كأنه يعمل فى الناس عمل الأجل فى الأمل .

(٢) ديوانه : ٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، والايضاح ٦ : ١١٢ .

بـــابُ التعـــليـل*

وهو أن يريد المتكلِّم ذكرَ حكم واقع ، أو متوقَّع فيقدِّم قبل ذكره علَّة وقوعه ، لكون رتبة العلَّة أن تقدَّم على المعلول ، كقوله سبحانه : (لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[1]) فَسبْق الكتاب من الله علّة فى النجاة من العذاب . وكقوله تعالى : (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ[2]) ، فوجود رهطه علَّة فى سلامته من قومه ، وكقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لولا أخاف أن أشقّ على أُمّتى لأَمرتُهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة» فخوف المشقّة على الأُمة هو العلّة فى التخفيف عنهم من الأَمر بالسواك عند كلِّ صلاة .

ومن الأَمثلة الشعرية فى ذلك قول البحترى[3] (متقارب) :

ولَوْ لَمْ تكنْ ساخِطاً لم أَكُنْ   أذمُّ الزمانَ وأَشكو الخُطوبا

فوجود سخْط الممدوح هو العلَّة فى شكوى الشاعر الزمان ، وكقول أبى القاسم بن هانئ الأَندلسى (طويل) :

(×) بحثه فى أسرار البلاغة : ٢٥٧ وسر الفصاحة تحت اسم الاستدلال بالتعليل : ٣٢٧ والايضاح ٦ : ٦٨ وخزانة ابن حجة : ٤١٦ والطراز ٣ : ١٣٨ ونهاية الأرب ٧ : ١١٥ ، وحسن التوسل : ٥٥ .

(١) الأنفال : ٦٨ .

(٢) هود : ٩١ .

(٣) ديوانه ١ : ٥٢ .

ولولم تُصافحْ رجلُها صفحةَ الثَّرى   لما كنتُ أدرِى علَّةً للتَّيمُّمِ[1]

(فعلَّل[2]) درايته علة التيمُّمِ بمصافحة رجل صاحبته صفحةَ الثَّرَى وهذا من غلوِّ ابن هانئ المعروف فَلَحَى الله غلوَّه كيف يقول : إنه لم يدر علَّة التيمّم إلا بما ذكر ، وقد وَرَدتْ علَّة التيمُّم من نص الكتاب والسنة : أما نص الكتاب فقوله تعالى : (فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّباً[3]) وأما نص السنة فقوله - صلى الله عليه وسلم - : «وجُعِلتْ لى الأَرض مسجدًا وطهورًا[4]» وحديث عمار بن ياسر فى التيمُّم مشهور وأخرجه مسلم) .

أراد ابن هانئ الإغراب فى هذا المعنى ، فوقع فيما عادته أن يقع فيه من الغلوِّ ، وأحسن من قوله قول ابن رشيق القيروانى فى تعليل قوله - عليه السلام : «وجعلت لى الأَرض مسجدًا وطهورًا» حيث قال (وافر) :

سَأَلتُ الأَرضَ لِمْ جُعِلتْ مُصَلَّى   ولِمْ كانت لنا طُهْرًا وطِيبا[5]

فقالتْ غيرَ ناطقةٍ لأَنِّى   حَوَيْتُ لكلِّ إنسانٍ حبيبا

فتخلَّص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه ذكر أنه سأَل الأَرض عن العلة الَّتى بسببها جعلها الله تعالى لرسوله - عليه السلام - مسجدًا وطهورًا ، وتلطَّف فى استخراج علَّة مناسبة لاحرج عليه فى ذكرها بنفسه ، فكيف وقد ذكرها على لسانها فى جواب سؤاله ، وأبو تمَّام الذى فتح له باب هذا المعنى ونبَّهه على استخراج هذه العلَّة بقوله (طويل) :

---

(١) سر الفصاحة : ٣٢٧ ، والطراز ٣ : ١٣٩

(٢) تكملة من ١ ، ت وهى ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٣) المائدة : ٦ .   (٤) الجامع الصغير ١ : ٣٥٩ .

(٥) البيتان فى الطراز ٣ : ١٣٩ .

(٦) ديوانه : ٤٧٨ والايضاح ٦ : ٧٤ ، وتقريب المعاهد : ٣٩٢ .

رُباً شَفَعَتْ ريحُ الصَّبَا بنَسيمِها   إلى الغَيْث حتى جَادَها وهْو هامِعُ
كأَن السَّحابَ الغُرّ غَيّبْنَ تحتَها   حَبيباً فما تَرْقَا لهُنَّ مَدَامعُ

والبيت الثَّانىَ ، أَردت لأَن أَبا تمام تلطَّف لمعناه غاية التلطُّف ، إذ جعل دوام مطر السحاب على هذه الرّبا إنما كان بمنزلة البكاء من ثا كل دفن محبوباً له ، فهو دائم البكاء على قبره ، فكأَنه جعل العلَّة فى دوام السّقيا كون الحبيب تحت تلك الأَرض المسقيَّة ، ومن ها هنا جعل ابن رشيق العلَّة فى كون الأَرض مسجدًا وطهورًا لكافَّة الناس الذين بعث إليهم رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ كونها حَوَت لكلّ بشر حبيباً ، وهذه كلها أَمثلة الكلام الذى جاءَ على وجهه فى تقديم علَّة حكمه على الحكم ، وأَما ما جاءَ منه متقدّم المعلول على العلَّة إغراباً وطرفة ، فكقول مسلم بن الوليد(١) (بسيط) :

يا واشِيا حَسُنت فينا إساءَتُه   نجّى حِذَارُك إنسانِى من الغَرَقِ

فإن هذا البيت لم يُسْمع فى هذا الباب مثله ، لأَن مسلماً أَغرب فى معناه بتلطُّفه فى تحسين إساءَة الواشى ، لإنجائه إنسان عينه من الغرق بالدمع ، لامتناعه من البكاءِ لحذره منه : فغاير فى ذلك الناس ، أَعنى استحسان الإساءَة ، وكأَنه سئل عن استحسانه إساءَة الواشى ، ففسَّر ذلك بنجاة إنسانه من الغرق ، وأَدمَج فى هذا المعنى معنى الاعتذار عن عدم البكاء ، وتبيين العلَّة فى ذلك من جهة حذره من الواشى بحبِّه ، وفى ذلك فضيحة محبوبه ،

---

(١) لم نعثر على هذا البيت فى ديوانه ، وهو فى الطراز ٣ : ١٤٠ والايضاح ٦ : ٢٧ .

واحترس من توهّم متوهّم أن جمود عينه لغلبة جَلَدِه على حبه ، وصبره على جَزَعه ، إذ ذلك مناف لصحّة مذاهب الناس فى الغزل ، وَجَاءَ فى ضمن ذلك الإدماج بالمبالغة ، إذ مفهوم كلامه وملزومه أنه لولا حذره من الواشى لبكى بدمع يغرق إنسانه بحيث لا يَنْحَسِر[1] عنه الماءُ أبدًا ، فإنه أطلق عليه لفظ الغرق ، وهذا حكم كلّ غريق ، هذا إلى ما وقع فى البيت من مساواة معناه للفظه ، وائتلافه معه ومع وزنه ، وحصول المطابقة اللّفظية فيه ، وعذوبة ألفاظه ، وسهولة سَبْكه ، وقرب متناوله ، وصحة دلالته ، وتمكين قافيته ، فاشتمل هذا البيت على ثلاثة عشر نوعاً من البديع ، وهى الإغراب والطّرفة ، والتعليق ، والادماج ، والاحتراس ، والمبالغة ، والتعليل ، والمطابقة ، والمساواة ، والتغاير ، والتفسير ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، والتمكين ، وقد تشبث القاضى السعيد – رحمه الله – بأذيال مسلم فى هذا المعنى ، وأحسن اتباعه باختيار بعض هذه الأنواع حيث قال (خفيف) :

علّمتْنى بهجرِها الصّبرَ عنها فَهىَ مشكورةٌ على التّقْبِيحِ

فالجامع بين هذا البيت والبيت الذى قبله وقوع الإحسان من الإساءة ، فبيت السّعيد وإن شارك بيت مسلم فى المساواة ، والتعليق ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وتمكين القافية ، والتفسير والتعليل ، فقد أعوزه الإغراب والمُغايرة والمطابقة والاحتراس والإدماج والمبالغة ، على أن صريح بيت السعيد مأخوذ من قول القائل (منسرح) :

---

(١) لا ينحسر ، أى لا ينكشف .

أَعتقَنى سوءُ ماصَنَعْتَ الـ رِّقَ فيا بَردَها على كَبِدى[1]
فصِرتُ عبدًا للسّوء فيك وما أحسنَ سوءٌ قبْلى إلى أَحَدِ

وهذان البيتان فى معناهما من أحسن ماسُمِع ، وأكمل وأمتن شعر وأفضل ، ولولا الإفراط فى الاطالة بيَّنت مانيهما ، والله أعلم .

(١) ورد هذان البيتان فى أسرار البلاغة : ١٣٥ غير منسوبين .

بـــابُ التّطـــريـــز*

وهو أن يبتدئ المتكلّم أو الشّاعر بذكر جمل من الذّوات غيرِ مفصّلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكرّرة بحسب العدد الذى قدَّره فى تلك الجملة الأُولى ، فتكون الذّوات فى كل جملة متعددة تقديرًا والجمل متعددة لفظاً والصفة الواحدة المخْبرُ بها عن تلك الذوات متعددة لفظاً ، وعدد الجمل التى وُصِفت بها الذوات لاعدد الذّوات عددُ تكرار واتّحاد لاتعداد تغاير ، وذلك كقول ابن الرومى[1] (وافر) :

أُموركمُ بنى خاقانَ عِنْدى عجابٌ فى عجابٍ فى عجاب
قُرونٌ فى رؤُوسٍ فى وجوهٍ صِلابٌ فى صلابٍ فى صلابِ

(×) بحثه فى الصناعتبن : ٤٢٥ وخزانه ابن ححة : ٣٧٥ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٨ وأنوار الربيع : ٧٠٠ . والنطريز الذى تكلم عنه أبو هلال العسكرى غبر التطريز الذى تكلم عنه المؤلف اذ هو يوافق التوشيع عند ابن أبى الأصبع ، والحقبقه أن معنى النطريز فى الاصطلاح يطلق على معنبين احدهما ان يؤتى فى الكلام بمواضع مقابلة كأنها طراز وهذا التعريف هو الذى قصده صاحب الصناعنين ومثل له بقول أبى تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طولها ذكر النـــوى فكانها أيـــام
ثم انبرت أيام هجـر أردفت نحوى أسى فكانهـــا أعــوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلهـا فكأنهم وكانهـــا احـــلام

الثانى وهو تعريف ابن أبى الاصبع له ، وبهذا نستنتج أن ابن أبى الاصبع خالف أبا هلال فى النسمية ، فما سماه ابو هلال تطريزا سماه ابن أبى الاصبع توشيعا واذن التطريز عنـد ابن أبى الأصبع من جديده .

(١) الطراز : ٩٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٨ .

وكقوله (وافر)[1] :

وتَسْقِينِى وتشربُ من رَحيقٍ خليقٌ أن يلقَّب بالخَلوقِ
كأنَّ الكأْسَ فى يَدِه وفيها عقيقٌ فى عقيق فى عقيقِ

ومثل ذلك قول القائل ، وأنا أَشكُّ هل هو لأَبِى نواس أو ابن المعتز (وافر) :

فثَوْبى والمُدام ولَونُ خَدّى شَقِيقٌ فى شقيقٍ فى شَقيقِ

(١) الطراز ٩١ ، ٩٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٨ .

بـاب التوشيع*

هو من الوَشِيعة ، وهى الطريقة فى البُرْد المطلق ، فكأن الشاعر أهمل البيتَ كلَّه إلا آخره ، فإنه أتى فيه بطريقة تعدّ من المحاسن .

وهو عند أهل الصناعة عبارة عن أن يأتى المتكلّم أو الشاعر باسم مُثَنًّى فى حَشْو العجز ، ثم يأتى تِلْوه باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى ، يكون الأخير منهما قافية بيته أو سجعة كلامه ، كأنهما تفسير ذلك .

وقد جاء من ذلك فى السنة ما لا يُلحق بلاغة ، وهو قوله عليه السلام : «يَشِبُّ ابن آدم وتَشِبُّ فيه خَصْلتان : الحِرْص ، وطُولُ الأمل»[1] .

ومن أمثلة هذا الباب فى الشعر قول الشاعر[2] (بسيط) :

أُمْسِى وأُصبح من تَذكاركمْ وَصِباً … يَرْثى لىَ المُشفِقان الأهلُ والولدُ

قد خَدَّد الدمعُ خدّى من تذكّركم … واعْتادنى المضنيان الوجدُ والكَمَدُ

(×) بحثه فى معالم الكتابة : ٧٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٨ ، وخزانة ابن حجة : ١٦٩ والطراز ٣ · ٨٩ ، وأنوار الربيع : ٦٤٠ .

(١) كشف الخفاء ٢ : ٣٩٦ بروايات مختلفة .

(٢) وردت هذه الأبيات فى نهاية الأرب ٧ : ١٤٨ ، وخزانه ابن حجة : ١٦٩ وأنوار الربيع : ٦٤١ غير منسوبة . والوصب : الوجع بكسر الجيم . وخدد الدمع خدى : أى أهزله ، وغوارب الدمع ما خفى منها ، والمضرمان : الملهبان اسم مفعول من أضرم أى الهب ، والشلو : واحد الأشلاء وهى أعضاء الانسان ، المسبعة : الأرض التى تسكنها السباع .

وغابَ عن مُقْلَتَى نَومِى لِغَيْبَتِكُمْ .
وخانَنِى المُسْعدان : الصَّبر والجَلَدُ

لاغَرْوَ للدّمع أن تَجْرى غَوَاربُهُ وَتَحْتَه المُضْرَمانِ : القَلْبُ والكَبِدُ

كأنّما مُهْجَتى شِلْوٌ بمَسْبَعةٍ ينتابُها الضّاريان : الذّئبُ والأسدُ

لم يبقَ غيرَ خَفِىٍّ الرُّوح فى جسَدى
فدًى لك الباقيان : الروحُ والجسدُ

وهذه الأبيات جيِّدة ، لو لم يقع فى البيت الأوّل منها تقصير عمّا يجب فى مثله على الطريقة المحمودة من طرائق النّسيب حيث قال : « يرثى لى المشفقان » ، فإنه ليس من الكلام البليغ قول من يشكو مِحْنة قد رثى لى المشفق منها ، وأبلغ منه قول من يقول رَثَى لى العدوّ ورقّ لى الصّخر ، وأشباه ذلك وما بشعر قلتُه فى هذا المعنى من بأْس ، وهو (بسيط) :

بِى مِحْنَتان مُلامٌ فى هَوىً بِهِما
رَثَى لى القَاسيان : الحُبُّ والحَجَرُ[(١)]

لولا الشَّفيقان من أُمنيَّة وأَسًى
أَوْدَى بى المُرْديان : الشّوقُ والفِكَرُ

ويحسن أن يسمّى ما وقع فى بيتى تَطْريف التّوشيع ، إذ وقع التّوشيع فى طرفَىْ كلّ بيت فى أوله وآخره ، والله أعلم .

---

(١) دفع المؤلف حبه فى البديع والتفريع فيه الى أن يأتى بمثال من شعره نسج فيه على منوال من سبقة وقد وقع له التوشيع فى اول البيت وآخره ، فلم يترك مناله من غير أن يطلق عليه اسما جديدا .

بابُ العَكس والتَّبديل *

وهو أن يأْتى [1] الشاعر إلى معنى لنفسه ، أو لغيره فيعكسه ، فمثال ما عكَس الشَّاعر من المعانى لغيره قول أَبى العتاهية يشبّه الرّايات بالسّحاب (وافر) :

ورايات يَحُلّ النّصرُ فيها تَمرّ كأَنها قِطَعُ السّحابِ [2]

فعكسه علىّ بن الجَهْم فقال يشبّه السَّحابة بالرايات (طويل) :

فَمرّت تفُوقُ الطّرفَ حتّى كأَنّها جنودُ عُبَيْد الله ولّت بُنودُها [3]

وما أَدرى كيف وصف ابن الجهم جنودَ ممدوحه بالتولّى فى الحرب ! ، وهو من صفات الذم ، فقال الله سبحانه وتعالى : (فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) [4]

(×) بحثه فى الصناعتين ٣٧١ وسر الفصاحه تحت اسم التبديل ٢٣٩ وبديع ابن منقذ ٥٣ وروضة الفصاحه ٣٧ والتبيان للزملكانى ١٣٢ والايضاح ٦ : ٣٥ وخزانة ابن حجة ١٦٣ ، ونهايه الأرب ٧ · ١٤٤ وحسن التوسل . ٧٢ ·

(١) يلاحظ أن تعريف المؤلف لهذا النوع لم يسبقه اليه احد . وان كل من تكلم عن هذا النوع قبله او بعده تحت هذا الاسم يقصد العكس والتبديل فى اللفظ لا فى المعنى كما أورده المؤلف هنا ، وهذا الباب أولى بأن يلحق بالسرقات لأن الضد يقابله الضد ·· والمؤلف سار فى بديع القرآن على نهج من سبقه فى تعريفه وأشار الى أن منه نوعا غير الأول ومثل له بآية قرآنية تدل على عكس المعنى لا اللفظ كما اتى هنا فى آخر الباب ببيتين من شعر لعبد الله بن الزبير الأسدى يصلحان للعكس والتبديل اللفظى ، وبآية قرآنية أيضا ، ومن هذا نستنتج أن العكس والتبديل عند ابن أبى الاصبع نوعان : نوع فى المعنى وقد انفرد به كما هنا ، ونوع فى اللفظ وقد سبقه اليه غيره ·

(٢) لم نعثر على هذا البيت فى ديوانه الذى بين أيدينا ·

(٣) ديوانه تحقيق خليل مردم طبع المجمع العلمى العربى بدمشق : ٥٩ والصناعتين ٤٥٩ وعيار الشعر : ١٧ ·

(٤) الأنفال : ١٥ ·

وقال على – عليه السلام – وقد قيل له ورُئِى عليه دِرْع وهى صدر بلا ظهر : ألا وَقَيْت ظهرك ، فقال إنْ ولَّيتُ فلا وَأَلْتُ[١] هذا الإنكار وقع منِّى على ما روى لى عنه ، فإن الذى روَى لى البيت له ذكر أن عُبَيْد الله المذكور فيه هو ممدوحه بهذه القصيدة ، والعهدة على الراوى ، ومن هذا القسم قول الشاعر[٢] (بسيط) :

قد يُدْرِك المتـأَنِّىَ بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المُسْتعجلِ الزّلَلُ

فعكسه غيرُه فقال (بسيط) :

وربّما فات بعضَ القوم أَمرُهمُ مع التـأَنّى وكان الحَزْمَ لو عَجِلوا

ومن القسم الثانى ، وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول الأَول (خفيف) :

وإذا الدّرّ زَانَ حُسنَ نِساءٍ[٣] كانَ للدّرِّ حُسنُ وجْهِك زيْنَا

ومثله قول الآخر (طويل) :

منعَّمَة الأَطرافِ زانتْ عقودَها بأَحسنَ مما زيّنتْها عقُودُها

ولبعض الشعراء فيمن مدحه ، فتغير عليه ومطله (بسيط) :

ها قد غَدَا من ثياب الشِّعر فى كَفَنِ
وقد تعفَّتْ معانى وجهِهِ الحَسَنِ[٤]

وكان يُعرض عنِّى حِين أَبْصِرُه فصرتُ أُعْرِض عنه حِينَ يُبْصِرنِى

---

(١) والت : نجوت .

(٢) هو القطامى انظر الأبيات فى ديوانه : ٢ من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن الحارث ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية عيار الشعر : ٥٥ .

(٣) انظر أنوار الربيع ٤٠٣ وروايته ورواية ا ، ت (حسن وجوه) .

(٤) أنوار الربيع ٤٠٤ .

والبيت الثانىَ أردتُ :

ومن هذا الباب قول بعضهم (وافر) :

فإن أكُ فى شِرارِكمُ قليلا ... فإنِّى فى خِيارِكمُ كثيرُ

ويُروى للرّشيد هارون (متقارب) :

لسانِى كَتُومٌ لأسرارِكمْ ... ودمْعى بسرِّى نَمُومٌ مُذِيعُ[1]

فلولاَ دُموعى كَتمتُ الهوَى ... ولولا الهَوى لم تكنْ لى دمُوعُ

والبيت الثانىَ أردتُ ، وكقول أبى نواس (كامل) :

فكأنَّما خَمْر ولا قَدحٌ ... وكأنما قَدحٌ ولا خَمرُ[2]

ومن مليح العكس والتبديل قول عبد الله بن الزّبير الأَسَدى (وافر) :

رَمَى الحدثانُ نسوَةَ آلِ حَرْب ... بمقدارٍ سَمَدْن له سُمُودا[3]

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السودَ بيضاً ... وردَّ وجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

وقد استشهد قوم بهذا البيت على المطابقة ، وهو بهذا الباب أولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره ، وتبديل الطباق فى العجز .

(ومن[4] باب العكس فى الكتاب العزيز قوله تعالى (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ)[5] والله أعلم .

---

(١) أنوار الربيع ٤٠٨ .

(٢) البيت ليس لأبى نواس وانما هو للصاحب بن عباد في وصف الزجاج والشراب . انظر اليتيمة ٣ : ٢٣٦ وأنوار الربيع ٤٠٩ .

(٣) العمدة : ٢ : ٧ ونهاية الأرب : ١٤٤

(٤) من هنا الى آخر الباب ساقط من ب وهو فى هامش ا .

(٥) الأنعام : ٥٢ .

بـــاب الإغـــراق *

الإغراق فوقَ المبالغة ، ودون الغلُوّ ، ولا يقع شيءٌ من الإغراق والغلو فى الكتاب العزيز ، ولا الكلام الصحيح الفصيح إلا مقروناً بما يُخرجه من باب الاستحالة ، ويدخلُه فى باب الامكان ، مثل كاد وما يجرى مجراها .

ومن أمثلته قول ابن المعتز (طويل)(١) :

صببْنا عليها ظالمين سياطَنا فطارتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فموضع الإغراق من البيت قوله : «ظالمين» يعنى أنها استفرغت جهدَها فى العدْو ، فما ضربناها إلا ظُلما ، ولا جرم أنها خرَجَت من الوحشيّة إلى الطَّيْرية ، ولو لم يقل : «ظالمين» لما حَسُن قوله «فطارت» ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة . وقد أنشد بعضُ المؤلّفين بيتين فى هذا الباب مستحسناً لهما وهما (متقارب) :

أليسَ عَجيباً بأنَّ امْرَأً شديدَ الجِدالِ دقيقَ الكَلِمْ
يموتُ وما علمَتْ نفسُه سِوَى علمِه أنَّه ما عَلِمْ

وعندى أن هذين البيتين ليس فيهما إغراق ألبتة ، بل لو قيل إنهما ليس فيهما مبالغة لما ردّ هذا القول ، لأن الشاعر أخبر عن نفسه أو نفس

(×) بحثه فى العمدة تحت اسم الغلو ٢ : ٤٩والصناعتين تحت اسم الغلـــو أيضا : ٣٥٧ والايضاح ٦ : ٦٣ وانوار الربيع ٥١٠ .

من قصده بذلك أنه عارف بجَهله ، وأنه يموت وما علم سوى ذلك من نفسه ، وهذا أَصدَق الشِّعر الذى استحسنه أكثر الفحول ، وجاءت أكثر أَشعارهم عليه ، ولو كان قال : إنه يموت (وما[1] علم بجهله لكان ذلك إغراقا) فلا تثبت له مبالغة إلا بوجه بعيد ، وذلك أنه أَثْبت لنفسه الجهل المحْض ، ونفى عنها العلم بتَّةً ، وهو لا بد وأن يكون عالماً بشيء ما ، فنفيه كلّ العلم عنه وهو يعلم بعضَه إنما هو من جهة المبالغة .

ولى فى هذا المعنى بيت من أبيات ما به من بأْس ، وهو من أَمثلة الباب (طويل) :

جَهلتَ ولم تعلَمْ بأَنَّك جاهلٌ
فمَنْ لِى بأَن تَدْرِى بأَنْك لا تَدْرى

وبيت امرىء القيس فى صفة النار الذى قدّمت ذكرَه فى باب المبالغة هو بالإغراق أولى ، وقد أشرت إلى ذلك متقدماً عند ذكره وهو (طويل) :

تَنوّرتُها من أَذْرعات وأَهلُها بيَثْرِبَ أدنى دارِها نظرٌ عالِى

(١) العمدة ٢ : ٤٤ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٩ .

باب الغلوّ *

وقد رأيتُ من(١) لايفرّق بين الغلوّ والإغراق ، ويجعل التّسميتَيْن لباب واحد . وعندى أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما ، إلا أن الإغراقَ أصله فى النّزع . وأصل الغلو بعد الرَّمْية ، وذلك أن الرامى ينصب غرضاً يقصد إصابته ، فيجعل بينه وبينه مدًى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض ، فإذا لم يَقْصد غرضاً معيّناً ، ورمى السّهم إلى غاية ما ينتهى إليه بحيث لا يجد ما نعا يمنعه من استيفاء السّهم قوّته فى البعد سميت هذه الرمية غَلْوةً فالغلو مشتقّ منها ، ولما كان الخروج عن الحقّ إلى الباطل يُشبه خروج هذه الرمية عن حدّ الغرض المعتاد إلى غير حدّ سُمّى غلّوا ؛ قال الله سبحانه وتعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ(٢)) وهو لايعدّ من المحاسن إلا إذا اقترن به ما يقرّبه من الحق ، كقد للاحتمال ، ولو ولولا للامتناع ، وكاد للمقاربة ، وأداة التشبيه ، وآلة التشكيك ، وأشباه ذلك من القرائن اللّفظية .

(وقد(٣) يكون الغلوّ حقاً من جهة المعنى ، كالغلوّ فى الدين ، فإنه قسمان :

(×) بحثه فى العمدة ٢ : ٤٩ والصناعتين ٣٥٧ واللمعة فى صنعة الشعر : ٣ والايضاح ٦ : ٦٤ والخزانة : ٢٢٩ ، وأنوار الربيع ٥١٤ .

(١) هو ابن رشيق القيروانى ، انظر العمدة له .

(٢) المائدة : ٧٧ .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

حقٌ وباطل ، فالحق فحص الإنسان عن دينه ، وإفراط وَرَعه وتحرّجه ، كقول بعضهم : إنما الزهد فى الحلال ، والغلو : الباطل ، كقول النصارى فى المسيح عليه السّلام .

وفى قوله تعالى (لاَ تَغْلُوا فِى دِينكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ) دليل على أن من الغلو ما هو حق ، وهو ما أشرنا إليه ، وإن كان الغلوّ فى الدّين دين الله قد يكون فى بعض الأحايين حقاً فالتوسط خير منه كقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم (خير الأمور أوساطها)[1] .

ومن شواهده المسْتَحْسنة قول مُهَلْهِل[2] (وافر) :

فلولا الريحُ أَسْمَعَ من بحَجْرٍ   صَلِيلَ البيض تُقْرعَ بالذّكور

وقد قيل : إن هذا البيت أكذبُ بيت قالته العرب ، وإن بيت امرئ القيس فى صفة النار أقربُ منه إلى الحق ، لأن فيه ما يخلص به من الطّعن وهو اعترافه ببُعد مسافة النار ، وأنها لم يُدْنها إلا النظر العالى ، وقالوا : حاسة البصر أقوى من حاسة السمع ، لأن أقوى سمع وأصحّه إنما يسمع أعظم صوت من ميل واحد ، بشرط حمل الرِّيح ذلك الصوت إلى جهة السامع فى اللّيل عند هدوء الأصوات وسكون الحركات ، وحاسّة البَصر تُبصر الجواهرَ الشفافة ، والأجسام الصّقيلة ، والأجرام المُضيئة من بعد يتجاوز الحدّ بغير واسطة ، ورؤْيةُ النيران العظيمة المرتفعة مواقدُها للناظر المرتفع مكانه ممكنة من البُعد ما لم يمنع من ذلك ضوءُ النهار ، ويحول مخروط

(١) هذا جزء من حديث انظر كشف الخفاء ١ : ٣٩١ .

(٢) نقل الشعر : ١٧ ، والعمدة : ٢ : ٥٠ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٩ والايضاح ٦ . ٤٦ وحجر بفتح الحاء : مدينة اليمامة وأم قراها ، والبيض بفتح الباء : واحدة بيضة وهى الخوذة التى تلبس على الراس عند الحرب ، وأراد بالذكور : السيوف ، والذكر من الحديد أيبسه وأجوده .

ظلّ الأرض دونها . وقد كانت زرقاء اليمامة ترى الجيوش خيلَها ورجلها ، وتَحْزِر[1] أعْدادها من مسيرة ثلاثة أيام ، وتُنْذر به قومَها ، ويقع الأمر على ما أخبرت به ، وقد تواتر الخبر عنها بذلك ، وضرب بها المثل ، وقد تقدّم ذكر النابغة لها فى قصة الحمام ، فلهذا رجَّحوا بيت امرئ القيس على بيت مُهَلهل ، وعندى أن بيتَ مُهلهل أقربُ إلى الصدق والاستحسان من بيت امرئ القيس على شرطهم ، فإنهم شرَطوا أنَّ كلّ كلام تجاوز المتكلّم فيه حدّ المبالغة إلى الاغراق والغلو ، واقترن بما يقربه من الإمكان خرج من حدّ الاستقباح إلى حد الاستحسان . وقد تقدّم فى بيت مُهلهل لولا . وهى من الحروف التى زَعموا أن الكلام باقترانه بها يبعد من العيب بتّة ، وليس فى بيت امرئ القيس شئ من ذلك ، مع أنه قد صرّح فى البيت الذى قبله أن النار إنما شبت فى وجه النهار ، عند رجوع المغيرة من المغار حيث قال : «تشب لقفّال»[2] ، وضوء النهار يمنع من رؤْية النيران والكواكب وجميع الأجرام المضِيئة ، وهذا القدر يدخل بيتَ امرئ القيس فى باب الاستحالة ، مع خلوّه مما يقربه من الإمكان ، والبيت الذى هو عندى من عيوب هذا الباب لمجئ الإفراط فيه غير مقترن بما يخلّصه به من ذلك ، وليس مما يحتمل تأويلا يقرّبه من الصّدق بيت النَّمِرِ بن تَوْلَب الذى يُشبّه فيه نفسَه بالسيف حيث قال (بسيط) :

---

(١) الحزر : التقدير .

(٢) البيت بتمامه هو :

سطرت اليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

انظر الديوان : ٤٤ .

أبقَى الحوادثُ والأيامُ من نَمِرٍ أسبادَ سَيف صَقيلٍ أثْرُهُ بَادِ[1]
تظلّ تَحْفِر عنه إن ضربتَ به بُعْدَ الذِّرَاعَين والسَّاقَيْن والهادِي

وقدتـأول بعضهم هذا البيت تـأويلا لو صحّ تـخلّص به قائله من العيب . وهو أن قولَه :

* بُعد الذراعين والساقين والهادى *

لم يرد أنك تَحفر عنه بعد حفرك على هذه الأعضاء ، لأنه لم يرد إلا أعضاء المضروب لا أعضاء الضارب . يعنى بعد قَدِّه الذِّرَاعين والساقين والهادى ، وهذا عندى لايخلّصه ، فإنه على هذا التأويل لم يخرج عن كونه غلوا غير مقترن بما يُخَلِّص . والذى هو أقرب منه بحيث لا يجوز أن يؤتى به فى باب الغلو ولا يخرج عن كونه مبالغة قول النابغة فى صفة السيوف[2] (طويل) :

تَقُدُّ السَّلُوقِىَّ[3] المضاعَفَ نسجُه ويُوقِدْنَ فى الصُّفَّاح نارَ الحُبَاحِبِ

وما تجاوزَ حدَّ المبالغة فهو غلوّ ، لاسيما وهو غير مقترن ، وإذا ثبت أن بيت النابغة أحسنُ أحواله أن يعدّ من المبالغة لا من الإغراق . وأن بيت النِّمرِ قد تجاوز حدّه فهو من الغلوّ ولما كان ما جاء من الغلو مُسْتحسناً ، لا يكون إلا باقترانه بما تقدم ، وما جاء منه غير مقترن كان مستقبحاً وجاء بيت النمر غير مقترن علم أنه من الغلو المستقبح . والله أعلم .

---

(١) بعد السعر : ١٧ والعمده ٢ ٤٩ والصماعبن ٣٦٠ والاسباد . البقـــايا ، وأثر السبف بالسلبـ . فرنده وماؤه ، والهادى : العنق .

(٢) دبوانه : ٢٧٣ والعمده ٢ . ٥٠ ومخبار السعر الحاهلى ١٦١ والعقده العريد ١ : ٣٥٨ وبأوبل مسكل القرآن : ١٣١ .

(٣) السلوقى هنا : السيف وبضاعف سحه . مبانه صنعه ، والصفاح : عراض الحجـارة الصلبة ، ونار الحباحب : بضم الحاء دباب بطير بالليل له شعاع فى دبـه كالسراج ، وربمـا حعلوا الحباحب اسما لما يرى فى ذنبه كأنه ، وقيل اسم رحل بخيل كان لايوقدالا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فضربوا به المثل حتى قالوا : نار الحباحب .

بـــابُ القَسَــم

وهو أن يريدَ الشّاعر الحَلِفَ على شيءٍ ، فيحلف بمايكون له مَدْحاً ، ومايكسبه فخرًا ، أو ما يكون هجاءً لغيره ، أو وعيدًا له ، أو جاريا مجرى التغزّل والترقُّق .

فأمّا الأوّل فمثاله قول الأَشْتَر النَّخَعِيّ (كامل) :

بَقَّيْتُ وفْرِى وانْحرفْتُ إلى العلا ولَقيت أَضْيافى بوجهِ عَبوسِ[1]
إن لم أَشُنَّ على ابن هند[2] غارةً
لم تَخْلُ يوماً من نِهابِ نُفُوسِ

وأبيات الأَشتر تضمّنت فخرًا له ، ووعيدا لغَيْره ، فحصل فيها الافتنان مقترناً بالقسم . وكقول أبى عليٍّ البصير[3] (كامل) :

أَكذبتُ أَحسنَ ما يَظنّ مُؤَمِّلى وهدمْتُ ما شادتْه لى أَسْلافِى
وعَدِمْت عاداتى التى عُوِّدتها قِدْما من الإتلاف والإخلافِ
وصَحِبْت أَصحابى بعِرْض مُعَرَّضٍ
متحكِّمٍ فيه ومالٍ وافِ

(×) بحثه فى بديع التبريزى ٦٥ وخزانة ابن حجه ١٤٥ وحسن التوسل : ٧٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٠ ، وانوار الربيع ٣٥٣ .

(١) الأبيات فى حزانة ابن حجة ١٤٥ وانوار الربيع ٣٥٤ .

(٢) اراد بابن هند هذا معاوية بن أبى سفيان، والاشتر هذا قد أبلى بلاءه فى صفين وبر بقسمه الذى نوه عنه فى شعره .

(٣) يعرض فى هذه الأبيات بعلى بن الجهم . انظر أنوار الربيع ٣٥٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٠ وبديع التبريزى ٦٥ .

وغَضَضْتُ من ناری لیَخْفی ضوؤُها
وَقَرَيْتُ عذرًا كاذباً أضيافِي

إنْ لم أَشنَّ على عَليٍّ خلَّةً تُضحى قَذىً فى أعينِ الأَشرافِ

وقد يقسم الشاعر بما يزيد الممدوح مدحاً ، كقول القائل (كامل) :

آثارُ جودِك فى الخُطوبِ توثِّرُ وجَميلُ بِشْرك بالنَّجاح يبشِّرُ

إن كان لِى أَمَلٌ سِواك أُعُدُّهُ فكفَرتُ نعمَتك الّتى لاتُكْفَرُ

وأما ما جاء من القسَم فى النَّسيب فكقول الشاعر (طويل) :

جَنَى وتجنَّى والفؤادُ مطيعُه فلا ذاقَ من يجنى عليه كمايَجْنى

فإن لم يكنْ عندى كعَيْنِى ومِسْمَعى
فلا نظرتْ عينى ولا سمعتْ أُذْنى[1]

ومما جاء فى الغزل من القَسَم قول ابن المعتز[2] (بسيط) :

لا والذى سَلَّ من جفنَيْه سيفَ رَدًى
قُدَّتْ له من عِذاريْه حَمَائلُهُ

ماصارمَتْ مُقْلَتِى دَمْعا ولا وَصَلَتْ غَمْضاً ولا سالَمَت قلبى بلابلُهُ

وهذا أحسن ما وقع فى الغزل من القَسَم ، إذ القسَم والْمقسَم عليه كلُّه داخل فى باب الغزل .

ومن أَحسن ما سمعت فى القسَم على المدح قول ابن خرْداذبَة (طويل) :

حلفْتُ بمن سَوَّى السَّماء وشادَها ومن مَرَج البَحْرَين يلتقيانِ[3]

---

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٥١ .
(٢) نهاية الأرب ٧ : ١٥١ وأنوار الربيع ٣٥٧ .
(٣) وردت هذه الأبيات فى أنوار الربيع ٣٥٤ غير منسوبة .

ومن قام فى المعقول من غير رؤية

بأثبتَ من إدراك كلّ عِيانِ

لَمَا خُلقتْ كفَّاك إلا لأربع عقائلَ لم تُعقلْ لهنّ ثوانِ

لتقبيل أفواه وإعطاء نائلٍ وتقليبِ هِنْدىٍّ وحَبْس عِنانِ

(وإذا[1] انتهيت إلى بلاغة الكتاب العزيز، انتهيت إلى نهاية البلاغة.

ومنه قوله تعالى: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والْأَرْضِ إنَّه لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[2] فإنه قَسَم يوجب الفَخْر لتضمّنه التمدّح بأعظم قدرة. وأكمل عظمة للحاصل من ربوبية السماء والأرض، وتحقّق الوعد بالرزق، حيث أخبر – سبحانه – أن الرزق فى السماء، وأنه ربّ السماء. فيلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره، فعلم أن لا رازق سواه، وأنه لايحرم رزقه من خلقه، وأما ما حصل من الإيغال إذ قال فى الفاصلة – سبحانه – بعد تمام المعنى: (مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) فمثّل هذا الوعد بما هو واقع معلوم ضرورة لايرتاب منها أحد. وكقوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[3] أقسم سبحانه بحياة نبيّه – صلّى الله عليه وسلم – ليعرف الناس عظمَته عنده، ومكانته لديه سبحانه. وأخبره بعد القسَم بحياته أن المُعْرِضين عنه فى سَكْرتهم تسليةً له. كما قال له فى غير موضع: (وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذين يُسارِعُونَ فى الْكُفْرِ)[4] وقوله: (قَدْ

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، وهو فى هامش ا.

(٢) الذاريات: ٢٣.

(٣) الحجر: ٧٢.

(٤) آل عمران: ١٧٦.

نَعْلَمُ إنَّه لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فإنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ[٦]) ، وهذه نهاية المحبّة وغاية الملاطفة ، إذ فداه بآياته ، وقد كانوا كذلك ، فإنه رُوى أن أبا جهل قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : إنّا لانكذّبك ، ولكن نكذّب ما جئت به . والله أعلم .

(١) الأنعام . ٣٣ .

بابُ الاســـتدراك والرجوع *

وهو على قسمين : قسم يتقدّم الاستدراكَ فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلّم وتوكيد . وقسم لايتقدّمه ذلك ، فمن أمثلة الأول قول القائل[1] (وافر) : هو ابن الرومى :

وإخوانٍ تَخِذْتُهمُ دُرُوعاً فكانُوها ولكن للأَعادِى
وخِلْتُهمُ سِهاماً صائباتٍ فكانُوها ولكنْ فِى فؤادِى
وقالوا قَدْ صفتْ منَّا قلوبٌ لقد صَدَقوا ولكن من وِدادِى

ولم أسمع فى هذا الباب أحسن من أبيات ابن الدُّوَيْدَة المَغْرِبىّ فيمن أُودعت عنده وديعة فادّعى ضياعها فقال فيه (كامل) :

إن قال قدضاعتْ فيصدقُ أنّها ضاعتْ ولكنْ منْك يَعْنى لوتعِى[2]
أو قال قد وقعتْ فيصدُقُ أنّها وقعتْ ولكن منه أحسنَ موقعِ

(×) هذا النوع تكلم عنه ابن المعتز : ١٠٨ تحت اسم الرجوع، وتكلم عنه صاحب الصناعتين. ٣٩٥ تحت هذا الاسم المشار اليه ، ولكن ما تكلم عنه ابن ابى الاصبع تحت اسم الاســـتدراك والرجوع لا ينطبق على ما جاء به من الشواهد . اذ شواهده التى أتى بها تنطبق على الاستدراك فقط ولا صلة لها بالرجوع . ولا أدرى كيف جعل المؤلف اسم هذا اللون مكونا من شقين الاستدراك والرجوع ، وتكلم عن الشق الأول ، ولم يتعرض للشق الثانى ، ويلوح لى أن المؤلف أراد الكلام على الاستدراك فقط ، ولكنه وجد كلمة الرجوع مرادفة لكلمة الاستدراك ، فأثبتهما هنا للتوكيـــد وخاصة ان الرجوع من أنواع الاصول للبديع ، لأنه من أنواع ابن المعتز ولو أن المؤلف قصـــد الرجوع الذى أراده ابن المعتز لعده من بين الأنواع الاصول ، كما أنه لم يتبين لنـا النكتة التى تدخل الاستدراك فى أنواع البديع لأن الاستدراك شبيه بالاستثناء وهو معنى لكن ، لأنه رفع توهم يتولد من كلام سابق ، فلا بد بعد من نكتة طريفة تزاد على معنى الاستدراك لتحسنه وتدخلـه فى البديع ، والا فلا بعد منه فى شىء . بحثه فى التبيان للزملكانى تحت اسم الاستدراك والرجوع ١٣٣ وخزانة ابن حجة ٦٥ وحسن التوسل : ٧٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٥١ وبديع التبريزى ٦٢ .

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٥١ ، والايضاح ٦ : ٨٩ وأنوار الربيع ١٢٨ .

(٢) تقريب المعاهد ٤٤٣ والايضاح ٦ : ٨٩ وأنوار الربيع : ١٢٩ .

ومن هذا الباب قول القاضي الأرّجاني ، وهو لطيف جدًّا (رمل) :

غالطتنى إذ كستْ جسْمى ضَنًى
كُسْوةً أعْرَتْ عن اللّحمِ العظَاما[1]

ثم قالت أنتَ عِندى فى الْهَوى مِثلُ عينى صدقتْ لكنْ سَقاما

والبيتَ الثانىَ أردت ، وقد لطف القائل فى شكوى الزمان (طويل) :

وَلى فَرَسٌ من نَسْلِ أعْوَج سابِقٌ
ولكِنْ على قدرِ الشَّعيرِ يُحَمْحِمُ[2]

وأُقْسِمُ ما قصّرتُ فيمَا يَزيدنى علوًّا ولكنْ عندَ مَنْ أتقَدَّمُ

هذه كلها شواهد القسم الأوّل من الاستدراك .

وأما شواهد القسم الثانى منه . وهو الذى لايتقدّم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد . فمثله قول زهير [3] (طويل) :

أخو ثقةٍ لا تُهلكُ الخمرُ مَالَه ولكنّه قَد يُهلكُ المالَ نائلُهْ

---

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٥١ والايضاح ٦ : ٨٨ وأنوار الربيع : ١٢٨ .

(٢) لم نعثر على هذين البيتين فيما لدينا من المظان .

(٣) ديوانه : ١٤١ والوساطة ٢٩٦ وعيار الشعر : ٨٦ .

بـــابـُ الاســتـثـنـاء *

الاستثناءُ استثناءان : لغويٌّ وصناعيٌّ ، فاللغويّ ؛ إخراج القليل من الكثير ، وقد فَرَغ النحاةُ من ذلك مفصّلا فى كتبهم .

والصناعيّ هو الذى يُفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائداً ، يعد من محاسن الكلام ، يستحق به الإتيان فى أبواب البديع ، (ومتى لم يكن[1] فى الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ما وُضِعَا له ، لا يُعدَّان من البديع) .

فمن الاستدراك قول زهير (طويل) :

أخو ثقةٍ لاتُهلك الخمرُ مالَه ولكنّه قد يُهلك المال نائلُهْ[2]

لأن العرب كانت تعدُّ إتلاَف المال فى الخَمْر من المَدْح البليغ ، قال شاعرهم (كامل) :

* شِرِّيبُ خمْرٍ مِسْعَرٌ لحُروبِ *

فإنه لو اقتصر على صدر البيت دلّ على أن مالَه موفورٌ ، وتلك صفة ذمٍّ ، فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ، وتخلَّص الكلام للمدح المحض ، ومن

(*) بحثه فى العمدة ٢:٣٩ والصناعتين ٤٠٨ وبديع التبريزى ٦٢ وخزانة ابن حجة ١١٨ وانوار الربيع ٣١١ .

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ١ .

(٢) انظره فى باب الاستدراك .

ذلك فى القرآن قوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولَكِنْ قُولوا أَسْلَمْنَا[1]) فانه ـ سبحانه ـ لو اقتصَر على قوله : «ولم تؤْمنوا» لكان فيه تنفير لكونهم ظنُّوا الإقرار بالشّهادتين من غير اعتقادهما إيماناً . فأَوجبت البلاغةُ أن يستدرك ما استدركه ، ليعلمَهم أنّ حقيقة الإيمان موافقةُ الجَنانِ للّسان بالتصديق ، بدليل قوله : (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) فلما تضمّن الاستدراك إيضاح ما أَشكل عليهم عدًّ من المحاسن ، إذ صار الكلام به موصوفاً بحسن البيان لِمَا أقام من الحجة عليهم .

وهذا من الباب الذى قبل هذا ، وإنما ذكرته ها هنا لما ذكرت أن الاستدراك والاستثناء الصناعيين لابد أن يكون فى كل واحد منهما معنى زائد غير ما وضع له يدخله فى المحاسن) .

والاستثناءُ كقوله تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إلاَّ إبْلِيسَ[2]) فإن فى هذا الكلام معنى زائدًا على مقدار الاستثناء . وذلك تعظيم أَمر الكبيرة التى أتى بها إبليس من كونه خرق إجماع الملائكة ، وفارق جميع الملإِ الأَعلى ، بخروجه مما دخلَو فيه من السّجود لآدم . وذلك بمثابة قولك : أَمر الملك بكذا وكذا فأَطاع أَمرَه جميعُ الناس من أَمير ووزير إلا فلانا ، فإن الإخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصّيغة مما يعظّم أَمر معصيته ، ويُفخّم مقدار كبيرته بخلاف قولك : أَمر الملك بكذا وكذا

(١) الحجرات : ١٤ .
(٢) الحجر (٣٠ و٣١) .

فعصاه فلان ، وفى ضمْن ذلك وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعدْل فيما ضربه على إبليس من خِزْى الدنيا وحتَّمه عليه من عذاب الآخرة . ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا[1]) فإن فى الإخبار عن المدّة بهذه الصّيغة تهويلا على السّامع لتمهيد عذر نوح ـ عليه السلام ـ فى الدُّعاء على قومه ، وحكمةُ الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم المدة لكون أول ما يباشر السمع ذكر الألف، واختصار اللفظ ، فإن لفظ القرآن أخْصرَ من قولنا تسعمائة سنة وخمسون عاماً كيفما قدّرت اللفظتين ، (فلأنّ[2] لفظ القرآن يفيد حَصْر العدد المذكور ، ولا يحتمل الزِّيادة عليه ، ولا أن ينقص منه ، فإن إخبارَك عمَّن سكن دارا ثلاثين يوماً ، بأنه سكن عشرين يوماً صادق لأنه سكن العشرين وزيادة ، بخلاف قولك : سكن أربعين إلا عشرة أيام ، فإن هذا اللفظ لا يحتمل الزيادة . وكقوله سبحانه (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ[3]) فإنه ـ سبحانه ـ لما علم أنَّ وَصف الشَّقاء يعمّ المؤمن العاصى ، والكافر المسيء ، استثنى من حكم بخلوده فى النار بلفظ مُطمع ، حيث أثبت الاستثناء المطلق وأكّده بقوله ، (إن ربك فعال لما يريد) ، أى أنه لااعتراض عليه فى إخراج أهل الشقاء

(١) العنكبوت : ١٤ .
(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .
(٣) هود : ١٠٦ ـ ١٠٨ .

من النار ، ولما علم أن أهل السعادة لاخروج لهم من الجنة ، أكَّد خلودَهم بعد الاستثناء بما يرفع احتمال الاستثناء ، حيث قال : (عطاءً غير مجذوذ) أي غير مُنْقطع ، ليعلم أن عطاءه لهم الجنَّة غير منقطع ، وهذه المعاني زائدة على الاستثناء اللغوى .

ومن أمثلة الاستثناء البديعي في الشعر قول النُّميْرى (طويل) :

فلو كنتَ بالعَنْقَاءِ أو بأُطُومِها ... لخِلْتُك إلا أنْ تَصُدَّ تَرَانِى[1]

فإن هذا الاستثناء يتضمّن زيادة مدح المادح الممدوح ، وذلك أن هذا الشاعر يقول : إننى لو كنت فى حال العدَم البحْت ـ لأن العرب تضرب المثل بالعنْقاء لكلّ شئْ متعذر الوجود ـ لَخِلْتُكَ متمكِّناً من رؤْيتى ، ليس لك مانع يمنعك منها إلا من جهتك ؛ فأنت فى القدرة علىّ غير مغالب ، وهذا نهاية المدح .

وكقول أبى نُوَاس (طويل) [2] :

لمن طَلَلٌ عارِى المحلّ دَفِينُ ... عفا آيهُ إلا خوالدُ جُونُ

فهذا الاستثناء تضمّن تعظيم الشاعر لما فيه من تعظيم أحبّائه ، ودلّ على شرف نفسه وعلوّ همّته ، إذ لايَسمْو إلا لحب الكرماء من الناس ، وذلك أنه استثنى من آيات الطلل ذكره الخوالد الجون وهو يريد الأثافى ، فكونه وصفها بالخلود يدلّ على عظمها وعظمُها دليلٌ على عِظَم القُدور ؛ وعظم القدور دليل على عظم الكرم ، وأكد ذلك بجعلها جُوناً أى سُودًا لكثرة الوقود عليها ، وإن كان الجُون يطلق على الأبيض والأسود

(١) خزانة ابن حجه ١١٨ ، وانوار الربيع ٣١٢ .
(٢) ديوانه ٣٣٧ .

ولكن القرينة ها هنا خلَّصته إلى السّواد فتَمَّ للشاعر من الفخر إلى أهل هذا الطَّلَل ما أراد، وهذا مثل قول عمر بن أبى ربيعة (طويل) :

بعيدةُ مَهْوى القُرْطِ إمّا لنَوْفَل أبوها وإمّا عبدُ شَمْسٍ وهاشمُ[(1)]

ومن الاستثناء نوع وقع لى فسميته استثناء الحصر، وهو غير الاستثناء الذى يُخْرِج القليل من الكثير ، كقول القائل[(2)] (طويل) :

إليك وإلاّ ما تُحَثّ الرّكائبُ وعنْك وإلاّ فالمحدِّث كاذبُ

فإن خلاصة هذا البيت قول الشاعر للممدوح : لاتُحثُّ الركائب إلاإليك ، ولا يصدق المحدّث إلا عنك ، ولا يحصل هذا الحصر من الاستثناء الأول، فإن قوله تعالى : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْف سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا)[(3)] لا يمنع أن يقال: إلا خمسين عاماً وعاماً ، لولا توخّى الصّدق فى الخبر ، (وقوله سبحانه : (فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ إلاّ إبْلِيسَ[(4)]) لا يمنع أن يقال : ورهطه . لولا مراعاة الصّدق ، ولأن الصِّيغ التى قدَّرها المعترض لايقع مثلها فى الكلام الفصيح . فإنها عبارة أهل العىّ والفَهه ، فإن قلت : كلّ

---

(1) انظره فى باب الأرداف .

(2) قائل هذا البيت هو ابن أبى الاصبع ، كما يستفاد من خزانة ابن حجـه ١١٩ وأنوار الربيع ٣١٣ وقد ادعى ابن أبى الاصبع انه اخترع من الاستثناء نوعا جديداً واخترع له مثالا من شعره ، ولكنه لم يخترع هذا النـوع ولم ينظم هذا الشعر ، لأنه فسر البيت بما لا ينهض دليلا على فهمه لما نظمه فان (الا) الموجـودة فى البيت والتى ظنها اسـتثنائية بعيدة كل البعـد عن الاستثناء ، فالا هى : أن الشرطية ولا النافية ، مثلها من الكتاب العزيز قوله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله » على هذا يكون معنى البيت اليك تحث الركائب والا ، أى وان لم تحث اليـك فلا تحث وعنك يحدث الحـديث والا ، أى وان لم يحدث عنك فالمحدث كاذب ، وكان الأجـدر بابن أبى الاصبع أن يسمى هذا الاسـتثناء استثناء معنويا لا استثناء حصر ، لئلا يتوهم من ليس له درايه وخبرة بالعربيه ان الا فيه هى الاستثنائية ويخبط فى ذلك خبط عشواء .

(3) سورة العنكبوت : ١٤ .

(4) الحجر : ٣٠ ، ٣١ .

الاستثناء موضوع للحصر ، فلا اختيار لهذا الاستثناء على الأوّل ، وما قدّرته في الاستثناء الأوّل يلزم مِثلُه فى هذا الاستثناء إذا أزلت منه التقديم والتأخير ، وأتيت بالكلام على استقامته ، قلت : الذى ميّز هذا الاستثناء على الأول: هو مافيهمن التقديم والتأخير ، فإنه على الصورة التى جاءعليها يفيد حصرًا أشد من حصر جنس الاستثناء كلّه . والله أعلم .

بـــابـُ الاشـــتراكـُ *

وهو قسمان : معنوىّ ولفظىّ ، وكلٌّ من هذين القسمين مَعيب ، وغير مَعيب وحسن : فالمعيب المعنوىّ كقول الفرزدق (طويل) :

وما مثله فى النّاس إلا مُمَلَّكٌ أَبو أُمّه حَىٌّ أَبوهُ يُقَارِبُه[1]

فإن لفظة حىّ مشتركة بين ضدّ الميّت وبين القبيلة ، فلما لم يميز بينهما فى البيت بقرينة ، أو ما يخلّصه من الاشتراك ولا يبيّنه فيما بعد عدّ اشتراكًا مَعيبًا ، على أن البيت معيب من وجه آخر ، وهو تعسّف السَّبْك ، وقد مضى ذكره .

ومثال المعنوىّ الذى ليس بمَعيب ولا يَحسُن قولُ كثير[2] (طويل) :

وأنتِ الّتى حَبَّبْتِ كلَّ قصيرة إلىَّ ولم يشعرْ بذاك القصائرُ

عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجالِ ولم أُرِدْ قِصارَ الخُطَى شرُّ النساءِ البَحاتِرْ

فإن لفظة « قصيرة » مشتركة . فلو اقتصر على البيت الأول كان الاشتراك معيبًا ، لكنّه لما أتى بالبيت الثانى زال العيب فبقى الاشتراك ليس بمَعيب ولا بحسن ، والذى منعه أن يعدّ حسنًا ما فى البيتين من التّضمين ، فإن ذلك جعل له منزلة بين منزلتين .

(×) بحثه فى العمدة ٢ : ٧٧ وخزانة ابن حجة تحت اسم المشاركة ٣٦٥ ونهاية الأرب ١٧٨/٧ وأنوار الربيع تحت اسم المشاركة أيضا ٦٩٢ .

(١) انظره فى باب ائتلاف اللفظ مع المعنى .

(٢) ديوانه : ٢٣١ ط الجزائر والعمدة ٢ : ٧٨ وخزانة ابن حجة : ٣٦٥ ونهاية الأرب ج ٧ : ١٧٩ وأنوار الربيع ٦٩٢ ، والبحاتر : جمع بحترة ، وهى المرأة القصيرة .

وأمّا الاشتراك الحسن المعنويّ فهو اشتراك الشاعرين فى معنى واحد، إذا شارك الأخير الأول اشتراكًا يوجبه له دون الأول ، كسائر المعانى التى يتناولها الشعراء بعضهم من بعض .

وأما الاشتراك اللفظى الذى ليس بمَعيب مثل اشتراك الناس فى مفردات الألفاظ ، فإنها ليس أحد أحق بها من أحد ، فلا يعدّ الاشتراك فى الألفاظ المفردة سرقة ، فإن تضمّنت معنى من معانى النفس ، أو معانى اللفظ عدّ تناولها سرقة ، ومثال الأول قولُ أبى نُوَاس (طويل) :

ترى العينَ تَسْتَعْفِيكَ من لمَعَانِها وتَحْسِرُ حتى ما تُقِلّ جفونها[1]

فلفظة الاستعفاء مشتركة بينه وبين الأُبَيْرِد فى قوله يرثى أخاه أو ابنه (طويل) :

وقد كنتُ أستعفِى الإلٰهَ إذا اشتكَى

من الأَجْرِ لى فيه وإن عَظُمَ الأَجرُ[2]

فمثل هذا هو الاشتراك الحسن (ومن[3] الاشتراك الحسن اشتراك الشاعرين أو الشعراء فى عمل شعر ، وتسميه العرب التَّمْلِيط[4] بحيث يصنع كلّ واحد قسيماً ، كما حكى عن امرئ القيس والتوءم[5] إذ قال لَهُ : ملِّط أنصاف أبيات آتيك بها ، ثم قال (وافر) :

* أحَارِ تَرى بُرَيْقا هَبَّ وهْناً *

---

(١) البيت فى العمدة ٢: ٧٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٧٨ وهذا البيت فى صفة الخمر ، يريد أن العين تكل عن النظر اليها من شدة لمعان هـــدهالخمر وبريقها ، حتى ان العين تستعفى الناظر من أن يكلفها النظر البها أى تطلب منه أن يعفيهامن ذلك .

(٢) العمدة ٢ : ٧٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٧٨ .

(٣) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا .

(٤) النمليط : هو أخذ الشاعر نصف بيتلغيره ببتدىء به نم ينمه من عنده .

(٥) هو النوءم اليشكرى ديوانه : ١٤٧ .

فقال التوءم :

* كنارِ مَجوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارًا *

فقال امرؤُ القيس :

* أرِقْتُ له ونَامَ أَبُو شُرَيْح *

فقال التوءم :

* إذا ما قلتُ قدْ هدأَ اسْتَطَارا *

وأما الاشتراك المعيب فكقول الأسود بن يَعْفُر فى صفة الفرس[1] (كامل) :

بمقلِّصٍ عَبْلٍ جَهيرٍ شَدُّه ... قِيدِ الأوابد والرِّهانِ جوادُ

فلفظ « قيد الأوابد » مشترك بين الأسْوَد وامرئ القيس فى قوله :

* قيد الأوابدِ هيكلِ[2] *

(وهذاالضرب مما يعدّ سرقة لتضمّن اللّفظ معنى الإرداف لاسيّما[3] والبيتان من باب الوصف للفرس) .

والاشتراك الذى ليس بمعيب ولا بحسن تناول الشاعر اللفظ المتضمّن معنى من معانى البديع بحيث ينقله من فنّ إلى فنّ ، وذلك أنْ يأْتى المتكلّم بلفظ « قيد الأوابد » مثلا فى غير صفة الفرس وهذا وإن لم يقع فذكرُه مثالٌ يقاس عليه .

وكلّ هذه الأقسام التى قدمت ذكرها ليست من البديع فى شىء ، وإنما هى أقسام أحد ضربى الاشتراك .

(١) العمدة ٢ : ٧٨

(٢) هذا بعض عجز بيت له : والبيت بتمامه

وقد اغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيـــد الأوابد هيكل

ديوانه : ٢٩

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا .

وأما الضرب الثانى منه ، وهو الذى يَتَعلَّق بكتابنا ، فهو مثل قول امرئ القيس[١] (طويل) :

كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البياض بصُفْرةٍ غَذَاها نميرُ الماء غيرَ المحلَّلِ

وقول ذى الرّمّة[٢] (بسيط) :

كحلاءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى دَعَجٍ كأنّها فِضّةٌ قد مسَّها ذَهبُ

فوقوع الاشتراك بينهما فى وصف المرأة بالصفرة ، غير أن الأول شبَّه الصُّفرة ببيضة النعامة ، والآخر بالفضة المموَّهة ، فنقل الثانى – لكونه من أهل المدَرَ ، متأخّر الزمان ، وقد رأى الخلفاءَ والملوك – التشبيه العربىَّ إلى التشبيه الملوكىِّ .

والفرق بين الاشتراك اللفظى الذى ليس بمعيب وبين الإيضاح أن الاشتراك فى الألفاظ ، والإيضاح فى المعانى . والله أعلم .

(هذا الباب مما ظننت أننى استخرجته ولم أُسبق إليه ، فلما عثرت عليه بعد إتيانى به لغيرى غيَّرته بباب سمَّيته «باب الفرائد» فلينزل موضعه؟ ويعدَّ هذا فى أبواب من تقدَّمنى ، وموضعه بعد باب الاستثناء . وقد أتيت بالباب . فلينقل باب الاشتراك إلى موضعه) .

---

(١) ديوانه : ١٦ والعمدة ٢ : ٧٩ ونهاية الارب ٧ : ١٧٨ والمقاناة من قانيت بين الشيئين أى خلطت أحدهما بالآخر ، والمحلل الذى لم يكثر حلول الناس عليه فيكدرونه بكثرة وروده يريد تشبيه محبوبته ببيضة النعـــامة التى يخالط بياضها صفرة وهى من الألوان التى تحمد عند العرب ، وان غذاءها الماء العذب الصافى الذى لم يكدره الواردون .

(٢) ديوانه : ٥ طبع أوربا ، والصناعتين ٣٧٧ ، والجامع الكبير ٢٦٤ والعمدة ٢ : ٧٩ ، وأمالى المرتضى ٢ : ١٤ والطـراز ٢ : ٣٧٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٧٨ ، والبرج بالتحـــريك بالعين نقـــاء بياض وصفاء ســـوادها أو هو اتساعها . والدعج : شدة ســـواد العين . وقد شبه العين بلون الفضة التى قد خالطها الذهب اليسير ولذلك قال : قد مسها .

بـــابُ التَّـــلفيفـــ*

وهو أن يقصد المتكلِّم التعبير عن معنى خَطَر له أو سُئِل عنه ، فيلفّ معه معنى آخر يلازم كلمة المعنى الذى سئل عنه ، كقول الله تعالى مخبرًا عن موسى عليه السلام وقد قال سبحانه له : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسَى ، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرى[1]) وكقول الرسول ـ عليه السلام ـ وقد سئل عن البحر فى حديث أوَّله : إنا نركب البحر ، فحواه السؤال عن ماء البحر هل تجوز به الطهارة ؟ فقال : هو الطَّهور ماؤه الحلُّ ميتته[2] .

× الذى فى محيط المحيط مادة « لف » انالتلفيف عند البلغاء ، هو التناسب ولم أعثر على تعريفه باكثر من هذا فيما لدى من المصادر فتأمل · وقد تكلم عنه صاحب الفصاحة وجعله فى الشعر الترصيع ، ويشمل أيضا اللف والنشر والمجانس ، ويلاحظ أن هـذا النوع ساقط من ت وهو فى هامش ا ·

(١) طـه : ١٧ و ١٨

(٢) كشف الخفاء ومزيل الالباس

بابُ جمعِ المختلفةِ والمؤتلِفةِ*

رأيت من المؤلِّفين من فسّر هذه التسمية بما لايليق بها ، وقد استشهد عليها بشواهد من جنس ما فسّر به ، فاطَّرحْتُ ذلك وفسّرتها بما يليق واستشهدتُ عليها بشواهد مطابقة لتفسيري ، وكذلك فعلتُ في أكثر الأبواب ، ومن وقف على كتابي وكتب النّاس في هذا الشأن علم صدق دعواى .

والذى أقول فى هذه التسمية : إنّها عبارة عن أن يُريد الشاعر التّسويةَ بين ممدوحين ، فَيأْتي بمعان مؤْتلفة فى مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدِهما على الآخر بزيادة فضل لاينقص بها مدح الآخر فيأْتي لأَجل الترجيح بمعان تخالف معانى التّسوية ، كقول الخنساء فى أَخيها ، وقد أرادت مساواته بأَبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لاينقص بها حقّ الولَدِ (كامل) :

جارى أَباه فأَقبلا وهما يتَعاوران مُلاءَةَ الحُضْرِ(١)

× × بحثه فى الصناعتين ٤٠١ ، وخزانة ابن حجة ٤٣٠ وحسن التوسل : ٧٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٥١ وأنوار الربيع ٧٣٠ وبديع القرآن ١٢٧ وتعريف ابن أبى الاصبع لهذا النوع يخالف تعريف صاحب الصناعتين كل المخالفة ولعله قصد بمن فسره بما لا يليق أبا هلال العسكرى ، والحقيقة أنه واهم فيما ادعى ، فان تعريف أبى هلال لهذا النوع ينطبق عليه تمام الانطباق ، كما أن شواهده توافق تعريفه موافقة تامة ، وكان الأجدر بابن أبى الاصبع عند تفسيره لهذا النوع تفسيرا مغايرا لمن سبقه أن يدقق النظر فى شواهده التى أتى بها وليس فيها جمع للمؤتلف والمختلف . بل ليس فيها زيادة بعد مساواة ، حتى يقول : انه جمع بين مؤتلفين أو مختلفين وعلى هذا يكون المؤلف قد اكتشف صورة كلامية ، ولكنه لم يضع لها اسما .

(١) الأبيات فى أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء : ٤٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٥٢ ، وانوار الربيع : ٧٣٠ ، ويتعاوران : أى تصير غبرة الحرب كالثوب يرتديه أبوه مرة وهو أخرى ، والملاءة : واحدة الملاء وهو الثوب الرقيق ، والحضر : الارتفاع فى العدو .

وهما وقد بَرَزا كأنَّهما صَقْران قد حَطَّا إلى وَكْرِ .
حتّى إذا نَزَت القلُوبُ وقد لُزَّت هناك العُذْر بالعذر[1]
وعلا هُتافُ النَّاس أَيُّهما قال المُجيب هناك : لا أدرِى
بَرَقت صفيحة وجهِ والدِه ومَضَى على غُلَوائِه يَجْرِى[2]
أولى فأولى أن يساويَه لولا جلال السنّ والكِبرِ

وأول من فتح باب هذا المعنى فيما أظن زهير[3] حيث قال (بسيط) :

هو الجوادُ فإنْ يَلْحَقْ بشأْوِهما على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَل فمثْلُ ما قدَّما من صالح سَبَقا

لكن لشعر الخنساء من الفضل فى هذا المعنى ما ليس لغيره ، وتداول النَّاس هذا المعنى بعدها ، وابتذله الشعراء ، فكان فيه أول تابع من المولَّدين أبو نُواس حيث يقول (منسرح) :

ثمّ جَرَى الفضلُ فانثنى قُدُماً دون مداه بغير تَرْهِيقِ[4]
فقيلَ رَاشَا سَهْمًا ترادُ به الْـ غاية والنَّصل سابقُ الفُوقِ

---

(١) العذر : جمع عدار ، وهو السيرالذى نكون على خد الدابه من اللجام .

(٢) صحيفه الوجه : بسرة جلده ، والمراد هنا الوحه . وقد عبرت بالجـــزء عن الكل ، والغلواء . الغلو فى الجرى والسرعة فيه .

(٣) ديوانه ٥١ ، ونقد الشعر : ٢٣ ونهايه الأرب ٧ : ١٥٢ ، وأنوار الربيـع ٧٣٠ ـ الشأو : الغايه ، والجواد هنا هو هرم بن سنان ممدوح زهير ، وتكاليفه : شدته الواحدة تكلفة .

(٤) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها العباس بن الفضل بن الربيع أولها :

كنت من الحب فى ذرا نيق أورد منـــــه مراد موموق

والمدى : الغاية فى الجـــرى والترهيق الكلال والاعياء ، وراش السهم ، ألزق عليـه الريش . والنصل : حـديدة السهم والفوق . بضم الفاء : موضع الوتر من السهم ، والجمـــع افواق . ديوانه ٩١ ونهايه الأرب ٧ . ١٥٢

وقال البُحتريُّ لابن أبي سعيدالثَّغْرِيّ (كامل) :

جَدٌّ كجدّ أبي سعيد إنّه ... تَركَ السِّمَاكَ كأنَّه لم يُشرِفِ[1]

قاسمتُه أخلاقَه وهي الرّدَى ... للمعتدِي وهي النّدى للمعْتَفِي

فإذا جرى من غاية وَجَرَيْتَ مِن ... أُخرى التقَى شأْواكما في المَنْصَفِ

ومعنى البحتريّ هذا خالف فيه معاني من تقدّمه من أبي نُواس والخنساء وزهير ، فإنهم رجّحوا الأَول في الفضل على الثاني ترجيحاً لاينقص من فضل الثاني ولا يغض منه ، والبحتريُّ ساوى بين الثاني والأَول من غير ترجيح ، وكذلك قوله أيضاً (كامل) :

وإذا رأيت شمائلَ ابنَيْ صاعِدٍ ... أدّتْ إليك شمائلَ ابنَيْ مَخْلَدِ[2]

كالفرقَدَيْن إذا تأَمّل ناظرٌ ... لَم تَعْلُ رُتْبَةُ فرقَدٍ عَنْ فَرْقَدِ[3]

ومقطوعتا[4] البحتريِّ ليستا من شواهد هذا الباب لما فيهما من المساواة دون الترجيح ، وإنما ساق ذكرهما ذكرُ المعنى الذى أَلمَّ به البحترى من المعنى الأَول ، والله أعلم .

ومن جمع المختلفة والمؤْتلفة ضرب يأْتى الشاعر فيه بأَسماء[5] مؤْتلفة ثم يصفها بصفات مختلفة ، كقول الشاعر (بسيط) :

---

(١) الابيات له من قصيدة يمدح بهـا يوسف بن محمد . والسماك : المرتفع ، ولم يشرف : لم يعل ، والردى : الهلاك ، والندى : الجود ، والمعتفي : طالب جوده ، والمنصف بفتح الميم والصاد : الوسط . ديوانه ١ : ١٢٢ .

(٢) ديوانه : ١ ، ١٧٢ وروايتهما فيه «ابن محمد» بدل «ابنى مخلد» .

(٣) الفرقدان : نجمان يهدى بهما .

(٤) لم ينفك المؤلف عن أن يسير فى اضطرابه بذكر شواهد عدة حتى يصل الى شـواهد ساقها للبحترى فيتنبه الى أن هذه الشـواهد لا ينطبق عليها تعريفه الذى عرفه لهذا النوع ، ثم يلتمس العذر في ذكرهما لانه لم يأت بهمـا الا لان سياق الكلام اقتضاهما ، وليته تنبه من اول البـاب الى ان الشواهد كلها ينطبق عليها ما قاله عن شعر البحترى لأنه لا ترجيح فيـه فتأمل .

(٥) في ت : « بأسماء مختلفه » وهو خطا من الناسخ .

لله ليلَتَنا إذ صاحبَاىَ بها بَدْرٌ وبَدْرٌ سَماوىٌّ وأَرضِىٌّ
إن الهوى والهواءَ الطَّلْقَ معتدِلا هَذا وهذا رَبيعىٌّ طَبيعىٌّ
بتْنَا جميعاً وكلٌّ فى السَّماع وفى شُرب المُدام حِجازِىٌّ عَراقِىٌّ
أُسْقَى وأَسقِى نديماً غاب ثالثُنا فالدَّوْرُ منَّا يَمينىٌّ شِمالىٌّ

ومن جمع المختلفة والمؤْتلفة قول العباس بن الأَحنف[1] (طويل) :

وِصالكمُ صرمٌ وحبُّكمُ قِلًى وعطفكُمُ صَدٌّ وَسلْمكم حَرْبُ

فإن الوصل والحبَّ ، والعطف والسلم من المؤْتلفة ، والصرم والقلى والصدّ والحرب من المختلفة .

وقد جاءَ الكتاب العزيز من باب المختلفة والمؤْتلفة بمعجز لا يلحق سبقاً وهو قوله تعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا[2] سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً[3]) فإن القرآن ساوى بين داود وسليمان فى المنصب إذ أخبر

---

(١) ديوانه . ١٩ تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي . والصرم : القطيعة ، والقلى : البغض ، وبهذا الشاهد وبايراد هذا البعض من جمع المؤتلفة والمختلفة نرى أن المؤلف لم يسر فى طريقه التى رسمها وعلى تعريفه الذى وضعه حتى عـــاد الى تعريف وشواهد ابى هلال العسكرى .

(٢) أتى ابن أبى الاصبع بالآية الكريمة شاهدا على جمع المؤتلفة والمختلفة وخرجها على حسب تعريفه لهذا النوع وظن أن فيها مساواة بين داود وسليمان ثم ترجيح سليمان على داود بقوله تعالى (ففهمناها سليمان) ثم عاد الى المســاواة بينهما بقوله (وكلا آتينا حكما وعلما) وتفسيره لهذه الآية على هـــذا النحو تلمس لاستخراج ما يبغيه من الشواهد على حسب ما يضعه من قواعد ويحمـــل الشواهد ما لا تحتمله وظن أن قوله تعالى:(ففهمنا ها سليمان) فيه تفضيل لســليمان على داود ، ولو كان الأمر كما فهم لكان فى الآية اضطراب ، مساواة فزيادة فمساواة ، وانى لأعجب للمؤلف كيف غاب عن فهمه ان القرآن يساوى بين داود وابنه في الحكم ، ومهما يتوهم متــوهم فيتساءل كيف يتساوى الابن بأبيه فدفعا لهذا التوهم قال ففهمناها سليمان . وبذا أصبحت هذه العبارة جواب سؤال مقدر ثم أراد أن يؤكد المساواة بين داود وسليمان مع بيان فضل الله عليهما فى المعرفـــة وانهما يستمدانها من عنده فقال تفضلا وامتنانا عليهما (وكلا آتينا حكما وعلما) ولم نستفد من تعليقه على هـــذه الآية وسياقته الا النكتة التى أستخرجها لنا من جمع ضمير المثنى وتخريج هذا الجمع .

(٣) الأنبياء ٧٨ ، ٧٩ .

أن كلاً منهما مرشّح للحكم وأَهْلٌ له ، ثم رجّح سليمان إذ أخبر عنه بأنه - سبحانه - فهّمه القضية القاطعة للحكم بالعدل ، ثم عاد إلى المساواة مراعاة لحرمة الوالد وفضله على الولد بقضية صرح فيها بالمساواة ، إذ جعل فهم سليمان وجه المَعَدَلة فى الحكم فناله فضل الأُبوّة ، فكان بمعنى الخنساء الذى أخرجته مع فصاحتها وشدَّة بلاغتها فى عدة أبيات مسوقاً فى آية وبعض أخرى ، هذا إلى ما تضمّن القرآن من الزيادة التى لم تقع للخنساء . وهى النكتة فى قوله تعالى (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) إذ جمع الضمير الذى أضيف إليه الحكم . ومن حقه أن يكون مثنّى لعلمه سبحانه أن الحكم من نوادر الأحكام المعادلة ، ومثله يتبع ويعمل به ، فأخبر أنه سبحانه شهد عليهما فى هذا الحكم ،وعلى كل من يحكم به تشريفاً لحكم العدل ، وإن كان شهيدًا على العدل والجور ، ولكنه - سبحانه - يخصّ العدل بشهادته تشريفاً للعدل ، كما قال تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا[1]) نظرًا لمن يعمل بحكم الله تعالى فى الوصايا . ومن يتبعه . وأنَّ حكم العدل يُقتدَى به ، والخطأ ليس بقدوة . ولهذا قال : (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا[1]) والله أعلم .

---

(١) النساء : ١٣ ، ١٤

بـــابُ التَّـوهِـيْـم*

وهو أن يأتى المتكلِّم فى كلامه بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلِّم أراد تصحيفها ، ومراده على خلاف ما يتوهَّمه السامع فيها ، كقول المتنبي[1] (متقارب) :

وإن الفِئام الّتى حولَه لتَحسُد أرجُلَها الأَرْؤُسُ

فإن لفظة «الأَرجل» أوهمت السامع أن لفظة «الفِئَام» بالقاف لابالفاء ، ومراد الشاعر الفئام بالفاءِ التى هى الجماعات ، هكذا روى البيت ، والمبالغة تقتضيه ، إذ القيام بالقاف يصدق على أقل الجمع من العدد ، والفئَام بالفاء : الجماعات ، وأقل ما تكون كل جماعة أقل الجمع فمفهومها أكثر من مفهوم الأول ، وما فى ذكر القيَام بالقاف من تعظيم الممدوح بقيام الناس على رأسه حاصل فى عجز البيت فى قوله :

* لتحسد أرجلها الأَرؤُس *

فإن مفهوم ذلك قيام من عاد الضمير من أرجلها عليه .

(×) بحثه فى بديع ابن منقذ : ٤٤ وخزانة ابن حجة ٣٩٢ وأنوار الربيـع ٧١٨ ، وبديع القرآن ١٣١ ، ويلاحظ أن التوهيم يلتبس بالتوريه ، ولكن المؤلف لم ينبه على الفرق بينهما كما هى عادته . والفرق بينهما من وجـوه ثلاثة الأول أن التورية توهم وجهين صحيحين قريبـا وبعيدا ، والمراد البعيد منهما ، والتوهيـم يوهم صحيحا وفاسدا والمراد الصحيح منهما ، الثانى أن التـوريه لا تكون الا باللفظه المشـتركة ، والتوهيم يكون بها وبغيرها ، والثـالث أن ايهام التورية مما يتعمده الناظم، والتوهيم مما يتوهمه القارىء أو السامع .

(١) ديوانه : ١ : ٣٦٦ وخزانه ابن حجة ٣٩٢ وأنوار الربيع ٣١٨ والفئـام بكسر الفاء والهمزة : الجماعات .

(ومن التوهيم[1] قسم آخر ، وهو أن يأتى المتكلّم بلفظة يُوهم بها أن فى كلامه لحناً ، فإذا انتقد من جهة المعنى وجد فيه جناس من البلاغة يصححه ويمشّيه على طريق الإعراب ، كقول الرسول ـ عليه السلام ـ : «ما من أيامٍ العملُ الصالح فيهن أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام[2] العشر» فإن لفظة العشر توهم أنها جاءت على غير الصّواب ، إذ كانت مؤنّثة ، والمعدود بها مذكّر .

والانفصال عن هذا الإشكال أنه لما كان العمل فى العشر لايخص الأيام دون اللّيالى ، والمراد التحضيض على العمل فيها ، اقتضت البلاغة الإتيان بما يدلُّ عليهما فصرح بلفظ الأيام ليدل بها على ظرف الصيام ، وأبدل منها لفظا مؤنّثاً ليدل به على ظرف القيام ، ولمّا كان لفظ الأيام مؤنثاً ساغ أن يبْدَل منه المؤنث لكون الصناعة لفظية ، ولهذا الموضع من البدل نظائر فى القرآن : منها قوله تعالى : (أيّاماً مَعْدُودَات[3]) وقوله تعالى (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ[4]) وقد تخالف طريق الإعراب لأجل صحّة المعنى المراد ، وفى ذلك قوله تعالى : (وَإنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ[5]) والقياس أن يكون ينصرون مجزومة لأنها معطوفة على مجزوم ، ولكن لما كان المراد الإخبار بأنهم لا ينصرون أبدًا ألغى العطف ، وأبقى صيغة الفعل عل حالها ، لتدلّ على الحال والاستقبال ، ولو جزم لما دلَّ إلا على الحال) .

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ
(٢) هذا بعض حديث انظر الجامع الصغير ٢:٣١٢ برواية الترمذى وابن ماجة .
(٣) البقرة : ١٨٤ (٤) آل عمران : ١٤٠
(٥) آل عمران : ١١١

ومن التوهيم توهيم يُوهِم أنه طباق أو تورية ، أو غير ذلك من المحاسن وليس عند التحقيق كذلك ، كقول أبي تمام (طويل) :

تردَّى ثيابَ الموت حُمْرًا فما أتى
لها اللَّيلُ إلاَّ وهى من سُنْدسٍ خُضْرِ[1]

فإن قولَه : حمر ، وخضر يوهم أن ذلك طباق ، وليس بطباق ، إذ الأحمر لا يضادّ الأخضر ، فهذا شاهد توهيم المطابقة .

وأما شاهد توهيم التورية ، فكقولي (بسيط) :

رَمى-ولاوِتْرعندى-قوسُحاجبِه قَلْبي فقدّرتُ أنَّ القوسَ مَوْتُورُ

فإن لفظة «موتور» تُوهِمُ أن فيها تورية،وليست بتورية ، لأن الصحيح أن يقال : قوس مُوتَرة لا موتورة ، لأنَّها من فعل رباعى ، والموتور هو الذى ثار لطلب وتره ، والوتر والترة والتار بمعنى .

(وقد جاء[2] من التوهيم فى القرآن الكريم قوله تعالى : (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رحِيمٌ[3]) فإن لفظ «غفور رحيم» يُوهم أن الغفران والرحمة للمكرِه لَهنَّ ، وهما فى الحقيقة لهن ، وإنما ظاهر اللفظ يوهم الأول قبل التَّدبّر . والله أعلم

---

(١) ديوانه ٣٦٩ ، وتقريب المعاهد فىشرح الشواهد : ٢٨٢ ، والطراز : ٣ : ٧٨ والايضاح ٦ : ١٣

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، وهو فى هامش ا

(٣) النور : ٣٣

بـــابُ الاطّــرَاد *

وهو أن تطّرد للشاعر أسماءٌ متتالية يزيد الممدوح بها تعريفاً ، لأنّها لاتكون إلا أسماء آبائه تأتى منسوقةً صحيحةَ التّسلسل غير منقطعة ، من غير ظهور كُلْفة على النَّظم ، ولا تعسّف فى السّبك ، بحيث يشبّه تحدّرها باطّراد الماء لسهولته وانسجامه . فمتى جاءت كذلك دلّت على قوة عارضة الشاعر وقدرته ، كقول الأعشى (طويل) :

أَقَيْس بن مسعودِ بنِ قيس بنِ خالدٍ
وأنتَ الذى ترجو حِبَاءك وائِلُ[1]

وأحسن من هذا البيت قول دُرَيْد لكون الأسماء المطّردة جاءت فى عجز البيت[2] (طويل) :

قَتَلْنا بِعَبد الله خيرَ لِدَاتِه
ذؤَابَ بنَ أسماء بن زيدِ بنِ قاربِ

حتّى قال عبد الملك بن مروان لما سمع هذا البيت : لولا القافية لبلغ به آدم .

---

* بحثه فى العمدة ٢ : ٦٦والايضاح ٦ · ٩٠ والطراز ٣ · ٩٣ وخزانة الأدبلابن حجة ١٧٠ ، وحسن التوســـل ٧٧ ونهايةالأرب ٧ : ١٥٥

(١) ديوانه : ط أوربا ١٢٨ والعمدة ٢ · ٦٦ والطراز ٣ : ٩٣ ونهـــاية الأرب ٧ : ١٥٥

(٢) العمدة ٢ : ٦٧ ونقريب المعاهد فى شرح الشواهد ٤٣٣

ومن هذا الباب قول الحارث بن دَوْس الإيادى[1] (رمل) :

وَشَبَاب حَسَن أَوجُهُهمْ من إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدْ

وقد أربى على هؤلاء الشعراء بعض القائلين (خفيف) :

من يكن رَامَ حاجةً بَعُدتْ عنـ ـه وأعيَتْ عليه كلّ العَيَاء[2]

فلها أحمدُ المُرجَّى ابنُ يحيى بـ ـنِ مُعَاذ بنِ مُسلِمِ بن رَجَاء

فلو لم يقع فى هذا البيت التّضمين والفصل بين الأسماء بلفظة المرجّى لكان غاية لا تدرك ، وعقلية لا تملك ، هكذا أعْظَمَ المؤلفون قبلى أمر هذا البيت ، وأثنوا عليه بما حكيته عنهم ، وعندى أنه دون بيت دريد بطبقات ، وهى أن دريدًا اطردت له أربعة أسماء سهلة السبك ، مسلسلة الألفاظ بغير فصل فى أربعة أجزاء من الطويل : جزآن خماسيان ،وجزآن سباعيّان ؛ وهذا الشاعر اطردت له خمسة أسماء فى ستّة أجزاء سباعية ، من الخفيف ، مع الفصل والتّكليف ، والتّضمن ، (ولى[3] فى هذا الباب بيت لابأس به (بسيط) :

أَجلّ مَلْكٍ إلى العلياء مَنْسوبِ محمدُ بنُ أَبى بكر بنِ أيّوبِ

وهوَ وإنْ قلّت الأسماء فيه ، إلا أن كونَه فى ابتداء القصيدة ، وهومصرّع يحسن أن يكون من أمثلة الباب) .

وهذه شواهد ما جاء من الاطّراد بأسماء إذا فصلت من الإضافة استقلّ

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ٦٧

(٢) البيتان فى العمـــده ٢ : ٦٧ والطراز٣ : ٩٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٥ وتقريب المعاهد ٤٣٣ .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ .

لمضاف إليه بنفسه ، وأما ما جاءَ الاطراد فيه بأَسماء إذا فصلت لم يستقلّ .
المضاف إليه بنفسه ، فكقول أبي تمام (كامل) :

طلبتْ ربيعَ ربيعةُ المُمْهَى لها ... ووردن ظلَّ ربيعةَ الممدودا[1]
بَكْرِيِّها عَلَويِّها صَعْبِيِّها الْـ ... ـحِصْنِيّ شَيْبَانِيِّها الصِّنديدا
ذُهْلِيِّها مُرِّيِّها مضَرِيِّهَا ... يُمْنَى يدَيْها خالدَ بن يَزيدا
نسبٌ كأَن عليه من شمس الضحى
نورا وَمِنْ فَلَقِ الصّباح عَمُودا

والبيتان الأَوسطان أَردت . والله أَعلم .

(١) رواية الديوان (فتقبأت فظلالها ممدو دا) ۰ والممهى لها: من أمهى الفرس اذا طول رسنه

تحرير التحبير

في

صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن

الجزء الثالث

باب التكميل*

وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، فيكمّله بمعنًى آخر ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى مدحه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلا غير كامل ، فكمّله بذكر الكرم ، أو بالبأس دون الحلم ، وما أشبهه ، وقد جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ[1]) فانظر هذه البلاغة ، فإنه ــ سبحانه وتعالى ــ علم ــ وهو أعلم ــ أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين ــ وإن كانت صفة مدح ، إذ وصفهم بالرياضة لإخوانهم المؤمنين والانقياد لأمورهم ــ كان المدح غير كامل ، فكمّل مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأتى بوصفهم بالامتناع منهم ، والغلبة لهم ، وكذلك قوله سبحانه (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[2]) ومثال التكميل فى الشّعر قول كعب بن سعد الغنوىّ (طويل) :

---

* بحثه فى سر الفصاحه تحت اسم التحرزمما يوجب الطعن ٣٢٢ والطراز ٣ : ١٠٨ والايضاح ٣ : ٣٣٤ وخزانه ابن حجة ١٠٧ وحسن التوسل : ٧٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٧ وأنوار الربيع ٦٣٢

(١) المائدة : ٥٤ — (٢) الفتح : ٢٩

حَلِيم إذا ما الحلمُ زيَّن أهلَه ... مع الحِلْم فى عين العدوّ مَهِيبُ[1]

فقوله : حليم مدح حسن ، وقوله : إذا ما الحلم زيّن أهله احتراس ، لولاه لكان المدح مدخولا ، إذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز يوهم أنّه حلم ، فإن التجاوز لايكون حلماً محقّقاً إلا إذا كان عن قدرة ؛ وهو الذى قصده الشاعر بقوله : « إذا ما الحلم زين أهله » ويُعَضِّد هذا التفسير قول سالم ابن وابصة : (بسيط)

وحِلْمُ ذى العجز ذلٌّ أنت عارفه ... والحِلْمُ عن قُدْرَةٍ ضَرْبٌ من الكرمِ

فحاصل قول الغنوىّ أن ممدوحه حليم فى الموضع الذى يحسن فيه الحلم ، ثم رأى أن المدح بمجرّد الحلم لايكمل به المدح ، لأن من لم يُعرف منه إلا الحلم ، ربما طمع فيه عدوه ونال منه مايُذَم بسببه ، فكمّل مدحه بأن قال :

* « مع الحلم فى عين العدو مهيب » *

ولقد أحسن هذا الشاعر فى احتراسه فى صدر البيت وعجزه معاً باحتراسين حسنين .

أما الذى فى الصدر فقد تقدم تنبيهنا عليه ، وهو قوله : « إذا ما الحلم زيَّن أهله » ، وأما الذى فى العجز فقوله :

* « مع الحلم فى عين العدو مهيب » *

لأن المهابة قد تكون مع الجهل ؛

ومن مليح التكميل قول السموْءل : (طويل) :

وما مات منّا سيّدٌ فى فراشهِ ... ولا طُلّ منا حيث كان قتيل[2]

---

(١) البيت فى نقد الشعر . ٣٥ والطراز ٣ : ١٠٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٧ وأنوار الربيع ٦٤٢ .

(٢) ديوانه . ١٣ والطراز ٣ : ١١٠ ونها يه الأرب : ٧ : ١٥٧ وطل دمه : اهدر .

فإنه لو اقتصر على صدر البيت كان مدحاً غير كامل ، لأن موت الجميع قَتْلَى وإن اقتضى وصفَهم بالصبر ، فهو يحتمل أن يكون عن ضعف وقلة جدّ فى الحروب ، فاحترس عن ذلك بأن قال :

* «وما طل منا حيث كان قتيل» *

وأحسن من ذلك كله قوله : «حيث كان» فإنه أبلغ وصف فى الشجاعة .

ومن التكميل فى النسيب قول كثير[1] (كامل) :

لو أنّ عزّة خاصمتْ شَمْس الضُّحى فى الحُسْن عند مُوفَّقٍ لقضى لها

فقوله : «عند موفَّق» تكميل حسن ، إلا أنه دون الأول ، وإنما كان مثل هذا تكميلا لأنه لو قال : «عند محكَّم» لتم المعنى ، لكن فى قوله عند موفَّق زيادة كمل بها حسن البيت ، والسامع يَجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو فى النفس ما ليس للأولى ، إذ ليس كلّ محكَّم موفقاً ، فإن الموفَّق من الحكَّام من قضى بالحق لأهله ، وفى ذلك إشارة إلى أن عزة تستحق الحسن دون شمس الضحى ، فيكون بهذه اللفظة مع التكميل مبالغة ، والتكميلُ ها هنا من تكميل المعانى النفسية لا تكميل المعانى البديعية ولا الفنون .

ومن التكميل الحسن قول أبى الحسين[2] المتنبي (وافر) :

أَشدُّ من الرياح الهُوجِ بَطْشا وأَسرعُ فى النّدى منها هُبوبَا

فإنه فَطِن إلى أنّه لو اقتصر على وصفه بشدَّة البطش دون أن يضيف

(١) ديوانه ١ : ٥٦ ط الجزائر ١٩٣٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٥٨ وأنوار الربيع ٣ : ٦٤٣ .

(٢) ديوانه ١ : ٩٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٨ والهوج : جمع هوجاء ، وهى التى لا تستقر على سنن واحدة .

إلى البطش الكرم كان المدح غيرَ كامل . فكمَّل المدح فى عجز البيت بذكر الكرم . ولم يتجاوز فى ذلك كلّه وصفَيِ الريح التى شبّه ممدوحه بها فى حالَى بطشه وكرمه ، وما حَسُنَ بيت أبى الطيب إلّا لأنه أشرقتْ عليه أنوار أوصاف النبوة . فإنه نظر إلى الحديث الذى يرويه ابن عباس رضى الله عنهما ـ حيث يقول : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجودَ الناس ، وكان أجودُ ما يكون فى رمضان ؛ كان كالرّيح المرسلة » .

وما وهم فيه المؤلفون فى هذا الموضع أنهم خلطوا التكميل بالتتميم ، إذ ساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل . لأن كلا منهم ذكَر قول عوف بن مُحلِّم السعدى (سريع) :

إن الثّمانين وبلِّغتَهـــا قد أحوجت سَمْعى إلى ترْجمان[1]

من شواهد التتميم . ومعنى البيت تام بدون لفظة « وبلِّغتها » وإذا لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمى هذا تتميماً ! ! ، وإنما هو تكميل ، (وما غلطهم[2] إلا من كونهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ وتتميم المعانى . فلو سموا مثل هذا تتميماً للوزن لكان قريباً . وإنما ساقوه على أنه من تتميم المعانى البديعة) ولذلك أتوا بقول المتنبىّ (طويل) :

ويحتقِر الدنيا احتقار مُجرِّب يَرى كلَّ ما فيها وَحَاشاكَ فَانيا[3]

فى باب التتميم . وهو مثل الأول . وإن زاد على الأول أدنى زيادة .

---

(١) انظره فى باب الطاعة والعصيان .
(٢) ما بين قوسين ساقط من ب ، وهو فى هامش ا
(٣) ديوانه ٢ : ٤٦٩

لما فى لفظة «حاشاك» بعد ذكر الفناء من حسن الأدب مع الممدوح ، وربما سُومح بأن يجعل هذا البيت فى شواهد التتميم لهذه الشبهة .

وأما الأول فمحض التكميل ، ولا مدخل له فى التتميم (اللهم إلا أن يكون[1] مرادهم بالتتميم تتميم الوزن ، لا تتميم المعنى ، فيجوز بهذا الاعتبار أن يسمى كل ماورد من الحشو الحسن سواءٌ كان متمماً للمعنى أو مكملا تتميماً ، لأنه به تم الوزن ، ويكون من قسم تتميم الألفاظ ، وما قدّمناه من تتميم المعانى) .

ومن مليح التكميل قول النابغة الذبيَانىّ[2] فى وصف حمار وأتان وحشيّين (طويل) :

فإنْ هَبَطَا سَهْلا أثارا عجاجةً   وإن طَلَعا حَزْنا تَشَظَّتْ جَنادِلُ[3]

فإنه لو اقتصر على وصف صلابة حوافرهما بالمشى فى السّهل كان المدح لهما غير كامل ، حتى يصفَهما بالمشى فى الحزن ، فلا جرم أنه لما أراد تكميل المدح وأوجبت عليه الصناعة أن يقول فى عجز البيت : الحَزْن كما قال فى صدره : السهل . فوصفهما بما يوجب لهما بلوغ الغاية فى صلابة الحوافر (هذا[4] ما نقلته من كلام الناس على هذا البيت ، وفيه ما فيه ، لأن الاقتصار على وصفهما بالمشى فى السهل ، وهو يريد وصفهما بصلابة الحوافر ، نقص تام فى المعنى المراد ، فبقية البيت على هذا تتميم لا تكميل).

---

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ

(٢) ديوانه : ٨٧ ٢ومختار الشعر الجاهلى ١٩٦

(٣) العجاجة : الغبار . وتشــــظت : السهت . والجنادل الصخور .

(٤) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو هامش أ

والفرق بين التّتميم والتكميل أنّ التتميم يرد على المعنى الناقص فيتمّمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمّله ، إذ كان الكَمال أمرًا زائدًا على التّمام.

والتتميم لايكون إلا فى المعانى دون الفنون ، أعنى بالمعانى معانى النفس ، لامعانى البديع ، التى هى أنواعه ، وأعنى بالفنون أغراض المتكلّم ومقاصده ، والتكميل يكون فيهما معا ، هذا إذا لم يرد بالتتميم تتميم الوزن كما قدَّمت .

ومن أحسن[1] التكميل تكميل وقع فى قول شاعر الحماسة (بسيط) :

لو قيل للمجد : حِدْ عنهمْ وخَلِّهِمُ
بما احْتَكمْتَ من الدنيا لَمَا حادَا

فقوله : بما احتكمت من الدنيا ، من التكميل العجيب ، والله أعلم .

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو فى هامش ا

بـــابـــ المناســبة

المناسبة على ضربين : مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلّم بمعنى ثم يتمّم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، كقول الله سبحانه وتعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ[1]) فإنه ــ سبحانه ــ لما قدّم نفى إدراك الأبصار له ، عطف على ذلك قوله : « وهو اللطيف » خطاباً للسامع بما يفهم ، إذ معترَف العادة أنّ كل لطيف لاتدركه الأبصار ألاترى أن حاسّة البصر لاتدرك إلّا اللّون من كل متلوّن ، والكون من كل متكوّن ، فإدراكهما إنما هو للمركّبات دون المفردات ، ولذلك لمّا قال : « وهو يدرك الأبصار » عطف على ذلك قوله « الخبير » تخصيصاً لذاته سبحانه بصفات الكمال ، لأن كلّ من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء . ومثل ذلك قوله عز وجل : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ[2]) لما كان ــ سبحانه ــ هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة ، صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير ، وظرف الليل ظرف مظلم لاينفذ فيه البصر ، لاسيّما وقد أضاف الإتيان

(×) بحثها فى روضة الفصاحة ١٥ وخزانة ابن حجة ١٦٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٨ وحسن التوسل ٧٩ وأنوار الربيع ٤١٦

(١) الأنعام : ١٠٣ (٢) القصص ٧١

بالضياء الذى تنفذ فيه الأبصار إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، (فصار النهار[1] كأنه معدوم ، إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والليل كأنه لاموجود سواه ، إذ جعل كونه سرمداً منسوباً إليه سبحانه) فاقتضت البلاغة أن يقول : «أفلا تسمعون» لمناسبة ما بين السماع ، والظرف الليلى الذى يصلح للإسماع ولا يصلح للإبصار ولذلك قال فى الآية التى تليها : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيه أفلاَ تُبْصِرُونَ[2]) لأنه لما أضاف جعْل النهار سرمداً إليه صار النهار كأنه سرمد ، وهو ظرف مُضِيءٌ تنوّر فيه الأبصار ، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ، إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والنهار كأنه لاموجود سواه ، إذ جعل وجوده سرمداً منسوباً إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : أفلا تبصرون ، إذ الظرف معنى صالح للابصار . وهذا من دقيق المناسبة المعنوية . ومنها قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فى ذَلِكَ لآيات أَفَلاَ يَسْمَعُونَ ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وأَنْفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ)[3] فانظر إلى قوله ـ سبحانه ـ فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعية (أو لم يهد لهم) ولم يقل أو لم يروا ، وقال تعالى بعد ذكر الموعظة

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ
(٢) القصص : ٧٢
(٣) السجدة ٢٦ ، ٢٧

(أفلا يسمعون) وكيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية « أو لم يروا » وقال بعد الموعظة : (أفلا يبصرون). وكذلك قوله تعالى : (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا[1]) فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : (وكفى الله المؤمنين القتال) أوْهم ذلك بعضَ الضعفاء موافقة الكفار فى اعتقادهم أن الريح التى حدثت كانت سبب رجوعهم ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وربما توهَّمُوا ألَّا تكون من عند الله وإنما تقع اتفاقاً كما يجرى فى حروب المشركين بعضهم لبعض ، فأخبر فى فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ، ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقيناً وثباتاً على أنه الغالب المتنع ، وأن حزبه كذلك ، وانما هو تَنوُّع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً بعميم قدرته ، فينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب ، ومرة بالرعب كبنى النضير ؛ وطوراً ينصر عليهم كيوم أحد ، وحيناً يعلمهم أن الكثرَةَ لاتُغْنى شيئاً ، وأن النصر من عنده كيوم حُنَين (وأمثال ذلك فى الكتاب العزيز كثير لمن استقراه .

ومن أمثلة المناسبة المعنوية فى الشعر قول المتنبى[2] (طويل) :

على سابح مَوجُ المنايا بنَحْره
غَداةَ كأَنَّ النَّبْل فى صدْره وَبْلُ

فإن بين لفظة السباحة ، ولفظة الموج ، ولفظة الوبْل تناسباً معنوياً صار

(١) الأحزاب ٢٥

(٢) ديوانه : ٢ : ١٣٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٨ والسابح، الفرس الذى كانه من حسن جريه بسبح وهى استعارة ، والوبل : المطر الشديد .

البيت به متلاحماً شديد ملاءمة الألفاظ ؛ وأحسن منه قول ابن رشيق القيروانى (طويل) :

أَصَحُّ وأقوى ما رَوَيْنَاه فى النَّدى ... من الخبر المَأْثور مُنْذ قديمِ[1]

أحاديثُ تَرويها السُّيول عن الْحَيَا ... عن البحر عن جود الأمير تميمِ

وهذا أحسن شعر سمعته فى المناسبة المعنوية ، لأنه ناسب فيه بين الصحة والقوة ؛ والرواية والخبر المأثور ، والقِدَم مناسبة معنوية إذ هذه الألفاظ يناسب بعضُها بعضاً ، وكذلك ناسب فى البيت الثانى بين الأحاديث والرواية والعنعنة مناسبة معنوية أيضاً . وأحسن من المناسبة الواقعة فى البيت الأول ما وقع فى البيت الثانى من صحة ترتيب العنعنة حيث أتى بها صاغرًا عن كابر، وآخرا عن أول ، كما يقع سند الأحاديث ، لأن السيول فرع ، والحيا أصله ، ولذلك جعلها تروى عن الحيا إذ هى بمنزلة الولد ، وهو بمنزلة الوالد . وكذلك الحيا فرعٌ . والبحرُ أصلُه ، ولذلك جعل الحيا يَرْوى عن البحر ، إذ الحيا بمثابة الولد والبحر بمثابة الوالد ، ثم نزل البحر بمنزلة الولد وجود الممدوح ، بمنزلة الوالد له لقصد المبالغة فى المدح . ولذلك جعل البحر راوياً عن جود الممدوح ، وهذا الذى تقتضيه الصناعة من الأدب مع الممدوح وحسن المبالغة فى وصف جوده (وفى الناس[2] من سمَّى المناسبة المعنوية ملاءمة ، إلَّا قدامة فإنه جعل الملاءمة ائتلاف ألفاظ الكلام بالمعنى الذى المتكلِّم

---

(١) البيتان فى الطراز ٣:١٤٧ والايضاح ٦ : ٢٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٨ .

(٢) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ

آخذ فيه ، وقصده بذلك أن يقال فى لفظة من ألفاظ المعنى : لو كان موضع هذه غيرها لكان الكلام مؤتلفاً بمعانيه وألفاظهُ ملائمةً له وما ذكرته من المناسبة فيه زيادة على هذا المقدار ، إذ غيرها من الألفاظ يوفى بما قاله الناس فى تفسير الائتلاف ، ويزيد عليه زيادة معلومة عند أرباب النقد[1]) .

وأما المناسبة اللفظية فهى توخّى الإتيان بكلمات متّزنات ، وهى على ضربين : تامّة وغير تامة ، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتّزان مقفّاة وأخرى ليست بمقفّاة ، فالتقفية غير لازمة للمناسبة .

ومن شواهد المناسبة التى ليست بتامة فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (قٓ والْقُرْآنِ المَجِيد بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَىءٌ عَجِيبٌ[2]) ومن شواهد التامة فى السنّة قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما كان يَرقِى به الحسنين عليهما السلام « أعيذكما بكلمات الله التّامّة ، من كلّ شيطان وهَامّة ، ومن كلّ عين لاَمّة »[3] فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لامة » ولم يقل مُلِمَّة ، وهى القياس ، لمكان المناسبة اللّفظية التامة ؛ ومثله قوله ــ عليه السلام ــ « ارجعن مأزورات غير مأجورات[3] »

(١) المناسبة المعنوية التى تكلم عنها المؤلف تكلم عنها صاحب «سر الفصاحه» تحت اسم «تناسب الألفاظ من طريق المعنى» ٢٣٩ وأنا ارى أن تحت تسمية المناسبة المعنوية تندرج الأنواع الآتيـة وهى : مراعاة النظير ، والتوشيـــيح ، وتشابه الأطراف، وقد أدخلها الخطيب القزوينى فى مراعاة النظير ، الايضـــاح ٦ : ٢٠ وسماها التناسب والائتلاف والتوفيق . وقد أفرد المؤلف لهـــذه الأنواع التى اندرجت تحت اسم المناسبة المعنوية أنواعا مستقله فكان الأجدر به الا يفردها ببحث خاص . كما تكلم عنهـــا صاحب الطراز تحت اسم الائتلاف ٣ : ١٤٤

(٢) ق : ١ ، ٢

(٣) معالم الكتابة : ٦٩ وخزانة ابن حجة ١٦٨ وبديع القرآن ١٥٠ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٩

والمستعمل موزورات ، لأنه من الوزر غير مهموز فلفظ به النبيّ – صلى الله عليه وسلم – مهموزًا لمكان المناسبة اللفظية التامة ، وهذا من الفصاحة العجيبة.

وأما ما جاء من السنّة من أمثلة المناسبة الناقصة ، فكقوله – صلى الله عليه وسلم – : « إن أحبّكم إليّ وأقربكم منى مجالسَ يوم القيامة أحَاسِنُكُمْ أخلاقاً المُوطَّئُون أكْنافا[1] » فناسب – صلى الله عليه وسلم – بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفية . وممّا جمع بين المناسبتين قوله – عليه السلام – فى بعض دعائه : « اللَّهم إنى أسألك رحمةً تَهدى بها قلبي ، وتجمع بها أمرى ، وتَلُمُّ بِهَا شَعَثى ، وتُصْلِحُ بها غائبي ، وتَرفع بها شاهدى ، وتزكيّ بها عملى ، وتلْهِمُنى بها رشدى ، وترد بها أُلْفتى . وتَعْصِمُنى بها من كلّ سُوءٍ ؛ اللهم إنى أسألك الفَوْزَ فى القضاء ، ونُزُلَ الشُّهداء ، وعيشَ السّعداء . والنَّصرعلى الأعداء[2] » فناسب – صلى الله عليه وسلم – بين قلبي وأمرى ، وغائبي وشاهدى ، مناسبة غير تامة بالزّنة دون التقفية ، ثم ناسب بين القضاء والشهداء والسعداء والأعداء مناسبة تامة بالزنة والتقفية ، ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة الشعرية قول أبى تمام (طويل) :

مَهَا الْوَحْشُ إلا أنّ هَاتَا أوانِسٌ
قَنا الخَطِّ إلا أنَّ تِلكَ ذَوابِلُ[3]

---

(١) الموطأ الأكناف : الرجل الدمث الأخلاق السهل الكريم

(٢) نهاية الأرب ٧ : ١٥٩

(٣) ديوانه . ١٥٦ والوساطه ٤٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٠ والايضاح ٦ : ١٤٤ والمها : بقر الوحش . والقنا . الرماح والخطيه نسبه الى الخط وهو سيف البحر وعمان ، وينسب اليهما الرماح .

فناسب حبيب بين مَهًا وقَنًا مناسبة تامّة ، وبين الوحش والخطّ وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة ، وهذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضمّ إليها فيه من المحاسن ، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة ، والاستثناء ، والطباق اللفظى ، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين ، فأما المناسبة فقد ذكرناها ، وأما التشبيه فى قوله : مها وقنا ، فإن التقدير كمهًا وقنًا ، فحذف الأداة ليدلّ على قرب المشبّه من المشبّه به ، وأما الاستثناءُ البديعى فى قوله : «إلا أن هَاتَا أوانس» وقوله: «إلّا أن تلك ذوابل» لِيثْبِتَ للموصُوفات التأْنيس والتحبّب ، وينفى عنهن النِّفار والتوحّش ، وكذلك فعل فى الاستثناء الثانى ، فإنه أثبت به لهنّ اللِّين واللُّدونة ؛ ونفى عنهنّ الْيُبْس والصّلابة ، فأثبت لهنّ بالاستثناء من الصفات ما يُستحسن ، ونفى عنهن ما يستهجن ، وأما المطالبة فى قوله الوحش والأوانس ، وهاتا وتلك فإن هاتا للقريب ، وتلك للبعيد ، وأما المساواة فلأن لفظ البيت لايفضل عن معناه ، ولا يقصر عنه ، وأما الائتلاف فلكون ألفاظه من واد واحد متوسّطة بين الغرابة والاستعمال ، وكل لفظة منها لائقة بمعناها ، لا تكاد يصلح موضعها غيرها ، وأما التمكين فلأن قافية البيت مستقرة فى موضعها ، غير نافرة من محلها ، من غير أن يتقدّمها شىءٌ من لفظها يدلّ عليها ، كما يقع فى التوشيح والتصدير (وقد غلط الآمدىّ فى تغليط أبى تمّام فى هذا البيت ، حيث زعم أنه نفى عن النساء لِينَ القدود ، معتقدًا أن الرماح سمّيت ذوابلَ للينها . والمعروف عند أهل اللّسان ضد ذلك ، لأنّ

العرب تقول رمح ذابل إذا كان صلب الكعوب ، ومن ذلك قولهم ذَبُلَت شفتاه إذا يَبِستَا ، ولا تَعْرِف العرب الذابل إلا اليابس الذى جفّت رطوبته ، ومن ذلك قولهم : نُوَّارةٌ ذابلة إذَا جَفّ ماؤها وأخذت فى اليُبْس . وأبو تمّام لا يشكّ أحد أنه أبصر من الآمدىّ باللغة . وأقْعَرَمنه[1] بمعرفة اللسان العربى ؛ ويقرب من هذا البيت قول البحترى[2] (طويل) :

فأَحْجَم لمّا لَمْ يَجِد فيك مَطْمَعًا ۝ وأَقْدَم لمّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا

فناسب بين أحجم وأقدم مناسبة تامة ، وكذلك بين قوله : فيك وعنك . ومطمعًا ومهربًا ، إلا أن مناسبة هاتين الجملتين غير تامة ، وقد حصل فى هذا اللّفظ أيضا المطابقة فى أحجم وأقدم . والمساواة والائتلاف والتمكين . فقد استوى هو وبيت أبى تمام فيما ذكرنا وزاد عليه بيت أبى تمّام بالتشبيه والاستثناء . ففضل بيت أبى تمّام بالمعانى ، وفضل بيت البحترى بالألْفاظ . لأَنَّ الفاظه أكثر استعمالا وأعذب مذاقًا ، وللمناسبة التّامة فيه نصاعةٌ وظهور أكثر من المناسبة التى فى بيت أبى تمام . وإذا قست ما بين البيتين بما قدّمت من كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – سقطا دون كل جملة منه ، إذ كل جملة منه يلى بعضها بعضا ؛ ومفردات الألفاظ تسير إلى معانى شتّى ، وإلا فانظر إلى قوله – صلى الله عليه وسلّم – تهدى بها قلبى . وما يحصل بها من منافع الدّنيا والآخرة ، ويُتَوَقّى من مضار الدّنيا والآخرة بهدية القلب . وإلى قوله «وتجمع

---

(١) اقعر منه ، بمعنى اكثر تعمقا منه فى معرفة اللسان العربى .

(٢) ديوانه ١ : ٥٦ والايضاح ٦ : ١١٤

بها أمرى » وما يكون من اجتماع الأمر من عدم التَّذبْذُب فى كلّ شىء وحصول التثبت وإلى قوله صلى الله عليه وسلم : وتصلح بها غائبى ؛ وما تشير هذه الجملة إليه من إصلاح الباطن ، وما يكون فى ذلك من الإخلاص ؛ وكذلك قوله : وتدفع بها شاهدى ، فإن من أصلح الله سبحانه باطنه أَصلح الله تعالى ظاهره ، وما وقع فى ضمن هاتين الجملتين مع المناسبة من المطابقة بين غائبى وشاهدى ، وبذلك فا عتبر بقية الدعاء؛ وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «الفوز بالقضاء » فإنه رب قضاء نزل بغير صابرٍ محتسب ، فأَوبَقَه[1] وقلَّ من يفوز عند نزول القضاء » وكذلك قوله :ونزل الشهداء ، أى قراهم أو منزلتهم ، وهى أرفع المنازل ، وما أعد لهم ، ومثله قوله : وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء؛ فالحظْ بدقيق النظر ما اشتملت عليه الألفاظ من المعانى تجدها لا تدخل تحت الإحصاء إلى سلاسة هذا النظم وعذوبة هذا اللفظ وعلوّه مع كونه مستعملا معروفاً ، وفصاحته على كونه متداولا مألوفاً ، ووُضوح معانيه ، وحسن البيان فيه ، بحيث لا يفتقر أحد إلى السؤَال عن لفظ فيه قد استوى فى فهمه الذكىّ والبليد والقريب من العلم والبعيد ، وما فيه من الماء والديباجة التى لاتُوفى العبارة بها ، ولا يقدر البليغ على أن يصفَها ؛ وهذا أمر يدركه كلّ ذى ذوق سليم ، وذهن مستقيم ، والله أعلم .

---

(١) أوبقه : أهلكه .

باب التفريع *

التفريع نوعان : أحدهما أن يبدأ الشاعر بلفظة هى إما اسم ، وإما صفة ، ثم يكرّرها فى البيت مضافة إلى أسماء وصفات يتفرّع من جملتها أنواع من المعانى فى المدح وغيره ، كقول أبى الطيّب المتنبىّ(1) (متقارب) :

أنا ابْن اللِّقاء أنا ابنُ السّخاء انا ابن الضِّراب أنا ابنُ الطِّعانِ
أنا ابنُ(2) الفيافى أنا ابنُ القَوافى أنا ابنُ السُّروج أنــا ابنُ الرِّعانِ
طَويلُ النّجاد طويلُ العماد طويل القَناة طويل السِّنانِ
حديدُ اللّحاظ حديدُ الحِفاظ حديدُ الحُسَام حديدُ الجَنَانِ

وهذا النوع لم أُسبق إلى استخراجه ، وإنما لم أُثبته فيما ابتكرته من الأبواب لكونه نوعاً من التفريع ، فالذى يجب أن يسمَّى به تفريع الجمع ، لأن كل بيت ينطوى على فروع من المعانى شتّى من المدح تفرّعت من أصل واحد ؛ والنّوع الآخر من التفريع وهو الذى تقدّمنى الناس باستخراجه وتسميته ، إنما يتفرّع منه معنى واحد من أصل واحد ، إمّا فى بيت

(*) بحثه فى العمده ٢ : ٢٤ والمصباح فى علم المعانى والبيان والبديع ١٠٨ والطراز ٣ · ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٦٠ وخزانة ابن حجه ٤١٤ وأنوار الربيع : ٤٧٤

(1) ديوانه ٢ : ٤٠٣ ونهـايه الأرب جـ٧ : ١٦٢

(2) اللقاء ملاقاة الأقـران فى الحرب ·والضراب : مصدر ضـارب يضارب وهو ضرب السيف ، والفيافى جمع فيفاء وهى الارض الملساءالمهجورة · واللحاظ طرف العين مما يلى الصدغ، والحفاظ المخاصمه والمحافظه على مايجب حفظه·والجنان : القلب ·

أو أبيات ، وإما فى جملة من الكلام أو جمل ، وهو أن يصدر الشاعر أو المتكلّم كلامه باسم منفىٍّ بـ «ماخاصة » ثم يصف الاسم المنفى بمعظم أوصافه اللائقة به إما فى الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلا يفرّع منه معنى فى جملة من جارّ ومجرور متعلّقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ، يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفى الموصوف كقول الأعشى[1] (بسيط) :

ما رَوْضَةٌ من رياض الحَزْنِ مُعْشِبةٌ غَنَّاءُ جاد عليها مُسْبل هَطِلُ
يضاحك الشَّمسَ منها كوكَبٌ شَرِقٌ مؤزَّر بعَمِيم[2] النَّبْتِ مُكتَهِلُ
يوما بأطيَبَ منها طِيب رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ[3]

وقد سمّى بعض المتأخّرين[4] هذا القسم من التفريع النفى والجحود لتقدّم حرف النفى على جملته . وأكثر ما يقع الأصل فى بيت والتفريع منه فى بيت آخر إما قريباً منه ، وإما بعيدًا عنه ، وقد يقع منه ما يكون الأصل والفرع معا فى بيت واحد كقول أبى تمام[5] (بسيط) :

---

(١) ديوانه ط أوربا ٦ وحماسة ابن السجرى ٢١٦ والطراز ٣ : ١٣٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٠

(٢) العميم من النبت : التام منه. والمكتهل من النبت : المتناهى .

(٣) الأصل بضمتين جمع أصيل وهو وقت ما بعد العصر الى المغرب .

(٤) عنى ببعض المتأخرين أسامة بن منقذ انظر بديعه ٦٢ و٦٣

(٥) ديوانه : ٩ والطراز ٣ : ١٣٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٦١ والربا : جمع ربوة ، وهى أعلى كل شىء . والخد الترب : المعفر بالتراب .

ما رَبْعُ ميّةَ معمورًا يُطيفُ به
غَيلانُ أبْهى رُبًا من رَبْعِها الخَرِبِ
ولا الخدودُ وإن أدمَيْن من خَجَلٍ
أشهى إلى ناظري من خدِّها التَّرِبِ

ومن[1] التفريع نوع غير النوعين الأوَّلَين ، وهو تفريع معنى من معنى من غير تقدّم نفي ولا جحود ، كقول ابن المعتزّ (سريع) :

كلامُه أخدعُ من لفْظِه وَوَعْدُه أكذبُ من طيْفِه[2]

وهو مختصّ بمعاني النفس دون معاني البديع . والله أعلم .

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، وهو في هامش
(٢) العمدة ٢ : ٣٤

باب التكرار ×

وهو أن يكرر المتكلّم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذّم أو التهويل أو الوعيد ، فأما ما جاء منه للذّم فكقول عَبِيد بن الأبرص[1] (كامل) :

هــــلا سألتَ جُموعَ كِنْـ دَةَ يوم ولَّوْا أيْنَ أيْنَا

وكقول مهلهل بن ربيعة أخى كليب فى التّهديد والوعيد (مديد) :

يَالَبَكْرٍ أنْشِرُوا لِي كُلَيْباً يا لَبَكْر أين أين الفِرارُ

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثيّر عزّة فى عمر بن عبدالعزيز (طويل) :

فأَرْبِحْ بها من صَفْقة لمبايعٍ وأَعْظِمِ بها أَعْظِمْ بها ثم أعْظِمِ[2]

وكقول أبى تمّام (خفيف) :

بالصّريح الصّريح والأروع الأرْ وَعِ منهمْ وباللُّبابِ اللُّبابِ[3]

وأما ما جاء منه فى النسيب وهو لطيف جدًّا لبعض المحدثين (متقارب) :

يَقُلْن وقد قيل إنِّى هَجَعْتُ عسَى أن يُلِمّ بروحى الخَيَالْ

حقيقٌ حقيقٌ وجدت السّلوّ فقلت لهنّ مُحالٌ مُحالْ

× بحثه فى العمدة ٢ : ٥٩ والمثل السائر ٢ : ١٥٧ وبديع ابن منقذ ١٠٠ والايضاح ٣ : ٢٢٥ وخزانة ابن حجة ١٦٤ وانوار الربيع ٧٠٢ وبديع القرآن : ١٥١

(١) ديوانه بتحقيق الدكتور حسين نصار ١٣٦

(٢) الشعر والشعراء ١ : ٤٨٥

(٣) ديوانه : ٣٥٣ والمصباح ١٠٦ وانوار الربيع ٧٠٣ والصريح : الخالص . والأروع : الشجاع .

وقد يجيءُ التَّكرار بالأسماء المضمَراتِ أو المبهمات ، كما يجيءُ بالمظهَرات كقول الهُذَلى[1] (طويل) :

رَفَوْنى وقالوا يا خُوَيلِدُ لاتُرَعْ   فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

وأما ما جاء منه للمدح فى الكتاب العزيز فكقوله سبحانه : (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ[2]) وأما ما جاء منه للتهويل والوعيد فكقوله تعالى : (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ[3]) وقوله عزّ وجلّ : (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ[4]) وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى :(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)[5] ومما جاء فى السّنة من التكرار قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكايةً عن أمّ زرع : «أبو زرع وما أبو زرع» فى معرض المدح .

(١) هو أبو خراش انظر ديوان الهذليين جـ ٢ : ١٤٤ ورفونى : سكنونى .
(٢) الواقعة ١٠ و١١ (٣) الحاقة . ١ و٢
(٤) القارعة . ١ و٢ (٥) المؤمنون ٣٦

بابُ نفيِ الشيء بإيجابه

وهو أن يثبت المتكلِّم شيئاً في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازًا ، والمنفيّ في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته كقوله ، سبحانه وتعالى : (.. أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا[1]) فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح . وملزومه يقتضي اثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح ؛ وباطن الكلام يوجب نفي الإلهية عمن يكون له ، فضلا عمن لا يكون له ، لأنه المراد ، وكقوله — سبحانه — : (لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)[2] فإن ظاهره نفي الإلحاف في المسألة ، لانفي المسألة ، والباطن نفي المسألة بتّةً ، وعليه إجماع المفسرين ،وهو منقول عن ابن عبّاس — رضي الله عنهما — وكقوله تعالى : (وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ[3]) فالظاهر نفي شفيع يطاع ، والمراد نفي الشفيع مطلقاً .

ومن أمثلة هذا الباب الشعرية قول امرىء القيس (طويل) :

على لاحبٍ لايُهْتَدَى بمنَارِهِ إذا سافهُ العَوْدُ النَّباطيُّ جَرْجَرا[4]

× بحثه في العمدة ٢ : ٦٥ وخزانه ابن حجه ٢٧٣ وبلوغ الأرب ١ : ٢٣٢ وحسن التوسل ٢٨١ ونهايه الأرب ٧ : ١٦٣

(١) الأعراف : ١٩٥

(٢) البقرة : ٢٧٣

(٣) غافر : ١٨

(٤) ديوانه : ٧٨ والعمدة ٢ : ٦٥ وأمالي المرتضى ١ : ٢٢٨ ونهايه الأرب ٧ : ١٦٣ واللاحب : الطريق المسلوك . وسافه : شمه ، والعود : الجمل المسن : والنباطي : نسبة الى النبط بالتحريك ، وجرجر : ارغى وازبد .

وظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق ، ونفى الهداية به مجازا ، وباطنه فى الحقيقة يقتضى نفى المنار جملة وتقدير المعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار لكان لايهتدى به ، فكيف لامنار لها ؟ كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخير : ما أقلّ خيرك ، فظاهر كلامك يدل على اثبات[1] خير قليل وباطنه نفى الخير كثيره وقليله .

ومن أمثلة هذا الباب أيضاً قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدّار[2] ، وكان نديماً له (طويل) :

صَبَحْت بهم طلقاً يَراحُ إلى النَّدى
إذا ما انْتَشَى لم تَحْتَضِره مَفَاقِرُهْ[3]
ضعيفُ يَحُثّ الكأْس قَبْضُ بنانه
كَليلاً على وجه النديم أظافرُهْ

وظاهر البيتين يقتضى أن للممدوح مفاقر لم تحضره إذا انتشى ، وأنّ له أظافر تخمش وجه نديمه خمشاً خفيفاً . وباطن الكلام فى الحقيقة نفى المفاقر جملة والأظافر بتّة .

ومن هذا الباب قسم يوجب فيه المتكلم لنفسه شيئاً وينفيه بعينه عن غيره . أو ينفى عن موصوف ما صفة يوجبها لموصوف آخر ،

---

(١) هذه روايه الأصل ، ت وفى أ وظاهر كلامك يقتضى ابات .. الخ .

(٢) هذه نسبه الى جده أما أبوه فهو السباق بن عبد الدار . انظر المقتضب من جمهرة النسب لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

(٣) المفاقر هنا : الدواهى والهموم . والبيان فى العمدة ٢. ٦٥ و٦٦ ونهاية الأرب جـ٧ : ١٦٣

كقول السَّمَوْءَل[1] (طويل) :

ونُنْكر إن شئنا على النَّاس قولَهمْ
ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

وكقول الآخَر[2] (طويل) :

هضيمُ الحَشا لايملأُ الكفَّ خصرُها
وَيُمْلأُ منها كلُّ حِجْل ودُمْلُج

(١) ديوانه ١٧ وهذا البيت من قصيدة اختلف الناس فى نسبتها . فمنهم من ينسبها إلى عبد الله بن عمد الرحمن ، وقيل ابن عبد الرحيم الأزدى ، شاعر شامى اسلامى ومنهم من يعزوها الى السموءل · انظر البيان والتبيين ٣ : ١٢١ ، ٢٦٢ وسمط اللآلى ٥٩٥ والمستطرف ١ : ١٣٢ ، وتاريخ أدب اللغة العربية ١ : ١٢٧ ومجانى الأدب٥ : ٢٥٩

(٢) البيت للشماخ بن ضرار الأسدى ، ديوانه : ٦ والصناعتين وينسب لامرىء القيس ٤٠٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٥ · والحجل والدملج : المعضد من الحلى . وهو الحلى الذى يلبس فى العضد ·

بــابُ الإيــداع

هذا الباب يسمِّيه من لايعرف اصطلاح أهل هذه الصناعة تضميناً : وكذلك يسمى الباب الذى بعده ، وقد تقدّم الفرق بين هذه الأبواب فى باب التضمين ، وشرح هذه التسمية أن يعمد الشاعرُ أو المتكلِّم إلى نصف بيت لغيره يودعه شعرَه سواءٌ أكان صدرًا أم عجزًا ، وأما الناثر فإن أتى فى نثره بنصف بيت لغيره سمى إيداعاً ، وإن كان لنفسه سمى تفصيلا ،

(ومثال[1] ما وقع من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ[2]) . وإن أوقعت الفصاحة مثل هذا غير مقصود ، وكان من الأدب ألَّا يذكر هذا والله أعلم .

والموهم أنه مودع فى الكتاب العزيز قول امرئ القيس (مجزوء الرمل) :

وَجِفَانٍ كالجَوابِ ... وقُدورٍ رَاسياتِ

إن صحت الرواية أنه كذلك ، وإن روى التقديم والتأخير فبطل ذلك)

ومثال ما وقع من ذلك فى النثر قول علىّ[3] – عليه السلام – فى جواب كتابه لمعاوية : (ثم زعمتَ أنّى لكلّ الخلفاءِ حَسدتُ ، وعلى كلِّهم

× بحثه من تقـدم ابن أبى الاصبع تحت اسم التضمين فانظره وتبعه من أتى بعده انظـر خزانة ابن حجة ٣٧٧ ونهـاية الأرب ٧ : ١٦٤ وأنوار الربيع ٧٣١

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهـو فى هامش أ

(٢) سـبأ : ١٣

(٣) نهاية الأرب ٧ : ١٦٤

بغيتُ ، فإنْ يكُنْ ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون العذر إليك :

* وَتِلْكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عَنْكَ عارُهَا[1] *

وهذا عجز بيت تمثّل به أيضاً عبد الله بن الزُّبير وقد قال أهل الشام له : يا بن ذات النِّطاقَين على سبيل المعيَرة لها بذلك . نظر إلى أنها كانت خادمةً لامخدومة ، على طريقة الجاهلية فى مدح النساء وذمّهم ، فأنشد (طويل) :

وعيَّرها الواشون أنّى أُحبُّها   وتلكَ شَكاة ظاهرٌ عنك عارُها[1]

لأن هذا الاسم من فخر «أسماء» رضى الله عنها ، فإنه سماها به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما أخرجت له ولأبيها ـ رضى الله عنه ـ زاد الهجرة ، فأخذ الإمام عَجُز هذا البيت فأودعه كلامه بعد أن وَطَّأَ له تَوْطِئة لائقة به ، ملائمة له .

ومن شواهده فى الشعر قول أبى نواس[2] (طويل) :

تَغنّى وَما دَارَتْ له الكأْسُ ثالثا   تَعَزَّى بصبر بعد فاطمةَ القَلْبُ

(وقد يجتمع [3] الإيداعُ والتضمين فى شعر واحد ، كقول علىِّ ابن الجَهْم فى فضل الشاعرة ، وبُنان المغنىِّ (مجزوء الرمل) :

كلَّما غنَّى بُنَانُ   اسْمَعِى أَوْ خَبِّرِينا

أنشدت فضلُ ألاَ   حُيِّيتِ عنَّا يَامَدينا

عارضتْ مَعْنىً بمعنىً   والنَّدَامَى غافِلينا

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٢١ طبع دار الكتب المصرية .

(٢) ديوانه تحقيق الغزالى : ٦٠ .

(٣) مابين قوسين ساقطمن ت ، وهو فى هامش أ .

فوقع التضمين فى البيت الأَوَّل ، والإيداع فى البيت الثانى)

وكنت نظرت إلى بيت لأَبى الطيِّب وهو (طويل) :

تذكَّرتُ ما بين العُذَيْب وَبَارقٍ مَجَرَّ (عَوالينَا) ومَجْرَى السَّوابِقِ[1]

فأودعت كل قِسْم منه بيتاً من قصيدة مطلعها (طويل) :

أَعِرْ مُقلَتى إن كنتَ غَيرَ مرافِقِى دموعاً لتَبْكِى فَقْدَ حَىٍّ مُفَارِقِ

فقد نَضَبَتْ يومَ الوَداع مَدَامِعِى وشَابتْ لتَشْتيتِ الفِراقِ مَفارِقِى

والبيتان منها :

إذا الوهْمُ أَبدَى لِى لَمَاهَا وَثَغْرَهَا

تذكَّرتُ ما بَيْن العُذَيْب وبارقٍ

وَيُذْكِرُنى مِن قَدِّها ومَدَامعى مَجَرَّ عوالينا ومَجْرى السَّوابقِ

وإن أخذ نصف بيت لغيره ، فا بتدأ به وثنى عليه تتمة البيت لاغير فذلك « تمليط »

وإن بنى عليه كلَّ ما يَخْطر له من أبيات لتمام غرضه ، فذلك « توطيد » ، والله أعلم .

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر ايقاعه بقبائل العرب . والعذيب وبارق موضعان بظاهر الكوفة والعوالى : الرماح . والسوابق : الخيل انظر الديوان ٢ : ٤٣٦

بـــابُ الاستِعـَـانـة ×

وهو أن يستعينَ الشّاعر ببيت لغيره ، فى شعرهِ بعد أن يُوطِّئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لايبعد ما بينه وبين أبياته ، وخصوصاً أبيات التّوطئة له . وقد شَرَط بعض النقّاد التّنبيه عليه ، إن لم يكن البيت مشهورًا ، وبعضهم لم يشترط ذلك ، وهو الصحيح ، فإنَّ أكثر ما رأينا ذلك فى أشعار الناس غير منبّه عليه ، وأما الناثر فان أتى فى أثناء نثره ببيت لنفسه سُمِّى ذلك تشهيرًا ، وإن كان البيت لغيره سمى استعانة ، كقول علىٍّ – عليه السلام – فى خطبته المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة (1) : بينا هو (2) يستقبلها فى حياته ، إذ عقد لآخرَ (3) بعد وفاته (سريع) :

شتّان ما يَوْمى على كُورِها ويَوْمُ حيّانَ أخى جابرِ (4)

فهذا البيت للأعشى استعان به على – عليه السلام – كما ترى :

× تكلم عنه صاحب الطراز ٣ : ١٧٠ تحت اسم التلميح وأنوار الربيع ٥٢٩ كذلك انظر النوع السابق .

(1) الخطبة الشقشقيه : خطبة للامام على، وهى خطبة بديعة مشتملة على حكم أنواع بلاغية قيل لها ذلك لانه كما قال له ابن عباس رضى الله عنهما او طردت مقالتك من حيث افتضيت قال له : يابن عباس هيهات ، تلك شقشقة هدرت ثم قرت . والشقشقة : لهاة البعير وقيل: شىء يخرجه البعير من فيه اذا هاج .

(2) يعنى أبا بكر رضى الله عنه

(3) يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(4) ديوانه : ٩ طبع فينا . وعيار الشعر ٩٧ والطراز ٣ : ١٧٣

ومثال الاستعانة فى الشعر قول الحارثىّ (طويل) :

وقائلة والدّمعُ سَكبٌ مُبَادِرٌ وقد شَرِقَتْ بالماء منها المَحَاجِرُ[1]
وقد أبصرتْ حمَّان من بعد أُنسِها
بنا وهىَ منّا مُوحشاتٌ دَواثرُ[2]
كأن لم يكنْ بين الحَجُونِ إلى الصّفا
أنيسٌ ولم يَسمُر بمكةَ سامرُ
فقلتُ له والقلبُ منّى كأنما يقلّبُه بين الجوانح طائرُ
بَلَى نحن كنّا أهلها فأبادَنا صروفُ الليالى والجُدودُ العَوَاثِرُ[3]

فاستعان هذا الشاعر ببيتى حُرَقَة بنت تُبَّع ، وأرشق من هذا وأخصر قول أبى نواس[4] (بسيط) :

حتى تَغنّى وما تمّ الثلاثُ له حُلْوالشّمائل محمودُ السّجيّاتِ
ياليت حَظّىَ من مالى ومن ولَدى
أنّى أُجالسُ ليلَى بالعَشِيّاتِ

ووقع لى من طريق الاستعانة أبيات هجوتُ بها مُتَطَبِّباً يهوديّاً (طويل) :

رأيت أبا الخَيْر اليهودىَّ مُمْسِكا
بقارورةٍ كالوَرْس رَاقَ حَليبُها
وقد رشَّ منها فوقَ صَفْحَةِ وجهه وقال : لقد أحْيَا فؤادىَ طيبُها

(١) المحاجر : العيون .
(٢) الموحشات : المقفرات والدوائر : البوالى .
(٣) صروف الليالى : أحداثها ، والجد : الحظ . والعاثر . المهلك .
(٤) ديوانه ١٧٤ طبع الغزالى .

فقلت له : ما هذه ؟ قال : بولةٌ لأَسْوَدَ يَشْفِى الداءَ منِّى قضيبُها
قريبةُ عهد بالحبيب وإنما هوَى كلُّ نفس حيث حلَّ حبيبُها

ولا يضرّ تصحيف الحرف أو تحريفه من الكلام المتقدِّم ، ليدخل فى معنى الكلام المتـأخّر عند الاستعانة كما فعلت ببيت من الحماسة[1] حيث قلت (طويل) :

إذا ما خليلٌ صدَّ عنك ملالةً وأصبح من بَعْد الوفَا وهوغادِرُ
فلا تحتَفِل واستغْنِ بالله إنَّه على أن تُرى عنه غنيًّا لقادِرُ
وهبْه كشىء لم يكن أو كنازِحٍ
به الدّارُ أو مَنْ غيّبتْه المقابرُ

فإن هذا البيت كان نسيباً ، وكان أوّله «وهَبْها» فحرّفتُ ضميرَ التـأْنيث لضمير التذكير حتَّى دخل فى معناى .

والفرق بين هذا القسم من الاستعانة ، وبين المواربة ،أن المواربة تكون فى كلام المتكلِّم نفسه . والاستعانة لاتكون إلا بكلام غيره . [2] (وإن ابتدأ ببيت غيره وبنى عليه فذلك تـأْسيس . مشتق من أَسِّ البناء[3] . فإنَّ هذا الشاعر يكون قد جعل بيت غيره أساساً بنى عليه شعره ، والله أعلم .

---

(١) البيت الثالث من الأبيات الآتية لعمر بن أبى ربيعه انظر باب حسن التقسيم من هذا الكتـــاب .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ،وهو فى هامش ا

(٣) اس الدار بفتح الألف اسا بنى حدودها ورفع قواعدها

بـــابُ الموازَنــة *

وهو أن تأْتى الجملة من الكلام ، أَو البيت من الشعر متَّزنَ الكلمات ؛ متعادلَ اللَّفَظات فى التسجيع والتجزئة معاً فى الغالب ، كقول امرئ القيس[1] (متقارب) :

أَفادَ ، وسادَ ، وقادَ ، وزادَ وشادَ ، وجادَ ، وزادَ ، وأَفْضَلْ

وكقول الآخر (متقارب) :

وَهوبٌ ، مهيبٌ ، رحيب الفِنَاء رَبيعٌ ، مرِئٌ ، رفيعُ الذُّرا

والفرق بين الموازنة والمماثلة التزام التسجيع فى الموازنة ، وخلوُّ المماثلة عنه . والفرق بينها -أعنى الموازنة- وبين التجزئة مخالفة تسجيع أَجزاءِ التجزئة ، ومشابهة تسجيع أَجزاءِ الموازنة .

(×) الجامع الكبير ٢٧٢ المصباح ٧٩ تحت اسم التسميط .

(١) أنوار الربيع ٧٨٨٥

باب التذييل *

وهو أن يُذيّل المتكلمُ كلامَه بجملة يتحققُ فيها ما قبلها من الكلام ، وتلك الجملة على قسمين :

قسم لا يزيد على المعنى الأول ، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق .

وقسم يخرجه المتكلِّم مَخْرج المثل السائر ليحقق به ما قبله .

وإما أن يَكتفى بما يتضمن من زيادة المعنى . (والفرق[1] بينه وبين التكميل أن التكميل يَرِد على معنى يحتاج إلى الكمال ، ولا كذلك معنى التذييل) .

ومما جاء من ذلك فى الكتاب العزيز متضمّناً القسمين معاً قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ[2]) . ففى هذه الآية الكريمة تذييلان : أحدهما قوله تعالى : «وَعدًا عليه حقّا» ، فإن الكلام قد تم قبل ذلك ، ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقّق ما قبلها .

والآخر قوله سبحانه : «ومن أوفى بعهده من الله» ، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدّمه ، فهو تذييل ثان للتذييل الأول

× بحثه فى الصناعتين ٣٧٣ وبديع ابن منقذ ٦٣ والايضاح ٣ : ٢٣ وبلوغ الأرب ١٤٣ وخزانة ابن حجة ١٠٩ والطراز ٣ : ١١١ وحسن التوسل ٧٠ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٠ وأنوار الربيع ٢٨٥

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا

(٢) التوبة : ١١١

وقد جاء فى السنّة من هذا الباب قوله — صلى الله عليه وسلم — : «من هَمَّ بحسنة ولم يعملْها كتبت له حسنة ، فإنْ عملها كتبت له عشرًا ، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملَها كتبت عليه سيِّئة واحدة ، ولا يهلك على الله إلا هالك» فقوله صلى الله عليه وسلم : «ولا يهلك على الله إلا هالك» ، تذييلٌ فى غاية الحسن ، خرج الكلام فيه مخرج المثل .

ومن هذا الباب فى الشعر قول النَّابغة الذُّبيانىّ (طويل) :

ولستَ بِمُسْتبقٍ أخًا لا تَلُمّه   على شعثٍ أىُّ الرجال المهذَّبُ[1]

فقوله : «أى الرجال المهذب» من أحسن تذييل وقع فى شعر .

وكقول بعض العرب (كامل) :

ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ   وعلامَ أركبُه إذا لم أَنْزِلِ[2]

فعجز هذا البيت كلّه تذييل حسن . وكلا التذييلين من بيت الأعرابى وبيت النابغة من القسم الثانى من التذييل . وهو الذى خرج الكلام فيه مخرج المثل . وتذييل النابغة من القسم الوجيز من البلاغة لاختصار لفظه . وتذييل الأعرابى من القسم البسيط منها ، وإنما بسط الكلام فيه لما تضمّن معنى التذييل من المطابقة فى قوله «أركبه» و«أنزل» وتذييل النابغة خال من ذلك . ولقد أحسن بعض المحْدَثين فى هذا الباب حيث قال (متقارب) :

صدقتكمُ الوُدَّ أبغى الوصالَ   وليس المُكذِّبُ كالصادقِ[3]

---

(١) ديوانه ٢٢٩ وبديع ابن منقذ ٦٣ وأنوار الربيع ٢٨٥ .

(٢) بديع ابن منقذ : ٦٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٤ وأنوار الربيع ٢٨٦ .

(٣) هذان البيتان لم أعثر عليهما فيما لدى من المظان على كثرتها .

فجازيتموني بطولِ البِعادِ وكم أخجَل الحبَّ من واثقِ

فكلٌّ من عجُزَى البيتين تذييل من القسم الثانى ، لخروج الكلام فيهما مخرج المثل .

وأحسن من ذلك كلّه قول الحطيئة (طويل) :

نَزور فتًى يُعْطى على الحمد مالَه ومن يُعْطِ أثمان المَحامِد يُحْمَدِ[1]

فإن عجز البيت كلّه تذييل خرج مخرج المثل فى غاية الحُسْن ، لأن صدر البيت استقلّ بالمعنى المراد على انفراده ، وفيه مع اتّصاله بالعجز تعطّف حسن فى قوله : يعطى ويعط ، وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ، ورابطة وثيقة ، مع أن العجز إذا انفرد استقلّ مثلا وتذييلا ، كما أنّ الصدر إذا انفرد استقلّ بالمعنى المقصود من جملة البيت ، والغرض المطلوب والتمثيل أيضاً ، وقلَّ أن يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التّلاحم على استقلال كلّ قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه .

ومن التذييل الحسن قول أبى الشِّيص[2] (كامل) :

وأهنتَنى فأهَنْتُ نفسى عامِدًا ما مَنْ يَهُون عليكَ ممن أُكرِم

فعجز البيت كلُّه تذييل فى ضمنه مطابقة لِذكره الهوانَ والكرامة .

ومن بديع التذييل قول ابن نباته السَّعدىّ (بسيط) :

لم يُبْق جودُك لى شيئاً أُؤَمِّله تَركْتَنِى أَصْحَبُ الدُّنيا بِلاَ أملِ[3]

---

(١) ديوانه ٢٤ ونقد الشعر : ٢٥ والصناعتين : ١٢٥ والطراز ٣ : ١١٤

(٢) انوار الربيع ٢٨٤

(٣) ديوانه ٤١١ مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٣ هو الطراز ٣ : ١١٢

فإنه لما انقضى ما أراده من المدح بقوله :

* لم يبق جودك لى شيئاً أُؤَمِّله *

ثم احتاج إلى تتميم البيت وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدّم فيه استحساناً له وتوكيدًا ، وكره التكرير لا لمعنى زائد ، وعلم أن لا مزيد على معناه فى بابه ، فأخرجه مخرج المثل حيث قال :

* تركتنى أصحب الدنيا بلاأمل *

ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى ، لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أسيَرَ فى الأرض ، وفى ضمن ذلك لَهِــج الناسُ بالمدح الخارج مخرج المثل . وهذا البيت وإن نظر فيه إلى قول المتنبىّ (بسيط) :

تُمْسِي الأَمانىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ فلا يقولُ لشيءٍ ليتَ ذَلِكَ لِي[1]

فبيت ابن نباته أفضل من بيت المتنبى ، لأنه أحسن الأدب مع ممدوحه ، فلم يجعله فى حيِّز من يتمنَّى شيئاً ، وجعَلَ قدرته وجوده أصارا مادحه قد بلغ كل أمنيته فلم يبْق له أمل : وإن كان فى بيت المتنبى زيادة من جهة المبالغة فى قوله : « دون مبلغه » واستعارة فى اللفظ لقوله : « تمسى الأمانىّ صرعى » ففى بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبى للمدوح ، جعله ابن نباتة لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة المبالغة فى المدح بكونه أخرج المدح مخرج المثل كما بينا ، فهو أسيَرُ وأبقى ، وإذا أنصف الناظر فى البيتين وجد معنى بيت المتنبِّى بكماله فى صدر بيت ابن نباتة (لأن[2] حاصل بيت المتنبى أن الممدوح قدر على كل الأمانى ، وهذا قد استقل به صدر

(١) ديوانه ٢ : ٦٩ ، والاستدراك لابن الأثير : ١٧٧

(٢) مابين قوسين ساقط من ت ، وهوفى هامش ا

بيت ابن نباتة ، والذى فى صدر البيت هو الذى فى عجزه لأنه ملزومه ، أعنى بيت المتنبي ، وكله فى قول ابن نباتة :

* لم يُبق جودُك لى شيئاً أؤَمله *

وعجز بيت ابن نباتة ملزوم صدره ، لأن من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل ، غير أن ابن نباتة ـ لكونه أخرج العجز مخرج المثل ـ صار كأنه قد استأنف معنى آخر مستقلاً بجميع معنى بيت المتنبي ، مع كونه زاد بأن جعل للمادح ما للممدوح ، حسن أدب معه ، وبالغ بإخراج المدح مخرج المثل ، فقد ترجّح بيت ابن نباتة على بيت المتنبى من وجوه شتّى ، والله أعلم) .

وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة ، وهى باب الإيغال ، والتكميل ، والتمكين ، والتذييل ، وأنا أشير إلى الفرق بينها فأقول :

الإيغال لايكون إلا فى الكلمة التى فيها الروىّ وما يتعلّق بها ، (وهو أيضاً مما يأتى بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل[1]) وأما التمكين فيفارق هذه الأبواب من كونه عبارة عن استقرار القافية فى مكانها ، لكنها لاتزيد معنى البيت شيئاً ، ومتى حذفت القافية نقص المعنى ، مع كونها غير نافرة من البيت ، والتكميل[2] وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الإيغال من وجهين ، أحدهما : كونه يأتى فى الحشو والمقاطع ؛ والإيغال والتذييل لايكونان إلاّ فى المقاطع دون الحشو ، والإيغال والتذييل

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ

(٢) فى ت « والتنميم » ، وهو خطأ

لايخرجان عن معنى الكلام المتقدّم ، والتكميل لابد أن يأتى بمعنى يكمِّل الغرض المتقدّم إما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيًّا ، لأنه يكون بمعانى البديع كمطابقة تكمّل جناساً ، أو مبالغة تكمّل تشبيها ، أو بالفنون ، والفنون عند أهل الصناعة هى ما ينتجها المتكلِّمُ من الأغراض والمقاصد كالمديح ،والهجاء ، والرثاء ، والفخر ، والوصف ، وغير ذلك ، والتذييل يفارق الإيغال لكونه يزيد على الكلمة التى تسمى إيغالا ، آخذًا فى البيت من الجزء الذى هو الضرب إلى أوّل العجز والله أعلم .

بــابــُ المُشَـاكــلة ×

وهى أن يأْتى المتكلِّم فى كلامه أو الشاعر فى شعره باسم من الأسماء المشتركة فى موضعين فصاعداً من البيت الواحد . وكذلك الاسم فى كل موضع من الموضعين مسمًّى غير الأول ، تدلّ صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأُخرى فى الخط واللفظ ، ومفهومهما مختلف ،ومن انشادات التِّبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى [1] (مديد) :

حَدَقُ الآجالِ آجالُ والهَوى للمرءِ قَتَّالُ

وأنشد فيه قول الشمّاخ[2] (بسيط) :

كادت تُسَاقِطنى والرَّحل أَنْ نطقتْ

... ورقاءُ حين دَعَتْ ساقا على ساقِ

وقال التبريزى : فلفظة الآجال الأولى أسراب البقر الوحشية ، والثانية منتهى الأعمار ، وبينهما مشاكلة فى الخط واللفظ ، وكذلك ساق الأُولى التى هى ذكر الحمام ، والثانية التى هى ساق الشجرة ، وعندى أن

× تكلم التبريزى عن المشاكلة وعرفها بما ذكره ابن ابى الاصبع وأدخلها فى التجنيس والمؤلف يقصد بالمشاكلة غير ماقصده التبريزى اذ يقصد المشاكلة المعنوية وكل من أتى بعده من علماء البديع سار على طريقة التبريزى فلذلك كان ابن أبى الاصبع منفردا بهذا اللون لهـذا الباب . أنظر خزانة ابن حجة ٣٠٦ والايضـاح ٦ : ٢٧ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٠٢ ، وانوار الربيع ٦٧٩

(١) انظر الوافى فى العروض والقوافى ، له ورقة ٦٦

(٢) انظر بديع التبريزى ورقة ٦٦ وديوانه ٧٠ ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ

ما أنشده التبريزى فى هذا الباب داخل فى أحد قسمَى التجنيس المماثل ، والذى ينبغى أن تفسَّر به المشاكلة قولنا : إن الشاعر يأتى بمعنى مشاكل لمعنى فى شعر غير ذلك الشعر ، أو فى شعر غيره بحيث يكون كلّ واحد منهما وصفاً أو نسباً أو غير ذلك من الفنون ، غير أن كلّ صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى . فالمشاكلة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما ، والتفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية . ومثال مشاكلة الشاعر نفسه قول امرئ القيس فى صفة الفرس (طويل) :

وقد أغْتَدِى والطيرُ فى وُكُناتِها   بمُنْجَرِد قيد الأوابد هَيْكَلِ(١)

وقوله فى صفة الفرس أيضاً (طويل) :

إذا ما جَرى شوطين وابتلّ عطفهُ
تقولُ هزيزَ الرّيح مرت بأَثْأَبِ(٢)

فامرؤُ القيس فى هذين البيتين قاصدٌ وصف الفرس بشدَّة العدْو ، غير أنه أبرز المعنى الأول فى صورة الإرداف . حيث قال : (قيد الأوابد) فجعله يدرك الوحش إدراك المطلق للمقيَّد . وأبرز الثانى فى صورتَى وصف

---

(١) ديوانه . ٢٩ وروايته فيه « وكراتها » والوكرات والوكنات . المواضع التى تأوى اليها الطير فى رءوس الجبال وغيرها . والمنجرد الفرس القصير الشعر ، وهو من صفات الخيل العتاق ويقال : المنجرد هو الذى ينجرد من الحلبة اى يتقدمها . والأوابد واحدتها آبدة وهى الوحش وسميت بذلك لأنها تعمرت على الأبد ، وجعله قيدا لها لأنه سبقها فكأنه عقيدها ، والهيكل الفرس الضخم وهو على التشبيه ببيت النصارى الذى يقال له : الهيكل وانظر نقد الشعر : ٥٨ والصناعتين ٢٧٠ وحماسة ابن الشجرى ٢٣١ وأسرار البلاغة ١١٩

(٢) ديوانه : ٦٤ وروايته فيه « شاوين » والشأو : الطلق بالتحريك اى الانطلاق فى الجرى وعطفه : ناحيته . والأوثاب : نوع من الشجر .

وتشبيه بغير أداة ، إذ شبّه عدوَه بعد جريه شوطين ، وعرقه بهزيز الريح تمرّ بهذا الشجر الذى يُسمع للريح فيه هزيز كحفيف الفرس الحادّ إذا خرق الريح بشدّة عَدْوه ، فكلّ معنى من هذين المعنيين مشاكلٌ لصاحبه إذ الجامع بينهما وصف الفرس بشدّة العدو ، غير أن قدرة الشاعر تلاعبت به ، فأبرزته فى صور مختلفة ، فهذا ما شاكل الشّاعر فيه نفسه .

وأما ما شاكل فيه غيره فكقول جرير (بسيط) :

إنَّ العيونَ الَّتِى فى طرفها حَوَرٌ   قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا(١)

يَصْرَعْن ذَا اللبّ حتّى لاَحَراك به   وهنَّ أضعفُ خلق الله أركانا(٢)

فإن مشاكلة قول عدى بن الرِّقاع (كامل) :

وكأنّها بين النساء أعارَها   عينيه أحوَرُ من جآذِر جَاسِمِ(٣)

وَسْنَانُ أقصَدَه النُّعاس فرنَّقَتْ   فى عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

فالمشاكلة بين الرجلين من جهة أن كلا منهما وصف العيون بالمرض والفتور ، فأبرز معناه فى صورة غير الصورة الأُخرى بحسب قوة عارضته فى السبك ، وحسن اختياره اللفظ ، وجودة ذهنه فى الزيادة والنقص فى التفضيل بين هذين الشعرين : شعر جرير ، وعدىّ ، بحيث لايسعه هذا المكان . وقد اعتُرِض على بيت عدِىّ الأَول بما اعترِض به على بيت أبى تمّام الذى يقول فيه (طويل) :

---

(١) ديوانه : ٥٩٥ والطراز ٣ : ٤٧

(٢) كذا فى الأصل والذى فى ب والديوان والطراز « انسانا » وأركانا أى نواحى .

(٣) البيت فى الأغانى ٨ : ١٨١ طبع بولاق وجاذر : جمع جوذر بضم الجيم وفتح الذال وهو ولد البقرة الوحشية ، وجاسم : اســـم موضع تحله تلك البقر ، والوسنان : فاتر الطرف ورنق النوم عينيه : خالطهما .

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدوةَ السّبت جذبة

فخرّ صَريعاً بين أيدى القصائدِ[1]

فإن بعض النّاس قال : ظباءُ جاسم كظباء غيرها من المواضع ، فليس لذكرها فائدة إلاّ كونها قافية ليصير بها الكلام بيتاً من الشعر ، كما أن غدوة السبت فى بيت أبى تمام كغدوة الأحد وغيره من الأيام ، فذكرها دون غيرها لايفيد معنى زائداً . وإذا لم يُفِد معنى عُلم أنه حشو جىء به لإقامة الوزن ، (وقد اعترض[2] على قول امرئ القيس (طويل) :

* ورضتُ فَذَلّتْ صعبةٌ أىّ إذلالِ[3] *

باعتراض ظاهرُه يشبه الاعتراض على بيتَى عدىّ وأبى تمام . وباطنه يخالفهما ، فإن ابن سنان الخفاجى خطّأ أبا هاشم[4] فى كونه ذهب إلى أن بيت امرئ القيس معيب بالحشو الذى لايفيد معنى . لأنه قال : « صعبة » حشو أو لفظة « فذلت » وسبّ أبا هاشم أقبحَ سبٍّ ، والصواب مع أبى هاشم ، لأن الذى قاله الخفاجى يردّ به عليه قوله لو قال الشاعر ، فرضت فذلت لم يكن فى الكلام دليل على أن ثمّ صعوبة . وهذا عين الخطأ من الخفاجىّ ، لأنه دلّ على وجود الصعوبة مرّتين بقوله : « فرضت » . وقوله : « فذلت » ، إذ لايُراض إلا الصعب ، ولا يذلّ إلا ما كان ذا صعوبة . ولو لم يكن ثم

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى ديوانه ٩٥ ونداه . كرمه

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا

(٣) هذا عجز بيت له ، وصدره :

وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا

الديوان : ٤٦

(٤) هو عبد السلام بن محمد الجبائى ، كما فى سر الفصاحة : ١٧١

صعوبة لكان قوله : «فذلت» خطأً ، لأن ما ليس بصعب فهو ذليل ، إذ لا واسطة بين الذلّ والصعوبة ، فبيت امرئ القيس معيب ، بخلاف بيتَى عدىّ وأبى تمام .

والرد[1] على هذا المعترض الذى اعترض على بيتَى عدّى وأبى تمام بأن قال : ذكر عدىّ «جاسم» دون غيرها من المواضع لأنها معروفة بأُدْم الظِّباءِ ، وأُدْمَة اللون دليل على الحرارة واليبس ، وذلك يوجب شدّة سواد العيون ونقاء بياضها ، ولهذا قال : أحور ، والحور نقاءُ بياض العين وشدّة سوادها ، وكذلك ذِكْر أبى تمام غدوة السبت وهو الوقت الذى وقعت فيه عطيَّة الممدوح دليل على تعظيم العطية وتفخيم أمرها وجعلها من الغرائب التى لم يقع قبلها مثلُها ، فلأجل ذلك أرَّخ يوم وقوعها ، إذ لايؤرخ إلا الكوائن العظام ، والحوادث الجسام ، (ولو لم يذكر وقت وقوعها معيّناً باسمه لم تحصل هذه المبالغات التى تزيد الممدوح مدحاً[2]) فدلَّ على أنه قصد بها إفادة هذه المعانى ، لا إقامة الوزن ، ولو قصد إقامة الوزن فحسب ، لما اقتصر على غدوة السبت دون غيرها مما يسدّ مسدّها ، فإنه لو قال :

* جذبت نداه بالمدائح جذبة *

استقام له الوزن ، لو لم يكن أراد ما ذكرت ، وقد عِيب من هذا البيت قوله : «جذبت نداه» وما ناسبها من ألفاظ البيت ، فإنهم قالوا : هذا دليل على أن نداه عَسِر على طالبه ، صعب على محاوله ، كما عابوا على ليلى الأخيليّة قولها (كامل) :

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت و هو فى هامش ا
(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

ومخرّقٍ عنه القميص تخالُه بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رُفع اللواءُ رأيتَه تحت اللواء على الجيوش زعيما

وقالوا : لايحتاج إلى أن يُجذب لقضاء الحوائج حتى تَتَخرَّق قميصه إلّا متقاعد عن الحوائج ، وهذا الاعتراض غير جار على طريق الحق ، فإن المعطى لابد وأن يعطى بسبب من نفسه عشقاً فى العطاء ، فلا يحتاج إلى أحاديث تجذبه ؛ وإما أن يعطى بسبب من خارج ، والأول مطاوع لغرض نفسه ، مسكن لغليل قلبه ، ليست عليه مشقّة فى عطية ، والأجر على قدر المشقة ، وقد تقدّم ذكر هذا الفصل ، ونحن ها هنا مفتقرون إلى إعادته ؛ والمشكور كلّ الشكر من غَالَبَ نفسَه الأمّارة ، وأرغم أنفَ شيطانه ، وأعطى كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إن المتصدِّق لا يُخرج الصدقة حتى يفكّها من لَحْيَىْ سبعين شيطاناً » أو كما قال ، وقال – صلى الله عليه وسلم – « إنما الصدقة أن تتصدَّق وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر ، وتأمل الغنى » . وخير المعطين من كان السبب الذى يجذبه إلى العطاء ، سماع المدح والثناء . فقد ثبت أن بيتى عدى وأبى تمام مبرَّآن مما وسما به من العيب ، وكذلك بيت الأخيليَّة ؛ وهو يزيد عليهما بما تضمَّن من وصف الممدوح بالصبر على أذى أرباب الحوائج . والرضا من العيش بأدنى ملبس وأدنى عيش ، مع القدرة التى دلّت عليها بقولها :

. . . . رأيته تحت اللواء على الجيوش زعيما

فلزم من ذلك أن لذّته فى اقتناء المحامد ، لا فى انتخاب الملابس ، وما قيل إنه أحوج ذوى الحاجات إلى تخريق قميصه مدفوع بوصفها الممدوح

بإفراط الحياء ، فإن من كان بهذه المثابة كان أسرع إلى قضاء الحوائج للمحتاجين حال رؤيتهم ، ويُحمل تخريق القميص إما على كثرة المطالبين ، وازدحام المحتاجين، أو على ما قدّمناه من الرضا بأدْنى العيش ، والله أعلم .

بـــابـُ المـُـوَارَدَة *

وهى توارد الشاعرين المتعاصرين اللَّذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد إمّا مجردًا ، أو ببعض ألفاظه أو بأكثرها أو كلّها ، فإن كان أحدهما أقدم ، أو طبقته أرفع ، حُكم له على صاحبه بالسبق ، وقد رأيت من يجعل اتفاق الشاعرين من طبقتين مختلفتين فى عصرين متباينين إذا تقارب ما بينهما بعض التقارب فى الأمرين ، أو فى القوّة والقدرة تواردًا ، فمثال الأول قول امرئ القيس (١) (طويل) :

وقوفاً بها صحبى علىّ مطيَّهُمْ يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وَتَجَمَّل

وقول طرفة (طويل) :

وقوفاً بها صَحْبِى علىّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلَّدِ

ومثال ما جاء من القسم الثانى ما جرى لابن ميّادة وقد أنشد محمّد بن زياد الأعرابىّ قوله (طويل) :

* ونُوّارهُ ميلٌ إلى الشمس ظاهر *

فقال له محمد : أين يذهب بك ؟ ، هذا للحطيئة ، فقال ابن ميادة : الآن علمت أنّى شاعر حين وافقته ، والله أعلم .

× بحثها فى الصناعيتين ٢٢٩ والجامع الكبير تحت اسم السرقات (النسخ) : ٢٤٣ بديع ابن منقذ ١١٤ تحت اسم التوارد ، وبديع الشعر للتبريزى ورقة ٦٦ خط وخزانة ابن حجة ٥٠٣ وانوار الربيع ٧٣٦

(١) ديوانه : ١٦ ، وانوار الربيع ٧٣٦ ويقول فيه ان طرفة لما تنافس مع امرىء القيس على هذا البيت احضر خطوط اهل بلده أى يوم نظم البيت ، فكان اليوم الذى نظما فيه واحدا .

بـاب التّهذيب والتأديب (×)

التهذيب[١] عبارة عن تَرداد النّظر فى الكلام بعد عمله لينقّح، ويُتنبه منه لما مرّ على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر فى العمل، فيغيّر منه ما يجب تغييره، ويحذف ما ينبغى حذفه، ويصلح ما يتعيّن إصلاحه، ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه، ويحرّر مالم يتحرّر من معانيه وألفاظه، حتى تتكامل صحّته، وتروق بهجتهُ، فإنه من رزق من أرباب البلاغة وأصحاب الفصاحة جودة ذهن، وغوص فكر، وكمال عقل، واعتدال مِزاج، وحسن اختيار، ووقف على أقوال النُّقاد فى حقيقة البلاغة، وكنه الفصاحة : وما عد من محاسن الكلام وعيوبه، وَوَقى شحّ نفسه، بحيث يسمح بطرح ما لايقدر على تغييره من كلامه، كان كلامه موصوفاً بالمهذَّب، منعوتاً بالمنقّح، وإنْ قلّ ابتكاره للمعانى؛ وقد كان زهير معروفاً بالتَّنقيح، فإنه روى أنه كان يعمل القصيدة فى شهر، وينقّحها فى أحد عشر شهراً حتى سمّى شعره الحَوْلىّ المحكّك[٢] ولا جرم

(×) بحثه فى بديع ابن منقذ ١٣٩ علمابان أسامة لم يذكر فى هذا الباب سوى وصبة ابى تمام للبحترى فى صناعة السعر، ولعل ابن ابى الأصبع أراد أن يخالف أسامة فى هذا الباب فذكر نفس الوصبة وحبرها وحررهـــا وراد ميها مابحتاج الى زيادة وفدم لها بمقدمه ببن فبها منهبه فى صناعه الشعر والنثر بعد أن عرف النوع بما لم يعرفه به أسامة فى بديعه · أنظر ابن حجة ٢٣٥ وبلوغ الأرب تحت اسم الترتيب ١٤٤ وأنوار الربيع ٦٢٨ ·

(١) من هنا يبدأ المجلد الثانى المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقـــم ٧٠٥ بلاغة · وقد رمزت له بحرف (د) ·

(٢) المحكك من الشعر : المختبر · انظر عيون الأخبار ٢ : ١٨٢

أنه قلما يسقط منه شيءٌ ، ولهذا (كان[1] عمر بن الخطاب – رضى الله عنه على جلالته فى العلم ، وتقدّمه فى النّقد – يقدّمه على سائر الفحول من طبقته ؛ قال ليلة[2] لعبد الله بن العباس وهم سائرون إلى الشام : أنشدنى شعرَ أشعر القوم ، فقال : ومن ذاك ؟ قال : زهير ، قال : وبم استحقّ عندك ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيته لا يعاضل بين الكلام ، ولا يَتْبع حُوشِيّ الألفاظ ، ولا يمدح الرجال إلا بما يكون للرجال ، وما ذاك إلا لتنقيحه شعره ، وترداد نظره فى كلامه) ولهذا المعنى أشار أبوتمام بقوله (كامل) :

خذها ابنَة الفكْر المهذّب فى الدُّجى
والليلُ أسودُ رُقعةِ الجلْبَاب[3]

فإنه إنما خصّ تهذيب الفكر بالدّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ، والخاطر خالياً ، ولا سيّما فى وسط الليل عندما تأخذ النفس حظّها من الراحة ، وتنال قسطها من النوم ، ويخف عليها ثقل الغذاء ، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً ، والصدر منشرحاً ، والقلب منبسطاً ، واختياره وسط الليل دون السّحر مع ما فيه من رقة الهواء ، وخفة الغذاء ، وأخذ النفس سهمَها من الراحة ، لما يكون فى السّحر من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم ، وارتفاع معظم الأصوات وجَرْس الحركات ، وتقشّع الظلماء ، بطلائع الأضواء . وببعض ذلك

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د وهو فى هامش ا
(٢) انظر أنوار الربيع ٦٣٩
(٣) ديوانه : ٢١

يتقسَّم الفكر ، ويتذبذب الخاطر ، ويشتغل القلب ؛ ويتفرق مجتمع الهم ، ووسط الليل خال عما ذكرنا ، ولهذا خصّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدّجى عادلا عن الطرفين لمافيهما من الشواغل التى ذكرناها ، وإنما دخلت لفظة الدجى على وسط الليل ، لأنها جمع دُجْيَة ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة ، والدجى شدة الظلمة ، لأنه مجموع ظلمات ، وإن كان الدّجى قد يطلق على الليل كله ، سواءٌ كان مظلماً أو مقمرًا ، لكنه إطلاق مجازى حقيقته ما ذكرناه ، وأبو تمام أراد ها هنا الحقيقة لا المجاز ، لقصد المبالغة ، ولما لحظ أبو تمام أن لفظة الدجى لعمومها وصلاحيتها فى حالتَى المجاز والحقيقة إلى أن تكون اسما لليل كائنا ما كان احترس من ذلك بما جاء به التذييل حيث قال :

. . . .   والليل أسود رقعة الجلباب

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدجى على انفرادها ، وليتبين أنه أراد الليالى السود التى سمّتها العرب بالدّآرى ، لا الليالى البيض ؛ ولا غيرها من الليالى التى فيها وقت مُضىء فى الجملة فرارًا من ليل لا يخلو من الأصوات والحركات ، مبالغة فى وصف القصيدة بالتنقيح المرضىِّ ، فى الوقت المختار لذلك ، (وقد[1] جمع الكتاب العزيز هذه المعانى وأتى بها فى أوجز لفظ وأجزله . حيث قال سبحانه (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وأَقْوَمُ قِيلاً[2]) واعلم أن التهذيب لاشاهد له يخصه ، لأنه وصف يعمّ

(١) مابين قوسين ساقط من ت
(٢) المزمل : ٦

كلّ كلام منقّح محرّر ، إلا أنّا نلخص فيه ما يعرف به ، وهو أن نقول : كل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، أو لو تقدّم هذا المتأخّر ، أو تأخر هذا المتقدّم ، أو لو تمّم هذا النقص ، أو تكمّل هذا الوصف ، أو لوحُذفت هذه اللفظة بتّة ، أو لو طرح هذا البيت جملة ، أو لو وضح هذا المقصد أو تسهل هذا المطلب ، لكان الكلام أحسن ، والمعنى أبين ، فهو خال من التهذيب ، عار من التنقيح والتأديب .

ومن أمثلة ما ذكرناه قول سيف الدولة بن حمدان يخاطب أخاه ناصر الدولة (طويل) :

وما كان لى عنها نُكُولٌ وإنّما
تجاوزْتُ عن حقّى ليغدُو لك الحَقُّ

فإن سيف الدولة — كما قيل — : كان قد عمل أولا : « وما كان عنها لى نكول » ثم فطن إلى أن هذا السبك يستثقل لقرب الحروف المتقاربة المخارج بعضها من بعض ؛ وإذا قدّم لفظة « لى » على لفظة « عنها » سهل التركيب ، وحصل التهذيب ، فتقول « وما كان لى عنها نكول » لفصل لفظة « عنها » بين « لى » وبين « نكول » .

ومن الأمثلة المبينة لهذا الباب قول القاضى السعيد (ابن سناء الملك (طويل)[1] :

تَغَنّى عليها حَلْيُها طربا بها ... وفاحت فقُلْنا : هذه الرّوضةُ الغَنّا

---

(١) تكملة ساقطة من الأصل ، وهى فى ت ولم نجد هذا البيت فى ديوانه ولا فيما لدينا من المظان .

فإنه لو لم يقدّم فى صدر هذا البيت لفظة مشتقّة من الغناء حصل بها فى هذا البيت من الرونق ما لايحصل بدونها ، لكان البيت خاليا من التهذيب ، فإن بوجودها حصل فى البيت تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب ، وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف ، وقلق القافية ، وبذلك تقدّم التهذيب ، وذلك أنه لو كان قال (طويل) :

زهت بـأزاهير الجَمَال وحسنِها ... وفاحتْ فقلْنا هذه الروضه الغَنّا

لتبين قلق هذه القافية وتمكن تلك القافية الأُولى ، بسبب ما فى البيت من التصدير .

ومما جاء فى الكتاب العزيز من أمثلة هذا الباب قوله تعالى : (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ[1]) فإن حسن الترتيب فى نظم الكلام البليغ أمر مطلوب ، ومن حسن الترتيب فى الجمل الفعلية تقديم الفعل ، وتعقيبه بالفاعل ، ثم الإتيان بالمفعول ، فإن كان فى الكلام مفعولان أحدهما تعذر وصول الفعل بنفسه إليه ، والآخر تعدّى إليه بنفسه قدّم ما تعدّى إليه الفعل بنفسه . إذا علم ذلك كان لقائل أن يقول : لو توخّى حسنَ الترتيب فى عجز الآية لأتى وزنَ صدرها . والجواب أن حسن الترتيب منع منه فى صدر الآية مانع قوى ، وهو مخافة أن تتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخارج ، فيثقل الكلام بسبب ذلك . فإنه لو جاء الكلام فيه مرتّباً لقيل : لئن بسطت يدك إلى ، والطاءُ والتاءُ والياءُ متقاربات المخارج ، فلذلك حسن تقديم المفعول الذى تعدّى الفعل

(١) المائدة : ٢٨

إليه بالحرف على المفعول الذى تعدى إليه بنفسه ، ولما أمن هذا المحذور فى عجز الآية بما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضعَ الجملة الفعلية ، لتضمّنه معنى الفعل الذى تصحّ به المقابلة ، جاءَ الكلام على ترتيبه من تقديم المفعول الذى تعدّى الفعل إليه بنفسه ، على المفعول الذى تعدّى الفعل إليه بالحرف ، وهذا من أحسن شواهد التهذيب والترتيب ، والله أعلم[1]) . وكنت قد اطّلعت على وصيّة وصّى بها أبو تمام أبا عبادة البحترىّ فى عمل الشعر ، كان أبو تمام ارتجلها فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها ، وإيضاح ما أشكل منها ، وزيادات يفتقر إليها فحرّرت منها ما يجب تحريره ، وأضفت إليها ما تتعين إضافته ، وذكرتها فى كتابى المنعوت بـ « الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » وعلمت أن هذا الباب من هذا الكتاب أحوج إليها من ذلك ، فأثبتُّها ها هنا بعد أن رأيت تقديم مقدّمة يحتاج إليها ، ويجب الاعتماد عليها ، وهى التى يجب على من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يعتبرَ أولا نفسه ، ويمتحنَها بالنظر فى المعانى وتدقيق الفكر فى استنباط المخترعات ، فإذا وجد لها فطرةً سليمة ، وجبلّة موزونة ، وذكاء وقّادًا ، وخاطرًا سمحاً ، وفكرًا ثاقباً ، وفهماً سريعاً ، وبصيرة مبصّرة ، وألمعيّة مهذبة ، وقوة حافظة ، وقدرة حاكية ، وهمة عالية ، ولهجة فصيحة ، وفِطنة صحيحة ، وإن كانت بعض هذه الأوصاف غير لازمة لرب الإنشاء ، ولا يَضطر إليها أكثر الشعراء ، لكنها إذَا كَمَلَتْ فى الشاعر والكاتب كان موصوفاً فى هذه

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا

الصناعة بكمال الأوصاف النفسية التى إذا أضيفت إليها الصفات الدَّرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغات العربية ، وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحو والتصريف ، والعروض والقوافى ، وما سومح به الشعراء من الضرورات التى يُلجئ اليها ضيقُ الوزن والتزام التقفية ، ليعلم ما يجوز له استعماله ، وما يجب عليه إهماله ، وليُنْعِم النَّظر فى كتب البلاغة ، ليعرف محاسن اللَّفظ مفردًا ومركباً ، ومعانيه ، ويحيط بما يتفرع من أصول النقد من البديع الذى هو رُقُوم الكلام ، ونتائج مقدّمات الأفهام ، وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز وليميّز إعجازه أدقّ تمييز ، فإنه البحر الذى لاتفنى عجائبه ، ولا يَظمأ فيه راكبه ، منه استخرجت درر المحاسن ، واستنبطت عيون المعانى ، وعرف كنه البلاغة ، وتحقق سرّ الفصاحة . وكذلك سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن صاحبها بُعث بجوامع الكَلِم ، وبدائع الحكم ، صلى الله عليه وسلم ، وليحفظ أشعار العرب وأمثالها ، وأنسابها وأيامها و سائر أخبارها ، ومحاسن آثارها ، ومقاتل فرسانها الأنجاد ، ونوادر سمَحائها الأجواد . ولا غنى به عن معرفة النجوم والأنواء ، وعلم بهيئة السماء ، وتعقُّل الآثار العلوية ، والحوادث الأرضية ، والمشاركة فى الطب والطبائع والحساب ، وما يحتاج إليه الكتاب من الفقه والحديث ، ونقل التاريخ الصحيح ويكون ذلك المكتسب ، من وراء أشياء لا تكتسب ، ولا تحصل بالطلب ، بل هى مما يجبل عليه الإنسان ، ومن مواهب الرحمن ، من عقل راجح ، وذهن صاف ، ورأى سديد يُنْتج ذلك مِزاجٌ معتدل ليحسن اختياره ، ويجود انتخابه ، فيتخيَّر الألفاظ

الرقيقة ، والمعانى الرشيقة ، ويُتْقِن تأْليف الكلام ، وتركيب الألفاظ ، وما بإيراد أبيات قلتهنّ فى هذا المعنى من بأْس وهى (خفيف) :

انتخبْ للقَريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرّياض فى الأَسْحارِ
فإذا اللّفظ رقّ شَفَّ عن المع نى فأَبداه مثل ضَوْءِ النّهار
مثل ما شفَّت الزجاجةُ جسماً فاختفى لونُها بلون العُقَارِ

(وأحسن من قولى ومن كل ما قيل على ما بلغنى فى هذا المعنى قول أبى تمام[1] فى الحسن بن وهيب (كامل) :

لم يَتَّبِعْ شَنِعَ اللّغاتِ ولا مشَى
رَسْفَ[2] المُقَيَّد فى طريق المنْطِقِ
تَنْشَقّ فى ظُلَم المَعَانى إنْ دَجَتْ منه تباشيرُ الكلام المُشْرِقِ

وكقول البحترى فيه (كامل) :

فإذا دَجَت أَقلامُه ثُمّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مصابيحُ الدّجى فى كُتْبِهِ
فاللّفظ يقرب فهمهُ فى بُعْدِهِ منّا ويَبعدُ نيلُه فى قُرْبِهِ
حِكَمٌ سحائُبها خلالَ بنانه هطّالةٌ وقَليبُها فى قلبِهِ[3]
كالرّوض مؤتلفاً بحُمْرة نَوْرِهِ وبياض زَهْرَته وخُضْرة عُشْبِهِ
وكأَنها والسّمْع معقود بهاَ شَخْصُ الحبيب بَدَا لعيْن محبِّهِ

هذا إذا أراد المتكلم أن ينعت فاضلا ، أو يسمّى أديباً كاملا ، فتعلو

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د . وهو فى هامش ا
(٢) رسف المقيد ، أى مشى مشى المقيد . الديوان ٢١٣
(٣) ديوانه ١ : ٦٨ورواية هـــذا البيت فيه :
حكم فسائحها خلال بنانه مندفق ......
والقليب : البئر العادية

بين العلماء درجته ، وتطير بين الفُضلاء سمعتهُ ، ويقبل قوله فى لفظ كل كلام ومعناه ، وليحذر من أن يقف خاطره بسبب معاندة الزمان ، وتَواتُر صروف الحدثان ، وتعذّر المَكْسب ، وعزّ المطلب وتقدّم الجُهّال ، واختصاص الأرذال بالأموال ، فيكون ذلك داعياً إلى ترك الاشتغال ، وسبباً فى فتور عزمه عن تحصيل العلوم ، وذريعة لقعوده عن رياضة نفسه ، واستعمال خاطره ، فيلحق بالأخسرين أعمالا ، والمخطئين أفعالا وأقوالا ، بل يكون اجتهادُه فى ذلك اجتهادَ راغب فى الكمال ، شديد الأَنفة من مساومة الجهال ، عاشق فى تَزْكية نفسه ، مائلا للتقدّم بنفس العلم على أبناء جنسه ، وما أحسن قول القائل (طويل) :

تعلَّم فليسَ المرءُ يُولَد عالما   وليس أخو عِلْم كمَنْ هُوجَاهلُ
فإنّ كبيرَ القَومِ لا علْم عِنْدَه   صغيرٌ إذا التفّت عليه المحافلُ

ولا بد للمجتهد من يوم تُحمد فيه عاقبةُ اجتهاده ، ويَحْصل فيه على مرادِهِ ، وإن كان قصير الهمّة مَهين النّفس ، قد أُوتى طبعاً فى العمل سليماً ، وذهناً مستقيماً ، فظنّ أنه يستغنى بذلك عن الاشتغال ، ويبعد عن مماثلة الجهّال ، إدلالا بطبعه ، واتّكالا على حِذقه ، كأكثر شعراء زماننا وكتّابه ، والمنْتَظِمين فى سلك أرباب آدابه ، حاشا من احْتَفَلَ بالأدب احتفالا أوجب لذوى الآداب ، الانتفاع بهذا الكتاب ، فلا يأنف من عرض ما يسمح به خاطرُه على من يُحْسِن الظنّ بمعرفته ، ويتحقّق أن مرْتبته فى العلم فوق مرتبته ، ولا تُهمل ذلك فإن خطرَه عظيم ، «وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم» ، هذا وإن كنت فى ذلك كمن يَصِف الدواء ولا

يَسْتعلمه ، ويأمر بالعُرف ولا يمتثله ، غير أنى أنهج الطريق ، وأحضّ على التوفيق ، لتحصل لى مَثُوبة الدّلالة ، وأكسب أجرَ الهداية ، فإن الدّال على الخير كفاعله ، والمحرّض على العمل كعامله ، وليعتمد الرّاغب فى نَظْم الشعر ، وانشاءِ النثر فى وقت العمل على وصية الإمام أبى تمام التى وَعَدت سالفاً بنشرها . وهذا أوان ذكرها ، وهى ما أخبر به الثقة عن أبى عبادة البحترى الشاعر أنه قال :

كنت فى حداثتى أرُوم الشّعر ، وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ، ولم أكن وقَفت على تسهيل مأْخذه ، ووجُوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمّام ، وانقطعت إليه ، واتّكلت فى تعريفه عليه ، فكان أوّل ما قال لى : يا أبا عبادة : تخيّر الأَوقات ، وأنت قليل الهموم ، وصفرٌ من الغموم ، واعلم أن العادة فى الأَوقات ، إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه ، قصد وقت السّحر ، وذلك أن النفْس تكون قد أخَذَت حظَّها من الراحة ، وقسْطها من النوم . وخفَّ عنها ثقل الغذاء ، وصفا من أكثر الأَبْخرة والأَدْخِنة جِسمُ الهواءِ .وسكنت الغمائم ، ورقّت النسائم . وتغنّت الحمائم ، وَتَغنَّ بالشعر فإن الغناءَ مضماره الذى يجرى فيه ، واجتهد فى إيضاح معانيه ، فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكْثِرْ فيه من بيان الصّبابة وتوجّع الكآبة ، وقَلَق الأَشواق ، ولَوْعة الفراق ،والتعلل باستنشاق النسائم ، وغناءِ الحمائم ، والبروق اللامعة ، والنجوم الطالعة ، والتبرّم بالعذال والعواذل ، والوقوف على الطلَلِ الماحل ، وإذا أخذت فى مَدْح سيِّد ذى أياد فاشْهِر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالِمَه ، وشرِّفْ مقاومَه ،

وأرْهف من عزائمه ، ورغّب فى مكارمه ، وتقاصّ المعانى ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تَشين شعرَك بالعبارة الزريّة ، والألفاظ الوحشيّة ، وناسب بين الألفاظ والمعانى فى تأليف الكلام ، وكن كأنك خياط يقدر الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضَك الضجَر فأرِحْ نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتَك لقول الشعر الذريعة إلى حُسْن نَظْمه ، فإن الشّهوة نعم المعين ، وجملةُ الحال أن تعتبر شعرَك بما سلَف من أشعار الماضين ، فما استحسن العلماءُ فاقصده ، وما استقبحوه فاجتنبه ترشد ، إن شاءَ الله تعالى .

(فإن[1] قيل : الذى أوردته قبل هذه الوصية فى بيت أبى تمام الذى هو :

* خذها ابنةَ الفكْر المهذب فى الدُّجَى *

البيت ، وما فسّرت به الدّجى واختياره لوسط الليل دون طرفيه يناقض قوله فى هذه الوصية : « واعلم : أن العادة فى الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شئٍ أو حفظه ، أن يختار وقت السحر » .

قلت : المقصد فى البيت غير المقصد فى الوصية ، فإن المقصد فى البيت التنقيح . وفى الوصية العمل والحفظ ، والتنقيحُ يحتاج إلى خلوّ الخاطر وتدقيق النظر ، وغوص الفكر أكثر من وقت الحفظ والعمل ، والله أعلم.

وما رأيت ولا روَيْت مثل وصية لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — وصّى بها كاتباً له يقول فيها : ألق دواتَك ، واجمع أداتك ، وأرهف حدّىْ قلمك إرهافاً ، واحترس عند شقه احتراساً فإنك إن لم تُتَائِم[2] لسانَه كدّرت

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا

(٢) تائم القلم : أحسن قطته

بيانه ، واستصلب المِقَطَّ ، وحرّف القَط ، فإن لم تسمع لِقَطَّتِك طنيناً غير خفى ، وتنظر لها حرفاً كذباب المشرفىّ[1] وإلا أعد القطة ، فالقلم حَفٍ[2] ، وقرّب بين الحروف ، وباعد بين الصّفوف ، وتصفّح ماكتبته وكرّر النظر فيما حبّرته ؛ ليظهر لك رأيك[3] قبل أن يخرج عنك كتابُك . فالحظ هداك الله ما اختصّ الله – سبحانه – هؤلاء القوم من الخصائص التى أطلعهم على علوم ليست علومهم وإلى ما لم يهتد إليه أرباب تلك العلوم ، ولم يدركها فهم حاذق من أرباب الفهوم ، حتى صارت كلمات أحدهم قدوة يقتدى بها أربابُ المعارف من الكتاب ، وعَلَما يهتدى به من ضلّ من أولى الألباب) .

وكنت قد جَمَعت فصولا يحتاج إليها العامل فى البلاغتين ، والواضع فى الصّناعتين ، من عدّة كتب من كتب البلاغة ، وحذفت منها ما لايحتاج اليه ، ونقحتها ، وحرّرتها ، وها أنا ذا أسوقها خاتمة لهذا الباب ، والله الموفق للصواب ، وهى :

ينبغى لك أيها الرّاغب فى العمل ، السائل فيه عن أوضح السّبل ، أن تحصّل المعنى عند الشروع فى تحبير الشعر وتحرير النثر قبل اللفظ ، والقَوافِى قبل الأبيات ، ولاتكره الخاطِرَ على وزن مخصوص ، ورَوِىّ مقصود ، وتوَخّ الكلام الجَزْل ، دون الرّذْل ، والسّهل ، دون الصّعب ، والعذْب

(١) ذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .
(٢) هو من حفى الفرس : اذا انسحى حافره من كثرة السير ، يريد أن القلم اصبح غير صالح لاستعماله
(٣) الرأب : الصدع . ويقصد الخلل الذى يحدث فى الكتاب أو القصيد . وفى (ا) لنظهر لك عليك (والمعنى عليها بستقيم ايضا .)

دون المُسْتَكْرَه ، والمستحسن دون المُسْتَهْجَن ، ولا تعمل نظماً ولا نثرًا عند الملل ، ولا تؤَلف كلاماً وقت الضجر ، فإن الكثير معه قليل ، والنفيس به خسيس ، والخواطر ينَابيع إذا رُفِق بها جمَّت ، وإذا عَنُفَ عليها نزحت ، واكتب كلّ معنى يَسْنح ، وقيد كل فائدة تعرض ، فإن نتائج الأفكار تعرض كلَمْعة البرق ، ولمْحة الطرف ، إن لم تُقَيَّد شَرَدتْ وندّت ، وإن لم تستعطف بالتكرار عليها صَدّت ، والترنم بالشعر مما يعين عليه ، قال الشاعر (بسيط)[1] :

تَغَنّ بالشّعر إمّا كنتَ قائلَه إن الغناء لقَولِ الشّعر مِضْمارُ

وقد يتحيّل الشاعر حينًا ويسْتَعْصى عليه الشعر زمانًا ، كما روى عن الفرزدق أنه قال : « لقد يمرّ على الزمن وإن قلع ضرس من أضراسى لأَهْوَن علىّ من أنْ أقول بيتا واحدا » ، فإذا كان كذلك فاتركه حتى يجيئك عفوًا ، وينقادَ إليك طوعًا ، وإياك وتعقيد المعانى وتقعير الألفاظ ، واعمل فى أحبّ الأغراض إليك ، وفيما وافق طبْعك ؛ فالنفوس تُعْطى على الرغبة مالا تُعْطى على الرّهبة ، واعمل الأبيات مفرّقة بحسب ما يجودُ بها الخاطر ، ثم انظِمْها فى الآخر ، واحترس عند جمعها من عدَم الترتيب ، وتوخّ حسنَ التنسيق عند التهذيب ، ليكون كلامك بعضُه آخذًا بأعناق بعض ، فهو أكمل لحسنه ، وأمتن لِرَصْفِه وجَمّل المبدأ والتخلص والمقطع ، فإن ذلك أصعب ما فى القصيد ، واجتهد فى تَجْويد هذه المواضع ، وتَجنَّب

(١) هو حسان بن ثابت كما فى بديع ابن منقذ ورقه ١٣٦ خط ولم أعثر عليه فى ديوانه ، وهذا البيت وان كان قد نسبه أسامة الى حسان الا أنه تظهر عليه الحداثه فتأمل .

مَعاريِضَ أرباب الخواطر فيها ، وتواردهم عليها ، وميّز فى فكرك محطّ الرسالة ، ومصبّ القصيدة قبل العمل ، فإن ذلك أسهل عليك ، وأشعرْها أولا ، ونقّحها ثانيا ، وكرّر التنقيح ، وعاودِ التهذيب ، ولا تُخْرِجها عَنْك إلا بعد تدقيق النقد وإنعام النظر ، وقد كان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهرين ، وينقّحها فى شهرين اقتداءً بزهير ، فإنه كان راوِيَتَه ، وقد كان زهير يعمل القصيدة فى شهر واحد وينقحها فى حَوْل كامل ، حتى قيل لشعره : المنقح الحوْلىّ ، والحوْلىّ المحكك . (وفى ذلك[1] يقول عدىّ بن الرقَاع (كامل) :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينَها ... حتى أقوّم ميلَها وسِنَادَها[2]
نظرَ المثقفِ فى كُعوب قناتِه ... حتّى يقيم ثِقافُه مُنآدَها[3]

وفى الناس من رُزِق بديهة حسنة ، وحدّة خاطر ، ونفاذ طبع ؛ وسرعة نظم ، يرتَجل القول ارتجالا ، ويأتى به عفواً صفواً ، فلا تقعد به عن قوم قد أتْعبوا خواطرهم ، وكدّوا نفوسَهم فى التهذيب ، وبذلوا جهدَهم فى التنقيح والتأديب) واحذر إذا كاتبت من الإسراف فى الشكْر ، فإنه إبرام يوجب للكلام ثِقْلا ، ولا تُطلْ الدعاء فإنه يُورث مَلَلا ، ولا تجعل كلامك مبنياً على السَّجْع كله ، فتظهر عليه الكُلْفة ، ويبين فيه أثر المشقّة ، ويتكلّف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ النازل ،

---

(١) السناد عند أهل القوافى : كل عيب يوجد فى القافية قبل الروى . أنظر التبريزى فى الوافى ورقة ٥٣ خط

(٢) ما بين قوسين ساقط من د ، ت وهو فى هامش ا

(٣) المنآد : المعوج

(وربما[1] اشتدّ عيبُ كلمة المقطع رغبة فى السّجع ، فجاءت نافرة من أخواتها ، قلقةً فى مكانها) بل اصرف كلّ النظر إلى تجويد الألفاظ ، وصحّة المعانى ، واجتهد فى تقويم المبانى ؛ فإن جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد ، وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان ، وإن عزّ ذلك فاتركه وإن اختَلَفت أسجاعه ، وتباينت فى التقفية مقاطعه ، فقد كان المتقدّمون لايحفلون بالسجع ولايقصدونه بتّةً ، إلا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام ، واتفق عن غير قصد ولا اكتساب ، وانما كانت كلماتهم متوازنة ، وألفاظهم متناسبة ، ومعانيهم ناصعة ، وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة ، وجمل كلامهم متماثلة ، وتلك طريقة الإمام على – عليه السلام – ، ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام ، كابن المقفع ، وسَهْل بن هارون ، وابراهيم بن العباس ، والحسن بن سَهْل ، وعمرو بن مَسْعدة ، وأبى عثمان الجاحظ ، وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء . ولا تجعل كلّ الكلام شريفاً عالياً ، ولا وضيعاً نازلا ، بل فصّله تفصيل العقود ، فإن العِقْد إذا كان كلُّه نفيساً ، لايظهر حسن فرائده ، ولا يَبين كمال واسطته ، وانظر إلى نظم القرآن العزيز كيف جمع طبقات البلاغة الثلاث ، ليظهر فضل كلّ طبقة فى بابها ، وتبين محكمُ أسبابها ، ويُعلم أن أدناها بالنسبة إليها يعلو على على أعلى الطبقات من كلام البلغاء ، ويربى عليها . فإن الكلام إذا كان منوّعاً افتنَّت الأسماع فيه ، ولم يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه ، واعلم أن الألفاظ أجساد والمعانىَ أرواح ، فإذا قوّيْتَ الألفاظ فَقَوِّ المعانى ،

---

(١) ما بين قوسين ساقط من د ، ت وهو فى هامش ا

وإذا أضعفتها فأَضْعِفْها لِتَتَوَازَن قُوَى الكلام ، وتتناسب فى الأفهام .
واقصد القوافى السّهلة المسْتَحْسنة ، دون المسْتصعبة المسْتَهْجنة ، والأوزان المستعملة الحلوة ، دون المهجورة الكزة ، فإن الشعر كالجواد ، والقوافى حوافرُه ، والألفاظ صورتُه ، والمعانى سرعتُه ، والأوزان جملته ، واجعل كلامك كله كالتوقيعات ؛ وعليك بالمقطعات فإنها فى القلوب أحلى وأكمل ، وفى المجالس أرشق وأجول ، وبالأسماع أعلق ، وبالأفواه أعْبَق ، فإذا نثرت منظوماً فغيِّر قوافى شعره إلى قوافى سجعه ، وإذا أخذْت مَعْنى بيت من بيت فتجنب الألفاظ جملتها ما استطعت ، أو معْظمها ، وغير الوزن والقافية ، وزدْ فى معناه ، وانْقص من لفظه ، واحترس مما طعن عليه به ، لتكون أملك له من قائله (وإن كان[1] التفضيل قد يقع بغير ما ذكَرْت ، ومِمَّا يقدّم به المتكلم على غيره حسن الأدب مع الممدوح ، كقول ابن نباته السّعدىّ فى سيف الدّولة بن حمدان – عفا الله عنه – (بسيط) :

لم يُبقِ جودُك لى شيئاً أُؤَمله ... تركتَنى أَصْحَبُ الدُّنيا بِلاَ أملِ[2]

فإنه أَحسنَ الأَدبَ مع ممدوحه ، بخلاف المتنبى ، فإن المتنبي قال فى هذا المعنى (بسيط) :

تُمْسى الأَمانىُّ صرْعى دون مبلَغه ... فمَا يقولُ لشيء ليتَ ذلك لى[3]

فإن المتنبىّ جعلَ ممدوحَه ممن يصحّ منه التمنى لو كانت بقيت له أمنيته . وابن نباته جعل مادح ممدوحه لم تبق له أمنية ، ورفعه عن أن يكون

---

(١) مابين قوسين ساقط من د ، ت ، وهو فى هامش ا
(٢) انظره فى باب التذييل .
(٣) انظره فى باب التذييل .

هو ممن يصحّ أن يتمنى شيئاً ، فكلّ ما جعله المتنبي لممدوحه ، جعله ابن نباتة لشاعر ممدوحه ، وهذا الأدب من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ[1]) فأسند أفعال الخير كلها لله ، وأسند فعل الشر لنفسه ، حسنَ أدب مع ربِّه . صلى الله عليه وسلم . .

ومثل ذلك قوله تعالى : (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى[2]) مُقْتَضَى الصناعة أن يؤتى بتجنيس الازدواج فى صدر الآية ، كما أُتى به فى عجزها ، لكنه منع منه توخّى التأديب والتهذيب فى نظم الكلام ، وذلك أنه لما كان الضمير الذى فى «ليجزى» عائدًا على الله ـ سبحانه ـ ، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى ردْفه ، حتى لاتنسب السيئة لله تعالى ، فقال ـ سبحانه ـ فى موضع .. «بالسيئة» «بما عملوا» فعوّض عن تجنيس المزاوجة الإرداف ، لما فى الإرداف من حسن الأدب مع الله تعالى ، ليعلمَنا ذلك ، ولما كان قوله تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[3]) قد أُمِنَ فيه هذا المحْذور ، أَتى الكلامُ فيه على مقتضى الصناعة ، والله أعلم .

ومن أحسن ما وقع فى هذا قوله تعالى : (وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)[4] لأنه ـ سبحانه ـ أدمج ـ وهو أعلم ـ فى هذا الكلام

(١) الشعراء : ٧٨ـ٨٠
(٢) النجم : ٢١
(٣) الشورى : ٤٠
(٤) هود : ١١٣

وصفَ نفسِه بالعدل فعلّق فنّ الفخر بفنّ الأدب ، إذ ظاهر الآية التأدّب والموعظة ، ووصف نفسه تعالى بالعدل فخر متعلّق بذلك ، مع ما فى لفظ هذا الكلام من الملاءمة التى حصل بها ائتلاف اللفظ بالمعنى ، لأن الرّكون إلى الظالم دون فعل الظالم نفسه ، ومسّ النار دون إحراقها والدخول فيها ، والعدل يقتضى أن يكون العقاب على قدر الذنب ، فكان ذكر المساس ملائماً للركون دون غيره ، فانظر ما انطوى عليه نظم هذه الألفاظ السّبع من المعانى، وأنواع البديع ، والائتلاف الذى دلّت عليه الملاءمة ، والإدماج ، والتعليق والافتنان ، والبسط ، إذ عدل عن قوله « إلى الظالمين » إلى قوله « إلى الذين ظلموا » لما يحتمل الأوّل من الاستمرار فى الظلم على سبيل الندور ، ليلائم المعنى لفظ الرّكون ولفظ المَساس ، والمبالغة ، لأنه إذ نهى عن الركون إلى من وقع منه الظلم فى وقت دون وقت كان النّهى عن الرّكون لمن استمرّ منه الظلم بطريق أولى ، لتَرى ما تحت نظم هذا الكتاب العزيز من الخبايا التى هذا بعضها ؛ وما خَفِىَ منها أكثر مما ظهر ، والله أعلم .

وإذا تَقاربت الدّيار ، تقاربت الأفكار ، ولهذا قيل : الشعر محجّة يقع فيها الخاطر على الخاطر ، كوقوع الحافر على الحافر .

واعلم أن من النّاس من شعرُه فى البديهة أبدَع منه فى الرَّويّة ، ومن هو مجيد فى رويّته وليست له بديهة ، وقلّما يتساويان ، ومنهم من إذا خاطب أبدع ، وإذا كاتب قصّر ، ومنهم من بضدّ ذلك ، ومن قَوِىَ نظمُه ضعف نثرُه ، ومن قوىَ نثْره ضعف نظمه ، وقلّما يتساويان ، وقد يبرّز الشاعر فى معنى

من معانى مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ، ولهذا قيل : أشعر الناس امرُؤُ القيس إذَا رَكِب ، وزهير إذا رَغِب ، والنابغة إذا رَهِب ، وعنترة إذا كَلِب ، والأعشى إذا طَرِب .

وإياك وتعقيد المعانى بسوء التركيب ، واستعمال اللفظ الوَحْشىّ ، فإن خير الكلام ما سبق معناه إلى القلب ، قبل وصول جملته إلى السّمع ، فإن[1] علىّ بن عيسى الرّمّانى ذكرَ أنّ أسباب الإشكال ثلاثة ــ وكلها تغير الكلام عن الأغلب ــ ، كالتقديم ، والتأخير ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك وقد جمع هذه الأسباب الثلاثة قول الفرزدق (طويل) :

وَمَا مِثلُه فى النّاس إلا مملَّكٌ   أبو أمّه حَىٌّ أبوه يُقَارِبُه[2]

فإن الممدوح : إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخْزومى ، خال هِشام ابن عبد الملك ، فأبو أم هشام بن عبد الملك وهو المُمَلَّك أبو إبراهيم ابن هشام بن اسماعيل المخزومى ، فجدّ المملك لأمه أبو الممدوح ، فالممدوح على هذا خال المملَّك ، وحاصل معنى هذا البيت : وما مثل هذا الممدوح إلا ابن أخته ، وأما التقديم والتأخير مع قوله « وما مثله » البيت فإن صحّته وما مثله فى الناس حىّ يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ، فلما قدّم وأخر حصل التعقيد . وأمّا سلوك الطريق الأبعد ، فقوله : أبوأمه أبوه ، وكان يُجْزِئُه قولُه : جدّه أبوه . وأما المشترك ففى قوله «حىّ» لصلاحية اللفظ لضدّ الميت ، وللقبيلة . انتهى كلام الرّمّانى) .

---

(١) من هنا ساقط من د ، ت ، وهو فى هامش ا

(٢) انظره فى باب ائتلاف اللفظ مع الوزن .

وليكن كلامك سليماً من التكلُّف، بريئاً من التعسف، وليُحطْ لفظُك بمعناك، وتشتمل عبارتُك على مغزاك، واحذر الإطالة إلا فيما تُحْمد فيه، فإن البلاغة لَمْحة دالَّة، وقيل: سرعة جواب فى صواب، وقيل: أن تقول فلا تُبْطئ، وأن تُصيب فلا تُخْطئ، والصحيح من حدّها أنها إيضاح المعنى بأقرب الطرق وأسهلها، (وإذا روعى[1] الاشتقاق فيها قيل فى حدها: هى بلوغ المتكلِّم بعبارته أقْصى ما فى نفسه، وإيصال ذلك لمخاطبه بأقرب الطرق وأسهلها) والعيّ إكثار من مهذار، وإخطاءٌ بعد إبطاءٍ، كما جاء فى المثل: سَكَتَ أَلْفاً ونَطَق خَلْفَا[2].

وقدِّر اللَّفظ على قدْر المعنى لازائداً عليه، ولا ناقصاً عنه، كما قيل فى مدح بعض البلغاء: كانت ألفاظه قوالبَ لمعانيه، وقيل فى آخر: كان إذا أخذ شبرا كفاه، وإن أخذ طُومارًا ملأه[3] واستعمل التطويل فى مكانه، والتقصير فى مكانه، فقد قيل: إذا كان الإيجاز كافياً، كان التطويل عيًّا، وإذا كان التطويل واجباً، كان التقصير عجزاً (ولهذا[4] حدَّ بعضهم البلاغة بأنها إيجاز من غير إخلال، وإطناب من غير إملال، وما أحسن ما أنشده الجاحظ فى هذا الموضع، وهو (كامل):

يرمُونَ بالخُطَب الطِّوال وتارَةً   وَحْيَ المُلاحظ خِيفةَ الرُّقَباء[5]

---

(١) مابين قوسين ساقط من د، ت، وهوفى هامش ا

(٢) أنظر جمهرة الأمثال للعسكرى: طبعةسنه ١٣٠٧ وهذا المثل يضرب للرجل يطيل الصمت ثم يتكلم بالردىء من القول.

(٣) الطومار: الصحيفة

(٤) من هنا ساقط من ت، د، وهو فىهامش ا

(٥) البيان والتبيين ١ : ١٥٥

وإياك أن تُفْرِط فتكثر ، أو تفرِّط فتقصّر ، وقد ذكر فى كتابه المترجم « بالبيان والتبيين »[1] أن الفارسى : سئل عن البلاغة فقال : معرفة الفصل من الوصل .

وسئل اليونانىّ عنها فقال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وسئل الرومى عنها فقال : حسن الاقتصار[2] عند البديهة ، والغزارة يوم الإطالة .

وسئل الهندى عنها فقال ، وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة . وقال مرّة : التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلّة الخرق[3] بما التبس من المعانى ، أو غَمُض وشرَد فى اللفظ وتعذّر ، ورتبته أن تكون الشمائل مَذْروبة[4] يعنى المتكلِّم ، والألفاظ معدّلة ، واللّهجة نقيّة ، وألا يكلم سيد الأمة بما يكلِّم به الأمة ، ويكون فى قوله فضل التصرّف فى كلّ طبقة ، ولا يدقق المعانى كل التدقيق ، ولا ينقّح الألفاظ كلّ التنقيح ، بل يصفيها كل التصفية ، ويهذبها غايةَ التهذيب .

ثم قال ، أعنى الجاحظ ، وأما البراعة فقد قالوا فيها : يعنى أهل اللغة : إنها الحذق بطريقة الكلام وتجويده ، وأما الفصاحة فمختلف فيها فمن قائل بأنها جزالة اللفظ ، وحسن المعنى ، وقيل : الاقتدار على الإبانة عن

---

(١) ١ : ٨٨

(٢) كذا فى جميع الاصول : الذى فى البيان والتبيين « الاقتضاب » والاقتضاب : الارتجال ، يقال كلام مقتضب ، أى مرتجل ، والذى يقصد اليه الهندى هنا الاقتصاد فى الكلام عند البديهة ليتناسب مع مابعده .

(٣) الخرق محركة : الدهشة والحيرة

(٤) المذروبة : المحددة . والذى ورد فى البيان والتبيين : « موزونة » ولا معنى لها

كلُّ معنى كامن فى النفس ، بعبارات جليّة ، ومعان نقيّة بهيّة ، والذى صحّ فى تعريفها : أنها خلوص الألفاظ من التعقيد المُبعد عن إدراك معانيها ، وعن العيوب التى تعرض فيها ، فإن اشتقاقها من الفصيح ، وهو اللبن الذى خلُص من رَغْوتهِ أو لِبَئه)[1] ، وإلا فانظر إلى قصص الكتاب العزيز كيف أتت تارة وجيزة ، ومرة بسيطة[2] كما قلت فى وصفه فى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ (طويل) :

به قِصصٌ تأتيك طوراً بسيطة ليفهَمها من بَسْطها المُتَبَلِّدُ
وطورا بإيجازيبثّ لذى[3] حِجًا له زَنْدفَهْم ثاقبٍ ليس يَصْلَدُ

وعلى الجملة ، مهما كان الايجاز كافياً ، والمعنى به واضحاً ، فالإطالة إن لم تكن عيّا كانت عَبَثاً ، ولم تزل الأَجلاءُ المتقدمون يحمدون ذلك ، ويذمّون ما سواه ، ويدلك على اختيار هذا المذهب ما يحكى عن أحمد بن يوسف الكاتب ، فإنه قال: دخلت يوماً على المأمون وفى يده كتاب ، وهو يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، ويصعِّد نظره فيه ويصوِّبه ، قال : فلما مرت على ذلك مدة التفت إلى وقال : يا أحمد ، أراك مفكراً فيما تراه منى ، فقلت : نعم ، وَقَى الله أمير المؤمنين المكاره ، وأعاذه من المخاوف ، فقال : إنه لامكروه فى الكتاب ، ولكنى قرأت فيه كلاماً وجدْتُه نظير ما سمعت الرّشيد ـ رحمه الله ـ يقوله فى البلاغة ، فإنِّى سمعته يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة ، والتقريب من البُغْية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير

---

(١) اللبأ بكسر ففتح : أول اللبن فى النتاج .
(٢) بسيطة هنا بمعنى مبسوطة فعيل بمعنى مفعول ، وهى ضد الايجاز
(٣) هو من بث الخبر اذا أذاعه يعنى أن هذه القصص تنير لذى الحجا تفهم معانيها .

من المعنى ، وما كنت أتوهّم أن أحَدًا يقدر على المبالغة فى هذا المعنى ، حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به إلىّ وقال : هذا كتاب عمرو بن مَسعَدة إلينا ، قال : فقرأته ، فإذا فيه « كتابى إلى أمير المؤمنين ، ومن قبلى من قوّاده وسائر أجناده فى الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كافّة تراخت أعْطِياتُهم ، فاختلَّت لذلك أحوالهم ، والتَاثَتْ[1] معه أمورهم ، فقال : فلما قرأته قال لى : يا أحمد ، إن استحسانى هذا الكلام بعثنى على أن أمرت للجند قبَله بعطياتهم لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه محله من صناعته ، وروى أيضاً عن المأمون أنه أمر عمرو بن مسعدة الكاتب هذا أن يَكتب لرجل يعنى به إلى بعض العمال بالوصية عليه ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد ، فكتب اليه عمرو بن مسعدة : كتابى إليك كتابُ واثق بمن كتب إليه ، معنىٌّ بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله ، إن شاء الله تعالى . وقد كان جعفر بن يَحيي مع تقدّمه فى هذه الصناعة يقول لكتّابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم كلّه مثل التوقيعات فافعلوا .

وأمّا قول قَيْس بن خَارِجة لما قيل له : ما عندك فى حمالات[2] داحس ؟ فقال : عندى قِرَى كلّ نازل ، ورِضَا كلّ ساخط ، وخطبة من لدن تَطْلع الشمس إلى أن تَغْرب ، آمر فيها بالتواصل ، وأنهى عن التقاطع ، فإن ذلك لم يخرجه مخرج المدح للإطالة المذمومة ، لأن الإطالة المذمومة هى إطالة العبارة عن المعنى

---

(١) التاثت : اختلطت واضطربت

(٢) حمالات : جمع حمالة بفتح الحاء وهى الدية والغرامه التى يحملها قوم عن قوم . ويقصد هنا بحمالات داحس مغارمها وديات قتلاها .

الواحد بالألفاظ الكثيرة ، وإنما أراد قيس الإكثار من المعانى ، فإذا كثرت المعانى احتاج المتكلّم إلى كثرة الألفاظ للعبارة عنها لإيضاحها وليُوفى بمقصوده فيها ، ومتى طال الكلام كذلك كانت إطالته بلاغة لاعيًّا ، فإن حقيقة البلاغة إيجاز من غير إخلال ، وإطناب من غير إملال ، لاسيّما خطب الإملاكات ، والسّجلّات التى تقرأ على رءوس الجماعات ، (فالمحمود[1] فى هذه المواضع الإطناب ، والمذموم الإسهاب ، وإنما كان الإطناب محمودًا ، والإسهاب مذموماً ، لأن الإطناب تفخيم الأمر وتقويته وتوكيده وشدّ أواخيه ، والإسهاب مأخوذ من السَّهْب وهو المتسع من الفلاة التى لاينتهى النظر فيه إلى عَلَم يُهْتدى به ، ولا معلّم يُؤْوَى اليه ، فكأن المسهب اتسع فى الكلام اتساعاً لافائدة فيه) ، وقد شفيت الغليل فى هذا الباب ، وخرجت فيه عن شرط الكتاب ، لاحتياج العامل إليه ، واعتماد الناقد عليه .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، و هو فى هامش ا .

بـــابُ حُسْـنِ النسـق ×

حسن النسق من محاسن الكلام ، وهو أن تأْتى الكلمات من النثر والأَبيات من الشعر متتالياتٍ ، متلاحمات تلاحماً سليماً مُسْتحسناً ، لامعيباً مُسْتهجناً ، والمُسْتحسن من ذلك أن يكون كلّ بيت إذا أُفرد قام بنفسه ، واستقل معناه بلفظه ، وإن رَدفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد ، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهُما ، ونقص كمالهُما ، وتَقَسَّم معناهما ، وهما ليسا كذلك ، بل حالُهما فى كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالْتِئَام والاجتماع .

ومن شواهد هذا الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ واسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١)) . فأَنت ترى إتيان هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة لأَنه ــ سبحانه ــ بدأ بالأَهم ، إذ كان المراد إطلاق أَهل السفينة من سجنها ،

× تكلم عنه صاحب سر الفصاحة تحت اسم صحة النسق والنظم: ٣١٥ ولكن تعريفه الذى عرفه لا يتفق وتعريف المؤلف هنا ، بل يتفق مع تعريفه لبراعة التخلص ، فبراعة التخلص عند ابن ابى الاصبع هى حسن النسق عند ابن سنان وتكلم أيضا بما يتفق وتعريف المؤلف فى المعنى وان خالفه فى التسمية ابن طباطبا العلوى فى عيار الشعر : ٤٨ اذ تكلم عنه تحت عنوان الأشعار المحكمة المتقنه المستوفاة المعانى الحسنة الوصف السلسة الألفاظ وفى خزانة ابن حجة ٤١٥ سار مؤلفها على نهج المؤلف لهذا النوع .

(١) سورة هود : ٤٤

ولا يتهيأ ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض ، فأمرها بالابتلاع ، ثم علم -سبحانه- أن الأرض إذا ابتلَعَتْ ما عليها من الماء ولم تقطع مادّة الماء تأذّى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها (وربما[1] كان ما ينزل من السّماء مُخْلفاً لما تَبْتلعه الأرضُ، فلا يحصل الانحسار) فأمر سبحانه السماء بالإقلاع بعد أمره الأرض بالابتلاع ، ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الأرض ، وانقطعت مادة السماء ؛ وذلك يقتضي أن يكون ثالث الجملتين المتقدّمتين ، ثم قال تعالى : وقضى الأمر ، أى هَلَك من قُدّر هلاكهُ ، ونَجا من قُضِيَتْ نَجاته ، وهذا كُنْهُ الآية ، وحقيقة المعْجزة ، ولا بد وأن تكون معلومة لأهل السفينة ، ولا يمكن عِلْمُهُم بها إلا بعد خروجهم منها ، وخروجُهم منها موقوف على ما تقدّم ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعةَ الجمل ، وكذلك استواءُ السّفينة على الجُوديّ ، أى استقرارها على المكان الذى استقرّت فيه استقراراً لاحَرَكة معه ، لتَبْقى آثارها آية لمن يأتى بعد أهلها ، وذلك يقتضى أن يكون بعد ما ذكرنا ، وقوله سبحانه : « وقيل بعدًا للقوم الظالمين » ، هذا دُعاءٌ أوجبه الاحتراس ممن يَظُنّ أنّ الهلاكَ ربما شمل من لا يستحق ، فدعا -سبحانه- على الهالكين ، ووصفَهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال ، وذلك يقتضي أن تكون بعد كلّ ما تقدّم ، والله أعلم .

فانظر إلى حسن هذا النسق ، وكيف وَقَع القول فيه وفْق الفعل سواء .

---

(١) هذه العبارة التى بين قوسين ساقطة من ب ، د ، وهى فى هامش ا .

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول زهير (طويل) :

ومنْ يَعْصِ أَطرافَ الزجاج فإنه يُطيع العَوالى رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ[1]

فإنه نسق[2] على هذا البيت اثنَىْ عشَر بيتاً كلّ بيت معطوف على ماقبله بالواو عَطْف تلاحم من غير تضمين .

وحسن النسق تارة يكون فى الأبيات بحيث يُعْطف بيتٌ على بيت كما قدمنا من شعر زهير ، وتارة فى جمل البيت الواحد ، كقول ابن شرف القيروانى (بسيط) :

جَاوِرْ عليًّا ولا تَحْفَل بحَادثةٍ
إذا ادَّرَعْتَ فَلاَ تسأَلْ عن الأَسَلِ[3]

سَلْ عنه ، وانْطِقْ به ، وانظر إليه تَجِدْ
ملءَ المَسامِع والأَفواهِ والمُقَلِ

فالحظْ حسنَ هذا النسق ، وصحّة هذا الترتيب فيه ، واستيعاب هذا التقسيم ، ووضوح هذا التفسير ، وما رأيت من شواهد حسن النّسق مما هو داخل فى القسم الأوّل منه كقول أبى نواس[4] (كامل) :

---

(١) ديوانه : ٣١ وعيار الشعر ٤٩ الزجاج: جمع زج ، والزج الحديدة التى فى أسفل الرمح ويقصد الشاعر تنكيس الرمح طلبا للصلح، فاذا أجابه العدو الى ذلك فبها والا أجابه بالعوالى وهى اطراف السنان التى يضرب بها • واللهذم : الماضىفى ضريبته •

(٢) بمراجعة شرح ديوان زهير تبين لى انهلم يعطف على البيت اثنى عشر بيتا وانما أتى هذا البيت وسط عشرة أبيات معطوفة بالواو ، ولعلالمؤلف رأى نسخة للديوان غير هذه النسخة التى بين ايدينا مرتبه على النحو الذى اراده •

(٣) الأسل : الرماح •

(٤) الطراز ٣ : ١٨١ ،معاهد التنصيص ، ٢٥١ ولم أعثر على هذين البيتين فى نسخة الديوان التى رجعت اليها •

وَإذا جَلَسْتَ إلى المُدَامِ وشَرْبها		فاجْعَل حديثَك كلَّه فى الكَاسِ

وإذا نَزَعْتَ عن الغَواية فلْيَكنْ		للهِ ذاك النّزع لا لِلنّاسِ

فإن حسنَ النسَق لاءَمَ بين فنّين مُتَضادّين فى هذين البيتين : وهما المجون والزُّهد حتى صارا كأنهما فنٌّ واحد ، والله اعلم .

بـاب الانسجـام *

وهو أن يأتى الكلام متحدِّرا كتحدّر الماء المنسجم ، سهولةَ سَبْك وعذوبة ألفاظ ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقْعٌ فى النفوس وتأثير فى القلوب ما ليس لغيره ، مع خلوّه من البديع ، وبعده عن التّصنيع.

(وأكثر[1] ما يقع الانسجام غير مقصود ، كمثل الكلام المتّزن الذى تأتى به الفصاحة فى ضمن النثر عفوًا كمثال أشْطار ، وأنصاف ، وأبيات وقعت فى أثناء الكتاب العزيز ورويت عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، فإن وقع من ذلك فى غير القرآن بيتان فصاعدا سمِّى ذلك شعرًا وإن لم يقصد ، وأما القرآن العزيز فلم يَقَع فيه إلا مثال النِّصف ، أو البيت الواحد ، والبيتُ المفرد لايُسَمَّى شعرًا ، وعلى ذلك أدلَّة لايتسع هذا المكان لذكرهَا ، وقد أتيت بها مُسْتَقْصاةً فى كتابى المنعوت «بالميزان» الذى شرَعتُ فى عمله ، أرجح فيه بين كلام قدامة وبين كلام خصومه ، ولم يتكمَّل .

ومثال الانسجام الذى وقع فى الأشعار المقصودة (قول الإمام أبى تمّام (بسيط) :

إن شئتَ ألا تَرَى صبرا لمُصْطبِرٍ ... فانظر على أىِّ حال أصبحَ الطَّلَلُ[2]

× بحثه فى بديع ابن منقذ ٦٦ وخزانة ابن حجة : ١٨٩ ، وأنوار الربيع ٤٢٠

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، و هو فى هامش أ

(٢) ديوانه ٢٢٦ والبيت من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله وأولها :

فحواك عيـن على نجـواك يا مذل ... حتـام لا تنقضى قولك الخطل

(وكقوله أيضاً (كامل)[1] :

نَقّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهَوى ... ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّلِ[2]

وكقول البحترى (طويل) :

فيَا لا ئِمى فى عَبْرةٍ قد سَفَحْتُها ... لِبَيْن ، وأُخْرى قبلها لِتَجنُّبِ[3]

تُحاولُ منّى شيمةً غير شيمَتى ... وتطلب منّى مذهَباً غير مذهَبِى

وكقول اسحاق بن إبراهيم الموصِلىّ[4] (طويل) :

على عصر أيام الصَّبابة والصِّبا ... ووصلِ الغَوانى والْتِذَاذِىَ بالشُّرْبِ

سلامُ امرئٍ لم تبق مِنْه بقيَّةٌ ... سوى نظر العينين أوشَهْوةِ الْقَلبِ

ومن هذا الباب للمتقدِّمين أكثرُ لاميةِ الشَّنْفَرَى[5] كقوله (طويل) :

وفى الأَرضِ مَنْأًى للكريم عن الأَذَى ... وفيها لِمَنْ خاف القِلَى متحوَّلُ

وكقول امرئ القيس[6] (طويل) :

أغرّكِ منّى أن حبّكِ قاتِلى ... وأنكِ مَهْما تأْمُرى القلبَ يفعلِ

(ولم أسمع[7] فى الانسجام كقول عبد الصَّمد بن المعذَّل يرثى الأَمير سعيد بن سَلْم بقوله (خفيف) :

كم يَتيم خَبَرْتُهُ بعد يُتْمٍ ... وَعديمٍ نَعَشْتُه بعد عُدْمْ

---

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د وهوفى هامش أ :

(٢) ديوانه : ٤٢٧

(٣) ديوانه : ٤٩ من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان أولها :

بما أنت من مجفوة لم تعتب ... ومعذورة فى هجرها لم تؤنب

(٤) البيت فى خزانه ابن حجة : ١٩٨

(٥) البيت فى خزانة ابن حجة : ١٩٣

(٦) ديوانه : ٢٠

(٧) مابين قوسين ساقط من ت ، د وهوفى هامش أ

كلما عَضَّت الحوادث نادى رضىَ الله عن سعيد بنِ سَلْمٍ)

والبيتَ الثانىَ أَردت .

وكقول شاعر الحماسة[1] (طويل) :

ألا ليقل من شاءَ ما شاءَ إنَّما يلامُ الفتى فيما استَطَاع من الأَمرِ
قضى الله حبَّ المالكيَّةِ فاصْطبرْ عليه ، فقد تَجْرِى الأُمورُعلى قَدْرِ

(وقد يحصل[2] الانسجام مع البديع الذى أتتْ به القريحةُ عفوًا من غير استدعاءٍ ولا كُلْفة ، كقول أَبى تمّام (بسيط) :

إن شئتَ ألا ترى صبرًا لمُصْطبرٍ
فانظر على أىِّ حال أَصبح الطَّلَلُ

فأَنت ترى انسجامَ هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة ، والتعليق ، والإشارة ، فإنه علَّق عدَم صبر المصْطَبرين برؤْيةالطلل على تلك الحالة ، وأشار بقوله : « على أىِّ حال أصبح الطلل » إلى أحوال كثيرة لو عبّر عنها بلَفْظها لاحْتاجت إلى أَلفاظ كثيرة ، وعلَّق أحدَ الأَمرين بالآخر ، إذ جاءَ بلفظ الشَّرط والمشروط .

ومن الانسجام فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ)[3] والآية التى بعدها . وقوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[4]) .

---

(١) البيتان لعمرو بن صبيعه الرقاشى · انطر الحماسة ٣ ، ١٨٧ ، وبديع القرآن : ١١٥
(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ
(٣) يوسف : ٨٦
(٤) الأعراف : ١٩٩

وقوله سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] . وأكثر القرآن من شواهد هذا الباب .

ومن الانسجام فى السنَّة قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وصف القرآن : « إنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذَا القرآن آمرًا وَزَاجرا ، وسنَّةً خَالِيةً[2] ومَثَلاً مَضْرُوباً ، فيه نَبَأُكُمْ ، وَخبر ما كَان قَبْلَكُمْ ، ونبأُ ما بَعْدَكُمْ ، وحُكْم ما بَيْنَكُمْ ، لايُخْلِقُه طولُ المَدَدِ ، ولا تنقَضى عجائبُه ، هو الحقّ ، لَيْس بالهزْل ، من قال به صَدَق ، ومن حكَم به عَدَل ، ومن خاصَم به فَلَج[3] ، ومن قَسَم به أَقْسَط[4] ومن عَمِل به أُجِر ، ومن تمسَّك به هُدىَ إلى صراط مستقيم ، ومن طلبَ الهُدى من غيرِه أضلَّه الله ؛ ومن حكم بغيرِه قصَمَه الله ، هو الذكرُ الحكيم ، والنّورُ المبين ، والصِّراط المستقيم ، وحَبْل الله المتين ، والشّفاءُ النّافع ، عصمةٌ لمن تمسّك به ، ونجاةٌ لمن اتّبعه ، لا يَعْوجّ فيقوَّم ، ولا يُزِيغ[5] فيُستَعتَب » .

فانظر إلى انسجام هذه العبارة وما جاء فيها من البديع غير مقصود ، تَشْهد الخواطرُ السليمةُ أنه كلام مُسْترسل غير مروٍّ ولا مُفكرٍ ، فصلوات الله وسلامه على من بُعث بجوامع الكَلِم ، وأوتى هذه الفصاحةَ الرائعة ، وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) هود : ١٢٣
(٢) خالية : ماضية
(٣) فلج : ظهر على خصمه
(٤) اقسط : عدل
(٥) يزيغ : يميل

بابُ براعة التخلص *

وهو امتزاج آخرِ ما يقدّمه الشّاعرُ على المدْح من نَسَب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بـأول بيت من المدح . وقد يقع ذلك فى بيتين متجاورين ، وقد يقَع فى بيت واحد ، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدّمين فى غالب أشعارهم ، فإنّ المتـأخرين قد لَهجوا بها وأكثروا منها ، وهي لعَمْرى من المحاسن (وهذا الباب[1] قديم ، وهو من أجلّ أبواب المحاسن ، ويُسَمّى معرفةَ الفصل من الوصل .

وقد ذهب أصحابُ الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز ، وهو دقيق فى عيْن الغَبىّ خَفِىٌّ يخْفَى على غير الحُذَّاق من ذوى النَّقد . وهو مبْثوث فى الكتاب العزيز من أوله إلى آخره ، فإنك تقِف من الكتاب العزيز على مواضعَ تجدُها فى الظاهر فصولا متنافرة لاتعرف كيف تجمع بينها ، فإذا أنْعمتَ النَّظر وكنت ممَّن له درْبة بهذه الصناعة ، ظهر لك الجَمْع بينهما ؛ كقوله سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِى إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً .

× بحثه فى الوساطه : ٥٨ ، وسرالفصاحة ٣١٥ ، والجامع الكبير لابن الأثير ١٨١ – ١٨٧ ، والوافى للتبريزى ٦٣ ، وبديع ابن منقذ تحت اسم التخلص والخروج ١٣٥ ، وروضة الفصاحة : ٤٥ والتبيان للزملكانى ١٣٨ والطراز ٣ : ١٧٩ وبلوغ الأرب تحت اسـم براعة التخلص ٥٤ وخزانه ابن حجة ١٤٢ ونهاية الأرب ج ٧ : ٦٣٥

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا معَ نُوحٍ إنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا[1]) فإنَّكَ إذا نظرت إلى قوله تعالى : (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) وجدت هذا الفصل مباينا لما قبله حتى تفكر فتجد الوصلَ بين الفصلين فى قوله : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) فإنه – سبحانه – أخبرَ بأنه أَسْرى بمحمد – صلى الله عليه وسلَّم – ليُرِيَه من آياته ، ويرسله إلى عباده ، كما أَسْرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يَتَرقَّب ، فأَتى مَدْيَنَ ، وتزوّج بابنةِ شُعَيب ، وأَسْرى بها فرأى النَّار ، فخاطبه ربُّه وأرسله إلى فرعون ، وآتاه الكتاب ، فهذا الوصْلُ بين هذين الفصلين ، وأما الوصلُ بين ما ذكرت وبين قوله تعالى : (ذرِّية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا[1])فقدكان على بنى إسرائيل نعمةً عليهم قِدْماً حيث نجّاهم فى السّفن ، إذ لو لم ينج أباهم من أبناء نوح لما وُجدوا ، وأخبرَهم أنَّ نوحاً كان شكورًا ، وهم ذريّته ، والولدُ سرّ أبيه . فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم .

وأما فى الشعر فأَتمُّ الناس براعةً فى التخلُّص) وأول من أحسن فى ذلك من القدماء فى غالب ظنّى زهير ، حيث قال (بسيط) :

إن البخيلَ مَلُومٌ حيث كان ولٰـ كِنَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ[2]

ولقد اتفق له فى هذا البيت اتّفاقٌ صالح حيث جاء مُدمَجاً من جهة عروضه ، فامتزَج المعنيان والقَسِيمان امتزاجاً كلّيًا لفظيًّا ومعنويًّا مع ما وقع فى البيت من المطابقة اللفظية ، ثم تأَنّق المتأَخرون فى ذلك ، فمن

(١) الاسراء من ١ – ٣

(٢) ديوانه ١٥٢ ، ونقد الشعر : ٢٤ والعمدة ٢ . والطراز ٣ : ١٨٠ وأنوار الربيع : ٣٦٥

مُجيدٍ مُبرِّز ، ومن ضعيف مقصّر . فمن المُجيدين فى ذلك الذى أتَى فيه بما لا يُلحق سبقاً مسلم بن الوليد ، حيث قال (طويل) :

أَجِدَّكِ مَا تَدْرِين أَنْ ربَّ ليلةٍ كَأَنَّ دُجَاها من قرونِكِ يُنْشَرُ[1]
سَرَيت بها حتى تجلَّتْ بغرّةٍ كغرّة يحيى حين يُذْكَر جعفرُ

فإن التخلّص وقع فى بيت واحد ، وهو أحسن قسميه ، إلى ما جاء فى البيت من التعليق والاشارة ، فإنه علّق الغزل بالمدح ، حيث أشار إلى فرط حبّ يحيى لولده جعفر ، وهو الممدوح ، وفى ذلك مدحه بالبرّ لأبيه ، الذى أوجب له ذلك عليه ، (وفى[2] وصفه بالبرِّ لأَبيه جمّاع خير الدنيا والآخرة ، فأدمج المبالغة فى التعليق) .

ومن المجيدين فى ذلك أيضاً أَبو نُوَاس[3] حيث يقول (طويل) :

تَقُول التى من بَيْتِهَا خَفَّ مَحْملى يَعزّ علينا أن نراك تَسِيرُ
أَما دونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطلَّبٌ بَلَى إن أسبابَ الغنى لكثيرُ
فقلتُ لها ، واستعجلتْها بوادرٌ جرت فجرَى فى إِثْرهنّ عَبِيرُ
ذَرِينى أُكَثِّرْ حاسديك بِرِحْلَةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أَميرُ

وكقول أَبى تمام[4] (كامل) :

لا والَّذِى هو عالمٌ أَنّ النَّوى صَبِرٌ وأَنّ أبا الحُسَين كريمُ

---

(١) ديوانه ٢٩٩ البيتان فى الطراز ٣ . ١٨٠ ونهاية الأرب جـ ٧ : ١٣٥
(٢) ما بين قوسين سافط من ت ، د وهو فى هامش أ
(٣) ديوانه : ٩٩ ، وانوار الربيع ٣٦٧
(٤) ديوانه : ٢٩٩ وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمـــد بن الهيـثم بن شبابه مطلعها :

اســقى طلـــولهم أجش هـــزيم وغـــدت عليـــه نضـــرة ونعيـــم

والنوى : الفراق

مازلتُ عن سُنَنِ الودادِ ولا غدَتْ نَفْسِى على إلفٍ سِواكَ تَحُومُ

وكقوله حيث يقول (وافر) :

لقد أنْسَتْ مَسَاوِئَ كلِّ دَهْر محاسنُ أحمدِ بنِ أبى دُؤَادِ(١)

وكقوله معتذراً فى وصف الإبل (طويل) :

سَرَتْ تحملُ العُتْبى إلى العَتْب والرّضا

إلى السّخطِ والعُذْرَ المبينَ إلى الحِقدِ(٢)

وكقوله (بسيط) :

يقول فى قَوْمسٍ صحْبى وقد أخذَتْ

مِنَّا السُّرى وخُطا المهْرِيّةِ القُودِ(٣)

أَمطلعَ الشَّمس تبغى أن تؤُم بنا فقلتُ كلاَّ ولكن مطلَعَ الجُودِ

ومما تقدّم فيه غيره قوله (بسيط) :

إساءَةَ الحادثات استَنْبِطى نَفَقاً فقد أظلَّك إحسانُ ابنِ حسَّانِ(٤)

وكقوله (بسيط) :

---

(١) ديوانه ٧٩ وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبى داود ويعتذر اليه مطلعهـا :

سقى عهد الحمى سبل العهاد وروض حاضـــر منه وباد

(٢) ديوانه ١٢٨ وهو من قصيدة يمدح بها موسى ابن ابراهيم الرافقى ويعتذر اليه مطلعها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشـائع من برد

(٣) البيتان مطلع قصيدة له يمدح بها عبد الله بن طاهر وقدخرج اليه وقومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل · والسرى : السير عامة الليل · والمهرية : الابل الكريمـة ، والقود : الطويلة الأعنـاق · انظر الطراز ٣ : ١٨٠

(٤) ديوانه : ٣٢٤ والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبى مطلعها :

ما اليوم أول توديعى ولا الثـانى البين أكثر من شـوقى وأحزانى

واستنبطى : استخرجى والنفق محركه :السرب فى الأرض

لم يجتمعْ قطّ فى مصرٍ ولاطَرَفٍ   محمدُ بنُ أَبى أيوبَ[1] والنّوَبُ

وكقوله (كامل) :

فالأَرضُ معروفُ السّماءِ قِرًى لها   وَبنُو الرّجاءِ لهم بنُو العَبّاسِ[2]

على أن أبا الطيّب المتنبي قد أتى فى هذا الباب بما لايقصر به عن لحاق أَبى تمّام ولاَ أَمثاله من المُجيدين ، ويكفيه من ذلك قوله (بسيط) :

مرّت بنا بين تِرْبَيْها فقلْتُ لها

من أَين جَانَسَ هذا الشّادِنُ العَرَبا[3]

فاسْتَضحكتْ ثم قالت كالمُغيث يُرَى

لَيْثَ الشّرَى وهو من عِجْلٍ إذا انْتَسَبَا

وأما إذا وصلتَ إلى ابن حجّاج فى هذا الباب ، فإنك تصل إلى ما لاتدركه الأَلباب ، ومن ذلك قوله (وافر) :

وقد بادلتُها فَمَبَالُها لِى   بمَشْوَرَةِ اسْتِها ولها قَذَالى

كما لابنِ العَميد جميعُ مدْحى   ودنيا ابن العميد جميعُها لِى[4]

---

(١) دبوانه: ٤٧ وهو من قصيدة يمدح بها ابا جعفر محمد بن عبد الله بن ابى مروان الزيات مطلعها :

فد نابت الجزع من اورويه النـوب   واستحفبت جدذ من دارهـا الحعب

وروايته فى الدبوان وجميع النسخ ماعدا الأصل« ابن أبى مروان » • وهو الصواب

(٢) ديوانه : ١٧٣ وهو من قصيدة يمدح بها احمد بن المعتصم مطلعها .

مافى وقـوفك سـاعة من باس   نقضى ذمـام الأربـع الأدراس

(٣) البينان من فصيدة له بمدح بها الفتح بن على بن بشر العجلى مطلعها :

دمع جرى فعضى فى الربع ما وجبا   لأهـله وشـفى أنى ولا كـربا

وترباها منى ترب ، وهو المثل • والشادن من الظباء الذى شدن قرنه وقوى وترعرع — ديوانه ١ : ٧٤

(٤) عجبا لابن أبى الاصبع أن يذكر ابن حجاج بتخلصاته العجيبة ويختار من هذه الأمثلة التى اعجب بها منالا جرى فيه الشاعر على مذهبه المشهور من السخف والمجون• وكان الأجدر به أن يختار ماهو أحسن ما دامت تخلصاته كثيرة كما يدعى •

وكقوله (خفيف) :

فبهِمْ قد أَمِنْتُ خوفَ مَعَادى وبهذا الوزيرِ خَوْفَ زَمَانِى

(ومن براعة[1] التخلُّص فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ[2]) فإنه ـ سبحانه ـ أشار بقوله : أحسن القصص إلى قصّة يوسف ، فوَطَّأ بهذه الجملة إلى ذكر القصّة مشيرًا إليها بهذه النُّكْتة من باب الوَحْى والرّمز ، وإنما كانت أحسنَ القصص بكون كلِّ قضيّة منها كانت عاقبتُها إلى خير ، فإن أولها رميهُ فى الجبّ ، فكانت عاقبته السّلامة ، وبيعَ ليكون عبدًا فاتُّخذَ ولدًا ، ومراودة امرأة العزيز له فعَصَمه الله ، ودخولُه السِّجن ، وخروجه ملكاً ، وظفر اخوته به أولا ، وظفِر بهم آخرًا ، وتطلُّعه إلى أخيه بنيامين ، واجتماعه به ، وعمى أبيه ، وردّ بصره ، وفراقه له ، ولأخيه ، واجتماعه بهما . وسجود أبويه واخوتُه له تحقيقاً لرؤْياه من قبل .

وكقوله تعالى موطِّئاً للتخلُّص لذكر مبدأ خلق المسيح عليه السلام : (إنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً[3]) الآية . والله أعلم .

---

(١) من هنا الى آخر الباب سقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا

(٢) يوسف . ٣

(٣) آل عمران : ٣٣

باب الحل ×

وهو أن يعمَد الكاتب إلى شعر ليحلّ منه عقدَ الوزن فيُصيّره منثورًا ، كما رُوى عن ابراهيم بن العباس الصُّولى أنه قال : ما اتّكلْتُ قطُّ فى مكاتباتى إلاّ على ما يجلبهُ خاطرى ، ويجيش به صدْرى ، إلاّ قولى : «فأبْدلوه آجالا من آمال» فإنى حَلَلْتُ قول مسلم بن الوليد (بسيط) :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ　　كأنه أجلٌ يسعَى إلَى أمَلِ [1]

وقولى : «وقد صار ما يُحرِزُهُم يُبرِزهم ، وما يَعْقِلُهم يَعْتقلهم» ، فإنى حَلَلْتُ فيه قول أبى تمّام (طويل) :

فإنْ بَاشَر الإصْحارَ فالبيضُ والقَنَا　　قِرَاهُ ، وأحواضُ المَنَايا مَناهلُهْ [2]

وإن يَبْنِ حيطاناً عليه فإنَّما　　أولٰئكَ عُقَّالاتُه لا مَعَاقِلُهْ

(والبيتَ الثانىَ أردت [3]) .

ومن ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ

× بحثه فى بديع ابن منقذ : ١٢٧ تحت اسم الحل والعقد ، ومعاهد التنصيص ٤ : ١٩٠ والخزانة ٤٥٩

(١) انظره فى باب التشطير من هذا الكتاب .

(٢) البيتان من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، ومطلعها .

أجل أيها الربع الذى خف اهله　　لقد ادركت فيك النوى ما نحاوله

والاصحار : البروز الى الصحراء وأحواض المنايا : موارد الموت : والعقالات : القيود والمعاقل : الحصون .

(٣) ما بين قوسين ساقط من الأصل وهو فى ا ، ت ، د

مَحَارِيبَ وتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ[1]) فإنَّ ذلك حلّ قول امرئُ القيس (رَمَل) :

وقدور راسياتٍ وجفان كالجوابِ

على أن بعض الرواة ذكَرَ أنه وضَعه بعضُ الزْنادقة ، وتكلْم على الآية الكريمة ، وأن امرأ القيس لم يَصِحّ أنه تلفّظ به ، والله أعلم .

(١) سبأ ٠ ١٣

بـــابـــ العـــقـــد ×

وهو ضدّ الحلّ ، لأنه عقد النَّثْر شِعْرًا .

ومن شرائطه أن يُؤْخذ المنثور بجملة لفظه أو بمُعظمه ، فيزيد فيه ، أو ينقص منه ، أو يحرِّف بعضَ كلماته ليَدخلَ به فى وزن من أوزان الشعر ، ومَتَى أخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات بحسب الآخذ الذى يوجب استحقاق الأَخذ للمأْخوذ ، ولا يسمى عقْدا إلا إذا أَخذ المنثورَ برُمَّته ، وإن غُيِّر منه بطريق من الطُّرق التى قدمناها كان المُبَقَّى منه أكثر من المغيَّر بحيث يعرَفُ من البقيّة صورة الجميع ، كما فعل أبو تمّام فى كلام[1] عزّى به علىٌّ عليه السلام الأَشعثَ بنَ قيس فى ولده ، فعقَدَه أبو تمام شعرا فقال (طويل) :

وقال علىٌّ فى التَّعازى لأَشعثٍ   وخافَ عليه بعضَ تلك المآثمِ[2]

أَتصْبرُ للبلوى عزاءً وحسبةً   فتؤْجرَ أم تَسْلو سُلُوَّ البهائمِ

× بحثه في بديع ابن منقذ ١٢٧ ومعاهدالتنصيص ٤ : ١٨٢ وخـــزانة ابن حجة ٤٥٩ وأنوار الربيع ٢ ٨١٢ .

(١) نص كلام على رضى الله عنه هو مايأتى : انك ان صبرت جرى عليك القضـــاء وانت ماجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وأنت ما زور ، انك ان لم تسل احتسابا ســـلوت غفلة كما نسلو البهائم . انظر بديع اسامة بن منقذ ١٢٧ .

(٢) ديوانه : ٣١٩ والبيتان من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويعزيه فى أخيه القاسم ابن طوق ، مطلعها :

أمالك ان الحـــــزن أحـلام نائم   ومهمـــا يدم فالوجـــد ليس بدائم

ومنه قول أبي العتاهية (سريع) :

ما بالُ مَن أوّلُه نطفَةٌ وجيفَـــةٌ آخِرُه يَفْخر[1]

فإنّه عَمَد إلى قول على بن أبي طالب عليه السلام : ما ابن آدمَ والفخر ، وإنما أوله نطفة وآخره[2] جيفة ، فعقده شعراً .

وكقوله ، أعنى أبا العتاهية (وافر) :

كفَى حَزَناً بدَفْنِك ثم إنّى نفضْت ترابَ قبرِك من يَديّا
وكانتْ فى حياتِك لى عظاتٌ فأَنتَ اليومَ أَوعَظُ منْك حَيًّا

فإنّه عقَد قولَ بعض الحكماء فى الإسكندر حين مات : إن كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، فهو اليوم أوعظ منه أمس ، والله أعلم .

(١) ديوانه : ١٠٣ من قصيدة يصف بها التقوى ويبين منافعها ، مطلعها :
يا عجبـــا للناس لو فكروا وحاســبوا أنفســـهم أبصروا
(٢) انظر معاهد التنصيص ٤ : ١٨٢

بــاب التعــليق *

وهو أن يأتىَ المتكلِّم بمعنًى فى غرض من أغراض الشعر ، ثم يعلِّق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضى زيادة معنًى من معانى ذلك الفنّ ، كمن يَرُوم مدْحاً لإنسان بالكَرَم فيعلِّق بالكرم شيئاً يدلّ على الشجاعة ، بحيث لو أراد أن يخلص ذكرَ الشجاعة من الكرم لما قدرَ . (ومن ذلك[1] فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ[2]) فإنه ـ سبحانه ـ لو اقتصر على وصفهم بالذُّل على المؤْمنين ، لاحتَمَل أن يتوهَّم ضعيفُ الفَهم أن ذلَّهم عن عجزوضعف ، فنَفَى ذلك عنهم ، وكمّلَ المدح لهم بذكر عزّهم على الكافرين ، ليعلم أن ذلَّهم للمؤْمنين عن تواضع للهِ سبحانه ، لا عَنْ ضعف ولاعجز بلفظ اقتضت البلاغةُ الإتيانَ به ، ليتمّم بديع اللفظ كما تمّم المدح ، فحصل فى هذه الألفاظ الاحتراس مدمجاً فى المطابقة ، وذلك تبع للتعليق[3] الذى هو المطلوب من الكلام .

× بحثه فى الصناعتين تحت اسم : المضاعفة ٤٢٣ وبديع ابن منقذ ورقة ٣٠ تحت اسم التعليق والادماج ، والمفتاح تحت اسم الاستتباع ٢٢٧ ، والمصباح ١٢٣ ، والطراز ٣ : ١٥٩ ، ومعالم الكتابة ٨٣

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د ،وهو فى هامش ا

(٢) المائدة : ٥٤

(٣) التعليق فيه هو تعليق التواضع بالشجاعة فى فن المدح

ومن أمثلة التعليق قول المتنبيّ (طويل) :

إلى كم تَرُدُّ الرُّسلَ عمَّا أَتَوْا به   كأَنَّهمُ فيما وَهَبْتَ مَلاَمُ[١]

فعلَّق الكرمَ بالشجاعة لكونه شبَّه رُسل العدو بالملام فى الهبَة . فهو كثيرٌ ما يردّهم عما يطلبون منه تهاوُناً برسلهم ، وشجاعة عليهم ، وتسرُّعاً إلى حربهم ، ورغبة فى ما دون سلمهم ، ثم حصل من التشبيه الذى علَّق به الكرم بالشجاعة وصفه بغاية الكرم ، إذ دلّ على أنه عاشق فى الجوُد ، ولا يسمع فيه ملاماً ، ولا يُصْغى إلى عاذل ، (وقد يعلّق المتكلِّم فناً من فنون[٢] الكلام بمعنًى من معانى) البديع ، وما سمعت فى ذلك أحلى من قول بعض العراقيين فى بعض القضاة ، وقد شهدَ عندَه برؤْية هلال الفطر ، فلم يُجِز الشهادة (رمل مجزؤ) :

أترى القاضِيَ أعمى   أم تَراه يَتَعَامَى[٣]
سرق العيد كأَنَّ الـ   عيدَ أموالُ اليتامى

فعلَّق خيانةَ القَاضى فى أموال اليتَامى بما قدَّمه من خيانته فى أمر العيد برابطة التَّشبيه .

(ومن[٤] مليح التَّعليق قول المتنَبيّ فى صفة الليل . وهو من الصّنف الأَوّل من التعليق (وافر) :

---

(١) دبوانه ٢ : ٢٧٦ من قصيدة بمدح بها سيف الدولة ، وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة ، أولها :

أراع كذا كل الملوك همام   وسح له رسل الملوك غمام

وانظره فى بديع ابن منقذ ٣٠ ومعالم الكتابه : ٨٣

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

(٣) انظرهما فى بديع ابن منقذ : ٣٠ و نفريب المعاهد : ٤١٠ وتنظر اليتيمة حيث ينسبان فيها للصاحب بن عباد .

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

أقلّب فيه أجفانى كأنّى   أعُدُّ به على الدّهر الذّنوبا[1]

فانه علّق فنّ عتاب الزمان بفنّ الغزل اللازم من فنّ الوصف بواسطة أداة التشبيه ، فعلّق الافتنان بالتّشبيه ، فأحسن ما شاء .

ومن أحسن ما سمعتُ فى التعليق قول أبى نواس ، وهو من الصّنف الثانى من التعليق (مجزوء الوافر) :

لهمْ فى بيتهمْ نَسَبُ   وفى وَسَط المَلاَ نسَبُ[2]

لقَد زَنَّوْا عَجُوزَهمُ   ولَوْ زنَّيْتُها غَضِبُوا

فإنه علّق هجاءهم بفجور أمهم بدعوتهم فى النسب ، فكان فى ذلك هجاء أبيهم ، لكونهم لم يَرْضَوْا نسبتهم إليه ، فكأن الشاعر رأى هجاءهم بفجور أمهم دون هجائهم بدناءة أبيهم ناقصاً ، فيتمّ ما أراد من هجائهم بما قال ، وظرف ما شاء بقوله : «ولو زنَّيْتُها غضبوا[3]» .

ومثله قوله أيضاً إلا أن فيه زيادة على كلّ ما قدّمنا لكونه يجمع صِنْفَى التّعليق .

أما التعليق الأول فلأنه علّق على التهكّم بالهجاء ، ولم يقتصر على الهجاء .

---

(١) ديوانه ١ : ٩١ وهو من قصيدة يمدح بها على بن محمد بن سيار بن مكرم مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا   فأعذرهم اشفهم حبيبا

والمصباح : ١٢٤ وتقريب المعاهد : ٤١١

(٢) ديوانه : ١٧٩ من مقطوعة يهجو بها اشجع السلمى . مطلعها :

الا يا حادثا فيه   لمن ينعجب العجب

علما بانه لم يرد فى الديوان الا البيت الأول فقط ·· وورد كذلك فى المصباح ١٢٣ و ١٢٤

(٣) ديوانه ١٧٥ من قصيدة يهجو بها الهيثم بن عدى

وأما الثانى فكونه علَّق الافتنان الذى هو الهجاء والفخر على ما بيَّنه بمعنى التشبيه والإدماج (وافر) :

فأعرضَ هَيْثَمٌ لَمَّا رآنى كأنِّى قد هَجَوتُ الأَدعياءَ
وقد آليتُ لا أهجو دَعِيًّا ولو بَلَغتْ مُروءتُه السماءَ

ومن لطيف تهكّمه فى هذا البيت قوله :

* ولو بلغت مروءته السماء *

وقد أدْمج الافتنان فى التهكُّم لأَن معناه أَنى لا أَهجو إلا من بلغت مروءته الغاية القصوى .

وكذلك قصد الشعراءُ وعقلاءُ البلغاءِ ، يتخيّرون لهجائهم كما يتخيّرون لمديحهم) .

وقد وقع لى فى هذا الباب من المدح مالا بأْس بذكره .وهو من الصِّنف الأوّل من التعليق (طويل) :

تَخيّل أن القِرْنَ[1] وافاه سائلا فقابَلَه طَلْقَ الأَسِرَّة ذا بِشْرَا
ونادى فِرِندَ السّيف دونَك نحرُه فأَحسن ما تُهدى اللآلى إلى النّحرِ

فإنِّى علَّقت ذكر الكرم بذكر الشجاعة ، حيث وصفتُ الممدوح بطلاقته وتهلله اسْتبشارًا بالقِرْن لما تخياه سائلا . واهدائه فرند السيف وهو جوهره إلى نحره لما تخيَّل الفِرِنْد لآلِئا . هذا إلى ما وقع فى البيت الثانى من التورية بذكر النَّحر ، والترشيح بذكر اللآلى .

(١) القرن : الخصم والنظير . ووافاه أقبل عليه . وطلق الأسرة : منبسط الوجه . وفرند السيف . جوهره .

ومن التعليق العجيب قولى أيضاً مما علَّقت فيه الاستعطاف بالعُتْب بطريق الإدماج (طويل) :

أإخوانَنا بالله ما لِجفائكمْ غدَا لىَ بعدَ السِّلمْ وهو مُصالِتُ[1]
أحِينَ أمنْتم من مَلامى وأيقنتْ نفوسكُمُ أنّى مَدى الدّهر ساكتُ
تخلَّيتُمُ عنّى وخُنْتم مواثِقاً لهَا بعدَ توكيد العُهود تَهَافُتُ[2]
وأقررتُمُ عينَ الحسود عليكمُ فسُرَّتْ نفوسٌ بالبعاد شَوامتُ
سأصْبرُ حتى يَنْفدَ الصَّبرُ كلُّه وينطق حالى والقوافى صَوامِتُ
وأعطِفكمْ بالشّعر ما ذرَّ شارقٌ[3] وأخْلِبكم بالنَّثر ما عجَّ قَانِتُ
وأُعذَرُ إنْ عَرَّضتُ يوماً بَعَتبكم ليحْيَا ودادٌ بالتَّجنُّب مائتُ
وهأنا مُوصِيكم وَصِيّة ناصِحٍ لكمْ ودُّه عند الحَفيظة[3] ثابتُ
بأَن تَتَحامَوْا من فَواتِ بوادرٍ[3] فإنَّ بعيدا ردُّ ما هو فائتُ
وأن تَهدِموا ما قد بنيتمْ وتُعطِشوا
من الوُدّ غَرْساً قد غَدَا وهو نابِتُ

(ومن التعليق[4] فرع يسمَّى تعليق الشَّرط ، وهو أن يعلِّق المتكلِّم مقصودَه على شرط يلزم من تعليقه مبالغة فى ذلك المعنى ، أو نوعاً من المحاسن زائدًا على وقوع المشروط لوقوع الشرط ، وذلك كقول أبى تمام (طويل) :

فإنْ أنا لم يَحْمَدْكَ عنّى صاغرًا عدوُّك فاعلمْ أنَّنى غيرُ حامِدِ[5]

---

(١) التصالت : المضاربه بالسيوف . (٢) التهافت : التساقط والتتابع
(٣) ماذر شارق ، اى ما طلعت الشمس، وقد يطلق الشارق على غير الشمس من الكواكب، وأخلبكم : أخدعكم ، وعج القانت : رفع صوته بالدعاء ، والحفيظة . الشر . والبوادر : الهفوات
(٤) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ
(٥) ديوانه ١١٩ ، وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة ، مطلعها :
قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وان هى لم تسمع لنشدان ناشد

فعلّق صحّةَ حمده لمدوحه على حمد عدوِّه صاغرًا إن لم يحمد الممدوح عدوه صاغرًا لايكون الشاعر له حامدًا . وقد استقصيت الكلام على هذا البيت فى باب المقارنة) والفرق بين التعليق والتكميل شدة ملاحمة الفنَّين فى التعليق ، واتحادهما ، (وإن وجد لفظيهما فيه[1]) وتخليص أحدهما من الآخر فى التكميل ، (ولأن[2] من التعليق تعليق الشرط ، ومنه تعليق الفنون بالمعانى ، والله أعلم) .

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل . أ ، ت ، وهى عن د ، وبها يتضح المعنى .
(٢) ما بين قوسين ساقط من د ، و ت ، وهى فى هامش ا

بـــابُ الإدْمـــاج*

وهو أن يُدمج المتكلِّمُ غرضاً له فى ضمن معنًى قد نحّاه من جُملة المعانى ليوهِمَ السّامع أنه لم يقصده ، وإنما عَرَض فى كلامه لتتمّة معناه الذى قصد إليه ، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبد الله بن سليمان بن وهيب حين وزر للمعتضد ، وكان ابن عبيد الله قد اختلَّت حالُه، فكتب لابن سليمان (طويل) :

أبى دهرُنا إسعافَنا فى نفوسنا ... وأسعفَنا فيمن نحبّ ونُكْرِمُ[1]

فقلت له : نُعْمَاكَ فيهم أَتِمَّها ... ودَعْ أَمرَنا إن المُهِمّ المقدَّمُ

فأدمج شكوى الزمان ، وشرح ما هو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى المسألة ، ودقّق التحليل لبلوغ الغرض ، مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال ، وحمايته من الإذلال ، لاجرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله .

× بحثه فى الصناعتين تحت اسم المضاعفة ٤٢٣ وبديع ابن منقذ تحت اسم التعليق والادماج ٣٠ والايضاح ٦ : ٨٠ والطراز٣ : ١٥٧ وبلوغ الأرب ٣٠٢ ونهاية الأرب ٧ ١٦٤ وحسن التوسل ٨٢ والمصباح : ١٢٢ وأنوار الربيع ٨٠٦

(١) البيتان فى بديع ابن منقذ : ٣١ ولم ينسبهما كما لم يجعل القول لعبد الله بن سليمان بن وهيب ، وانما هو للمأمون ووردا أيضا فى معاهد التنصيص ٣:١٣٦ ونهاية الأرب٧ ١٦٤ والايضاح ٦ : ٨٢ وأنوار الربيع ٨٠٧ والحقيقة أن البيتين لا ينطبق عليهما تعريف الادماج الذى عرف به عند المؤلف ومن تبعه من علماء البديع لأن المفهوم من تعريفه : ادماج معنى فى معنى بشرط ألا يصرح بالمعنى الأول • ولكن البيتين اللذين أدمج فيهما شكوى الزمان وشرح ماهو عليه من اختلال الأحوال فى ضمن التهنئة لم يختف فيهما المعنى الأول اذ صرح به فى صدر البيت الأول منهما •

ومن لطيف الإدماج قول ابن نُباتةَ السعدىّ (طويل)[1] :

ولابدّ لى من جهْلَةٍ فِى وصالِه   فمن لى بخلٍّ أُودِعُ الحلمَ عِنْدَه

فإنه أدمج الفخر فى الغزل حين جعل حلمه لايفارقه بتّةً ، ولا ترغَب نفسه عنه جملة ، وإنما عزم على أن يودعه ، إذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب ، لأن الودائع تستعاد ، ثم استفهم عن الخلّ الصالح أن يُستودع الحلم بلفظ يُشعر بالاستبعاد والتعذُّر ، فيكون مفهوم الخطاب بُقْيا حلْمِه لعدم من يصلح لأن يودعه عنده (وأدمج[2] الفخر فى الغزل من جهة تصريحه بذكر الحلم ، ورشَّح بالإدماج الطباق بين الحلم والجهل) ، ثم أدمج[3] فيهما شكوى الزمان لتغيُّر الإخوان بحيث إنهم لم يبق منهم من يُسْتَصْلَح لمثل هذا الشأن فى الإشارة .

ومثل هذا الإدماج ما وقع لبعض الأندلسيين فى قوله (وافر) :

أأرضَى أن تصاحبنى بغيضاً   مجامَلَةً وتحملَنِى ثقيلا[4]

وحقِّك لا رضيتُ بذَا لأنّى   جعلتُ وحقِّك القسم الجليلا

والبيت الثانى أردت ، لأنه أدمج فيه الغزل فى العتاب من الفنون ، والمبالغة فى القسم من البديع .

---

(١) ديوانه : ورقة ٣٣١ خط ومعاهد التنصيص ٣ : ١٢٧ وأنوار الربيع ٨٠٧ ، ونسخه ت تنسبه خطأ الى الشريف الرضى .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ .

(٣) كذا فى الأصل . وعبارة أ ، ت ، د (ثم أدمج فى ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان) والعلة فى زيادة هذه العبارة فىت ، د ، أ هى ان العبارة التى سبقتها وهى فى الأصل ويعود عليها الضمير فى قوله « فيهما » أى فى الفخر والغزل اللذين ذكرا قبل

(٤) لم يرد فى معاهد التنصيص ٣ : ١٣٨ غير البيت الثانى وورد فيه غير منسوب كما هنا .

(ومن شواهد[1] الإدماج فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ[2]﴾ فإن هذه الجملة أدمج فيها المبالغة فى الحمد فى ضمن المطابقة ، إذ أفرد نفسه ـ سبحانه ـ بالحمد حيث لا يُحمد سواه ، إذ قال : وهو أعلم : «وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ » .

والفرق بين التعليق والإدماج أن التعليق يصرّح فيه بالمعنيَيْن المقصودين على شدّة اتحادهما ، والإدماج يصرّح فيه بمعنى غير مقصود قد أُدمج فيه المعنى المقصود ، والله اعلم .

(١) ما بين قوسين ورد فى ت ، د ، فى آخر الباب .
(٢) القصص . ٧٠ .

بـــابُ الإزدواج *

وهو أن يأْتى الشاعر فى بيته من أوله إلى آخره بجمل : كل جملة فيها كلمتان مزدوجتان ، كل كلمة إما مفردة أو جملة . وأكثر ما يقع هذا النوع فى أسماءٍ مثنَّاة مضافة كقول أبى تمّام (متقارب) :

وكانا جَميِعاً شريكَىْ عِنَانٍ رضِيعَىْ لِبانٍ ، خليلَىْ صَفَاءِ[1]

ومن الازدواج نوع يؤْتى فيه بكلمتين صورتهما واحدة ، ومفهومهما واحد ، كقول ابن الرومى : (مجزوء الكامل)

أَبدانهنَّ وما لبسْـ ن من الحرير معاً حَرِيرُ[2]
أَرْدَانُهُنَّ وما مَسِسْـ ن من العَبِيرِ مَعاً عَبِيرُ

وكقول بعض العرب (بسيط)

ومُطعِمِ النَّصر يوم النَّصرمُطعِمُه أَنَّى توجَّهَ والمحرومُ مَحْرومُ[3]

فقوله : ومطعم النصر مطعمه ، والمحروم محروم ، ازدواج ، والفرق بينه وبين التجنيس المماثل اختلاف معنى الكلمتين فى التجنيس

× تكلم عنه الرمانى فى النكت وابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة وابن الأثير فى المثل السائر تحت اسم التجنيس وبديع ابن منقذ ٥٧ ، انظر باب التجنيس من هذا الكتاب .

(١) ديوانه ٣٤٧ والبيت من قصيدة يرثى بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وشركة العنان : أن يشترك اثنان فى شىء خاص دون سائر أموالهما ، وقد يأتى بالوصف فيقـــول : شركة عنان .

(٢) لم أعثر عليهما فى ديوانه . وقوله : حرير وعبير على التشبيه . والاردان : أصـــول الاكمام يقول : اردانهن عبير بطبعهـــن ، فاذا مسهن طيب كن عبيرا فى عبير ، ومنـــه قول الشـــاعر :

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبــــا وان لم تطيب

(٣) البيت فى بديع ابن منقذ ٥٧ غيـــر منسوب . ومطعم النصر أى معطيه على التشبيه ومطعمه الثانية على الحقيقة وشـــبيهه المحروم

واتفاقهما فى الازدواج ، على أن الرمّانى[1] قد عدّ الازدواج تجنيساً ، وذكر منه قوله تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)[2] وأفرده غير الرّمّانى[3] باباً ، واستشهد عليه بالبيت الثانى من شواهد هذا الباب وأمثاله بغير ذلك ، والله أعلم .

---

(١) ليس الرمانى فقط هو الذى بعد الاز دواج تجنيسا ، بل عده صاحب سر الفصـــاحة من السجع وكذلك ابن الأثير .

(٢) البقرة : ١٩٤

(٣) بقصد بغير الرمانى أسامة بن منقذ ، لانه هو أول من فصل الازدواج عن السـجع والتجنيس وذكر فيه الآية التى ذكرها الرماني واستشهد بالابيات التى استشهد بهـا ابن أبى الاصبع .

بـــاب الاتســاع

وهو أن يأتى الشاعر ببيت يتّسع فيه التأويل على قدر قُوى الناظر فيه ، وبحسب ما تحتمل ألفاظه ، كقول امرئ القيس (طويل) :

إذا قامتا تَضوّعَ المسكُ منهما ... نسيمَ الصّبا جاءتْ بريّا القَرَنْفُلِ[1]

فإن هذا البيت اتّسع النّقّاد فى تأويله ، فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصّبا ، ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ، ومن قائل تضوّع المسك منهما تضوُّع نسيم الصّبا ، وهذا هو الوجه عندى ، ومن قائل تضوع المَسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصَّبا .

وكقوله فى صفة الفرس (طويل) :

مكرّ مفرّ مُقبل مدبر معاً ... كجلمُودِ صَخْرٍ حَطّه السّيلُ من عَلِ[2]

لأن الحجر يطلب جهة السّفل لكونها مركزه ، إذ كلّ شىء يَطْلب مركزه بطبعه الّذى جُبلَ عليه ، فالحجر يسرع انحطاطُه إلى السّفل من العلو من غير واسطة ، فكيف إذا أعانتة قوة دفاع السيل من عل ، فهو حالَ تدحرجه يُرى وجهه فى الآن الذى يرى فيه ظهرُه لسرعة تقلُّبه ، وبالعكس ، ولهذا قال الشاعر ، «مقبل مدبر معاً» يعنى يكون إدباره وإقباله مُجتمعين فى المعيّة ،

× بحثه فى العمدة ٢ : ٧٥ خزانة بن حجة ٤٤٠ . الطراز ٣ : ٨٩ وقصد بمعنى التوسيع غير المعنى الذى أورده المؤلف هنا تحت هذا الاسم فتأمل • وبلوغ الأرب ٢٤٩

(١) ديوانه ٢٣ وروايته •

* اذا التفتت نحوى تضوع ريحها *

(٢) ديوانه ٢٩ والعمدة ٢ : ٧٥ وحماسة ابن الشجرى ٢٣١ وعيار الشعر : ٢٦ •

لايعقل الفرق بينهما ، وحاصل الكلام وصف الفرس بلين الرأس ، وسرعة الانحراف ، وشدّة العدو ، لكونه قال فى صدر البيت إنه حسن الصورة ، كامل النصبة فى حالتى إقباله وإدباره ، وكرّه وفرّه ، ثمّ شبّهه فى عجُز البيت بجُلمود صخر حطّه السيل من العلو لشدّة العدو ، فهو فى الحالة التى يُرى فيها لبّتُه يرى فيها كفلُه وبالعكس .

هذا ولم تخطر هذه المعانى بخاطر الشاعر فى وقت العمل .

وإنما الكلام إذا كان قوياً من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوها من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه ، وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ، ولذلك قال الأصمعى : خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة ، وقد غلط بعضُ النّاس فى تفسير هذا الكلام ، وغلّط الأصمعى فيه لسوء تفسيره ، لأنه توهّم أن الأصمعى أراد الشعر الذى ركّب من وحشىّ الألفاظ ، أو وقع فيه من تعقيد التركيب ما أوجب له غموض معناه . ولو كان كذلك كان ذلك شَرّاً للشعر ، وإنما أراد الأصمعىّ الشّعر القوىّ الذى يحتمل — مع فصاحته ، وكثرة استعمال ألفاظه ، وسهولة تركيبه ، وجودة سبكه — معانى شتّى يحتاج النّاظر فيه إلى تأويلات عدّة ، وترجيح ما يترجّح منها بالدليل (وجميع فواتح[1] السور المعجمة من هذا الباب ، فإن العلماء قد اتّسعُوا فى تأويلها اتّساعاً كبيرًا ، وإن ترجح من جميع أقوالهم كونها أسماء للسّوَر ، ثم اختلفوا فى إعراب ما يتأتّى فيه الإعراب منها ، فبعضهم يرى فيه الحكاية ، كما رأى ذلك فى صاد ، وقاف ، ونون ، فإن هذه الأسماء مَحْكيّة ليس

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، وهو فى هامش آ .

إلا ، وبعضهم يرى الإعراب فى المجموع خاصّة ، وينشد قول شُرَيح بن أوفى العَبْسىّ قاتل محمد بن طلحة السّجّاد (طويل) :

يُناشِدُنى حاميمَ والرّمْحُ شاجِرٌ فهلاّ تَلاَ حامِيمَ قبل التّقدُّمِ[1]

وأما ما جاء من باب الاتّساع فى غير الفواتح فقوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ)[2] الآية فإن لفظها محتملٌ تأويلات شتى ، فإن ظاهر الآية يقتضى إباحة الجمع بين تسع ، ثم قوله بعدَ : « رُبَاع » . « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً » ومن لم يعدل فى الأربع جاز أن يعدل فى الثلاث ، فلم نزل إلى الواحدة ؟ وهذه الظواهر مفتقرة إلى تأويلات تُميط عنها هذه الإشكالات . والله أعلم .

---

(١) انظره فى اللسان مادة (حمم) وورد فيه « يذكرنى » مكان (يناشـدنى) وبديع القرآن : ١٧٣ تحقيقنا .

(٢) النساء : ٣

بـــابُ المجـــاز

المجاز عبارة عن تجوّز الحقيقة ، بحيث يأتى المتكلّم لاسم موضوع لمعنى فيختصره إما بأن يجعله مفردًا بعد أن كان مركّباً ، أو غير ذلك من وجوه الاختصار ، أو يذكر ما هو متعلّق به ، أو كان من سببه لفائدة .

والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة ، كالاستعارة والمبالغة والإشارة ، والإرداف ، والتمثيل ، والتشبيه ، وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد ، فهذه الأنواع وإن كانت من المجاز فلكونها متعدّدة جُعل لكلّ منها اسم يعرف به ، ويميّزه عن غيره من جنسه ، كما جعل لأنواع جنس الحيوان من الأسماء التى تعرف أنواعها بالفصول ، كالفرس ، والجمل ، والطائر ، والإنسان وغير ذلك من قسمَى الناطق والبهيم ، وقد خصّ النُقّاد نوعاً من أنواع المجاز بإبقاء اسم المجاز عليه ، وهو أقسام[1] :

منها : حذف الموصوف وإبقاء الصفة تدلّ عليه، كقوله تعالى : (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ)[2] فإن المرادَ هو الذى أرسل محمدًا رسولَه ، وحذف الفاعل الذى فعله المستند إليه دالّ عليه كقوله تعالى : «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ[3] » .

ومنها حذف الأجوبة كقوله تعالى فى حذف جواب لو : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ)[4] الآية .

× بحثه فى سيبويه ١ : ١٦٩ والعمدة١ : ١٧٧ ، والصناعتين : ٢٦٨ ، وأسرار البلاغة ٣٣٠ والمفتاح ١٩٢ والايضاح ٥ : ٣٤وخزانة ابن حجة ٣٩٦ .

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د ،وهو فى هامش أ

(٢) الفتح : ٢٨ (٣) ص : ٣٢

(٤) الرعد : ٣١

ومنها الإتيان بجواب عن سؤال مقدّر لدلالة الجواب عليه كقوله سبحانه . (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ[١]) فإن المعنى كأن قائلا قال : فما كانت عاقبة هذا الذى نصر الحقّ وبَذَلَ نفسه فى ذات الله ، فيقال : قيل له : ادخل الجنة .

ومنها الاسم المضاف الذى حذف المضاف منه ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى : (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ[٢])أى حبّ العجل ، وقوله تعالى : (وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي[٣])أى ويا مطر السماء ، أو ياسحاب السماء ، أو يا سحاب لكونه بالنسبة للمخاطب عالياً ، وكل ما علا الإنسان من سقف وسحاب وغيره يسمى سماءً ، وقد تجاوزت العرب حذف المضاف إلى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الأول ، كقول جرير[٤] (وافر) :

إذا نَزَلَ السَّماءُ بأرض قوم ‏ ‏ ‏ ‏ رَعَيْنَاه وإنْ كَانوا غِضَابَا

فقوله : «إذا نزل السماء» ، يريد مطر السماء ، وهذا القسم الأول من المجاز ، وقوله : «رعيناه» يريد رعينا ما ينبتُه مطرُ السماء . وهذا من القسم الثانى من المجاز ، وإنما اتفقوا على اسم المجاز على هذا القسم لخلوّه من معنًى زائد عن تجوّز الحقيقة ، يليق أنْ يكون تسميته من جنسه ، كالاستعارة ، والتشبيه ، والمبالغة ، والإرداف ، والإشارة وغير ذلك ، فلمّا لمْ يَكُن فى هذا القسم غير تجوّز الحقيقة اختصار أُفرد باسم المجاز . إذ لايليق به غيره ، والمراد بذلك الاختصار .

---

(١) يس : ٢٦ ‏ ‏ ‏ ‏ (٢) البقرة : ٩٣

(٣) هود : ٤٤

(٤) نسب المؤلف هذا البيت لجرير متأثرا بابن رشيق فى العمدة ١ : ١١٤ ونسبه صاحب تاج العروس مادة «سما» للفرزدق ، ونسبه صاحب المفضليات ط أوربا ٦٩٧ ، وابن منظور فى لسان العرب مادة «سما» وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين ٢٧٦ ، وصاحب الحماسة البصرية خط ورقة ٣٥ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٠ ، أدب ، وصاحب عيار الشعر ٨٤ ، والموشح للمرزبانى ٢٤٥ لمعاوية بن مالك المعروف بمعود الحكماء ، وهو من قصيدة له أولها :

أجد القلب عن سلمى اجتنابا ‏ ‏ ‏ ‏ وأقصر بعدما شابت وشابا

باب الإيجاز

الإيجاز اختصار بعض ألفاظ المعانى ليأتىَ الكلام وجيزًا من غير حذف لبعض الاسم ، ولا عدول عن لفظ المعنى الذى وُضِع له ، فإن الاختصار أن نحذف بعضَ الاسم كما قدمناه ، فهو مجاز ، وإن كان بتغيّر لفظ المعنى بوجه من وجوه التغيّر كان من أنواع المجاز التى قدّمنا ذكر بعضها ، كالاستعارة ، والإشارة ، والإرداف وغير ذلك .

ومثاله أن يَقْتصَّ المتكلّم قصّة بحيث لايغادر منها شيئاً ، فى ألفاظ قليلة موجزة جدًا ، بحيث لواقتصّها غيره ممن لم يكن فى مثل طبقته من البلاغة ، أتى بها فى أكثر من تلك الألفاظ ، وأكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل ، كقصّة موسى – عليه السلام – فى (طه) ، فإن معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة ، وهى مستوعبة فى تلك الألفاظ . وقد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى[1] فى اقتصاصه قصة السموءل فى أدراع امرئ القيس الشاعر التى أودعها عنده لمّا قصد قَيْصَر ، ووفاء السموءل

× بحثه فى سيبويه ١ : ٢٢ والبيان والتبيين ١ : ٩٦ ورغبة الآمل ١ : ٢٥٢ وقواعد الشعر ٦٨ والنكت فى اعجاز القرآن للرمانى ٣ والعمدة ١ : ٦٧ وسر الفصاحة تحت اسم الايجاز والاختصار وحذف الفضول ٢٤١ والتبيان للزملكانى ٧١ وبديع ابن منقذ ٩٥ والمفتاح تحت اسم تقليل اللفظ ولا تعليله ٢٧٧ والجامع الكبير لابن الأثير ١٢٢ والايضاح ٣ : ٢٠١ والطراز ٢ : ٨٨ والمصباح : ٣٥ وخزانة ابن حجة ٣٦٤

(١) ديوانه : ٣٣ و ٣٤ وبديع القرآن ٢٤٠

بها ، حتى سلّمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دمَ ولده وهو يشاهده ، وهى (بسيط) :

كنْ كالسَّموءل إذْ طافَ الهُمامُ به ... فى جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيل جرّار[1]

بالأبْلَقِ الفَرْد من تَيْماءَ مَنْزِلُه ... حِصْن حَصين وجارٌ غيرُ غَدَّارِ[2]

إذْ سَامه خطَّتَىْ خَسْفٍ فقالَ له ... مهما تقول فإنى سامعٌ حَارِ[3]

فقال : غدْر وثُكْل أنت بَيْنَهُمَا ... فاختر فما فيهما حَظٌّ لمُخْتَارِ

فشكَّ غير طويل ثم قال له ... : اقتُل أسيرَكَ إنِّى مانعٌ جَارِى[4]

إنَّ[5] له خَلَفا إن كنتَ قاتلَه ... وإن قَتَلْتَ كريماً غيرَ عُوَّارِ

مَالاً كثيرا وعِرْضاً غيرَ ذى دَنَسٍ ... وإخوةً مثله ليسوا بأشْرَارِ

جَرَوْا على أدبٍ منى بلا نَزَقٍ ... ولا إذا شَمَّرتْ حَرْبٌ بأَغْمارِ[6]

وسَوف يَخْلفُه إنْ كنت قاتلَهُ ... ربٌّ كريمٌ وبيض ذاتُ أطْهارِ[7]

لا سِرّهن لدينا ضائعٌ هَدَراً ... وكاتماتٌ إذا اسْتُودِعْن أسْرَارِى

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير •

(٢) الابلق الفرد : حصن للسموءل مبنى بحجارة ببتس وسود ، وتيماء : اسم موضع

(٣) سامه خطتي خسف : اولاه اياهمـا واهانه •

(٤) كذا ورد هذا البيت فى الديوان • والذى فى جميع الأصول « فشد » وقوله « فسك » معناه اطرق غير قليل ثم اختار بعد ذلك اشارة حفظ الأمانه على قتل ابنه •

(٥) كذا فى الأصول والذى فى الديوان « انى » وهى لفظه شعرية لها معنى أوقـــع فى النفس من « ان » لأنها تفيد البعد وعدم الخلف منه ، ولذلك عبر عنه بأنه اذا قتل سيخلفه رب كريم ، والعوار : الضعيف الجبان •

(٦) النزق بالتحريك : الخفة والطيش ، والأغمار : جمع غمر وهو الذى لم يجرب الامور

(٧) روى الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان :

عليه يستقيم أيضا •

* وسوف يعقبنيه ان ظفرت به *

والمعنى يستقيم أيضا •

فقال يقدِّمه إذ قام يَقْتُله — أشرِفْ سَمَوءلُ فانظر للدَّم الجَارِى
أأقتلُ ابنَكَ صبرا[1] أو تَجِىءُ بها — طَوْعًا فأنكر هذا أىَّ إنكَارِ
فشدَّ[2] أودَاجَهُ والصَّدرُ فى مَضَضٍ — عَلَيه مُنْطَوِيا كاللَّذْعِ بالنَّارِ
واخْتَارَ أدراعَه ألاَّ يُسبَّ[3] بها — ولم يكُن عَهْدُه فيها بختَّارِ
وقال : لا نَشترى عارا بمكْرُمَةٍ — واختارَ مكرمةَ الدّنيا على العَارِ
والصَّبر منه قديماً شيمةٌ خُلُقٌ — فَزنْده فى الوفاء الثّاقب الوَارِى[4]

فانظر كيف أغنى الأعشى عن تحفظ القصّه بطولها من يريد حفظها بهذه الأبيات التى استوعبها فيها مع ما انطوت عليه ألفاظُها التى خَرَجت كُلُّها مَخْرج الحقيقة من المدح للسموءل بالوفاء، ولابنه بالصّبر على البلاء، والتحريض للممدوح على التخلُّق بمثل هذا الخلق، ليبقى له مثل هذا الذِّكر، والاحتراس فى البيت الذى يقول فيه:

* أأقتل ابنك صبرا أو تجىء بها *

فإنه لما أضمر فيه ذكرَ الأَدْراع، فطن إلى أن البيتَ مفتقرٌ إلى شَرْح إن لم يؤْت به يتوقَّف السّامع فى فهمه، فاحترس عن ذلك بقوله :

* واختار أدراعه ألا يسب بها *

ليوضِّح أن الضمير فى البيت الذى قبله يعود على الأَدراع، فتلافَى فى ذلك الخلل، واستغنى عن الشرح المطوّل .

---

(١) الصبر هنا الحبس .
(٢) كذا فى الأصل ، ت والذى فى ا ، د وبديع القرآن (فشك) والادوداج : جمع ودج وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .
(٣) رواية الديوان والبديع « كبلا » وهو مستقيم أيضا ، والختار : صيغة مبالغة للخاتر وهو الغادر المبالغ فى الغدر .
(٤) الناقب : المضىء ، ومنه قوله تعالى : (النجم الناقب) . والوارى : الملتهب .

وقد ذكر الحاتميّ فى الحِلْية بعد هذه الأبيات قول بعض العرب يمدح بنى كعب بقوله (طويل) :

لَعَمرِى لنِعْم الحىُّ حىُّ بنى كَعْب إذا نَزَلَ الخَلْخَالُ منزلةَ القُلْبِ[1]

وقال الحاتمى : إذا رِيعَتْ ربّة الخَلْخال ، فأبدت ساقَها للهرب ، فتكون قد أنزلت الخلخال منزلة القُلْب فى الظّهور ، لأن عادة المرأة من العرب أن تُبْدى معصمَها وتستر ساقَها ، ولا عار عليها فى ذلك ، وحاصل هذا الكلام مدحُ هذا الحىّ بالمحاماة ، وشدّة البأس عند الخوف .

وقد قيل فيه غير ذلك ، وهو أن المرأة من الروعة تَذْهَل فتلبس الخَلْخَال موضع القُلْب دَهَشاً وحَيْرة ، والمرجع فى التفسيرين إلى مقصد واحد .

وعندى أن هذا البيت لا يصلح أن يكون من شواهد الإيجاز ، لأن حقيقةَ الإيجازِ إخراج المعانى فى قوالب ألفاظها الحَقِيقيّة الموضوعة لها ، فإن الإيجاز إيجازان : إيجاز مجازىّ ، وإيجاز حَقِيقىّ ، فما كان منه حقيقياً بَقِى عليه اسمُ الإيجاز ، وما كان مجازياً وضعوا لكلّ قسم منه اسماً يخصُّه ويناسبُ اشتقاقه ، فإن المجاز إيجاز ، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقى عليه ، أو للاستغناء بالقرينة ، كقوله تعالى : (واسْئَلِ الْقَرْيَةَ)[2] والإشارة والإرداف والتمثيل إيجاز ، لكن هذه الأبواب تجىء بغير ألفاظ المعانى الموضوعَة لها ، وقول هذا الشاعر :

إذا نزل الخَلخالُ منزلة القُلْب

(١) القلب : السوار للمرأة

(٢) يوسف : ٨٢

وهو يريد إذا ارتاعت فلبست خلخالها فى مِعْصَمِها ، أو ذهِلت للخوف عن تخفّرها : معلوم أنه غير لفظ المعنى الخاص ، وهذا بالإشارة أولى ، فإن شئت جعلته من شواهد الإشارة ، ومن شواهد الاتساع ، أو منهما ، ثم ذكر أعنى الحاتِمى بيتى لبيد ، وهما (رمل) :

وبنو الدّيَّانِ أعداءٌ «لِلاَ » وعلى ألْسُنِهم ذَلَّتْ «نعم »[1]
زيّنَتْ أحسابُهم أنسَابَهم وكذاكَ الحِلمُ زَيْنٌ لِلْكَرَمْ

(ولفظ البيت الأوّل[2] لفظ الارداف ، فلا يصلح أن يكون من شواهد الإيجاز ، لأنه أراد أن يقول : بنو الديّان أجواد ، فعدَل عن هذا اللفظ إلى لفظ هو ردْفه ، وهو ذُكر معاداتهم «للا » ليبالغ فى وصفهم بالجود ، والبيت الثانى جاء بلفظ الإشارة ، إذ التزيين يكون بضروب من المحاسن ، فان قيل : إذا كان المجاز نوعاً من الإيجاز جاز أن يسمّى كل صنف من ذلك النوع إيجازًا .

قلت للتسميات علامات تعرف بها المسمَّيات ، ومن سمَّى النوع باسم الجنس فهو غير معرّف لذلك النوع ، فإنك لو قلت فى حد الإنسان : هو حيوان ، من غير ذكر الفصل لكنت غير معرِّف لحقيقته ، لكونك لم تأْت إلا بالقدر المشترك دون القدر المميّز ، ولما كان من الإيجاز ما يدلُّ على المعنى بلفظ المعنى الموضوع له ، ومنه ما يدلّ على المعنى بلفظ هو ردف لفظه

---

(١) قد تصفحت ديوان لبيد المخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقم ٦ أدب ش فلم أعثر فيه على هذين البيتين .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

تارة ، وبلفظ هو مثل لفظه ، أو به ، وبلفظ مستعار من لفظه حيناً والحقيقة أصل ، والمجاز فرع ، والإيجاز أصل نفى الاسم الأَصليّ على الكلام الذى دلّ لفظه على معناه بظاهره ، وسمى ما دل على معناه بالتأويل بأسماء مجازية ، إذ كانت مسمياتها مجازية) .

ومن أمثلة الإيجاز قول النابغة الذبيانى[1] فى اقتصاصه قصّة الزرقاء للنعمان (بسيط) :

فاحكم كحكم فَتاة الحيّ إذْ نَظرتْ ... إلى حَمامٍ شِرَاعٍ وَارِدِي الثَّمدِ[2]
يحفّه جانبَا نِيقٍ[3] وَتَتْبَعه ... مِثلُ الزجاجة لم تكحل مِن الرّمَدِ
قالت ألا ليتَما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتِنا ونصفِه فقَدِ
فحسِبوه فألفوْه كما حَسِبتْ ... تِسْعا وتِسْعين لم يَنْقص ولم يَزِدِ
وكمّلتْ مائةً منها حمامتُها ... وأسْرَعَتْ حسبةً فى ذلك العدَدِ

(فإن النابغة[4] سرد هذه القصة بألفاظ الحقيقة عريَّةٌ عن الحشو الخشن والمعيب ، ولم يغادر منها شيئاً ، ويروى البيت الأول سراع بسين مهملة ، وهو أبلغ فى وصف نظر الزرقاء ، ويدل على صحة هذه الرواية أن قوله : « واردى الثمد » يغنى عن قوله : شراع بشين معجمة فلم يبق الاسراع بسين مهملة لما يدل عليه من المبالغة فى حدة نظر الزرقاء بدليل قوله بعد هذا البيت : « وأسرعت حِسْبةً ») .

---

(١) ديوانه : ٢٦٩ وشعراء النصرانية ٢ : ٦٦٥

(٢) الثمد بالتحريك : الحفرة يجتمع فيها ماء المطر وتطلق على الماء مجازا .

(٣) النيق : الجبل .

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت .

فان قيل : فما الفرق إذًا بين الإيجاز والمساواة ؟ قلت : المساواة لاتكون إلا فى المعنى المفرد يعبر عنه بلفظ مساوٍ له لا يزيد عليه ولا يقصر عنه ، والإيجاز يكون فى ذكر القصص والأخبار التى تضمّنت معانىَ شتّى متعدّدة ، وخلاصة ذلك أن المساواة فى معانى الجمل التى تتركب منها الأبيات والفصول ، والإيجاز فى الأبيات والفصول .

ومن [1] الإيجاز نوع يُختصَر فيه بعض اللفظ ويُؤْتَى بلفظ الحقيقة كقوله سبحانه : «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُواالدَّارَ وَالْإِيمَانَ [2]) فإن تقديره تبوّءُوا الدار وأخلصوا الإيمان ، كما تقول : (رجز) :

عَلَفْتُها تبناً وماءً باردا [3]

وكما قال الشاعر (كامل مجزوء) :

ورأيتُ زوجَكِ فى الوغَى متقلّدا سَيْفا ورُمْحَا [4]

(أى ومعتقلا رمحاً) ومن إيجاز الكتاب العزيز قوله سبحانه وتعالى : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [5] فإنه عز وجل أمر فى أول الآية بكل معروف ، ونهى بعد ذلك عن كل منكر ووعظ فى آخرها أبلغ

---

(١) من هنا يبدأ السقط فى د وهو هامش أ ، وفى جميع النسخ يختص ، وسياق الكلام يعين ما ابتناه .

(٢) الحشر : ٩

(٣) هذا عجز بيت لذى الرمة وصدره :لما حططت الرحل عنها واردا ... ديوانه ٦٦٤ طبع أوربا .

(٤) البيت لعبد الله بن الزبعرى كما فى سيبويه ١ : ٣٠٧ طبع بولاق وروايته فيهما : « سيبويه ١ : ٣٠٧ طبع بولاق وروايته فيهما ياليت زوجك ... الخ وورد فى الجامع لأحكام يا ليت زوجك »... الخ ، وورد فى الجامع لأحكام القرآن حـ ١ : ٩٥ غير منسوب أيضا وروايته فيه « أرأيت زوجك » (انظر بديع القرآن:١٨٢)

(٥) النحل : ٩٠

موعظة وذكّر ألطف تذكير بألفاظ اتّفق فيها ضروب من المحاسن مع كونها ألفاظ الحقيقة ، وهى صحة الأقسام ، لأنها استوعبت جميع أقسام أجناس المعروف والمنكر ، والطباقين اللفظى والمعنوى وحسن النسق والتسهيم ، وحسن البيان ، والإيجاز ، وائتلاف لفظ الكلام مع معناه ، والمساواة ، وصحة المقابلة ، وتمكين الفاصلة ، فأما استيعاب الأقسام فلأنه ـ سبحانه ـ أمر بالعدل ، وهو معاملة المكلّف نفسه وغيره بالإنصاف ، ثم أمر بعد العدل بالإحسان ، وهو اسم عام يدخل تحته التفضل بعد العدل ، وقدّم ذكر العدل لأن العدل واجب ، وتلاه بالإحسان لأن الإحسان مندوب ، ليقع وضع الكلام على أحسن ترتيب ، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله فى عموم من أمره بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذى القربى وفضل الثواب عليه ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بصيغة تعريف الجنس ليستغرق كلَّ ما يجب أن ينهى عنه ، كما استغرق كلّ ما يجب أن يؤمر به ، والمطابقة اللّفظية فى قوله تعالى : « يأمر » « وينهى » ، والمعنوية فى قوله سبحانه « بالعدل والإحسان » وإيتاء ذى القربى » وقوله « الفحشاء والمنكر والبغى » فإن الثلاثة الأخر أضداد الثلاثة الأول ، لأن الأول من الفعل الحسن ، والآخر من الفعل القبيح ، فطابق بين الحسن والقبح مطابقة معنوية .

وحسن التنسيق فى ترتيب عطف بعض الجمل على بعض كما ينبغى ، حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام ، وخص منه نوعاً خاصاً ، وهو إيتاء ذى القربى ، وعطفه عليه ، ثم أتى بالأمر مقدماً ، وعطف عليه النهى ثانياً ، ثم رتب جمل المنهيّات كما رتب

جمل المأمورات فى العطف ، بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم فيه ما يجب تأخيره .

وأما التسهيم فهو أن صدر الآية يدلّ على عجزها كما يدل صدر البيت المسهم على عجزه .

وأما حسن البيان فلأن لفظ الآية لا يتوقف فى فهم معناه أحد إذ سلم من التعقيد فى نظمه ، فقد دل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق ، واستوى فى فهمه الذّكى والبليد ، والقريب من هذه الصناعة والبعيد .

وأما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة الحقيقية على المعانى الكثيرة من غير إشارة ولا إرداف ولا حذف .

وأما ائتلاف لفظ الكلام مع معناه ، فلأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها .

وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه ، لا تزيد عليها ، ولا تقصر عنها .

وأما صحة المقابلة فلأن النهى قابل الأمر ، والمنهيات قابلت المأمورات مع مراعاة الترتيب .

وأما تمكّن الفاصلة فلأن مقطع ـ الآية مستقر فى مكانه ، مطمئن فى موضعه ومعناه متعلّق بما قبله إلى أول الكلام ، لأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد الأمر والنهى ، فإنّ الوعد والوعيد لا يقعان إلا بعد امتثال الأمر أو مخالفته والتذكرة بعد الموعظة ،

ومن إيجاز الكتاب العزيز أيضاً قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1] لأنه قد أجمع النُّقادُ على أن أبلغ كلام قيل فى هذا المعنى قول القائل : « القَتل أنفى للقتل » وإذا نظرت بين هذا الكلام وبين لفظ القرآن وجدت هذا الكلام ليس فيه من ضروب البديع سوى الإيجاز ، مع كونه لم يخل من عيب ، ووجدت لفظ القرآن قد جمع الإيجاز والإيضاح والإشارة والكناية والطباق وحسن البيان والإبداع ، وسلم من العيب الذى جاء فى ذلك الكلام .

فأما الإيجاز فلأن اللفظ المماثل من لفظ القرآن للأول هو قوله تعالى : « القصاص حياة » وهو عشرة أحرف ، والأول أربعة عشر حرفاً ، وأما الإيضاح فإن لفظة القصاص أوضحت المعنى المراد ، إذ هو قتل مقيَّد ، لاقتل مطلق ، وأما الإشارة ، ففى قوله سبحانه : « حياة » فإن هذه اللفظة أشارت إلى أن القتل الذى أوجبه العدل يكفُّ القتل الذى يأتى به العدوان ، وفى ذلك حياة الأحياء .

والكناية فى قوله تعالى : « القصاص » فإنه كنى بهذه اللفظة عن الموت المستحق الذى يوجبه العدل .

وأما الطباق ففى قوله « القصاص حياة » لأن القصاص الموت ، فكأنه سبحانه قال : الموت حياة ، وهذا طباق معنوى . وأما حسن البيان ، فكون المخاطب فهم المراد من هذا النظم من غير توقُّف ، وأما الإبداع فلأن فى كل لفظة من هذا الكلام عدةً من المحاسن ، وأما السلامة من العيوب

(١) البقرة : ١٧٩

بالنسبة فلأن الكلام خلا عن التكرار الذى وقع فى الكلام الأول ، فإن قيل لايعد التكرار الذى وقع فى قول القائل : « القتل أنفى للقتل » عيباً لاختلاف المعنى قلت : لكن اللفظ إذا اختلف معناه واتحدت صيغته اتحاداً لايعد تحسيناً[(١)] وكان الكلام به معيباً ، فهذا عيب لفظ الكلام الأول الذى سلم منه لفظ القرآن ، وأما عيب المعنى فلأن القائل سمّى الخاص باسم العام ، فإنّ مطلق القتل صالح للقصاص ولغيره ، كما أنه صالح للعدوان ولغيره ، وهذه العبارة موجبة للَّبس المضاد لحسن البيان الذى هو خارج مخرج العدوان (ولفظ[(٢)] القرآن مخلّص للعدل) .

وإذا وصلت فى هذا الباب إلى قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[(٣)] فإنه سبحانه أتى فى هذه الآية الكريمة بأمرين ونهيين ، وخبرين متضمنين بشارتين ، فى أسهل نظم ، وأحسن لفظ ، وأوجز عبارة ، ولم يخرج الكلام عن الحقيقة فى شىء من ذلك .

واعلم أن الإيجاز على ضربين : ضرب بسيط[(٤)] وضرب مختصر ، ويكون البسيط مختصراً بالنسبة لغيره ، فالبسيط كقصة يوسف ـ عليه السلام ـ من قوله : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ[(٥)]) إلى آخر القصة ، والمختصر

---

(١) هذه الكلمه مهمله الحروف من المفط فى الاصل . وهى ساقطه من ت ، وفى د ، « نحنيسا » وما ابتناه عن أ وهو الصواب لان المؤلف يريد أن يعلمنا أن كل كلام اتحد واختلف معناه لايعد من المحسنات ، وان كان هذا هو بمعنى التجنيس .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، ت وهو فى هامش أ

(٣) القصص : ٧

(٤) بسيط أى مبسوط فعيل بمعنى مفعول وفى بديع القرآن (طويل) .

(٥) يوسف : ٣

مثل قوله على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ : (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) اختصر القصّة كلها فى هذه الآية ، لأنه ذكر أصول الأسباب المستلزمة جميع المسبّبات التى هى جملة القصة ، فإن قوله : « هذا تأويل رؤياى من قبل » اقتصر على ذكر رؤياه التى كانت سبب حسد إخوته حين فعلوا به ما فعلوا ، وذكر خروجه من السجن الذى كان سبباً فى الملك الذى كان سبباً فى اجتماعه بأبيه واخوته ، فكأنه قد اقتص جميع القصّة مختصرة لمن يشارك فى علمها ، فالأولى لعلم تفاصيلها ، والثانية لعلم جُمَلها ، وهذا أحسن إيجاز وقع فى كلام ، والله أعلم .

باب سلامة الاختراع من الاتباع

وهو أن يخترع الأوّل معنىً لم يُسْبق إليه ولم يَتْبَع فيه كقول، عنترة فى وصف الذُّباب (كامل) :

هَزِجاً يحُكُّ ذراعَه بذراعِه　　قَدْحَ المُكبّ على الزّناد الأَجْذَمِ [1]

وكقول ابن الرِّقَاع فى تشبيه قرن الخِشْف [2] كامل :

تُزْجِى أَغنَّ كأَنَّ إبرَةَ رَوْقِه　　قلمٌ أصابَ من الدّواةِ مِدَادَها [3]

وكقول ذى الرمّة فى تشبيه الليل (طويل) :

وليل كجِلْبَابِ العَروس ادّرعتُه　　بأَربعة والشَّخصُ فى العين واحدُ [4]

× بحثه فى مختار الشعر الجاهلى ٣٧٢ والعمدة ١ : ٢٠٢ وحماسة ابن الشجرى : ٢١٩، والسبيهات لابن عون ٣٨٩ وعيار الشعر ٢٠ ـ وهذا النوع وما بعده نغلب عليهما صفه النقد أكثر من صفه البديع وهـذه الأنواع تكلم عنـهاابن منقذ نحت اسم السرقات المحمودة والمذمومة ونقل الجزل الى الرذل ص٦٨ والردل الى الجزل ص ٩٧ ومساواة الآخذ من المأخوذ مه١٠٢ وفضل السابق على المسبوق ١٠٧ وغير ذلك مما لو تأمله متأمل لعرف صحة ما أقول · خزانه ابن حجه ٤٠٤ وبلوغ الأرب ١٩٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٤ وحسن التوسل ٨٢ وأخيرا تنظر السرقات فى كتب البلاغة والنقد لمعرفة هذا النوع مثل الصناعتين والعمدة والجامع الكبير والطراز ·

(١) شبه الدبابة اذا حكت ذراعها بذراع الأخرى بأجذم مكب على الزناد ليقدح هـذا اذا كان الأجذم صفه للمكب وهذا هو الصحيح وقيل : الأجذم من صفة الزناد فأراد أنه قصير لا يورى ا هـ ملخصا من حماسة ابن الشجرى ٢١٩

(٢) الخشف : ولد الظبى

(٣) تزجى : تسوق · والأغن · العنق · والروق : القرن · وابرته طرفه ، العمدة ١ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٦٤

(٤) البيت فى الديوان : ١٢ وبعده فيه :

احم عـلافى وأبيض صـارم　　وأعيش مهـرى وأشـعث ماجد

وفسرهما فيه بقوله : قال جبت الليـل بأربعة ثم فسر الأربعة فقال · أحم : أسود : يعني الرحل علافى : منسوب الى علاف حى من العرب يعملون الرحال · والأبيض : سيف · صارم : قاطـع · والأعيس : الأبيض ، يعني بعيره وأشعث : يعنى نفسه والماجد : الكثير المفاخر ، والقصائد هـذه الأربعه شخصها فى العين واحد لاجتماعها فى سواد الليل ، والمهرى من الابل : منسوب الى مهرة حى من عرب اليمن ·

وكقول النابغة الذبيانى فى وصف النُّسور (طويل) :

تراهُنَّ خلف القوم زُورًا عُيونُها
جُلوسَ الشّيوخ فى مُسُوكِ الأَرانبِ[1]

فهذه اختراعات المتقدّمين التى سَبقوا إليها ، ولم يُلحَقوا فيها .

ومن اختراعات المولَّدين التى سبق إليها قائلها ولم يتبع فيها قول السيد الحميرى[2] فى علىّ عليه السلام (بسيط) :

لكن أبو حَسَن والله أيَّده قد كان عند اللِّقا للطعن مُعْتادا
إذا رَأى معشَرًا حَرْباً أَنَامَهمُ إنامَةَ الرِّيح فى أبياتها عادا

قال الحاتمىّ بعد إيراد هذين البيتين فى هذا الباب : لم يسبق السيّد إلى هذا المعنى ، ولم يتبع فيه ، فإنا ما سمعنا من شبّه إنساناً بالريح غيره ، وهذا وهم من الحاتمى لأَن هذا المعنى لعبد الله بن العبّاس رضى الله عنه فى الحديث الصحيح الذى وصف فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجود فى كل زمان ، وخصوصاً فى شهر رمضان حيث قال : «كَانَ رسولُ الله[3] ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أَجوَدَ الناس ، وكان أَجوَدَ ما يكون فى شهر رمضان ، كان كالريح المرسَلة» فغاية ما فعله السيد أنه نقل المعنى من

---

(١) ديوانه : ٢٧٢ وروايته فيه :

براهن حلف القوم خزرا عيونهـا حلوس الشيوخ فى ثياب المرانب

والمرانب : الفنار العظيمة مختـار الشعر الجاهلى : ١٦ عيار الشعر : ٢٨ ، نهاية الارب ٧ ١٦٥ والزور : جمع أزور ، والأزور : الناظر بمؤخر عينيه ، العمدة ٢ : ٢٠٣ وفيه « ثيـاب المرانب » وهو وجه .

(٢) السيد لقبه ، واسمه اسـماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعـة بن مفرغ الحميرى ويكنى ابا هاشم وهو من شعراء الأغانى .

(٣) انظر الجزء الثـامن عشر من نهـاية الأرب : ٢٥٤ .

الوصف بالجود إلى الوصف بالشّجاعة ، وإلّا فنفس المعنى فى الموضعين تشبيه الإنسان بالريح ، غير أن السيّد أخذ المعنى نثرا ، فعقده بالوزن شعراً . فله هذه الفضيلة لافضيلة الاختراع ، وعلى هذا يكون باب حسن الاتباع أحق بهذا الشعر من باب سلامة الاختراع ، ومن العجب كيف ذهب ذلك على الحاتمى مع تقدّمه فى الأدب وحذقه بالنقد (هذا [١] على أننا جعلنا تشبيه الحِمْيَرىّ نفَس الإمام على–رضى الله عنه–بالريح مجازًا ، والحقيقة فى ذلك غير هذا ، لأن لفظ البيت يدل على انه شبّه بإنامةَ الإمام محاربيه بإنامة الريح عادًا ، فالشاعر إنما شبه إنامة بإنامة ، لانفس المنيم بنفس الريح) ومن اختراعات المحدَثين قول ابن الرومى فى تشبيه الرّقاقة حين يبسطها الخبّاز فى القطعة المشهورة التى أولها (بسيط) :

لا أنسَ ما أنْسَ خبّازا مررتُ به
يدْحو الرّقاقة مثْل اللّمح بالبَصَرِ [٢]

إلى قوله :

إلّا بمقدار ما تَنْدَاح دائرةٌ   فى صفحةِ الماء يُرمَى فيه بالحجَرِ

وإذا وصلت إلى قول ابن حجّاج فى هذا الباب وصلت إلى الغاية التى لاتلحق ، حيث يقول فى رئيس كان قريباً من قلبه ، بعيدا منْ رِفْده[٣] (طويل) :

وإنّىَ والمولى الّذى أنا عبدُهُ   طَريفان فى أمر له طَرَفان

(١) من هنا ساقط من د ، ت . وهو فى هامش أ
(٢) ديوانه : ورقة ١٣١ وروايته «وشك» بدل « مثل » ويدحو الرقاقة : يبسطها .
(٣) الرفد : العطاء .

بعيدًا ترانى منه أقرَبَ ما ترى كأنّى يوم العيد من رمضانِ

ومتى شئت أن تتلاشى هذه المعانى عندك قديمها وحديثها فتدبَّر ما جاء من هذا الباب فى الكتاب العزيز ، مثل قوله تعالى : (إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولَو اجْتَمَعُوا لَهُ وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلوبُ)[1] فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذى يتضمّن هذا الإفراط فى المبالغة مع كونه جارياً على الحقِّ خارجاً مخرج الصدق ، إذا اقتصر فيه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلباً لما تسلبه ، وتعجيز كل من دون الله سبحانه كائنا من كان عن خلْق مثله ، ثم نزل بهم فى التمثيل عن رتبة الخلق إذ هى مما يعجز عن مثلها كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النزر التّفه الذى تسلبه الذباب على ضعفها ، لأن الظفر بنفسها أيسر من الظفر بما تسلبه، ولم يسمع مثل هذا التمثيل فى بابه لأحد قبل نزول القرآن العزيز ، ولم يتناوله متناول كما فعل فى أكثر المعانى إلى الآن ، ولوتُتبِّع ذلك فى الكتاب الكريم لوجد لهذا الموضع أمثال شتّى (كقول[2] رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ «حمى الوطيس[3]) و «مات حتف أنفه »[4] «ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» ، «والسعيد من وعظ بغيره» فى أشياء كثيرة مما اخترعه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يتبع فيه إلى الآن) .

(١) الحج : ٧٣

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، ت ، وهو فى هامش أ

(٣) انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ح ٤:٢٢٠ ولفظه فيه: الآن حمى الوطيس والوطيس : حجارة اذا أحميت لم يقـــدر على ان يطأها بقدمه ، وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

(٤) نصه فى النهاية ١ : ٢٠٠ من مات حتف أنفه فى سبيل الله فهـــو شهيد وانما قيل ذلك لأن نفسه تخرج من فيه وأنفه ، فغلب أحد الاسمين .

بابـ حُسن الاتبـاع *

وهو أن يأتى المتكلّم إلى معنى اخترعه غيرُه فيُحسِن اتّباعه فيه ، بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات التى وجب للمتأخّر استحقاق معنى المُتقدّم إما باختصار لفظه ، أو قصر ، وزنه أو عذوبة قافيته وتمكنها ، أو تتميم لنقصه ، أو تكميل لتمامه ، أو تحليته بحلية من البديع يحْسن بمثلها النظم ، ويوجب الاستحقاق كقول جاهلىّ فى وصف جَمَل له (طويل) :

وعَوْدٍ قليلِ الذّنب عاودتُ ضَرْبَه
إذا هاج شوقى من مَعاهدِها ذِكْرُ[1]
وقلتُ له ذَلْفاءُ ويحكَ سبّبَتْ
لك الضربَ فا صبر ، إن عادتك الصبرُ

فأحسن ابن المعتز اتباعَه فى هذا المعنى حيث قال يصف خيلَه (طويل) :

(×) بنظر النوع السابق ، بحصه فى خزانة ابن حجة ٤٠ وحسن التوسل ٢٨٣ وبلوغ الأرب : ٢٤٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٥وهذا النوع تكلم عنه كل من تكلم عن السرقات تحت هذا الاسم • انظر الصناعنين والجامع الكبير والاستدراك والعمدة ومعاهد التنصيص ٤ : ٣٦ •

(١) نهاية الأرب ٧ : ١٦٥

وخيلٍ طَواها القَوْدُ حتَّى كأَنَّها

أنابيبُ سُمْرٌ من قَنَا الخطِّ ذُبَّلُ[1]

صَبَبْنَا عليها ظالمين سياطَنَا فطارتْ بنا أيدٍ سراعٍ وأَرْجُلُ

فإن ابن المعتز عمَد إلى معنى البيتين المتقدّمين فعمله فى صدر بيته الثانى . وذلك أن حاصل قول الجاهلى فى بيته : إن هذا الجمل لاذنب له ، وإنما ضربته مرةً بعد أُخرى لمَّا هيَّج لى ذكر معاهد هذه المعشوقة من الشوق ، فتوهّمت أنه بالضرب يخرج عن حدّ الاستطاعة ، ويأْتى من السير بما ليس فى الطاقة ، وأكد كون هذا العَوْد لا ذنب له بقوله فى البيت الثانى :

وَقلت له ذلفاءُ ويحكَ سبَّبَت

لك الضرب فاصبر ، إن عادتك الصبر

يعنى أنك لولا اشتياقى لذلفاء لم تكن محتاجاً إلى الضرب جملة . وأكّد هذا التأْكيد بكونه شهد له أن عادته الصبر (فإن[2] قيل : ظاهر قوله: قليل الذنب يدل على ذنب قليل . ولذلك قال عاودت ضربه أى أنه أذنب فضربته بها ثم لما اشتقت عاودت ضرْبه ، فالضرب الأَول ، استحقاقاً ، والثانى ظلماً .

قلت : لو انفرد البيت الأَول من الثانى ساغ هذا التأْويل حملا على الظاهر لكنه ، مع انضمامه إلى البيت الثانى لايسوغ ، فإنه قال فيه :

وقلت له ذلفاءُ ويحك سببت لك الضرب . . . . . .

---

(١) لم أعثر عليهما فى ديوانه وهما فى نهاية الأرب ٧ : ١٦٦ والقود : ضرب من السير السريع .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

وآلة التعريف فى الضرب للجنس ، لأن ذلفاء هى التى سبّبت لك الضرب أوّلا وآخرا ، فإنك لولاها ما هاج لى من شوق لمعاهدها فأذهلَنى حتّى توهّمت أنّ الضّرب يخرج بك عن الحدّ الذى لم تكن محتاجاً إليه ، ويدلّ على صحة ذلك شهادته له بالصبر مطلقاً فى كل حال ، إذ الألف واللام فيه للجنس أيضاً ، وإذا كان صابرًا مطلقاً دلَّ صبره على شدة السير ومتابعتِه يجْرِى ذلك الجَرْى ، فلا يقع ضربه إلا ظُلْماً ، وأما قوله : قليل الذّنب ، فعلى عادة العرب فى استعمال هذه اللفظة ، وهى تريد مطلق النّفى فى قولهم : فلان قليل الخير وهم يريدون نفى الخبر عنه كثيرِه وقليلهِ ، وكلّ هذا حاصل فى قول ابن المعتز « صببنا عليها ظالمين سياطنا » فإن قوله : « صببنا » هو عين قول العربى « عاودت ضربه » وما دلّ عليه لفظه من كون الضرب كان ظلماً هو عين قول ابن المعتز : « ظالمين » بلفظ الإيجاز ، فحسن البيان فى كلام ابن المعتز بخلاف كلام الأول ، لأن دلالة اللفظ فى كلام ابن المعتز دلالة مطابقة ، ودلالة الأول دلالة التزام ، ولم يُعْوِز ابن المعتز من معنى الأول إلا التعليل ، فإنه ذكر العلَّة التى لأجلها ضرب جمله ظلماً كما أعوز الأول من معنى ابن المعتز ذكر ثمرة الضرب وفائدته ، فإن ابن المعتز لمّا قال :

« صببنا عليها ظالمين سياطنا »

قال عقيب ذلك : « فطارت » ، وأدمج فى ضمن هذه المبالغة التى هى ثمرة الضرب وصف الخيل بعدوها من موجبات الضرب ، وحقق ظلمه لهن أنها لما خرجت من الوحشية إلى الطّيرية فقد أحسن ابن المعتز الاتباع غاية الاحسان) .

ومن حسن الاتباع اتباع أبي نُواس جريرًا فى قوله (الوافر) :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ ... حَسبتَ النَّاسَ كلَّهمُ غضاباً[1]

حيث قال ونقل المعنى من الفخر إلى المديح : (سريع)

وليس لله بمستنكرٍ ... أن يجمع العَالَمَ فِى واحِدِ[2]

فزاد على جرير زيادات : منها أن جريرا أخرج كلامه مخرج الظنّ حيث قال : «حسبت» وإن كانت قد تقع بمعنى العلم ، لكنها فى هذا الموضع لا يَحسن أن تكون إلّا ظنّا ، لأنها متى تأوّلت بمعنى العلم خرجت المبالغة إلى حد الغلوّ ، وعِيبَ الكلام بما هو أشد من التقصير .

ومنها أن جريرا لم يذكر من العالم سوى نوع الإنسان ، وأبو نُواس زاد على جرير بما يتضمنه ذكر العالم من الملائكة والجن والأفلاك وكل موجود سوى الله سبحانه ، وأخرج كلامه مخرج الإسجال ، بثبوت دعواه فى هذا الممدوح بتعظيم قدرة الله تعالى على الإتيان بهذا الخارق الذى لا يَقْدِر عليه غيرُه ، واتبع أبا نواس فى هذا المعنى الوزيرُ المغربى فقال (بسيط) :

حتى إذا ما أراد الله يُسْعدُنى ... رأيْتُه فرأيتُ النَّاسَ فى رجلِ

(فإن الوزير[3] أحسن اتّباعه لأبى نواس بما وقع له من الزيادات ، منها الإيجاز ، فإنه عمل معنى عجز بيت أبى نواس فى بعض عجز بيته ، فنقله من ثمانية عشر حرفا إلى أربعة عشر حرفا ، والتعليل فى كونه جعل العلّة فى إسعاده رؤية هذا الممدوح ، وجعل ذلك مراد الله سبحانه ليحقّق

---

(١) ديوانه ١ : ٣١ ط مصر سنة ١٣١٣هـ والصناعتين ٢٧٦ والفاضل للمبرد ١٠٩ وعيار الشعر ٤٨ والموشح ٢٤٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٦ ، ومعاهد التنصيص ٤ : ٨١

(٢) ديوانه : ٨٧ والصناعتين ٢١٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٦ ومعاهد التنصيص ٤ : ٨١

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت .

مدحه بتحقيق وقوعه ، وإن كان قد قصّر عن أبي نواس في كونه اقتصر من العالَم على ذكر الناس ، كما فعل جرير ، فقد جبر ذلك الوهن بما زاد من المبالغة في المدح ـ فإنه جعل ممدوحَه ابتداءَ سعادته ـ ونَقَصَ من اللفظ .

على أن ذكر «الناس» في بيتَى جرير والوزير ملائم لذكر جرير «بنى تميم» وذكرِ الوزير لفظةَ «رجل» ، ولو لم يكن بيت أبي نواس أخصر وزنا من بيت جرير لكادا يتساويان) .

ومن أحسن ما سمعت في حسن الاتّباع اتباع منصور الفقيه المصريّ رحمه الله تعالى عنترةَ في قوله (كامل) :

إنّى امرُؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِبا　　شَطْرِى ، وأحمى سائرى بالمنصلِ

فإن الفقيه قال في شريفٍ سبّه وكان شريفا من جهة أبيه دون أمّه (مجتثّ) :

من فاتنى بأبيه　　ولم يفتْنى بأُمّهْ
ورام شتْمىَ ظلما　　سكتٌّ عن نصْف شَتْمهْ

فإن هذا الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ أحسن غاية الإحسان من وجوه :

أحدها الإيجاز ، فإنه عمل معنى عنترة الذى جاء به في بيت من تام الكامل ، المركّب من اثنين وأربعين حرفا في بيت من المجتثّ مركّب من ستة وعشرين حرفا .

والمطابقة المعنويّة حيث قال «بأبيه وأُمّه» ، فإنه طابق في ذلك بين الذكر والأُنثى .

(هذا وبيته الذى أتى فيه على معنى غيره وزاد ما أبديناه من الزيادة بيت توطئة ، كبيت وقع فيه من الإغراب والطرفة مالم يقع فى مثله . وهو قوله :

* سكت عن نصف شتمه * :

ومن هذا الباب قول ابن الرومى (طويل) :

تَخِذْتُكُمُ درعا حصينا لتدْفَعوا نِبالَ العِدَا عَنّى فكنتمْ نِصالَها
وقد كنتُ أَرجو منكمُ خيرَ ناصرٍ على حينِ خِذلَانِ اليمين شمالَها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودّتى ذماما فكونوا لا عَلَيْهَا ولا لَهَا[1]
قِفُوا وقْفَةَ المَعْذُورِ عنّى بمعزلٍ وخلُّوا نبالِى للعِدَا ونبالَها

فاتبعه ابن سِنان الخفاجى الحلبى فقال (كامل) :

أعددتكمْ لدفاع كلِّ مُلِمَّةٍ عونا فكنتمْ عونَ كلِّ ملمّةِ
وتَخذتكُمْ لِىَ جُنَّةً[2] فكأنّما نظرَ العدوّ مَقاتِلِى من جُنَّتى
فلأنفُضَنَّ يَدَىَّ يأْسًا منكمُ نفْضَ الأَناملِ من تُرابِ الميّتِ

وألطف ما قيل فى هذا المعنى قول القائل[3] (وافر) :

وإخوانٍ تخذتهمُو دُرُوعًا فكانوها ولكنْ للأَعادِى
وخلتهمُ سِهاما صائباتٍ فكانوها ولكنْ فى فؤادِى
وقالوا قد صَفَتْ منا قُلوبٌ لقد صَدَقوا ولكنْ مِنْ وِدَادِى

وقد تقدّمت هذه الأبيات ، وإنما أتيت بها ها هنا ليظهر لطفها بالنسبة إلى ما تقدّمها فى معناها .

---

(١) هذا البيت ساقط من د
(٢) الجنة : الوقاية .
(٣) نهاية الأرب ٧ : ١٥١

ومن مليح حسن الاتّباع ما وقع بين ابن الرومى وبين أبي حيّة النّميرىّ فيما قاله فى زينب أُخت الحجّاج حيث قال[1] (طويل) :

تضوّع مسكا بطنُ نَعمانَ إذْ مَشَتْ به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِراتِ
يُخَمِّرن أطرافَ البنَانِ مِن التُّقى وَيبرزْنَ شَطرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
فهن اللَّوَاتِى إن برَزْن قَتَلْنَنِى وإن غبْنَ قَطَّعْنَ الحَشَا حَسَرَاتِ

والبيتَ الأَخيرَ أَردت ، فإن ابن الرومى اتبعه فيه فقال[2] وأتى بمعنى البيت كاملا فى نصف بيت : (كامل) .

ويْلاه إن نظرتْ وإن هى أَعرضَتْ وَقْع السِّهام وَنَزْعهنّ اليمُ

وغيّر السعيد ابن سناء الملك رحمه الله – مِن وجوهِ قائلى هذا المعنى قديما وحديثا حيث قال (طويل) :

إذا هجرتْنى شيّبَتْنى بهَجْرِها وإنْ وَاصلتْنى شيّبتْنى بِطِيبها

ومن محاسن هذا الباب أيضا اتباع المعرىّ أبا عبادة البحترىّ فى قوله (كامل) :

أَخجلْتَنى بنَدَى يديْكَ فسوَّدتْ ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ[3]
صِلَةٌ غدتْ فى النَّاسِ وهى قطيعةٌ عَجَبٌ وَبِرٌّ راحَ وهوَ جَفَاءُ

فقال المعرّى (بسيط) :

(١) الأغـانى ٦ : ١٩٢ و١٩٣ ونهـــاية الأرب ٧ : ١٦٦ وورد فيه البيت الاخير وهـــو محل الشاهد • وبطن نعمان : مكان • ويخمرن : يسترن • ومعتجرات : مستترات •

(٢) معاهد التنصيص ٤ : ٢٩

(٣) ديوانه ١ : ٧ من قصيدة يمدح بها محمد بن على بن عيسى القمى الكاتب ، اولها :

امواهب هاتبك أم أنواء هطل واخذ ذاك أم اعطـــاء

لو اخْتصرْتمْ من الإحسان زرتكمُ   والعذبُ يُهْجَر للإفراط فى الخَصرِ[1]

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر الصحيح ، (وعوض[2] عما فاته من بديع الألفاظ مثل المطابقة والمقابلة بالتجنيس والتمثيل ، ففى بيت أبى عبادة من الإغراب والطُّرفة معنى لم يفت أبا العلاء ، فإن كون الصلة بعينها قطيعة ، والبر بنفسه جفاءً ، من الغريب الظريف، ولا جرم أنه أتى بذكر التعجب من ذلك ، وكذلك طلب الاختصار من الإحسان ، وجَعْل ما هو من أقوى أسباب الزيادة سببا فى قطع الزيادة من الغريب الطريف أيضا ، وإذا نظرت إلى مافى بيت المعرِّى من كونه يسدّ فى التمثيل به مسدَّ البيتين مع إيضاح معناه وما فيه من حسن البيان ، وكون مَا فِيهِ من التجنيس والتصدير ليكون صلة بين المعنى والزيادة ، وأسًّا لقافيته المستجادة ، ثبت الفضل لبيت المعرّى .

ولقد أحسن البُحترى فى اتّباع الحزين الكنانىٍّ فى قوله (بسيط) :

يُغْضِى حياءً ويُغضى من مَهابتِهِ   فما يكلَّم إلَّا حين يَبْتَسِمُ[3]

فإن البحترى قال (بسيط) :

---

(١) شرح سقط الزند السفر الثانى مسم أول ص ١١٤ وهو من قصيدة يمدح بها أبا الرضى المصيصى وتقريب المعاهد ٤٧٢ وانظره فى باب التمسل

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، د

(٣) البيت فى نقد الشعر ٢٧ من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان وفد وفد عليه وهو عامل مصر مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم

وتروى القصيده لداود بن سلم فى مدح قسم بن العباس بن عبد الله بن العباس ·
وتروى أيضا للعين المنقرى فى مدح على بن الحسن · وتروى أيضا للفرزدق ولكنها ليست فى ديوانه · انظر الأغانى ١٩ : ٤٠ ، وزهر الآداب ١ : ٦٥

إن أطرقَ اسْتوحشتْ للخَوف أَفئدةٌ   وعلأُ الأَرضَ من أُنسٍ إذا ابتسما[1]

ومن حسن الاتباع اتباع ابن المعتز بشّارا فى قول بشّار[2] (طويل) :

كأَن مُثارَ النَّقع فوقَ رؤُوسِنا   وأَسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكبُهْ

فإن ابن المعتز قال[3] (طويل) :

إذا شئتُ أوقرت البلاد حَوافرا   وسارت وَرَائى هَاشِمٌ ونِزَارُ

وعمَّ السماءَ النَّقْعُ حتَّى كأنَّه   دخانٌ وأطراف الرِّماح شَرَارُ

فإن بشارا قال « فوق رءوسنا » والليل لا يخصّ رءوسهم لعموم ظلمته الآفاق . وابن المعتز تخلَّص من هذا الدَّخَل بقوله : « وعم السماءَ النقع » دليل على كثرة الجيش وانتشاره ، ولذلك قال فى بيت التوطئة : « أوقرت البلاد حوافرا » وكان مثل هذا لائقا به لمكانه من الملك .

ومن حسن الاتباع اتباعى ابن الرومى فى قوله (بسيط) :

سدّ السّدَادُ فمِى عَمّا يَريبكُمُ   لكنْ فمُ الحَالِ منّى غيرُ مسدودِ

فإنى اتَّبَعْتُه فى هذا المعنى فقلت (كامل) :

هبنى سكَتُّ أما لسان ضرُورتى   أهجى لكل مُقَصِّر عن مَنْطِقِ

فإن بيت ابن الرومى وقع فيه من المحاسن أربعة عشر ضربا ، وهى التجنيس فى قوله سدَّ السداد ، والتفسير فى قوله « عمّا يريبكم » ، والاستدراك

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٥٩ من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة أولها :

بالله آلى يمينا برة قسما   ما كان ما زعم الواشى كما زعما

واطرف : سكت

(٢) ديوانه : ٣١٨ والنقع : الغبار . و مثاره : ثورانه . وتهاوى كواكبه : تسقط . معاهد التنصيص ٢ : ٢٨

(٣) ديوانه ١ : ٢٩ ط المحروسة سنه ١٨٩١ وأوقرت البلاد : ملأتها . وأراد بالحوافر هنا خيل الحرب .

فى قوله : «لكن وما بعدها ، والاستعارة فى قوله : «فم الحال» ، والتصدير فيما بين القافية وأول البيت ، والتمثيل ، فإن البيت خرج مخرج المَثَل ، والمساواة ، لأن لفظ البيت طبْق معناه ، والائتلاف ، لأن كل لفظة من مفردات ألفاظه لا يصلح مكانها غيرها ، والإرداف فى قوله : «لكن فم الحال» العَجُز كلّه : فإنه أراد أن يقول : سوءُ حالى ينطق بذمّكم ، فعبّر عن المعنى بلفظ هو ردفه حيث قال :

* لكن فم الحال منى غير مسدود *

فرارا من التصريح بالذّم (والافتنان[1] لأنه أشار إلى فن الفخر بوصف نفسه بالسداد ، والبيت من فن العتاب ، والتعليق لأن فن الفخر متعلق بفن العتاب ، والإدماج لأن الإشارة فيه مندمجة فى التفسير فى قوله : «عما يريبكم» لأن كلّ ما يريب لو عدد بلفظه الموضوع له لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة ، والتعطُّف فى ذكر الفم فى صدر البيت مع ذكره فى عجزه ، والتهذيب لمجىء جملة صدره على ترتيب الوضع اللغوى البليغ ، من تقديم الفعل على الفاعل ، وتقديم الفاعل على المفعول ، وتقديم المفعول الذى تعدّى الفعل بنفسه إليه على الفعل الذى تعدّى إليه بالحرف ، وكذلك رتب العجز من تقديم حرف الاستدراك على الجملة الابتدائية ، وتقديم المبتدإ على الخبر) .

واتفق فى بيتى سبعة عشر ضربا من البديع ، وهى المطابقة فى السكوت والنطق ، واستعارة اللسان للضرورة ، والمبالغة فى قولى : «أهجى» والتكميل

(١) ما بين قوسين ساقط من د ، ت ، وهو فى هامش أ .

فى قولى : «لكل مقصر» ، والتفسير فى قولى : «من منطق» ، والتمكين من أجل أن القافية مستقرة فى مكانها ، والمساواة فى كون لفظ البيت طبّق معناه ، والائتلاف فى أن كلَّ لفظة لا يقوم غيرها مقامها ، والإيجاز فى تفاصيل البيت وجملته بالنسبة إلى البيت الذى قبله ، فإن قولى «هبنى سكتّ» أوجز من قول ابن الرومى : «سدّ السداد فمى» لأن ملخّص كلامى سكتّ ، وملخص كلامه : سدّ فمى . وقولى : «لسان ضرورتى» أوجز من قوله «فم الحال منى» وقولى : «أهجى» أوجز من قوله «غير مسدود» ، فهذا إيجاز تفاصيل البيت ، وأما إيجاز جملته فلأن حروف بيتى اثنان وأربعون حرفا ، وبيت ابن الرومى خمسة وأربعون حرفا ، مع أنهماقد استويا فى عدّة المتحركات ، إذ كل بيت منهما سبعة وعشرون متحركا والانسجام بالنسبة ، لأن بيتى جاء عريا عن الكلفة بخلاف بيته ، والإيضاح لأن المعنى المراد فى ألفاظ بيتى أشد وضوحا من معناه ، فإن بيتى لا يفتقر فى دلالته على معناه لشئٍ مقدّر بخلاف بيته ، ومفردات ألفاظى أشد وضوحا لمعانيها من مفردات بيته ، لأن[1] قولى : «أهجى» أدلّ على معنى الهجاء بظاهره من قوله : «عما يريبكم» وكلا البيتين المراد به التهديد بصريح الهجاء نطقا دون هيئة ، وفى قولى «هبنى سكتّ» إشارة إلى أنّى لا أسكت ، ثم قلت على حكم التنزل الجدلى : وهبنى سكتّ أيسكت لسان ضرورتى ؟ وفى قول ابن الرومى :

* سد السدّاد فمى عمّا يريبكم *

إسجال على نفسه بالسكوت عن هجوهم ، وهذا غير مراده الذى أراده من التهديد ، وإذا وضح معنى الكلام هذا الوضوح فى لفظ قد انتخبت

(١) منهنا لآخر الباب ساقط من ت

مفرداته وحسن تركيبه وسهل فهمه ، كان موصوفا بحسن البيان دون غيره ، ومنعوتا بالتهذيب دون سواه ، وإذا استوى البيتان فى المعنى وكان أحدهما أخصر وزنا وأبلغ معنى وكانت محاسنه أكثر ، وعَرى مما وقع فى أخيه من العيوب ، كان قائله موصوفا بحسن الاتّباع ، وبيتى كذلك ، لا سيما وقد وقع فيه مع هذا الابداع ، وهو تضمن كل لفظة بديعا أو بديعين ، مثل تضمن «هبنى سكت» الترشيح للاستعارة التى فى «لسان ضرورتى» وفيها بعدها الضرب الجدلى الذى سماه أهل الصناعة المذهب الكلامى ، وفى الضرب تفسير وتمكين ، وفى جملة البيت ما تقدّم . فحصل فى البيت سبعة عشر ضربا من البديع قد تقدّم ذكرها مفصّلة ، وسياقها جملة : المطابقة ، المذهب الكلامى ، الترشيح ، الاستعارة ، المبالغة ، التكميل ، التّفسير ، التمكين ، المساواة ، الائتلاف ، الإيجاز ، الإيضاح . حسن البيان ، الإبداع ، التهذيب ، الانسجام ، حسن الاتّباع ، ففَضَل بيتى بيتَ ابنِ الرومىّ بثلاثة أضرب من البديع ، وخلوه من العيب الذى بسببه امتنع به أن يوصف بالانسجام .

ومن حسن الاتباع اتباع الأخطل النابغة الذّبيانى فى قوله (طويل) :

فإنّك كالليل الذى هو مُدْركى وإنْ خلتُ أنّ الْمُنْتأى عنك واسع[1]

فقال (طويل) :

وإنّ أميرَ المؤمنين وفعلَه لكالدهر لاعارٌ بما صنع الدهر[2]

فهذا من الاتّباع الذى ليس بحسن ، وإنما ذكرته فى هذا الباب لأذكر بعده الاتباع الحسن فيَبِينَ فضله :

---

(١) ديوانه : ٢٧١

(٢) لم نعثر على هذا البيت فى ديوانه .

* والضدُّ يُظهِر حسنه الضدُّ *

ومنه قول عليّ بن جَبَلة (طويل):

وما لامرئٍ حاولتَه مِنْكَ مَهْرَبُ ولو رفعتْه فى السماء المَطالعُ
بلى هاربٌ لا يهتدِى لمكانِه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح سَاطِعُ

فإنى رأيت اكثر العلماء رجحوا هذا البيت على بيت النابغة ، وفى الشعرين عندى بحث يضيق عنه هذا المكان ، ومثل هذا المعنى قول سَلْم الخاسر (بسيط):

فأنت كالدهر مَبْثُوثًا حبائلُه والدّهر لاملجأ منه ولا هَرَبُ
ولو ملكت عنان الريح أصرفُها فى كلّ ناحية مافاتك الطَّلبُ

وتناوله البحتريّ فقال: (كامل):

ولو أنّهمْ ركبوا الكواكبَ لم يكن يُنجيهمُ من خَوْف بأْسك مَهربُ[1]

وكلّ هذه المعانى متلاشية فى جنب قول الله تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُون إِلَّا بِسُلْطَانٍ[2]» وقد جاء من ذلك فى السنَّة النبويّة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نُصِرتُ بالرّعب ، وجعل رزقى تحت ظلّ رمحى ، وليدخُلنّ هذا الدين على مادخل عليه الليل .

ومن حسن الاتباع اتباع نُصَيب الأعشى فى قول الأعشى (طويل):

وإن عتاقَ العِيسِ سوف تزوركمْ ثناءٌ على أعجازهن مُعَلَّقُ[3]

(١) ديوانه ١ : ٦٣ ورواية الشطر الثانى فيه هكذا :
. . . . لجدهم من أخذ بأسك مهرب
والبيت من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم بن مصعد مطلعها :
عارضتنا أصلا فقلنا الربرب حتى أضاء الأقحوان الأشنب

(٢) الرحمن : ٣٣

(٣) (الصبح المنير فى شعر أبى بصير) ط أوربا : ١٤٩

فقال نُصَيب (طويل) :

فَعَاجُوا فأَثْنَوْا بالذى أنتَ أهلُه ولوسَكَتوا أثنَتْ عَليكَ الحقائب[1]

ومنه اتباع أبي تمّام عنترةَ فى قول عنترة (كامل) :

فازورّ من وقع القَنَا بلبَانه وشكا إلىّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[2]

فقال : أعنى أبا تمام (بسيط) :

لو يعلم الرُّكن من قد جاءَ يَلثِمه لخرّ يلثِم منه موطئَ القدمِ[3]

واتبعهُ البحترى فقال (كامل) :

ولو آن مشتاقا تكلَّف فوق ما فى وُسْعه لسَعى إليك المِنْبَرُ[4]

واتبعه المتنبي فقال (كامل) :

لو تَعْقِل الشَّجر التى قابلْتَها مدّت محيّيةً إليك الأغصنا[5]

وكل هذا من قوله تعالى : «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ»[6] الآية ، وقوله سبحانه : «إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا[7]» الآية وقوله عز وجلّ : «تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ[8]» ، والله أعلم .

---

(١) الشعر والشعراء ١ : ٣٧٢

(٢) شرح المعلقات للتبريزى : ١٥٠ طبع كلكته سنة ١٨٥٤ وعبار الشعر : ١٢٠

(٣) لم أعثر عليه فى ديوانه الذى بين يدى .

(٤) ديوانه ١ : ١١٠

(٥) ديوانه ٢ : ٤١٢

(٦) ق : ٣٠

(٧) الفرقان : ١٢

(٨) الملك ٠ ٨

باب حسن البيان *

(حسن[1] البيان عبارة عن الإبانة عمّا فى النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة من اللَّبس، كما قال الشاعر (خفيف):

خطباءٌ على المنابر فُرسا نٌ على الخيل قَالَةٌ غيرُ خُرْسِ
لا يُعابون صامتين وإن فَا هُوا أبانوا ولم يَفُوهُوا بلَبْسِ

والبيت الثانى أردت).

وهو أعنى حسن البيان إما بالأسماء والصفات المنفردة وإما بهما مؤتلفة، ودلالة الأول متناهية، ودلالة الثانى غير متناهية، فإن قائلا لو قال: قد انتهى تأليف الشعر بحيث لا يمكن أن يؤتى بقصيدة إلّا وقد قيلت من قبل، كان قوله محالا، إلّا أن تقول: أردت الوزن والتقفية لا غير، وأما جملة القصيد ومجموع صورتها فلا، لأن دلالة التأليف غير متناهية، كما أن الأعداد الممكنة ليس لها نهاية، غير أن البيان فيه الأقبح والأحسن، والوسائط بين هذين الطرفين، فالأقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبيٍ كان معه، فأراد أن يقول: أحد عشر، فأدركه العيّ، حتّى فرّق أصابع يديه وأدلع لسانه، فأفلت الظبى، وهذا أقبح بيان، مع أنه قد بالغ فى الافهام، لكونه أخرج تعريف العدد من السماع إلى

(×) لا يخرج هذا النوع عن الايضاح وقد تكلم عنه من سبقه من العلماء.
(١) ما بين قوسين ساقط من ت، د. وهو فى هامش ا.

العيان ، (ومن ها[1] هنا يُعلم أنه ليس كلّ إيجاز بلاغة ، ولا كل إطالة عيّا ، فإنه لا إيجاز فى الإفهام أوجز من بيان باقل ، لأن المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة ، ومع ذلك ضرب به المثل فى العيّ بهذا البيان) ، والأحسن أن يقول : أحد عشر ، والوسائط أن يقول مثلا : ستة وخمسة ، أو عشرة وواحد ، أو خمسة وخمسة وواحد ، والوسائط تعلو وتسفل بحسب قربها من البلاغة وبُعدها بالنسب والإضافات ، وبيان الكتاب العزيز وكلّ كلام بليغ فصيح من الأحسن دون الأقبح ودون الوسائط ، لكن الأحسن أيضا تتفاوت طبقاته كالوسائط ، فمنه الأعلى والأدنى والأوسط بالنسبة ، وحقيقة حسن البيان إخراج المَعْنَى المراد فى أحسن الصّور الموضّحة له ، وايصاله لفهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، لأنه عين البلاغة ، وقد[2] تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز ، وطورا من طريق الإطناب ، بحسب ما تقتضيه الحال . والإطناب بلاغة ، والإسهاب عيّ ، لأنّ الإطناب كثرة العبارة بسبب كثرة المعانى ، والإسهاب كثرة العبارة عن المعنى الواحد . والمعانى القليلة ، والأول بعينه هو حدّ البلاغة) وحقيقتها . وبه جاء كلّ بيان القرآن . كقول الله تعالى وقد أراد أن يحذّر من الاغترار بالنعم « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ[3]) وكقوله تعالى وقد أراد أن يُبين عن الوعد (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ) الآية . وكقوله عزّ وجلّ وقد أراد أن يُبين عن الوعيد (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا
(٢) مابين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش ا
(٣) الدخان : ٢٥ ــ ٢٧

مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ[1]) (وكقوله[2] فى الاحتجاج القاطع للخَصْم): (وَضَرَبَ لَنَا[3] مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) وكقوله تبارك وتعالى وقد أراد أن يبين عن تقريع الكفار: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ[4]) وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن التحيّر: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ[4]) وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ[5]) وأمثال هذه المواضع كثيرة لمن يتتبّعها.

ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية (منسرح):

يضطربُ الخَوْف والرَّجاءُ إذا ... حرّك موسَى القضيبَ أو فَكَّرَ[6]

وكقول الآخر (طويل):

له لَحَظَاتٌ عن خِفافَىْ سَرِيرِه ... إذا كَرَّها فيها عِقَابٌ ونَائِلُ

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة، ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظَم المَهَابة بعد الله سبحانه، فإذا نظر أحدهما نظرة، او حرَّك القضيب مرة، أو أطرق مفكرا لحظة، اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس، فأبانا عن هذه المعانى أحسن إبانة بخلاف قولى (طويل):

بكفَّيه نفْعُ العالمين وضُرُّهُمْ ... فنُعْمَى لِذِى حُسْنَى وبُؤْسَى لمُجْرِمِ

---

(1) الدخان: ٤٠

(2) ما بين قوسين ساقط من ت

(3) يس آيتا ٧٨، ٧٩

(4) الزخرف: ٥ و٣٩

(5) الأنعام: ٢٨

(6) لم نعثر على هذا البيت فى نسخه الديوان التى بين ايدينا، وهو فى نقد الشعر: ٢٧

فإنِّى أردت الإبانة عن معنى أبى العتاهية والذى بعده ، فأبنت عنه بيانا غير حسن ولا قبيح ، ولم يكن فى قوّتى الإبانة عن المعنى بأحسن بيان كما فَعَلاَ ، فإن بيتى يَصْلح أن يكون من شواهد الوسائط فى هذا الباب ، وإن كان أبو العتاهية والذى بعده ألمَّا فى معناهما بالحَزِين الكِنَانى [1] حيث يقول فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وقد وفَد عليه وهو عامل مصر لأبيه (بسيط) :

لمَّا وقفتُ عليه فى الجموع ضحًى ... وقد تعرَّضت الحُجَّابُ والخَدَمُ
حيَّيتُه بسَلام وهو مُرتفقٌ ... وضجَّةُ النَّاسِ عند البَابِ تَزْدَحِمُ
فى كَفِّه خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... من كفِّ أروَعَ فى عِرْنِينه شَمَمُ
يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابته ... فما يكلَّم إلَّا حينَ يَبْتَسِمُ

والبيتَ الأخيرَ أردتُ .

(والفرق[2] بين ما سميته فى بيت أبى العتاهية والذى بعده حسن بيان وبين الإشارة ، أن الإشارة لا تكون بلفظ الحقيقة ، وحسن البيان يكون بلفظ الحقيقة وبغيره ، فما كان منه بلفظ الحقيقة فهو من البيان الأحسن ، وما كان بغير لفظ الحقيقة فهو من البيان الحسن ، ولا بد أن يكون لفظه أقرب إلى لفظ الحقيقة من لفظ الإشارة ، كما أنَّ لفظ الإشارة أقرب إلى لفظ المعنى من لفظ الإرداف ، ولفظ الإرداف أقرب من لفظ التمثيل ، ألا ترى أن لحظات الناظر تدلّ على الغضب والرِّضا أسرع ما

---

(١) انظر ص ٢٦٩ من هذا الكتاب . والأروع : الشجاع ، والعرنين : الأنف ، والشمم هنا : الأنفة والعزة .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

يدلّ قَيْدَ الأوابد على سرعة عَدْوِ الفَرَس ، والإنسان يجد الفهم يُسرع إلى مدلول اللَّحظات أقرب من سرعته إلى مدلول قَيْد الأوابد) والفرق[1] أيضا بين حسن البيان والإيضاح ، أن الايضاح يكون بالعبارة الفاضلة والعبارة النازلة ، وحسن البيان لا يكون إلّا بالعبارة الفاضلة ، والله أعلم .

---

(١) أن ما أتى به من علة التفرقة بين الا يضاح وحسن البيان من كون حسن البيان يكون بالعبارةالفاضلة والايضاح يكونبالعبارة الفاضلةوالنازلة عله لا ننهض دليلا على التفــرقة بين النوعين وخاصة أنه تكلم فى حسن البيان عـلىحسن البيان الحسن والاحسن والقبيح وما من شك فى أن القبيح والمتوسط سيكونان بالعبارةالنازلة ٠

بـــابُ التـــوليـــد *

التَّوليد على ضربين : من الأَلفاظ ومن المعانى ، فالذى من الأَلفاظ (على ضربين[1] أيضا ، توليد المتكلِّم من لفظه ولفظ غيره ، وتوليده من لفظ نفسه ، والأَول هو أن يزوّج المتكلِّم كلمة من لفظه إلى كلمة من غيره ، فيتولَّد بينهما كلام يناقض غرض صاحب الكلمة الأَجنبية ، وذلك فى الأَلفاظ المفردة دون الجمل المؤْتلفة) .

مثاله ما حكى أَن مصعب بن الزبير[2] وَسَمَ خيلَه بلفظة « عُدّة » فلمَّا قُتل وصار إلى العراق رآها الحجّاج فوسَمَ بعد لفظة عدّة لفظة « الفرار » فتولَّد بين اللفظتين غير ما أَراده مصعب .

(ومن لطيف[3] التوليد قول بعض العجم[4] ، وهو توليد المتكلِّم ما يريد من لفظ نفسه (وافر) :

كأَن عِذَارَه فى الخدّ لامُ ... ومَبْسِمهِ الشَّهِىّ العَذْب صَادُ
وطرّة شَعرِهِ ليلٌ بَهِيم ... فلا عَجَبٌ إذَا سَرَقَ الرّقَادُ[4]

(×) بحثه ابن منقذ فى بديعه تحت اسم التطبيق والتوليد ١٣٣ وهذا النوع بالنقد اولى وبالسرقات الأدبيه اقرب ، وقد تكلم عنه من عدم المؤلف تحت اسم التضمين والاقتباس ، ونقل الحزل الى الجزل ، كما فعل ابن منقذ فى بديعه ١٩٨ ، وتحت اسم النقل كما فى بديعه ابضا ورقة ١٠٨ ، وتكلم عنه صاحب أنوار الربيع ٦٩٣ ، وخــزانه ابن حجة : ٣٥٨ ولم يعـــد اللفظى منه من أنواع البديع علما بانه ولد الفاظ بحث بدءعنه ببيت لابى تمام .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا .

(٢) انظر هذا المثال فى بديع ابن منقذ ١٢٣ ورد ايضا وهو بمعنى آخر اذ يروى أن مصعب وسم على خيله « نعم الدخيرة » فلما أخذها الحجاج الحق بالسمة كلمة (للفرار) .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا .

(٤) انظر البيتين فى خزانة ابن حجه : ٣٥٩

فإنَّ هذا الشاعرَ ولّد من تشبيه العِذَار باللام ، وتشبيه الفم بالصّاد لفظة لصّ ، وولَّد من معناها ومعنى تشبيه الطُّرة بالليل ذكر سرقة النوم ، فحصل فى البيت توليد وإغراب وإدماج ، وهذا من أغرب ما سمعت فى ذلك ، وهو الثانى من التوليد اللفظى) .

ومن توليد الألفاظ توليد المعنى من تزويج الجمل المفيدة .

ومثاله ما حكى أن أبا تمام أنشد أبا دُلَف :

« على مِثْلها من أربُعٍ ومَلَاعِبِ[1] »

فقال : من أراد نكتة فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، فولَّد بين الكلامين كلاما ينافى غرض أبى تمام من وجهين : أحدهما خروج الكلام من النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضمّ إليه من الدعاء ، والثانى خروج الكلام من أن يكون بيتا من شعر إلى أن صار قطعة من نثر .

ومن هذا الضرب قول الشاعر (طويل) :

ألومُ زيادا فى رَكَاكَةِ عقْله ... وفى قوله أىّ الرّجال المهذَّبُ
وهل يُحسِن التّهذيب منك خلائقا ... أرقّ من الماء الزّلال وأطيبُ
تكلَّمَ والنُّعمان شَمْسُ سمائه ... وكلّ مليك عند نُعْمَاكَ كَوْكَبُ
ولو أبصرتْ عيناه شخصَك مرةً ... لأبصر منه شمسَه وهو غَيْهَبُ[2]

فإن هذا الشاعر زوّج مِدْحةَ ممدوحه بتهذيب الأخلاق إلى قول النابغة « أىّ الرجال المهذب »[3] فتولد بين الكلام ما ينافى غرض النابغة ، حيث

---

(١) ديوانه : ٤٠ وهو صدر بيت له وعجزه :
« اذيلت مصونات الدموع السواكب »
وهومطلع قصيدة يمدح بها أبادلف القاسم بن عيسى العجلى، وهى من عيون قصائده فى المدح
(٢) الغيهب : الظلمة
(٣) البيت بتمامه هو :
لست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أى الرجال المهذب

أخرج الشاعر كلامه مخرج المنكر على النابغة ذلك الاستفهام ، وأوضح مناقضته للنابغة فى بيته الثانى ، وهو قوله : « وهل يحسن التهذيب » البيت ، وزوّج قوله فى عجز البيت الثالث :

* وكل مليك عند نعماك كوكب *

الى قول النابغة :

* فإنك شمس والملوك كواكب[1] *

بدليل قول الشاعر عن النابغة :

* تكلَّم والنُّعمان شمس سمائه *

البيت ، فتولَّد بين الكلامين قوله (طويل) :

ولو أبصرت عيناه شخصك مرة ... لأبصر منه شمسَه وهو غيهب

فهذا الضرب الأول من التوليد بأقسامه ، وهو ما تولَّد من اللفظ .

وأما الضرب الثانى منه ، وهو ما تولد من المعانى ، كقول القطامى[2] (بسيط) :

قد يُدرِك المتأنِّى بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المُستعجِل الزَّلَلُ

فقال مَنْ بعده (بسيط) :

عليك بالقصد فيما أنتَ فاعله ... إن التَّخلُّق يأْتى دونه الخُلُقُ

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامىِّ بكماله ، ومعنى عجز البيت مولَّد بينهما ، وهو قوله :

* إن التخلُّق يأْتى دونه الخُلُقُ *

والقطامىّ أخذ معناه من عدىّ بن زيد العبادىّ حيث قال (سريع) :

---

(١) هذا صدر بيت له ، وعجزه :

* اذا طلعت لم يبد منهن كوكب *

(٢) انظر هذا البيت فى باب العكس والتبديل .

قد يُدْرِك المبطئُ من حظِّه ... والخيرُ قد يَسبقُ جَهْدَ الحَرِيص[1]

وعديّ نظر إلى قول جُمَانة الجُعْفى (طويل) :

ومستعجل والمُكثُ أدنى لرشْدِهِ ... ولم يدر فى استعجاله ما يُبَادِرُ

ومن التوليد توليد بديع من بديع كقول أبى تمّام[2] (طويل) :

له منظرٌ قِيدُ النواظرِ لم يزلْ ... يَرُوح ويَغْدُو فى خفارته الحُبُّ

فإنه ولَّد قوله : «قيد النواظر من قول امرىء القيس : «قيد الأوابد» لأن هذه اللفظة التى هى «قيد» انتقلت بإضافتها من الطَّرد إلى النسيب، فكأن النسيب تولد من الطرد، وتناول اللفظة المفردة لا يُعَدّ سَرقة كتناول هذه اللفظة .

(ومن التوليد[3] نوع آخر وهو توليد المعانى ، والذى مضى توليد الألفاظ ، وهو أن يزوج المتكلم معنى من معانى البديع بمعنى فيه ، فيتولد بينهما فنّ مُدْمج فى فنٍّ كقولى (طويل) :

شفيعِىَ عند الغِيدِ مُسْوَدُّ وَفْرَتى ... إذا ما غدا غَيْرِى وشافِعُهُ الوَفْرُ

فإنى لما زوّجت التجنيس بالمبالغة تولد بينهما تفضيل الشباب على المال ، فالتجنيس قولى : «وفرتى» والوفر والمبالغة تسميتى الشباب شفيعا والوفر شافعا ، وفعيل من أبنية المبالغة بخلاف فاعل ، وتفضيل الشباب جاء مدمجا فى الغزل ، لأنّ البيت بمعناه الذى قَصَد التغزُّل ، وهذا توليد كما ترى ، ولا

---

(١) فى رواية « الحبن » .

(٢) ديوانه : ٣٠ وهو من قصيدة نمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى مطلعها :

لقد أخذت من دار ماوية الحقب ... انحل المغانى للبلى هى أم نهب

وقيد النواظر : يقيدها والخفارة : الاجارة والزمام .

(٣) من هنا الى آخر الباب ســـاقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

يقع فى الكتاب العزيز من التوليد إلّا توليد المعانى البديعيّة ، ومن ذلك ما وقع فى قوله تعالى : (قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ[1]) فإنى استخرجت من هذه الآية أربعة عشر نوعا من البديع أمّهاتها خمس[2] ، وهى: الارداف والتتميم والائتلاف والتهذيب ، وتولّد من هذه الأمّهات تسعة أضرب ، وهى الإيضاح والإدماج والافتنان وحسن البيان والمقارنة والامتزاج والإيجاز والابداع ، والمثل السائر ، وشرح ذلك يضيق عنه هذا المكان ، وقد أفردته فى صحيفة على انفراده ، والله أعلم .

---

(١) الأنبياء : ١١٢

(٢) يلاحظ أنه ذكر من الأمهات أربعة وترك الخامس وهو التوليد لأنه بصدد الكلام فيه .

باب التنكيت

وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلّها يسدّ مَسَدّه ، لولا نكتة فى ذلك الشيء المقصود ترجّح اختصاصه بالذِّكر دون ما يسدّ مسده ، ولولا تلك النكتة التى انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأً ظاهرا عند أهل النقد .

ومما جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله سبحانه : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)[1] فإنه سبحانه وتعالى خصّ الشّعرى بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو ربّ كل شيء ، لأن العرب كان قد ظهر فيهم رجُلٌ يعرف بابن أبي كبشة[2] عَبَدَ الشِّعرى ، ودعا خلْقا إلى عبادتها ، فأنزل الله سبحانه : (وأنّه هو ربُّ الشِّعرى) التى ادَّعيتَ فيها الرّبوبيّة دون سائر النجوم . (وكقوله[3] تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[4] فإنه سبحانه إنما خصّ «تفقهون» دون «تعلمون» لما فى الفقه من الزيادة على العلم ، والمراد الذى يقتضيه معنى هذا الكلام والتفقّه فى معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد الذى تسبيحه بمجرد وجوده الدالّ على قدرة مُوجِده ومخترِعه .

× بحثه فى بديع ابن منقذ ٢٩ ، خزانة بن حجه : ٣٧٥ ، انوار الربيع ٧٠٥

(١) النجم : ٤٩

(٢) فى بديع أسامة : يقال له ابن كبشة والصواب ما أثبتناه عن جميع الأصول ، وأنوار الربيع ٧٠٥

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ .

(٤) الاسراء : ٤٤

ومن غريب التنكيت قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ[1]) فإنه يقال : لم اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر التى يكوّن الله سبحانه المولّدات الثلاث منها ؟ ، فيقال : النكتة التى رجّحت الاقتصار على الماء دون بقية العناصر قوله « كل دابّة » بلفظ الاستغراق لكل مادَبّ ، وليس فى العناصر الأربعة ما يَعُمّ جميع المخلوقات إلا الماء ، ليدخل الحيوان البحريّ فيها) .

ومن أمثلة هذا الباب الشعرية قول الخنساء[2] (وافر) :

يذكّرنى طلوع الشَّمْس صَخْرًا ... وأَذْكُره لكُلّ غُروبِ شَمْسِ

فخصّت هذين الوقتين وإن كانت تذْكره فى كلّ وقت ، لِمَا فى هذين الوقتين من النكْتة المتضمّنة تأْبين الميّت ، والمبالغة فى وصفه بالشجاعة والكرم ، لأَن طلوع الشمس وقت الغارات على العِدَى ، ووقت غروبها وقت وقود النيران لِلقرَى .

ومن أَمثلة الباب أَيضا قول المتنبيّ (كامل) :

لو مَرَّ يَرْكُضُ فى سُطورِ كِتَابِه ... أَحصَى بحافِرِ مُهْرِهِ مِياتِها[3]

فإنه إنما خص الميات دون غيرها من الحروف ، لكونها تشبه الحوافر من جهة استدارتها ، فإنْ[4] قِيل : إن كان أَراد تشبيه الحوافر فالعدول إلى العينات أولى ، لأَنها بالحوافر أَشبه ، ولا سيّما عنده ، حيث شبّه الحافر بالعين ، فى قوله لسيف الدولة (منسرح) :

---

(١) النور : ٤٥

(٢) الديوان : ٧٤ مخطوطة ، وبديع أسا

(٣) ديوانه ١ : وبديع أسامة ٢٩

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت . ة وهو فى هامش ا

أوّلُ حَرْف مِن اسمِه كَتبتْ   سَنَابكُ الخَيل فى الجلَامِيدِ[1]

قلت : يترجّح ذكر الميمات دون العينات لوجهين : أحدهما أن الميمات فى الكلام أكثر من العَيْنَات ، لانها تقع أصلا وزائدة ، والعَيْنَات لا تقع إلا أصلية ، والثانى أنها أصغر شكلا ، واختصاص ماهو أصغر وأكثر فى باب الاحصاء أمدح للموصوف بالإحصاء من ذكر ما هو أقل وأكبر وإنما مدحه بالإحصاء فى حالة الرّكض ، لأن الإحصاء يدلّ على ثبات الجأش وحضور الحسّ وعدم الدّهَش والطَّيْش فى وقت الركض) .

ومن دقيق ما وقع فى البيت من ملاءمة الألفاظ بعضها لبعض الدّالة على الائتلاف قوله : « مهره » ولم يقل « طرفه » لكون الطِّرف يقع على المهر ، وعلى القارح[2] فيتخلّص من الاشتراك الموجب عدم الملاءمة لأن صغر حافر المهر ملائم لصغر شكل الميم ، فحصل فى البيت ادماج الائتلاف فى المبالغة وتعليق المدح بالنبات بالوصف ، وهذا من ألطف ما وقع فى هذا الباب[3] .

ومن بديع أمثلة هذا الباب قول عنترة ، وهو مما يسأل عنه (كامل) :

ما راعنى إلّا حَمُولة أهلِها   وَسَطَ الدّيار تَسُفّ حبّ الخِمْخِمِ[4]

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبَةً   سُودًا كَخَافِيَة الغُرَابِ الأَسْحَمِ

---

(١) ديوانه: ١ : ١٦٦ والجلاميد : الصخور ، وبديع أسامة ٢٩

(٢) القـــارح من كل ذى حافر : ما بلغ الخامسة من عمره

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

(٤) الخمخم : نبات له شوك دقيق لصاق بكل ما يتعلق به . والخوافى : جمع خافية ، وهى ريش الجناح . والاسحم : الأسود .

فإن لفظة الحمولة تدلّ على الرحيل ، وكذلك كونها وسط الدّيار وعلوفتها هذا الحَبّ المخصوص يدلّ على بعد الرّحلة ، فإنه حب يقوّى أعصاب الإبل ، وهذا العدد من الحلوبات السود الصقيلة الحسان يدلّ على كثرة المال وانتخابه ، وكذلك لا يكون إلا للملوك ، فهو يدلّ على أن المعشوقة من بنات الملوك ، وفى ذلك فخر لمن يميل إليها ، والله أعلم .

باب الاتفاق *

وهو أن تتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل فى نفسها ، فإن للسّبق إلى معانى الوقائع التى يشترك الناس فى مشاهدتها أو سماعها فضلا لا يُجحد ، كما اتفق لبعض شعراء مصر ، ويقال إنه الرّضىّ بن أبى حُصَينة ، وقد أغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبَه حسام الدين لؤلؤ الإفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القُلْزم ، فظفر الحاجب بهم ، فقال ابن أبى حصينة فى تهنئته مخاطبا للإفرنج (بسيط) :

عَدوّكمْ لؤلؤٌ والبحرُ مسكنُهُ ... والدرّ فى البحر لا يَخْشَى من الغِيَرِ[1]

ثم قال بعد أبيات مخاطبا للملك الناصر رحمه الله (بسيط) :

فأْمر حُسامَك أن يحظى بنَحْرِهِم ... فالدّرّ مذْ كان منسوبٌ إلى النَحَرِ

وكما قال ابن الساعاتى وقد قصد الملك الناصر رحمه الله بيت يعقوب من حصون الشام فقال مخاطبا الإفرنج (طويل) :

دَعُوا بَيْتَ يَعقوبٍ فقد جاءَ يوسفُ

وكما اتفق لى وقد لقى الملك الاشرف موسى بن أبى بكر بن أيّوب بن

---

* بحثه فى خزانة ابن حجة ٣٦٩ وانوار الربيع ٦٣٢ .

(١) أنظر خزانة ابن حجة ٣٦٩ وانوار الربيع ٦٣٤ .

عمّه الملك الظافر الخضر بن يوسف بن أيوب رحمهم الله تعالى بملتقى الخابور والفرات ، فاتفق لى أن قلت (طويل) :

غدًا مجمَع البحرين شاطى فراتِنا ألم تَر موسى فيه قد لَقَى الخِضْرا

وكما قلت عند اجتماع الملك الأشرف هذا بأخيه الملك الكامل رحمهما الله تعالى بمصر من قصيدة أهنىءُ فيها مصرَ بذلك مخبرا عنها (طويل) :

تقول وموسى قد أتى لمُحَمّد أهلْ ليلةُ الإسراء عاد بها الدهرُ ؟!

وكقولى من قطعة هنّأت بها فخر الدين عثمان بن قزل رحمه الله تعالى بمولودين جاءاه فى ليلة واحدة (مجتثّ) :

ليَهْنَ علياكَ بدْرا ن زيّنا الخافقَيْن

الآن صرتَ يقينا عثمانَ ذا النّورَيْنِ

ومن الاتفاق أن يتفق للشاعر أسماء لممدوحه ولآبائه يمكنه أن يستخرج منها مدحا لذلك الممدوح ،ولو لم تتفق تلك الأسماءُ على ما هى عليه لما اتفق استخراج ذلك المدح ، كقول أبى نُواس (كامل) :

عبّاسُ عبّاسٌ إذا احتَدَم الوَغَى والفَضْل فَضْلٌ والرّبيع ربيعُ[1]

وقد وقع فى هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج فى قوله : عباس عباس ، والفضل فضل

والربيع ربيع ولأبى نواس[2] .

---

(١) ديوانه : ٩٢ وهو من أبيات يمدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، وهى وان كانت تروى لغيره الا أن الكثير ينسبونها لأبى نواس .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د .

من القسم الأَول من الاتفاق مالم يتفق مثله فى مرثية يرثى بها خلفا الأَحمر (منسرح) :

وكان ممّن مَضَى لنا خلفًا   وليس إذْ بان مِنْهُ مِنْ خَلَفِ[1]

فإنه اتفق له من اسم المرثىّ تورية حسّنَتْ موقع هذا البيت إلى أن أتى فى الطبقة العليا والغاية القصوى .

(١) ديوانه : ١٣٥ وبان : بعد .

بـاب النـوادر *

وهو الذى سمّاه قدامة قديما الإغراب والطّرفة ، ولم يفرد له بابا فى[1] المحاسن فأذكره فى أبوابه ، وسمّاه من بعده التطريف ، وسماه قوم النوادر ، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة ، وأفردوه بابا ، فتبعتهم فى ذلك ، وأتيت به ، وهو آخر أبواب من تقدّمنى من جميع الناس فى غالب ظنى[2] (وهو أن يأتى الشاعر بمعنى غريب لقلّته فى كلام الناس) (وليس[3] من شرطه على رأى قدامة أن يكون لم يسمع مثله ، وإنما شرطه أن يكون قليلا نادرا ، وقد رأى غير قدامة فيه غير ذلك وقال : لا يكون فى المعنى إغراب إلّا إذا لم يُسْمع مثله ، والاشتقاق يعضّد التّفسير الثانى . والشواهد تعضّد تفسير قدامة ، لأن شواهد الباب وقع فيها ما يجوز أن يكون قائله لم يسبق إليه ، وما يجوز أن يكون قد سبق إليه على قلّته ، واستدلّ قدامة على مراده بقول الناس : وَرْدٌ طريف غريب ، إذا جاء فى غير وقته ، أما كونه لم يُرقطّ فهذا محال ، وإنما المراد لم يوجد مثله فى ذلك الزمن .

ومن أمثلته للأوائل مدح زهير للفقراء والأغنياء معا فإنه غريب ، إذ

(*) بحثه فى نقد الشعر تحت اسم الاستغراب والطرفة ٥٤ وبديع ابن منقذ ٦٧ تحت اسم الاغراب وخزانة ابن حجة ٢٢٣ وأنوار الربيع ٦٩٩ والعمدة ١ : ١٨٩ تحت اسم المثل السائر .

(١) ذكره فى باب الالتفات من نعوت المعانى .

(٢) من أول الباب الى هنا ساقط من ت ثم تذكر العبارة التى بين قوسين ثم تتفق ت ، د فى السقط .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د .

العادة جارية بمدح الأغنياء غالبا ، لأنه يقال : ما سمع قط مدح فقير حتى قال (طويل) :

على مُكْثِرِيهِمْ حقٌّ من يعتريهِمُ   وعند المُقِلِّين السَّماحةُ والبَذْلُ[1]

ومن الغريب الطريف قول أبي تمّام (كامل) :

لا تنكروا ضَرْبِى له منْ دونه   مَثَلا شَرُودا فى النَّدَى والبَاسِ[2]

فالله قد ضَرَبَ الأَقلَّ لنَوره   مَثَلا من الْمِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ

ومن الغريب الطريف أيضا قول دريد[3] (طويل) :

ولم أَدْرِ من أَلْقى عليه رداءه   على أنه قَد سُلَّ من ماجِدٍ مَحْضِ

فإنه ما سمع من مدح من لا يعرفه قبله ، وتبعه أبو نُواس[4] فى ذلك فقال فى القطعة التى أَوّلها (طويل) :

ودارِ نَدَامَى عَطَّلوها وأَدْلَجوا   بها أَثَرٌ منهمْ جديدٌ ودارِسُ[5]

مساحب من جَر الزقاق على الثَّرى   وأَضغاثُ ريحان جَنِىٌّ ويابِسُ

حَبَسْتُ[6] بهاصحْبِى فجدّدتُ عهدَهم   وإِنِّى على أَمثال تلك لَحَابِسُ

---

(١) ديوانه ١١٤ ومكثربهم أثرياؤهم ، ويعتريهم : يطلب منهم والمقلون : الفقراء .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٥٠ طبع دار المعارف ، والعمدة ١ : ١٩٠ .

(٣) هذا البيت ليس لدريد كما زعم المؤلف ، وانما هو لأبى خراش الهذلى . انظر ديوان الهذليين ٢ : ١٥٨ طبع دار الكتب وروايته له : «خلا» مكان «على» والأمالى ١ : ٢٧١ والأغانى ٢١ : ٦٣ وخزانة الأدب للبغدادى الشاهد ٤٠٦ ، وعيار الشعر ١٠٩ .

(٤) ديوانه : ٢٩٥ .

(٥) ادلجوا : ساروا بالليل . والدارس : البالى . والمساحب : آثار جر الزقاق (وهى أوعية الخمر) جمع زق ، وأضغاث : جمع ضغث وهو القبضة من الحشيش المختلطة الرطب باليابس ، والجنى : الرطب : واليابس : الجاف .

(٦) حبست بها صحبى . يريد أوقفتهم وساباط : بلد بمدائن كسرى ، والديار البسابس : جمع بسبس ، بفتح الباء ، وهو القفر .

ولم أدر منهم غيرَ ما شهدتْ به بِشَرْقِىّ ساباطَ الدِّيار البَسابِسُ

ومن الإغراب[1] اللطيف قول القائل (كامل) :

عرضَ المشيبُ بعارضَيْه فأعرضوا وتَقَوَّضتْ خِيَمُ الشَّبَابِ فَقَوَّضُوا

إن كان فى الليل البَهِيم تبسّطوا خَفَرًا وفى الصّبح المنير تَقَبّضُوا

ولقد سمعتُ وَمَا سمعتُ بمثلِها بيتا غُرَابُ الْبَيْنِ فيه أبيضُ

ومن لطيف الإغراب وطريفه قول بعضهم (بسيط) :

ظَلَّتْ تُبَشِّرُنى عينى إذا اخْتَلَجَتْ بأَن أراكَ وقد كنّا على حذَر

فقلت للعين أمّا كنتِ صادِقةً إنى ببشراكِ لى من أسعد البَشَرِ

فما جزاؤُك عندى لست أعرفه بلى جزاؤُك أن أحبوك بالنَّظرِ

وأسْتر المقْلَة الأُخرى فأحجبها عن أن تَراكِ كما لم تأْت بالخَبَر

(ومن الإغراب[2] قسم آخر ، وهو أن يعمد الشاعر إلى معنًى متداوَل معروف ليس بغريب فى بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ، ليصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا طريفا ، وينفرد به دون كلّ من نطق بذلك المعنى ، وبيان ذلك أن تشبيه الحِسَان بالشمس والبدر متداوَل معروف .فلمّا أراد أبو تمّام ارتكاب هذا المعنى ، وفَطِن إلى أنه قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله تحيّل له فى زيادة طريفة لم تقع لغيره يصير بها المعنى غريبا بعد أن كان معروفا ، فقال[3] (طويل) :

فرُدّتْ علينا الشَّمسُ والليلُ راغمٌ بشمس لهمْ من جانبِ الخدْر تطلُعُ[3]

(١) لقد عاد الى تسمية قدامه وأسامة اذ يقول ومن الاغراب .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

(٣) ديوانه : ١٨٩ .

فوالله ما أدرى أأحلامُ نائِمٍ ألمّتْ بنا أم كان فى الرَّكب يُوشَعُ

فإن حاصل كلامه تشبيه المرأة الموصوفة بالشَّمس ، لكن التشكيك الذى أدخله فى كلامه وذكر يوشع[1] بعد إغرابه فى التَّوطئة بإخباره بأن هذه المرأة رُدت بها الشمس برغم الليل ، نقل المعنى من المعرفة إلى الغرابة ، فلا جرم أنه استحقه بذلك دون كلٍّ من تناوله ، ودون المبتدئ به[2] ومن هذا القسم قول المتنبى[3] (بسيط) :

يطمّع الطيرَ فيهمْ طولُ أكلِهمُ حتى تكادَ على أحيائهمْ تقعُ

فإنه عمد إلى المعنى المعروف فى هذا الفن من كون الطيْر تقع على القتلى وتتبع الجيوش ثقة بالشِّبَع ، فتجاوز بزيادة المبالغة المستحسنة إلى ما قال ، والذى حسّن البيت جدًا إتيانه فيه بلفظة «تكاد» فإنها قلبت المستحيل ممكنا ، فساغت المبالغة ، وحصل له ما أراد من الإغراب والطُّرفة) .

ومن الاغراب أيضا قول ابن شرف القَيْروانىّ[4] (كامل) :

غيرِى جَنَى وأنَا الْمُعَاقَبُ فيكمُ فكأنَّنى سبّابة المُتَنَدّمِ

لو لم يبغِّضه عنده ابن رشيق حين أنشده إياه وقال : هل سمعت بهذا المعنى ؟ فقال : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، فقال : ممّن ؟ فقال : من النابغة الذُّبيانىّ حيث قال (طويل) :

---

(١) يوشع : فتى موسى عليه السلام وأراد الشاعر هنا الشمس ، وهو من اسمائها .

(٢) من هنا نفقد د مع ت فى السقط .

(٣) ديوانه : ١ : ٤١٩ .

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن سعيد بن احمد بن شرف القيروانى الجذامى احد مشاهير الادباء فى المغرب ، وكان معاصر لابن رشيق ، وجرت بينهما مناقضات ومناظرات اشتهر بهـا . وتوفى سنه ٤٦٠ .

وكلَّفتَنى ذنبَ امرىءٍ وتركتَه كذِى العُرِّ يكْوىغيرُهُ وهو راتِعُ[1]

فأما إفساده فلأنك قلت فى صدر بيتك إنك عوقبت بجناية غيرك ، ولم تعاقب صاحب الجناية . ثم قلت فى عجز بيتك : إن صاحب الجناية قد شركَكَ فى العقوبة ، فناقض معناك ، وذلك أنك شبّهت نفسك بسبّابة المتندِّم ، وسبّابة المتندم أول شيء يتألم فى المتندم ، ثم يَشْركها المتندّم فى الألم فإنه متى تألم عضو من الحيوان تألم كلّه لأن المدرك من كل مدرك حقيقته ، وحقيقته على المذهب الصحيح هى جملته المشاهدة منه ، والمكوىّ من الإبل : يألم وما به عرّ البتّة ، وصاحب العرّ لا يألم جملةً ، فمن هاهنا أخذت المعنى وأفسدته ، غير أن ابن شرف هذا له فى هذا الباب مالا يلحق ؛ وهو قوله (رمل) :

قَلَمٌ قلَّمَ أظفار العِدَا وهو كالإصبع مقصوص الظُّفُرْ
أشبه الحيّة حتّى أنَّه كلما عُمِّرَ فى الأيدى قَصُرْ

(والبيت الثانى أردت)[2] واما الأول فهو من باب الإغراب فى البَرْد[3] لأنه لا نكاية للعدى فى تقليم أظفارهم ، بل ذلك ممّا يحسّن صورَهم ، ويزداد به نشاطهم ، ويماط به الأذى عنهم عند تناوُل الطّعام والشراب ، وتُقبِل بذلك النفوس عليهم ، ولا يقال : إنه أراد بالأظفار السلاح ، فإن ذلك من الغيب الذى لا يعلم ، اذ ليس فى الكلام ما يشعر بهذه الاستعارة

---

(١) ديوانه : ٢٧١ ومختار الشعر الجاهلى ١٥٨ والعر : الجرب .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

(٣) عنى بالبرد هنا : البرودة ، وهنا يتفق مع أسامة فى كلامه على النادر والبارد انظر بديعه : ٨٣ .

وممّا يفسد هذا التأويل قوله « كالإصبع »، فإنه ذكر الإصبع ، والمراد به ظاهر اللفظ فإنه يدلّ على أن الظفر على ظاهره إلا أن يتأوّل الإصبع ، وأما تشبيه القلم بالاصبع فهو تشبيه يسلبه جميع المنافع والمضار ، فإن الإصبع الواحدة على انفرادها قلّما تعمل عملا ، وإنْ عملت عملا كان غير متقَن وكانت غير متمكّنة منه ، فلا معنى لها على انفرادها ، وأنت ترى من وُلِدَ خِدَاجًا ليس فى كفه إلا اصبع واحدة غير منتفع بيده ، ويشاهد ما بها من القبح ، ولا يكون للاصبع جمالٌ إلا مع انضمامها إلى أخواتها ، واستعارة قصر الظُّفْر له من أبرد الاستعارات ، إلا أنه كَفَّرَ بحَسَنَاتِ البيت الثانى سيّئات البيت الأول (لأن الحسنات يُذهِبن السّيئات) وقد أتى أيضا فى هذا الباب بما هو أحسن من الأوّل وهو قوله (بسيط) :

أغْنَيْتَنى عن جميع النّاس كلّهمُ ولم أجدْ مغنيا من سائر البَشَرِ
كالحمد تُجزِى المصلّى حين يقرأها وليس يُغْنيه عنها سائرُ السّوَرِ

هذا على مذهب[1] الجمهور ، فإنه مذهب مالك والشافعىّ وأحمد ، إلّا أبا حنيفة (وصاحب[2] الشعر مالكىّ ، إذ هو مذهب أهل المغرب) ولابن رشيق فى هذا الباب مالا يشقّ غُباره وهو قوله (رجز) :

كأنّما الصبح الّذى تَفَرَّا[3] ضَمَّ إلى الشّرق النجومَ الزُّهْرَا

* فاختلطت فيه فصارت فجرا *

---

(١) وردت هـذه العبارة فى ت « هـذا البيت المشهور . ومذهب الجمهور ما عدا مذهب أبى حنيفه .
(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .
(٣) تفرا : ظهر .

وقوله أيضا (متقارب) :

وما ثَقُلَتْ كِبرًا وطْأَتِى ولكنْ جرَرْتُ ورائِى السِّنينا

(وقد رأيت الحَجَّارىَّ صاحب الحديقة وصاحب المُسْهب فى أخبار أهل المغرب سمّى هذا الباب فى الحديقة مناقلة ، وفسّره بأن قال : هو من مناقلة الخيل ،وهى وضع الفرس فى الوعريده موضع رجله مخالفا لِمشيته المعتاده ، وأنشد فيه قول ابن الرومى (سريع) :

تستغفر النَّاسُ بأَيديهِمُ وهن يستغفرْن بالأَرْجُلِ[1]

فياله من عَمَلٍ صالح يَرفعه الله إلى أَسْفَلِ

(فأغرب[2] بمخالفة العادة حيث ذكر أن هذه النسوة يفعلن بالأرجل ما يفعله الناس بالأَيدى ، والارتفاع إلى الأَسفل من أغرب الغريب) .

ومن نوادر الإغراب قول الأَرْجانى (كامل) :

شِعْرِى إذَا ما قيلَ يَرْوِيه الوَرَى بالطَّبْع لا بتكلُّف الإلقاءِ[3]

كالصَّوت فى قُنَنِ الجبالِ إذا بدا للسّمع هاجَ تجاوُب الأَصداءِ

ومن مليح هذا الباب قول بعضهم (طويل) :

تواضَعَ كالنجم استبانَ لناظرٍ على صفَحات الماءِ وهو رفيعُ

ومَنْ دونَهُ يسمو إلى النجم صاعِدًا سموّ دخان النار وهو وضيعُ

(ومن[4] الإغراب نوع يُغْرب المتكلِّم فيه بأَنْ يخرج معنى المدح فى لفظ

---

(١) تقريب المعاهد فى شرح الشـواهد ٦٩ .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، وهو فى هامش أ .

(٣) القنن : جمع قنة ، وهى أعلى الجبل والبيتان فى ديوانه ط بيروت ١٧ .

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت ، د وهو فى هامش أ .

الغزل ، فيأتى المدح هزّازا للمعاطف من الطّرب ، يكاد يؤكل بالضمير ويُشرَب ، كقول أبي تمام فى صفة عمّوريّة (بسيط) :

ماربعُ ميّةَ معمورا يُطيفُ به غَيلانُ أبهى رُبًا من رَبْعِها الخَرِبِ (١)
ولا الحدودُ وإنْ أُدْميْنَ من خَجَل أشهى إلى ناظرى من خَدِّها التَّرِبِ
سماحة غنيتْ منا العيونُ بها عن كل حُسْن بدا أومنظر عَجَبِ
وحُسْنِ منقلَب تبقى عواقبُه جاءت بشاشتُه من سوءِ منقلبِ

وكقول ابن سنان الخفاجيّ (كامل) :

صبّحتهمْ باللّاذقيّة فالْتَقَى بحْران ماءٌ راكدٌ وعِتَاقُ
سبق الظلامُ لها فَعِفْتَ ورودَها تبعا وأنتَ لمثلها سَبّاقُ
حتّى إذا مَتَع الضُّحَى (٢) وتمارت الـ أبصارُ أيّكما لَه الإشْرَاقُ
غادرتَها دِمَنًا على أطلالِها يبكى الخليطُ وتُذْكرُ الأشواقُ
وسننتَ دِينَ قِرَاك فى عَرَصَاتِها فالنار تُضْرم والدّماءُ تُرَاقُ

والبيتَ الرابعَ أردتُ . وانما ذكرت ما قبله وما بعده لارتباطه بذلك ، ولما فى المجموع من كمال حسن المعنى ، دون انفراد أحد الأبيات) ومارأيت فى عصرنا أغرب معان من القاضى السعيد بن سناء الملك رحمه الله .

ومن غرائب (٣) معانيه قوله فى عمياء تظرّفا (سريع) :

شمس بغير الليل لم تَحْتَجِبْ وما سِوَى العينين لم تُكْسَفِ
بغِمْدِهِ المُرهَفِ لكنّها تَقْتُل بالغِمد بلا مُرْهفِ

---

(١) ديوانه : ٩ .
(٢) متع الضحى : استبان وظهر . والخليط هنا : الصاحب .
(٣) ديوانه لوحة ٧٦ وروى فيه البيت الأول والثالث فقط .

أَبصرتُ منها الخلدَ فى جُؤْذَر ... ومُقْلَتَىْ[1] يعقوبَ فى يوسفِ

وقوله[2] (كامل) :

ومع المَشِيب فَبَعْد عندى صَبْوَةٌ ... يبْلَى القميصُ وفيه عَرْفُ المَنْدَلِ

أَنا جَدّ أَنصارِ النَّبىّ لأَنَّنى ... يا أَشْهَلَ العينين عبدُ الأَشْهَلِ

وكقوله (طويل) :

فلا تنكروا منها الخِضَابَ فإنَّها ... هى الغُصْنُ فى أَطرافه الوَرَقُ الخُضرُ[3]

وكقوله (طويل) :

عليكِ زكاةٌ فاجعليها وصالَنا ... لأَنكِ فى العِشْرِينَ وهى نِصَابُ[4]

وكقوله فى صبىّ مستحسن ضُربَ وَحُبِسَ (طويل) :

بنفْسِى الَّذى لم تضربوه لريبة ... ولكن ليَبْدو الوَرْدُ فى سائر الغُصْنِ[5]

وقالوا له شاركتَ فى الحُسْنِ يوسفًا ... فشَارِكْه أَيضا فى الدّخول إلى السِّجْنِ

وغرائب معانيه لو استقصيتُ لخرجنا بها عن الغرض المطلوب من الكتاب .

---

(١) فى الديوان « رأيت » بدل « أبصرت » و « ناظرى » بدل « مقلتى » والمعنى واحد .

(٢) من قصيدة يمدح بها الملك العادل أولها :

رجـــع الزمان الى الحبيب الأول ... فرجعت بعـــد تعزلى لتغـزلى

ديوانه لوحة ٩٦ والعرف : الرائحة الطيبة . والمندل . العود ، وهو نبت يجلب من الهند ، والشهل بالتحريك أن يشوب سواد العين زرقة . وعبد الاشهل رجل من الأنصار قال الشاعر :

حين ألقت بقباء بركهــــا ... واستمر القتل فى عبد الاشهل

(٣) ديوانه لوحة ٥٦ وهو من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل أولها .

الا فانتبه من أفقها طلع الفجر ... وحاشاك ثم من وجهها ضحك الثغر

(٤) البيت من قصيدة له يمدح بها القاضى الفاضل أولها :

عسى ان يسر السـائرين اياب ... وأن يردع البين المشت عتـاب

ديوانه لوحة ٨ .

(٥) ديوانه لوحة : ١٢٥ .

ومما وقع لى من باب الإغراب والطُّرفة[1] قولى (طويل) :

أرانىَ لا ينفكُّ نجْمى هابطا ... تراه يَرَاهُ رَبُّنَا حَسَبَ الرَّجْمِ
حَنتْنِى الليالى فاغتديْتُ كأنَّنِى ... أُفتِّش دَهْرِى فى التراب على نَجْمى[2]
فصِرْتُ إذًا قَوْسًا وعَقْلِى رامِيًا ... ورامِى الذى أُصْمِى الرَّمايا به سهمِى

وقولى (طويل) :

تُحلِّمنا الأيامُ وهى سَفِيهَةٌ ... فيُهْدَى إلينا برُّها من عقوقِها[3]
وتَهدى الدَّرارىَ وهى من حَيْرَةٍ تُرَى ... وقد رَجَعَتْ من مستقيم طريقها
كما تُحْدِثُ الطَّيشَ الطِّلَى من سكونها ... فتَغْرُبُ شمسُ العقلِ عندشروقِها

(ومن[4] الاغراب والطرفة نوع لا يكون الإغراب فيه فى ظاهرلفظه ، بل فى تأويله ، وهو الذى إذا حمل على ظاهره كان الكلام به معيبا جدًا وإذا تؤُوِّل ردّه التأويل إلى نمط الكلام الفصيح ، وأُميط من ظاهره حَدَثُ العَيب ، فيكون التأويل هو الموصوف بالإغراب لا الظاهر ، وذلك كقوله : (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ)[5] فإنهم أمسَوا كما أصبحوا ، فتكون لفظة «فَأَصبحوا » حشوا لافائدة فيه ، ومثل هذا يتحاشى عنه نظم القرآن ، فإنك إذا قلت أَصبح العسل حلوا وهو قد أمسى كذلك . كان قولك أصبح حشوا ، لكن لما كان الأَشقياءُ حالهم حال المرضى ، وكان المريض تشتد عليه

---

(١) يلاحظ ان المؤلف ما زال يطلق على الباب تسمية قدامة ، تاركا تسميته هو التى عنون بها الباب .

(٢) حنتنى : علمتنى وعودتنى . واصمى : اصيب .

(٣) الدرارى : جمع درى ، وهو الكوكبالعظيم ، والطيش : الخفة . والطلى : الخمر .

(٤) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا .

(٥) المائدة : ٥٣

الآلام فى الليل ، وتخفّ فى النّهار . فتكون حاله عند الصّباح صالحة بالنسبة إلى حاله بالليل ، إلا المريض الذى لايُرْجَى برْؤُه . فإنه يصبح كما أمسى . فإذا أصبح كذلك يُئِس من فلاحه . ولما أشبهت حال هؤلاء الأشقياء حالَ المريض الذى قد تُيقِّن هلاكه ؛ أخبر عنهم بأنهم أصبحوا كما أمسوا خاسرين . وعلى هذا تكون لفظة « أصبحوا » قد تضمنت معنًى أخرجها عن كونها حشوا ، وردّ الكلام الذى جاءت فيه إلى حدّه من الفصاحة ؛ فعدّ التأويل الذى فَعَل بها ذلك غريبا طريفا . والله أعلم .

هذا آخر أبواب المتقدِّمين . وقد بقيتْ أبوابُ الأجدابىّ الثّلاثة التى أوّلها :

باب الالتزام

وهو أن يلتزم الناثر فى نثره ، أو الشاعر فى شعره ، قبل رويّ البيت من الشعر حرفا فصاعدا على قدر قوّته ، وبحسب طاقته ، مشروطا بعدم الكلفة. وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز مواضع رائعة الحسن . كقوله تعالى : (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ[1]) وقوله سبحانه : (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ)[2] (وقوله[3] تعالى : (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)[4] وقوله عز وجل (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)[5] وقوله تعالى : (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا)[6] وقوله عز من قائل : (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)[7] وقوله جلت قدرته : (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)[8] وقوله جلّ جلاله (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ

× هذا النوع ليس من أنواع الأجدابى كـ.. ادعى المؤلف وانما خطؤه الذى وقع فيه سابقا عند كلامه على باب عتـــاب المرء نفسه هو الذى جعله لم يفطن الى هذا البـــاب ولا يعرف انه من الأنواع التى أتى بها ابن المعتز فى بديعه تحت اسم لزوم ما لا يلزم ونكلم عنه تحت هذا الاسم أو اسم الاعنات أى اعنات المرء نفسه كل من اتى بعد ابن المعتز من علماء البديع فتامل • انظره فى البلاغة الفنية تاليف الأستاذ على الجندى •

(١) سورة والطور : ١ ـ ٢ • (٢) التكوير : ١٥ ـ ١٦ •

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت وهو فى هامش أ •

(٤) الانشقاق : ١٧ ـ ١٨ •

(٥) الضحى : ٩ ـ ١٠ •

(٦) الاسراء : ١٦ •

(٧) القلم : ٢ ـ ٣ •

(٨) الأعراف : ٢٠١ ـ ٢٠٢ •

وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)[1] وقوله عز وجل: (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا[2]) وأشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز تعجز الفصحاء أشدَّ تعجيز) وقد جاء فى السنة من ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى حديث أُمّ زرع حكاية عن الأُولى من النِّسوة قولها: لا سَهْل فيُرتقى، ولا سَمِين فيُنتقى، وقول أُمّ زرع فى صفة حالها مع أبى زرع: فعنده أنام فأتصبّح، وأقول فلا أُقبّح، (وقولها[3] فى صفة الخادم لا تُقش طعامنا تَقْشِيشًا[4] ولا تملأ بيتنا تعْشيشا، ولا تبثُّ حديثنا تبثيثا، ولا تَنْفُثُ مِيرَتَنَا تنفيثا، هذه رواية، وليست من أمثلة هذا الباب، والرواية الأُخرى التى من أمثلة الباب تتمة القرائن الشِّينيّة، وهى قولها: ولا تخرج حديثنا تَغْشِيشًا[5]. وقولها أعنى أمّ زرع: فتزوجتُ بعده رجلا سرّيا، ركب فرسا شَرِيًا[6] وأراح علىّ نَعَمًا ثَرِيًا، وكقول السادسة منهن: إن أكل اقفّ[7] وإنْ شرب اشتَفّ[8] وإن رقد التفّ. وكقول الثامنة: المسّ مسّ أرنب. والريح ريحُ زَرْنَب، ومن هذا الباب فى الشعر قول امرئ القيس (طويل):

(١) القيامة ٢٦ - ٣٠. (٢) الأعراف ٨٨.
(٣) ما بين قوسين ساقط من ت، وهو فى هامش ا.
(٤) يعنى: لا تجمع طعاما من هنا وهنالك، ولا تخون فى طعامنا، فتخبأ منه فى كل زاوية، ولا نفشى سرنا، ولا نعجل الطعام قبل أن ينضج.
(٥) التغشيش هنا: الخيانة بإفشاء السر.
(٦) الفرس الشرى: السريع الجرى.
(٧) اقف الرجل فى طعامه: اختار اليابس منه.
(٨) اشتف الماء: رشفه ومصه.

فمثلُكَ حُبْلَى قد طرقتُ ومُرْضِعٌ   فألهيتُها عَنْ ذِى تمائِمَ مُحْوِلِ[1]
إذا ما بَكَى من خَلْفِهَا انْحَرَفَتْ له   بشِقٍّ وتَحْتِى شقُّها لم يُحَوَّلِ

وقد أكثر المتأخرون من هذا الباب قاصدين عملَه ، وما وقع منه لمتقدّم فغيرُ مقصود ، حتى عمل المعرّى من ذلك ديوانا كاملا مفردا من ديوان شعره المعروف بسِقْط الزَّند ، ومنه قوله (طويل) :

لك الحمدُ أمواهُ البلاد بأسْرِها   عِذابٌ وخُصَّتْ بالمُلُوحَةِ زَمْزَمُ
هوالحَظُّ غَيْرُ الْوَحْش يَسْتَافُ أنفُه   خُزَامَى وأنفُ العَوْد بالعُودِ يُخْزَمُ

وكقول بعضهم (بسيط) :

سَلِّمْ على قَطَنٍ إنْ كنت نَازِلَهُ   سلامَ منَ كَانَ يَهْوَى مَرَّةً قَطَنَا
أُحبّه والذى أرسى قواعدَه   حبًّا إذا ظهرتْ آيَاتُه بَطَنا
ما من غريبٍ وإن أبدى تجلُّده   إلَّا تذكَّر عند الغُربة الوَطَنَا

ومن[2] مليح ما جاء فى الالتزام قول أبى نُواس (كامل) :

وأمَا وَزَنْد أبى علىٍّ إنَّه   زندٌ إذا اسْتَورَيتَ سَهْلٌ قدحَكَا
إنِّى لتـأبَى الصّنع عالى همّتى   من غيرِكمْ وتَعَافُ إلَّا مدْحكَا

(١) ديوانه ١٩ و٢٠ وروايته « مغيل » بدل « محول » . والمحول : الذى أتى عليه حول . وقيل هو الصغير وان لم يكن بلغ الحول .
(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ .

باب تشابه الأطراف *

هذا الباب سمّاه الأجدابىّ التسبيغ ، وفسّره بأن قال : هو أن يعيد لفظ القافية فى أوّل البيت الذى يليها ، والتسبيغ زيادة فى الطول ، ومنه قولهم : درع سابغة ، إذا كانت طويلة الأذيال ، وهذه اللفظة فى اصطلاح العروضيّين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف فى آخر الجزء ، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى ، فرأيت أن أسمى هذا الباب تشابه الأطراف ، لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها (وما بأبيات[1] قلتهنّ فى هذا النوع من بأس ، وهى (طويل) :

خليلىّ إنْ لم تعذرانىَ فى الهوى ... ولم تحملا عنّى اذهبًا ودَعانِى

دعَانى إليهِ الحُبّ فالحبّ آنفا ... دعانىَ قلبى إذ دعاه جَنانى

جَنانىَ فى سكْر فلا رَعْىَ عنْده ... بكأس بها ساقِى الغرام سَقَانى

سَقَانىَ من لم يَعْنِه من صبابتى ... وَوَجْدى به ما شفّنى وعَنَانى

عَنَانىَ منه ما بَرَانى ولم يكن ... ليَرثِى لمَا قد حلّ بى ودهَانى

دَهَانى الهوى من حيث لم أدر عندما ... رأى ما شَجَى قلبى الكئيب عِيانى

× لم ينفرد الأجدابى باستنباط هذا النوع كما ادعى المؤلف ، وانما انفرد بتسميته بالتسبيغ فقط ، وكما انفرد المؤلف بالخطأ فى ادعائه انفراده بتغيير هذه التسمية الى تسمية تشابه الأطراف فقد عرف هذا النوع عند أرسطو بهذا الاسم وهو تشابه الأطراف، وعرفه بما يطابق تعريف الأجدابى وابن ابى الأصبع فقال : وهى ما كانت أجزاؤها متشابهة فى مطلع كل جزء أو فى مقطعه راجع صفحة ١٠٨ من كتاب المدخل الى النقد الادبى للدكتور محمد غنيمى هلال ولاشك ان هذا يؤكد قولنا ان اثر البلاغة اليونانية فى البلاغة العربية موقوف على بعض التسميات .

(١) من هنا ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ .

عِيانِى على قلبِى تعدّى بنَظْرَة　　إلى ناظر باللّحظ منه رَمانى
رَمَانى بسهْم من كنانةِ لحْظِه　　أصاب فؤَادى شجوُه فَشَجَانى
شَجَانى بِسُقْمٍ من مِراضِ جفُونِه　　وغَضٌّ حَيَاءً منه حِينَ سَبَانى
سَبَانى بسحرٍ ليس يَبطُل بالرُّقَى　　تُقِرٌّ له فى بابلَ الملكانِ

ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ)[1] وأنشد فيه قول ليلى الأخيلية[2] تمدح الحجّاج (طويل) :

إذا نَزَلَ الحَجَّاجُ أرضا مريضةً　　تتبّع أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا من الدّاءِ العُضَالِ الذى بها　　غلامٌ إذا هزَّ القناةَ سَقَاهَا
سقَاها فروّاها بشُرْب سِجَالِه　　دِماءَ رجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا[3]

وأحسن من هذه الأبيات قول أبى نواس (سريع) :

خُزيمةٌ خيرُ بنى خازم　　وخازمٌ خيرُ بنى دارم[4]
ودارمٌ خيرُ تميم ومَا　　مثلُ تميم فى بنى آدَمِ
إلا البهاليلُ بنوهاشم　　وهم سيوفٌ لبنى هاشمِ

(١) النور : ٣٥ ·

(٢) الاعانى ١١ : ٢٤٨ طبع دار الكتب المصرية ، والأمالى ١ : ٨٦ و٨٧ طبع دار الكتب و « سيف بنى مروان » للمرحوم الدكتور عبد الرزاق حميده : ١٦٨ ونهاية الارب ٧ : ١٨١ ؛ وحسن التوسل : ٩٠ ·

(٣) السجال : جمع سـجل وهو الدلو العظيمة · والصرا · بقية اللبن فى الضرع وعنت به هنا اللبن الفاسد المتغير الطعم ، وقد استعارته للدماء ·

(٤) أنظر الأبيات فى بديع القرآن : ٢٣٠ وديوانه ١٢٥ ·

باب التوءم

وهذا الباب أيضا سمّاه الأَجدابىّ التشريع ، وفسّره بأَن قال : هو أن يبنىَ الشاعرُ البيتِ أو الناثر النثرَ على قافيتين إذا اقتصر على إحداهما كان البيت له وزن . وإن كمّله على القافية الأُخرى كان له وزن آخر ، وتكون القافيتان متماثلتين ، وتكونان مختلفتين ، وهذه التسمية وإن كانت مطابقة لهذا المسمّى فهى غير معلومة عند الكافّة ، فسمّيته التوأم ، وهو أن يكون للبيت كما ذكر قافيتان ، وصحة القول فى تفسيره أن يقال : أنه متى اقتصر به على القافية الأُولى كان من ضرب ذلك البحر الذى عمل الشاعر بيته منه . فإذا استوفى أجزاءه وبناه على القافية الثانية كان البيت من ضربٍ غير ذلك الضرب من ذلك البحر . وغالبه أن يختلف الرويّان وإن جاز توافقهما . هذا إن كان الكلام شعرا . وذلك كقول الشاعر[1] (كامل) :

(×) هو من انواع الأجدابى وسماه التشريع ونقله عنه بهذا الاسم ابن حجة فى خزانته ونقل فيه عن ابن أبى الأصبع ، وهو بعلم العروض أولى من علم البديع براء .

(١) هو الاخطل انظر ديوانه ٤٣ وورد هذان البيتان هكذا فى جميع الاصـــــول ورواية الديوان :

ولقد علمت اذا العشار تروحت هدج الرئال نكبهن شـــمالا
أنا نعجل بالعبيط لضـــيفنا قبل العيـــال ونقتل الأبطالا

وهما أيضا فى الطراز ٣ : ٧١ ومعـــاهد التنصيص ٢ : ٢٠٥ وأنوار الربيع ٥٩٠ وخزانه ابن حجة ١١٩ غير منسوبين وبروايات مختلفة . والرئال: صغار النعام . والهدج: عدو متقارب . والعبيط . جمع عبط وعباط ، وهو الذبيحـــة تنحر من غير علة .

وإذَا الرِّياحُ مع العشِيِّ تناوَحَتْ ... هَدَجَ الرِّئَالِ ، تُكبُّهن شمالاَ
ألفيتنا نقْرى العبيطَ لضَيْفِنَا ... قبل القتال ، ونقتُل الأَبطالاَ

فإن هذا الشاعر لو اقتصر على الرئال ، والقتال كان الشعر من الضرب المجزوء المرفَّل من الكامل ، فإذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه ، فقدر أن لكل بيت من هذين البيتين قافيتين على تساوى القافيتين فى الرّدف وتماثل الرّويّيْن وإنْ اختلف المجرى فيهما ، وعلى هذا بنى الحريرىّ قوله فى المقامات[1] (كامل) :

يا خَاطبَ الدنيا الدّنّية إنّها ... شَرَكُ الرّدَى ، وقرارةُ الأَكْدَارِ

لأن اقتصاره على قوله شرك الرّدى تجعل الشّعر من الضرب المجزوء من الكامل ، وتمامه يجعله من الضرب المضمر المقطوع منه ، وإن اختلف القافيتان والرويّان والمجْرى فيهما ،[2] (وقد جاءت من هذا الباب فى الكتاب العزيز أكثر سورة الرحمن كقوله تعالى فيها : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[3] وهكذا إلى آخر السورة فإنه يجوز الاقتصار على أُولى الفاصلتين دون الثانية لو كان التنزيل كذلك ، والله أعلم .

---

(١) مقامة ٣٣ صفحة ١٢٧ والايضاح ٦ : ١١٥ وخزانة ابن حجة ١١٩ وأنوار الربيع ٥٦٠ وخاطب الدنيا : طالبها ، والردى : الهلاك . وقرارة الأكدار : مجتمع الهموم .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، ت ، وهو فى هامش أ .

(٣) الرحمن : ٣٣ ـ ٣٦ .

...

هذا آخر ما جمعته من كتب الناس بعد التنقيح والتحرير ، وتغيير ما حسن فيه التغيير . وقد تكمّلت الأبواب بهذه الثلاثة التى عوّضت بها ما تداخل فى باب التمكين والتهذيب تسعين بابا غير متداخلة ولا متواردة ، والله أعلم .

تحرير التحبير

فى

صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن

الجزء الرابع

ومن ها هنا أشرع فى اثبات الأبواب التى استنبطتها ، والأنواع التى استخرجتها مفصَّلة مكمّلة ، فأوّلها :

بـــابـــ التّخـيـير

وهو أن يأْتى الشاعر ببيت يَسُوغ أن يقفىّ بقواف شتّى ، فيتخير منها قافية مرجّحة على سائرها بالدليل ، تدل بتخيرها على حسن اختياره ، كقول الشاعر (بسيط) :

إن الغريبَ الطويلَ الذَّيْل مُمْتَهنٌ   فكيف حالُ غريبٍ ماله قوتُ[1]

فإنه يسوغ أن يقول : فكيف حال غريب ماله حال أى ماله مال ، ماله نَشَبُ ، ماله[2] سبَبُ ، ماله صَفَدُ ، ماله سَبَدُ ، ماله خَطَرُ ، ماله أَحَدُ ، ما وُجْدُ ، ماله شِيَعُ ، واذا نظرت إلى قوله : « ماله قوت » وجدتها أبلغ من الجميع ، وأدلّ على الفاقة ، وأمسّ بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة ، وأشْجَى للقلوب ، وأدْعى للاستعطاف . فلذلك رجحت على كل ما ذكرناه (ومن[3] هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى أول الجاثية : (إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ

× اختلط هذا النوع على ابن ابى الأصبع فظن أنه من مخترعاته ، وقسمه الى قسمين : ومثل للقسم الأول منه ببيت من الشعر وعلق عليه بأنه نجوز فى قافينه كذا وكذا وكما عده نحييرا عده تمكينا وتقسيما ، وقد تكلم هو نفسه عن ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سياق سائر الكلام . أنظر خزانة ابن حجة : ٧٨ .

(١) البيت للحريرى وهو فى شرح المقامات : ٢٩٥ .

(٢) النشب بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت . والصفد محركة : الوثاق والسبد بالتحريك : القليل ، والوجد : السعة .

(٣) ما بين قوسين ساقط من د ، ت وهو فى هامش أ .

بعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1] فالبلاغة[2] تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأُولى : المؤْمنين ، لأَنه سبحانه ذَكَر العالم بجملته ، حيث قال : السموات والأَرض ، ومعرفة مافى العالم من الآيات الدالَّة على أنّ المخترع له قادر عليم حكيم وإن دلّ على وجود صانع مختار فدلالتها على صفاته مرتَّبة على دلالتها على ذاته ، فلا بدّ أولا من التصديق بذاته حتّى تكون هذه الآيات دالَّة على صفاته ، لتقدّم الموصوف وجودا واعتقادا على الصفات ؛ وكذلك قوله فى الآية الثانية : لقوم يوقنون ، فإن نفس الإنسان وتدبّر خلق الحيوان ، أقرب إليه من الأول ، وتفكره فى ذلك ممّا يزيده يقينا فى معتقده الأَول ، وكذلك معرفة جزئيّات العالم من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأَرض بعد موتها ، وتصريف الرياح ، تقتضى رجاحة العَقْل ورصانته ، ليعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلِّىّ التى هى أحسن منه ، وعوارض عنه . ولا يجوز أنْ يكون بعضها صنع بعضا بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلِّى صانعا مختارا ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة « لقوم يعقلون » وان احتيج للعقل فى الجميع ، إلا أن ذكره ها هنا أمسّ بالمعنى من الأَول ، إذ بعض من يعتقد صانعا للعالم ربما قال : إن بعض هذه الآثار يصنع بعضا ، فلا بد إذًا من

---

(١) الجاثية : ٣ ـ ٥ .

(٢) لا ادرى كيف يستشهد المؤلف على نوعه الجديد كما زعم بآية اذا طبقنا عليها تعريفه هذا النوع الذى يجوز التخيير فى القافية او السجعة او الفاصلة على مواصل هده الآيات لعارض تعريفه هذا مع تعليقه على الآيات ، اذ يقول فى فاصلة الآية الأولى والثانية : البلاغة تقتضى ان تكون الأولى للمؤمنين والثانية « يوقنون» اذن لا تخيير هنالك، وكيف يكون تخييرا وآيات القرآن محكمات ولا تبديل لكلمات الله . اذن ايضا لا جديد له فى هذا النوع كما سبق ان قلت . فهو التمكين بعينه .

التدبر بدقيق الفكر وراجح العقل ، ومنه قوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ[1]) ولا يجوز التبديل بينهما ، إذ لا يجوز النَّهى عن انتهار اليتيم لمكان تأديبه ، وإنما ينهى عن قهره وغلبته ، كما لا يجوز أن ينهر السائل إذا حرم ، وليردّ ردًّا جميلا ، ومن ذلك قوله تعالى : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[2]) فإن قوله تعالى : «وإن تغفر لهم» ربما أوهم بعض الضعفاء أن الفاصلة لو كانت «غفورا رحيما» كانت أنسب لمكان «وإن تَغْفِرْ لَهُمْ» ويذهل عن كونهم يستحقون العذاب دون الغفران ، وإن قوله «العزيز الحكيم» بعد قوله «وإن تَغْفِر لهم» أنسب ، لأن من يغفر لمن يستحق العذاب إنّما يكون من لا فوقه أحد يردّ عليه حكمه ، ومن كان كذلك كان عزيزا ممتنعا من الردّ عليه ، ومن كان حكيما وضع الشيء فى موضعه ،وإن كان ظاهر فعله موهما بأنه على خلاف الحكم ، لخفاء وجه الحكمة بمكنون الغيب عن المخلوق القائم عن إدراك أسرار الربوبية .

ومن التخيير ضرب غير هذا[3] ، وهو أن يؤْتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر قد عُطِف بعض جمله على بعض بأداة التَّخيير كقوله تعالى : (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[4]) وكقول الشاعر (بسيط) :

---

(١) سورة الضحى : ٩ ـ ١٠ .   (٢) سورة المائدة : ١١٨ .

(٣) هذا النوع الذى فرعه المؤلف من التخيير اما أن يكون قديما فيكون الاتيان به فى هذا المكان عبثا واما أن يكون حديثا على دعواه بأنه من الجديد ، فيكون قد سار فى خطئه اذ هـــذا النوع هو بعينه حسن النسق الذى مضى أو التخيير الذى يعرف فى باب العطف من علم النحو فليس بجديد .   (٤) المائدة : ٨٩ .

خَلُّو التَّفاخر أو حُلُّوا اليَفَاعَ إذا   ماأَسْنَتْ النَّاسُ أولَبُّوا الصَّرِيخَ ضُحَى[1]

ولا يكون هذا الضرب من المحاسن حتّى تكون الجمل المعطوف بعضها على بعض متضمّنة صحّة التقسيم كما جاء فى الآية الكريمة ، إذ حَصَر سبحانه وتعالى فيها أنواع الكفّارة التى لا يجزئُ الموسر غيرها ، كما جاء فى البيت من حصر أعظم الأسباب التى نفاخر بمثلها ، وهى نهاية الكرم ، وغاية الشجاعة إذ لا يحل بالمكان المرتفع من الأرض فى المجاعة ليدلّ على بَيْته إلا الجواد المؤثِر ، كما قال شاعر الحماسة (وافر) :

له نارٌ تُشَبُّ على يَفَاعٍ   إذا النِّيران أُلْبِسَتِ القِنَاعَا

ولم يكُ أكثرَ الفتيان مَالاً   ولكنْ كان أرحَبَهم ذِراعا

كما أنه لا يبادر إلى تلبية الصَّريخ عند الضُّحى ، وهو وقت الغارات إلا أشجع القوم ، ومن هذا القسم من التخيير قوله سبحانه وتعالى : (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خلقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ[2]) فانظر إلى حسن هذا التخيير وصحّة الترتيب فى الانتقال من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ النهاية فى أوجز إشارة بقوله سبحانه بعد الانتقال من الحجارة إلى الحديد الذى هو أصلب منها : «أو خَلْقًا مما يَكْبُر فى صدورِكُمْ» غير حاصر لهم فى صنف من الأصناف .

والفرق بين التخيير بأو وحُسن النَّسَق من وجهين : أحدهما أنّ حسن النسق يكون بجميع حروف العطف وغالبا ما تقع الواو ، وربما وقع منه

---

(١) خلو التفاخر : أى دعوا التفاخر ، واليفاع : التل المشرف ، واسنت الناس : أصيبوا بالسنين أى أصابهم الجدب . والصريخ : المغيث والمستغيث . والمراد هنا الثانى .

(٢) الاسراء . ٥٠ و٥١ .

شيءٌ بالفاء للتعاقب ، أو بثُم للمُهْلة والتّراخى ، ووقوعه بالواو أكثر ، والتخيير لا يكون إلاّ بأَو التى هى للتخيير خاصة .

والثانى أن التخيير يشترط فيه صحّة التقسيم ، ولا كذلك حسن النسق[1] ، والفرق بين تخيير مقطع الكلام دون كلّ مقطع يسدّ مسدّه وبين التسهيم أن صدر كلام التخيير لا يدلّ إلا على المقطع فقط ، وصدر كلام التسهيم يدلّ على ما زاد على المقطع ، إلى أن يبلغ عَجُز البيت ، والفرق بين التخيير والتوشيح التوطئة بتقديم لفظة القافية فى أول البيت من التوشيح ، ولا كذلك التخيير ، والله أعلم .

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

باب التدبيج *

وهو أن يذكرَ الشّاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون ، أو لبيان فائدة الوصف بها كقوله تعالى : (وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ[1]) فإن المراد بذلك ـ والله أعلم ـ الكناية عن المشْتَبِه والواضح من الطرق ، لأَن الجادّة البيضاء هى الطريق الملحوب التى كثر السلوك فيها جدا ،وهى أوضح الطرق وأبينها ، ولهذا قيل : ركب بهم المحجّة البيضاء ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السّوداءُ التى كأَنها فى الخفاء والالتباس ضد البيضاء فى الظهوروالوضوح . ولما كانت هذه الأَلوان الثلاثة فى الظهور للعين طرَفَين وواسطة :فالطرف الأَعلى فى الظهور البياض والطَّرف الأَسفل فى الخفاء السواد ، والأَحمر بينهما على حكم وضع الأَلوان فى التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الأَلوان الثلاثة ، والهداية بكلِّ عَلَم نصب للهداية تنقسم هذه القسمة : أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم ، فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم ، وهى مسوقة

(×) ذهب المؤلف الى أنه من مخترعاته، وانه لم يسبق اليه. والحقيقة أنه مسبوق اليه من علماء البديع ، فهو بعينه التورية أو الكناية أو هو بعينه ما سماه ابن سنان المخالف والحقه بالطباق فالمؤلف لم يكن له من النوع الا الاسم فقط . بحثه فى خزانة ابن حجة ٤٤١ وحسن التوسل ٩٠ ونهاية الأرب ٧ : ١٠٨

(١) فاطر : ٢٧

للاعتداد بالنِّعم على ما هدت إليه من السّعى فى طلب المصالح والمنافع ، والفرار من المضارّ والمعاطب .

ومن التدبيج الحسن قول الحريرىّ : فمذ ازورّ الحبيب الأصفر ، واغبرّ العيش الأخضر ، اسْودّ يومى الأبيض ، وابيضّ فودى الأسود ، حتى رثى لى العدوّ الأزرق ، فحبّذا الموت الأحمر ، إلا أن تدبيج الآية الكريمة جاء بلفظ الكناية[1] لبيان فائدة الوصف بالألوان ، وتدبيج المقامة أتى بطريق التورية .

ومن أمثلة هذا الباب الشعرية قول ابن حَيُّوس الدِّمشقى (خفيف) :

إنْ تُرِدْ عِلم حالهمْ عن يقينٍ ... فالقَهمْ يومَ نائلٍ أو نِزالِ[2]
تلقَ بِيضَ الوجوه سودَ مُثارَ النَّقْعِ خُضْر الأكنافِ حُمْرَ النِّصَالِ

وكقول بعض العرب (طويل) :

زيادُ بنُ عينٍ عينُه تحت حاجِبِهْ
وبيضُ الثَّنَايَا تحت خُضْرَةِ شاربِهْ[3]

وقد ساق بعض النقّاد هذا البيت من شواهد العيوب . وقال : وجه العيب فيه كون العين لاتكون إلا تحت الحاجب ، والثنايا تحت الشارب ، وقد قال بعضهم فى الردّ على هذا العائب : إن الشاعر أراد أنه غير مشّوه ، قد خلق فى أحسن تقويم ، فلم تأْت صورته مخالفة للصور ، وعندى أن مثل هذا لا يُعدّ عَيْبا ، ولا يحتاج فيه إلى تكلُّف مثل هذا العذر ، فإنه

(١) كذا فى جميع النسخ . وفى الأصل : « الحقيقه » وهو خطا من الناسخ

(٢) الأبيات فى الطراز ٣ : ٧٩ غير منسوبة .

(٣) البيت فى بديع أسامة غير منسوب وبروايه تختلف عما هنا قليلا ، وساقه شاهدا على الرذالة والجزالة .

قد ورد مثله فى الكتاب العزيز للتوكيد والتهويل ليحصل الازدجار عن فعل من حلَّ به ذلك ، وهذا من بليغ الموعظة ، وهو قوله سبحانه (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ)[1] والسقف لا يكون إلا من فوق (ولا[2] سيّما فى هذا الموضع ، لأنه سبحانه رفع فيه الاحتمال الذى يتوهّم من أن السقف قد يكون تحت بالنسبة ، فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم وسقفا لآخرين ، فرفع تعالى هذا الاحتمال بجملتين ، وهما قوله تعالى «عليهم» ولفظة «خرّ» لأنها لم تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى السفل) ومن ذلك أيضا حديث أبى بكر أن النّبىَّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ خطب فى حجّته فقال : (ألا[3] إنَّ الزّمان قد استدار كَهَيْئَتِه يومَ خلق اللهُ السموات والأرض ، السّنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وهى ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ورجب ، الذى بين جمادى وشعبان) ورجب لا يكون إلَّا كذلك ، وانما هو صلَّى اللهُ عليه وسلم لما أراد أن يخبر عن شهرٍ فَرْد غير موال للأشهر الحرم التى قبله عرّفه بأنه بين هذين الشهرين احتراسا من كونه لو اقتصر على قوله : ورجب توهم بعضُ السامعين أنه ربما أراد صفر ، (لاسيما[4] وقد كانت الجاهلية تحلُّ صفر عاما ، وتُحَرِّمه عاما ، ولذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (صفر) ، فى حديث خرجه الترمذىّ وأبوداود . وربما ظنَّ الظّان أنه أراد برجب صفر)

(١) النحل : ٢٦
(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .
(٣) الحديث ورد فى تفسير الطبرى ١٠: ٧٧
(٤) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا

وسماه رجبا ليعرّف بتعظيمه ، إذ الترجيب التعظيم ، (فاحترس[1] من وقوع هذا اللّبس بأنّ عرّفه بأنّه هو الذى بين جمادى ، ليقطعَه عما قبله ، وبين شعبان ، ليقطعه عما بعده ، والتأويلات أوسع وأفسح من أن يخطئ معها عربىّ متقدم فى لغته التى وضعها ، وهو أعرف بمواقعها منّا ، لا سيّما وقد قال امرؤُ القيس ممّا يؤيد ذلك (متقارب) :

لها ذَنَبٌ مثلُ ذيْلِ العَرُوسِ   تَسُدُّ به فرجها من دُبُرِ[2]

وفرج الفرس لا يكون إلّا من دبر ، لأنّ فرجها الّذى يُسدّ بذنبها هو ما بين قائمتى رجليها من عَجَبِ[3] الذّنب ، إلى حافرى الرجلين ، وفى بعض ذلك ما يُخرج بيت الشاعر عن العيب .

ومن التدبيج قول أبى تمّام فى مرثيته لمحمد بن حُمَيد الطُّوسىّ (طويل) :

تَردّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتَى   لهاالليل إلّا وهْى من سُندسٍ خُضْرُ[4]

وكقول البحترىّ (طويل) :

تحسّنت الدنيا بعَدْلِك فاغْتَدتْ   وآفاتُها بيضٌ واكْنَافُهَا خُضْرُ[5]

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت

(٢) ديوانه : ١١

(٣) عجبه الذنب : أصله وهو مؤخره الذى يدق .

(٤) ديوانه ٣٦ والايضاح ٦ : ١٣ والطراز ٣ : ٧٨ ، وتقريب المعاهد فى شرح الشواهد ٢٨٢ .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٦

بـــابُ التــمزيــج

وهو أن يَمزج المتكلِّم معانى البديع بفنون الكلام ، أعنى أغراضه ومقاصده بعضها ببعض بشرط أن تجمع معانى البديع والفنون فى الجملة أو الجمل من النثر ، والبيت أو البيوت مِن الشعر ، كقول بكر بن النَّطَّاح[1] (طويل) :

بذلتُ لها ما قَدْ أرادت من المُنَى ... لتَرْضَى فقالت: قُمْ فجئنى بكوكبِ

فقلت لها : هذا التَّعنُّت كلُّه ... كمن يتشهَّى لحْمَ عَنْقَاءَ مُغْربِ

سَلِى كلَّ شىءٍ يَسْتقيم طِلَابُه ... ولا تَذْهبِى - يابَدْرُ - بِى كُلَّ مذْهَبِ[2]

فأُقسم لو أصبحتُ فى عزِّ مالك ... وقدرتهِ أعيا بما رُمْت مطْلَبِى

فتًى شَقِيَتْ أمواله بعُفاتِه ... كما شَقِيتْ بكرٌ بأرماح تَغْلبِ

فإن التمزيج وقع فى الثلاثة المتواليات من هذا الشعر بعد الأول ، فأما الأول من الثلاثة فإنه مزج فى صدره العتاب بالغزل بالمراجعة حيث قال :

* فقلت لها هذا التعنُّت كلُّه *

لارتباط هذا الصدر بما قبله بسبب المراجعة التى فيهما إذ قال : «فقالت» ، وأتى فى عجز البيت بالتذييل ليتحقّق العتاب ، ويستدلّ على

(×) الذى ىبث لى بعد البحث أن هـذاالنوع مما سلم لابن أبى الاصبع

(١) انظر الأبيات فى باب الاسنطراد

(٢) السياق بمضى حذف هدا البيت من الأصل حتى يسنفيم كلامه على هذه الأبيات .

صحّة ما ادّعاه من التعنُّت ، فمزج المذهبَ الكلامى بالتذييل فى العَجزُ ، كما مَزَج العتاب والغزل فى الصّدْر ، مع الارتباط بما قبله ، وحقَّق ذلك بالمراجعة الحاصلة فيهما ، فوقع التمزيج فى البيت المذكور من الفنون فى العتاب والغزل ومن المعانى فى المراجعة بسبب الارتباط والتذييل والمذهب الكلامى ، ثم مزج المبالغة بالقسم فى البيت الثانى من الثلاثة ، والمدحَ بالغزل بواسطة الاستطراد ، وأتى بالطَّامة الكبرى فى البيت الثالث من الثلاثة ، إذ مزج فيه الإرداف بالتشبيه والشجاعة بالكرم ومدح قبيلة الممدوح بمدحه وذم أعداءها والإيغال بالتشبيه .

(فأما الإرداف[1] ففى قوله : «شمَيت أموَاله بعُفاته » فإن أراد أن يقول : فتى جواد ، فعدل عن هذا اللفظ إلى رِدْفه ، لما فى لفظ شماوة الأموال بالعفاة من زيادة المعنى ، وديباجة اللَّفظ التى لا توجد فى لفظ الحقيقة ،والتشبيه فى قوله : كما شمتيت هذه القبيلة بهذه القبيلة والقبائل المتعادون كثير ، وإنما اقتصر على هاتين القبيلتين لما فى ذكرهما من النُّكتة التى يزيد بها معنى المدح ، وخصّ الممدوح به وأراد تكميل المدح ورأى أنه لو اقتصر على مدحه بالكرم كان المدح غير كامل ، وأراد تكميل المدح بالشجاعة فأوجبت عليه الصناعة أن يأتى بالتنكيت فى عجز البيت بحيث يكون بين العجز والصدر ارتباطا يوجب لهما التلاحم ، فوصل بينهما بكاف التشبيه مقتصرا على ذكر القبيليتن اللّتين فى ذكرهما نكتة حسنة ، وهى مدح قبيلة الممدوح ، والتعريض بذَمِّ قبيلة أعدائه ، والمدح لقبيلة الممدوح مدح

(١) ما بين قوسين ساقط من ت .

له ؛فيكمل له المدح الذى أراده ؛والتمزيج الذى قصده ؛والفرق بين التمزيج والتكميل والافتنان والتعليق والإدماج ، فإن هذه الأبواب الخمسة ربما اشتبهت على كثير من النّاس لكونها تجمع المعانى والفنون غالبا إذ أنَّ التكميل لا يكون إلا فى معانى النفوس وأغراضها معا فى البديع ، ولا يكون أحد الأمرين فيه قد اتّحد بالآخر ، بحيث لايظهر من الكلام إلا صورة أحد الأمرين دون الآخر . وإنما يؤخذ المعنى الآخر من الكلام بطريق القوة لشدة امتزاج المعنين أو الفنّيين أو احدهما بالآخر ، وهذه حال التمزيج بمعانى النفوس ومعانى البديع) والفرق بين التّمزيج والافتنان أن الافتنان لا يكون إلّا بالجمع بين فنّين من أغراض المتكلّم كالغزل والمدح والعتاب ، والهجاء ، والتّهنئة ، والتّعزية ؛والتمزيج بخلاف ذلك ؛إذ هو يجمع الفنون والمعانى ويكون الأمران فيه متداخلين ، والفنّان فيه ظاهران ، (والفرق[1] بين التمزيج والتعليق أن التّعليق كالافتنان فى اختصاصه بالفنون دون المعانى ، وظهور الفنّين فيه معا ، إلا أنَّ أحدهما متعلّق بالآخر ؛والافتنان لا يكون إلا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كالغزل والمدح ، والعتاب والهجاء ، والتهنئة والتعزية ، والتمزيج بخلاف ذلك ؛إذ هو يجمع الفنون والمعانى ، ويكون الأمران فيه متداخلين أى أحد الفنين فيه متعلّقا بالآخر ولا بدّ ، وكلاهما يفارق الامتزاج فى ظهور صور الأشياء الّتى تكون فيه ، فإنها تمتزج فى الامتزاج بحيث لا يظهر منها لكلّ شيئن إلا صورة واحدة ،

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت

والفرق بين التمزيج والإدماج أن الإدماج (كالتعليق، لا يكون إلاّ بالفنون دون المعانى بخلاف التمزيج ، وإن اشتبه التمزيج فى إيجاد الصور[1]) لا يكون إلا بالمعانى البديعية دون المعانى النفسية ، ودون الفنون ، والفرق بين التعليق والتكميل دقيق[2] وقد جاء فى الكتاب العزيز من التمزيج قوله تعالى (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ[3]) فإنها امتزج فيها فنَّا الأدب والهجاء بمعنى الإرداف والتتميم وتولّد من ذلك ما استخرجته منها من بقية المحاسن ، فكان ذلك أربعة عشر نوعا يضيق هذا المكان عن ذكرها مفصَّلة ، وقد ذكرتها مفصَّلة فى «بديع القرآن[4]» العزيز والله أعلم .

(١) زيادة عن د .
(٢) زاد فى د بعد هذه الكلمة ما يأتى : والفرق بين التعليق والادماج دقيق ولهذا التبس على كثير ممن تقدم فجعل البابين بابا واحدا ، وسموه بالاسمين لعدم التفرقة بينهما عندهم وقد بينت الفرقا بينهما فى باب الادماج وأشرت الى بعضه ها هنا والله أعلم وبعد هذه العبارة الى آخر الباب ساقط من د .
(٣) الأنبياء : ١١٢
(٤) انظر باب التوليد من بديع القرآن .

بـاب الاستقصاء *

وهو أن يتناول الشاعر معنًى فيستقصيَه إلى أن لا يترك فيه شيئا ، كقول ابن الروميّ فى صفة الحديث (كامل) :

وحديثُها السحر الحلال لو أنه ... لم يَجْنِ قتلَ المُسلم المُتَحَرِّزِ[1]
إنْ طال لم يُمْلَلْ وإن هى أَوجَزَتْ ... ودّ المحدَّث أَنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ العقول ونُزْهَةٌ ما مثلها ... للمطمئنِّ وعُقْلَةَ المستوفِزِ

فانظر إلى كون هذا الشاعر وصف حديث هذه المحبوبة بنهاية الوصف الحسن اللائق بمثله ، حيث قال : «وحديثها السحر الحلال» ، لفعله فى العقول فعل السحر ، وجعله حلالا لصدق الوصف ، وليضمّن كلامه فى صفته معنى قول الرسول – صلّى الله عليه وسلم – : (إنَّ من البيان لَسِحرا) ، فإن سحر البيان سحر حلال ، ثم رجع فاستدرك فيه فقال :

.... لو أنّه ... لم يَجن قتلَ المسلم المتحرِّزِ

لكون قتل المسلم بغير حقٍّ حرام ، فحصل فى البيت طباق معنويّ ، فكأَنه قال سحر حلال لو لم يجن حراما ، فطابق بين الحلال والحرام وأحدث براءة المسلم المقتول بالحديث من الإيغال الذى فى قافية البيت ، وهو قوله : «المتحرِّز» لأَن المتحرز لا يقع فى شيء من موجبات القتل ، وفى ذلك مبالغة

---

* هو من الابواب التى لم تسلم للمؤلف اذ انه هو بعينه حسن التقسيم انظروه من هذا الكتاب .

(1) شرح فصيح ثعلب ٢ : ٨٥ خط ، وحماسة ابن الشجرى ١٩٥ والجامع الكبير ٧١ وزهر الآداب ١ : ٩

فى وصف الحديث بإفراط الالتذاذ الذى يُزهق حبّه النُّفس ، ثم فكَّر فيما يَعرِض من الملل بسبب ، طول الحديث فاحترس عن تلك بقوله : « إن طال لم يملل » ثم رأى أنه متى اقتصر على وصفه بالحسن حالة الإطالة دون الإيجاز كان مقصّرا ، فقال : « وإن هى أوجزت » إلى آخر البيت ، ثم أراد وصفه بميل النفوس إليه إما اضطرارا أو اختيارا فقال ، فى الميل الاضطرارى : « شرك العقول » ، فأخبر أنه يصيد العقول قنصا ، ثم قال فى الميل الاختيارىّ مقسما له قسمين حاصرين فى حالتَى الرَّيْث والعجل (كامل) :

.... ونزهة ما مثلها للمطمئنّ وعُقْلة المستوفزِ

(وليس للمختار[1] حالة زائدة على هاتين الحالتين إما أن يكون مطمئنا ، أو مستوفزا ، فإن كان مطمئنا كان هذا الحديث نزهته ، وإن كان مُسْتَوْفِزا كان عقلته ، فلم يُبقِ فى هذا المعنى مقالا لمن بعده ، ولقد أحسن ابن مُنَاذر فى استقصائه معنًى من معانى الغزل حيث قال (طويل) :

فوالله ما أدْرِى أيغلبنى الهوى إذا جدّ جدُّ البين أم أنا غالِبُهْ

فإن استَطِعْ أغلِبْ وإن يغلِب الهوى فمثل الّذى لاقيتُ يُغلَب صاحبُهْ

فإنه لما علم أنه متى اقتصر على البيت الأول لا يكون مستقصيا للمعنى أتى بتفصيل ما أجمله فى البيت الأول بما جاء به فى البيت الثانى ، ليكون قد أتى على جميع ما يجب ذكره من المعنى الذى قصده :

وإذا وصلت فى هذا الباب إلى قول البحترى فى صفة إنضاء الإبل (خفيف) :

---

(١) مابين قوسين ساقط من ت ، د

كالقِسِيّ المعطَّفات بل الأسْـ ... ـهُم مبريّةً بل الأوتارِ[1]

وصَلْتَ إلى الغاية فى الشعر ، لأنه جمع مع الاستقصاء المبالغة والرمى على الترتيب ، على مقتضى البلاغة ، والتتميم فى موضعين ، فى قوله : «المعطّفات» ، وقوله : «مبريّة» والايغال فى القافية ، وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك ما لا يلحق سبقا ، وهو قوله تعالى : (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ[2])

فانظر إلى استقصاء هذا المعنى حين لم يبق فيه بقيّة لأحد ، وذلك أنه بعد قوله : «جنة من نخيل وأعناب» قال : «تجرى من تحتها الأنهار» وكمل الوصف بقوله : «له فيها من كلّ الثمرات» فأتى بكل مافى الجنان ليشتدّ الأسف على إفسادها ثم قال «وأصابه الكبر» ثم استقصى المعنى الذى يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه «بالكبر» «وله ذرية» ولم يقتصر على كونه له ذرية حتى قال : «ضعفاء» ثم ذكر استئصالها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال : «فأصابها اعصار فيه نار» فلو اقتصر على ذكر الإعصار لكان كافيا ، لكن لمّا علم الله سبحانه أن مجرد الإعصار لا تحصل به سرعة الهلاك ، كما يحصل إذا كان فيه نار ، فقال سبحانه : «فيه نار» ثم أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النّار ضعيفة لا يقوم إحراقها بإطفاء أنهارها وتجفيف كلّ أوراقها وثمارها ،فأخبر بإحراقها احتراسا من ذلك ،

---

(١) ديوانه ٢ . ٣ والمثل السائر ٢ : ٣٦ وبديع القرآن ٤٢٧

(٢) البقرة : ٢٦٦

وهذا أحسن استقصاء وأتمّه ، بحيث لم يبق فى المعنى المقصود موضع استدراك ، والفرق بين الاستقصاء والتتميم ، والتكميل كون التتميم يرد على معنى ناقص فيتمّم بعضه ، والتكميل يرد على التام فيكمّل وصفَه ، والاستقصاء له مرتبة ثالثة ،فإنّه يرد على الكامل فيستوعب كلاً ما تقع عليه الخواطر من لوازمه ، بحيث لا يترك لآخذه مجالا لاستحقاقه من هذه الجملة ، والله أعلم .

باب البسط *

وهو أن يأتى المتكلّم إلى المعنى الواحد الّذى يمكنه الدّلالة عليه باللّفظ القليل ، فيدلّ عليه باللفظ الكثير ليُضمّن اللفظ معانى أُخر يزيد بها الكلام حسنا ، لولا بسط ذلك الكلام بكَثْرة الألفاظ لم تحصل تلك الزيادة ومما جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : «قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا[1] » فانظر ـ هداك الله ـ إلى هذا البسط فى الآيات الكريمات بالنسبة إلى قوله فى غير موضع من القرآن : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[2]) لتعلم أنه بسط ـ سبحانه ـ الكلام فى هذه الآية ليفيدَ البَسْط معانى من تفصيل الأخبار ، وإيضاح المعنى وتفسير ذلك الإجمال ، واخراجها مخرج التّفريع لمن جَعَلَ لِلَّهِ تبارك وتعالى أندادا من مخلوقاته فإن[3] قلت التّفريع يحصل بقوله : (اللهُ

(×) هذا النوع اختلط على المؤلف فظن أنه قد سبق إليه والحقيقه أنه مسبوق اليه اذ هو بعينه الاطناب وتكلم عنه ابن منقذ تحت اسم الضيق والتوسيع والمساواة (البديع له ٥٩)

(١) فصلت : الآيات من ٩ ـ ١٢

(٢) السجدة : ٤

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، و هو فى هامش أ

الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّام) فما فائدة البسط ؟

قلت فائدته جليلة ، فإن الاستدلال بما قَرُبَ من نظر الخَصْم أوضح من الاستدلال بما بَعُد ، فإن تقدير أقوات الحيوان البَرِّى والبحرى ، وتخصيص كلّ صنف بقُوت مألوف يميل إليه بطبعه ، كاللُّحوم للسباع ، والحبّ للبهائم ، والأوساخ وما أشبهها الهمج ، والبقول وسائر الخضروات لغير هذه الأصناف ، وجميع بعض أ ساف الحيوان البهيم البرّىّ والبحرىّ ، وتركه تلك الأقوات الموجبة لكفايه ما يخرج من الأرض من جميع الحيوان أقرب لفهم المخاطب ، ولاحتمال أن يقع فى بعض النفوس أن هذه الأمور من صنع السموات والأرض ، لا مِنْ صنع صانعهما كما يعتقد بعض الناس) فاقتضت البلاغة أن يقدّم ذكر الأرض لقربها من المخاطب ، ولأنّ الأَنْدَادمنها كالحجارة التى نُحتت وعُبِدَتْ والأنصاب التى نُجِرَتْ من الأخشاب ، والصور التى اتُّخِذت من المعادن ، وليُعْرف بعظمة قدرته فى حقه الأرض كلّها فى يومين ، (ثم ثَنَّى بذكر الجبَال التى تُثبِّت الأرض ، وتكون الجواهر المعدنية منها) [1] .

ثم يذكر البَرَكة التى لولاها لما نبت النبات ، ولا عاش الحيوان ، ولا تنوّع الجماد ، ولا حصلت المنافع التى بها قوام الأجسام ، ممتنّا بذلك على عباده ، وحقّ له الامتنان ، ثم ثلّث بذكر تقدير الأقوات ، ليحضّ بذلك على التوكّل ، ويبعث النفوس على الاشتغال عن الفكر فى التكسب بصالح الأعمال ، ثم أخبر أن ذلك كلّه فى يومين آخرين ، بقوله سبحانه : (فى أربعة أيام) يعنى . والله أعلم . أنه أرْسَى الجبال وبارك فى الأرض

(١) مابين قوسين ساقط من أ ، ت ، د .

وقدّر فيها أقواتها ، مع خلقه لها فى أربعة أيام ، ثم ختم بذكر خلق السموات السّبع ، (والعناصر الأربعة ، إذ هى سموات بالنسبة إلى المخاطب ، غيْر أنه أفرد من ذلك السموات السبع بالذكر : منبّها على فَضْلها بالنسبة إلى العناصر) [1] وعظمتها ، وما تعرف العرب وغيرهم من نجومها ، والهداية بها ، وأنوائها ، وإنزال الغيث من جهتها ، ومقدّمات ذلك من الرّعد والبرق والرِّياح ، ومنافع النيِّرين ، ثم اخبر ـ سبحانه ـ أنه خلق ذلك كلّه فى يومين ثم اقتصر عزَّ وجلَّ فى هذه الآية الكريمة على ذكر الأفلاك السّبعة دون الفلكين الآخرين ، منطقة البروج والأطلس ، لكون السّبعة هى المعروفة عند العرب الذين نزَلَ عليهم القرآن وجاء بلسانهم ، (لأن [2] معرفة الفلكين الآخرين موقوفة على علوم ليست من علوم العرب) ، (فإن قلت : فالعرب تعرف الأنواء وكواكبها فى الفلك الثامن ، فلم اقتصر على ذكر السبعة دونه ؟ ، قلت : إنما عرّفت الأنواء بالقمر لحلوله فى المنازل ، ومسير القمر أسرع مسير ، وهى كثيرا ما تَتَأَمَّلُهُ ، لسفرها فيه وسراها ، وعرفت الكواكب السّيارة لقرب سيرها بالنسبة ، وعرف مسير المنازل أيضا بحركاتها القَسْرية وأما حركة فَلكِها الّتى دلّت عليها كواكبه الثابتة ، فليس من علوم العرب وإن كانت تعرفها ، كما ذكرت تنقُّل القمر ، وقد ذكره اللهُ سبحانه على انفراده ، وخصّه من بين الأفلاك السبعة بالذكر لميزته ، فقال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) [3] فأفاد ـ سبحانه ـ بهذا البَسْط حصول ضروب

---

(١) مابين قوسين سافط من ت ، وهو فى هامس أ

(٢) من هنا تتفى د مع ت فى السقط

(٣) البروج : ١

من البديع فى الكلام لولا البسط لم تحصل ، وهىَ المذهب الكلامى والإدماج والإرداف والتفسير .

فأما المذهب الكلامىُّ فنى قوله تعالى : (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فإنها نتيجة قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) إلى قوله سبحانه : (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) فإن تقدير الكلام فى ذلك والله أعلم . لا تطيع السماءُ والأرض إلا ربَّ العالمين ، فإنهما عبارة عن العالمين ، وقد أطاعت الله سبحانه فهو ربّ العالمين ، والإدماج : إدماج الإرداف فى المذهب الكلامى ، لأنه وهو أعلم أن يقول : (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ) بالقادر المطلق ، فعدل عن اللفظ الخاصّ إلى لفظ هو ردفه حيث قال : بالّذى فعل وصنع وعدّد من قدرته مالا يقدر عليه غيره . والتعليق فى كونه - تبارك وتعالى - علق فَنَّ الفخر بفن العتاب ، إذ وصف نفسه صادقا بما هو أهله ، وأثنى على ذاته بما يستحقّه فى ضمن العتب الموبّخ . والتقريع المثرّب[1] حيث قال : أئنّكم لتكفرون . وتجعلون ، والتفسير فى قوله (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فإنه أتى بهذه الجملة مفسرة لذلك الإجمال الذى فى قوله تعالى : الذى خلق وفعل وصنع ، فأتى بالصّفات قبل ذكر الموصوف ، ولمّا أراد تبيين ذكر الموصوف وتعريفه قال سبحانه : (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فهذه فائدة البسط والإطناب فى الكلام الذى عدل فيه عن الإيجاز والاختصار) .

---

(١) المثرب . اللائم المعير بالذنب . قال تعالى (لا تثريب عليكم اليوم) والحديث اقيموا الحد ولا تثربوا) وقال الشاعر :

وعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم بعقاب يوم سرمد

وممّا جاء من ذلك فى السنّة النبوية قوله ـ صلّى اللهُ عليه وسلم ـ : « إنَّ الدِّين النَّصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لِلَّهِ ولِكِتَابهِ ولِنَبيِّه ولِأَئمَّةِ المسلمين وعامّتِهم » وحاصل هذا الكلام إذا ورد من طريق الاختصار أن يقول . بعد تخصيص الله تعالى بالذكر وكتابه ونبيّه أن يقول : وللمسلمين فإنها لفظة جامعة للأئمة وللعامة ، فبسط هذه اللفظة ليفرد الأَئمّة بالذكر من جملة المسلمين ، ولم يمكن الاقتصار على الأَئمة فيكون المعنى ناقصا ، إذ تمامه لا يكون إلا بذكر عامّة المسلمين ، فأَتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر . والله أعلم .

ومن شواهد البسط الشِّعريَّة للمتقدِّمين قول امرئ القيس (كامل) :

نظرَتْ إليكَ بعيْنِ جازئةٍ حوراءَ حانِيةٍ على طِفْلِ[1]

فإن حاصل البيت تشبيه عين هذه الموصوفة بعين الظَّبية ، فبسط الكلام ليزيده البسط معنًى لولاه لم يوجد فيه ، فإن لنَظَر الظبية إلى خِشْفها عاطفة عليه بحنوّ واشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها أَو لنظرها فى غير هذه الحالة .

ومن أَمثلته للمحدَثين قولُ ابن المعتزّ فى الخِيرِىّ (منسرح) :

قد نَفَضَ العاشقون ما صنع الـ ـــدّهرُ بأَلوانهمْ على وَرَقِهْ

فإنَّ حاصل هذا المعنى الإخبار بصُفْرة الخِيرىّ[2] فبسط هذا اللفظ

---

(1) جازئة : معيه لطفلها عن الطعـام والسراب ، والحوراء : واسعة العين . والحانية : العاطفه .

(2) الخيرى هو الآذريون : وهـو زهر أصـفر فى وسطه حمل اسـود وليس بطيب الرائحه وهو المعروف باسم الأقحوان . ويذكرالدكتور أحمد عيسى فى « معجم اسماء النبات » أن الخيرى هو المسمى باللاتينية Cheiranthus cheiri ويبدو ان لفظ خيرى هو تعريب اللفظ اللاتينى» ويكون معنى البيت ان العاشق المدله المتيم يكون لونه كلون هذا النبات فى صفرته من شدة عشقه .

الذى لو اقتصر عليه حصل به المراد ، لما فى البسط من إدماج الغزل فى الوصف بغير لفظ التشبيه ، ولا قرينته المعتادة ، إذ هو من قسمى التّشبيه اللّذين بأداة وبغير أداة ، بل تشبيه لا ظاهر ولا مقدّر يفهم من فحْوى الخطاب ، إذ مفهوم اللّفظ أن صُفْرَة الخيرىّ تشبه صفرة ألوان المهجورين.

من هذا الباب أيضا قول البحترىّ وقد تقدّم فى باب حسن الاتباع (كامل) :

أخجلتَنى بنَدَى يَدَيْكَ فَسَوّدَتْ ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ

صلةٌ غَدَت فى النَّاسِ وهى قَطِيعَةٌ ... عَجبا وبِرٌّ راحَ وهو جَفَاءُ

فإن حاصل البيتين أنك قطعتنى عنك خجَلا من كثرة عطائك ، فبسط هذا الكلام لتحصل زيادات من البديع لولا البسط ما حصلت كالطباق فى البيت الأول ، بذكر السّواد والبياض ، والمقابلة فى البيت الثانى بذكر الصّلة والقطيعة ، والغدوّ والرواح ، والبرّ والجفاء ، (وعلى هذا [1] فاعتبرْ ما تسمعه من الكلام الذى يقع فيه مثله ، وقِسْه عليه .

والفرق بين البسط والاستقصاء أن الاستقصاء هو حصْر كلٍّ ما يتفرّع من المعنى ويتولَّد عنه ، ويكون من سببه ولوازمه ، بحيث لا يترك فيه موضعا قد أخلقه بجدة الآخذ له ، فيستدركه ليستحقّه بذكره ، والبسط نقل المعنى من الإيجاز إلى الإطناب بسبب بسط العبارة عنه ، وإن لم يستقص كلٍّ ما يكون من لوازمه ، والله أعلم .

---

(١) من هنا ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ

بابُ الهجَاء فى معرض المــدح *

وهو أن يقصد المتكلِّم إلى هجاء إنسان فيأْتى بأَلفاظ موجّهه ظاهرها المدح وباطنها القدح ، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه ، كقول بعضهم فى بعض الأَشراف [1] (وافر) :

له حقٌّ وليسَ عَلَيْهِ حقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فالْحَسَنُ الجَمِيلُ
وقدكان الرّسولُ يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

(فأَما [2] أَلفاظ البيت الأَول على انفرادها فلا تكاد تصلح إلا للمدح ولا يفهم منها غيره ؛ وأَما البيت الثانى لو انفرد أَيضا لما فُهم منه مدح ولا هجاء . وكان إلى باب من الأَبواب أَقرب من هذين البابين ، لكنه لمَّا اقترن بالأَول أَهَّل نفسه وأَخاه للهجاءِ . وعُدِلَ بأَلفاظهما عن الثناءِ . وحصل من اجتماعهما ما ليس لكلٍّ منهما على انفراده) .

ومن أَمثلة هذا الباب أَيضاقول عبد الصمد بن المعذَّل أو أَبى العمَيْثل فى أَبى تمّام وقد كانت فى لسانه حُبْسة (رمل مجزوء) :

يا نَبِىَّ الله فى الشِّعْـ ـرِ ويا عِيسَى بْنَ مَرْيَمْ
أَنت من أَشعر خَلْق اللَّـــــهِ مالم تتكَلَّمْ

(×) هـذا النوع من الأنواع التى سلمت لابن أبى الاصبع انظر خزانـة ابن حجه ١١٧ وانوار الربيع : ٢٩٢ .

(١) هذان البيتان لمحمد بن حمزة السلمى فى الحسن بن زيد بن الحسن بن على ، عليهم السلام انظر أنوار الربيع ٢٩٣

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت

فإن حال هذين البيتين حال البيتين اللّذين قبلهما ، إذ الأوّل منهما إذا انفرد كان مدحا محضًا ، وإذا اجتمعا صار هجوا بحْتا ، غير أن ثانى الآخرين مخالف لثانى الأولين .

ومن مُلَح هذا الباب قول السّعيد بن سناء الملك[1] رحمه الله فى قوّاد (سريع) :

لِى صاحبٌ أفدِيه من صاحب حُلْو التأنِّى حَسَن الإحْتِيالْ
لو شاءَ من رقَّةِ ألفاظه ألَّف ما بين الهُدَى والضَّلَالْ
يكفيك منه أنَّه ربّما قاد إلى المهجور طيفَ الخَيَالْ

وهذا النَّمط غير النَّمط الأوّل الذى قدمناه . وهذا من لطيف التوجيه ، ولقد تشبثت بأذيال القاضى السّعيد — رحمه الله — فى هذا المقطوع بقولى فيمن ادّعى الفقه والكرم وانتحل هاتين الشيمتين دون بقية الشيم ، وهو ممن يتّهم (سريع) :

ابنُ فلان أكرمُ النَّاس لا يمنَع ذَا الحَاجَةِ من فِلْسِهِ
وهو فقيهٌ ذو اجتهادٍ وقَدْ نصّ على التَّقليد فى دَرْسِهِ
يَسْتَحْسِنُ البَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ ويوجب الدَّخل على نفسِهِ

(وكل[2] توطئة وقعت فى هذا النَّمط الثَّانى صالحة للمدّح البحت فإذا اقترنت بأبيات المعانى انقلب ما كان فيها مدحا تهكّما ، وصارت هى بنفسها هجاءً ، والذى أفرد هذا الباب بنفسه عن باب التهكم مع أن الّذى فيه من المدح تهكّم هو أن التهكم لا تخلو ألفاظه من لفْظة من اللّفظ الدّالّ

(١) ديوانه لوحة ٨٦ وخزانة ابن حجة ١١٧ وانوار الربيع ٢٩٣

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

على نوع من أنواع الذّم . أو لفظة يفهم من فحواها الهَجْو . وسيأتى بيان ذلك فى باب التهكُّم ، وألفاظ المدح فى هذا الباب لا يقع فيها شىء من ذلك ؛ ولا تزال مفرّقة ومجتمعة تدلُّ على مجرد المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عن ذلك ، وشواهد التهكُّم لا تخلو عن ألفاظ التهكُّم فى أبيات التوطئة ، وأبيات المعانى . وما يقع فى هذا الباب من التهكُّم إنما يقع فى التوطئة دون أبيات المعانى ، والله أعلم .

باب العنوان *

وهو أن يأخذ المتكلِّم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار مُتقدِّمة ، وقصص سالفة ، كقول أبى نواس[1] (بسيط) :

يا هاشمَ بنَ خُديج ليس فخركُمُ ... بِقَتْلِ صِهْرِ رَسُولِ اللهِ بالسَّدَدِ
أَدْرَجْتُمُ فى إهاب العَيْر جثَّته ... لبئس ما قَدَّمَتْ أَيْديكُمُ لِغَد
إن تَقْتلوا ابنَ أبى بكر فقَدْ قتلتْ ... حُجْرًا بدَارَةِ مَلْحوبٍ بنو أسدِ
ويومَ قُلْتم لعمرو[2] وهو يقتلكمْ ... قتلَ الكلاب لقد أبْرَحْتَ[3] بالوَلَدِ
ورُبَّ كِنْدِيَّةٍ قالت لجارتها ... والدمعُ ينهلُّ من مَثْنًى[4] ومن وَحَدِ
أَلْهَى امرأَ القيس تشبيبٌ بغانية ... عن ثأْره وصفات النُّؤْي[5] والوَتَدِ

فقد أتى أبو نواس فى هذه الأبيات بعدّة عنوانات : منها قصة قتل محمد بن أبى بكر ، وقتل حُجْر أبى امرئ القيس . وقتل عمرو بن هند

(×) هذا من الأنواع التى سلمت للمؤلف . وقد تكلم عنه صاحب الطراز ٣ : ١٧٠ تحت اسم التلميح انظر خزانة ابن حجه ٣٨٢ وحسن التوسل ٨٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٦ وأنوار الربيع ٥٤٧ .

(١) الديوان : ١٦٩ والاهاب ككتاب: الجلد . والعير بفتح العين : الحمار . وحجر بضم فسكون : أبو امرىء القيس ، ودارة ملحوب : اسم مكان .

(٢) فى الديوان « لزيد »

(٣) أبرحت : أهلكت او أوديت .

(٤) من مثنى ومن وحد ، تريد من عينين اثنين وعين واحدة .

(٥) النؤى : الحجارة توضع حول الخيمة او الخباء لتمنع السيل .

كندة فى ضمن هجاء من أراد هجوه ، ومعيرة المهجوَّ بما أشار إليه من الأخبار الدّالّة على هجاء قبيلته وملوكهم ، ومثل ذلك قول أبى تمّام [1] فى استعطافه مالك بن طَوْق على قومه (كامل) :

رَفَدُوكَ فى يوم الكُلَاب وشَقَّقُوا ... فيهِ المزادَ بجَحْفل كلّابِ [2]
وهمُ بعَيْن أُباغَ رَاشُوا لِلعِدَا ... سَهْمَيْك عند الحارث الحرّاب
وليالىَ الثَّرْثَار والحَشَّاك قد ... جلبوا الجيادَ لواحق الأَقْراب
فَمَضَتْ كهولهمُ ودبّر أمرَهُمْ ... أحداثُهُم تدبير غير صوابِ

ثم قال بعد ذلك : (كامل)

لك فى رسولِ اللهِ أعظمُ أسوةٍ ... وأجلُّها فى سُنَّة وكِتابِ

---

(١) رفدوك أعانوك • والكلاب بضم الكاف. واد بين طهرى بهلان، وفيه كان الكلاب الأول والثانى من أيام العــرب المشهورة فاما الكلاب الأول فقد كان بين سرحبيل بن الحارث وأخيه سلمه ، ومع سرحبيل بكر بن وائل وبنى حنظله بن مالك بن زيد مناه تمــيم ، ومع أخيه سلمه تغلب • وأما الكلاب الثـــانى فكان بين بنى سعد والرباب وبين بنى الحارث بن كعب ، وقال فى اللسان مادة كلب نقلا عن أبى عبيدة كلاب الأول وكلاب الثـــانى يومان كانا بين كنــدة وبنى تميم أشار بقوله « وسقفوا فيه المزاد » الى مافعله السفاح فى هذا اليوم وهو انه طما خياله وسفح مافى أسقيه أصـــحابه وقال : لا ماء لكم دون الكلاب والسفاح هو سلمه بن خالـــد بن كعب ابن حبيب بضم الحاء المهملة ابن عمرو بن غنيم بن تغلب والمزادة: آلة يستقى بها الماء• والجحفل• الجيش ، وعين اباغ : بضـــم الهمزة وفتحها :واد وراء الانبار على طريق الفـــرات الى الشام وكان عندها فى الجاهليه يوم لهم بين ملـــوك غسان وملوك الشام وملوك لخم ، وملوك الحيرة قتل فيه المنذر بن المنـــذر بن امرىء القيس اللخمى • وراشوا الســـهم : أصلحوا ريشـــه والحراب صيغه مبالغة من الحرب وهو السلب ، والثرثار : واد عظيم بالجزيرة يمد اذا كثرت الأمطار فاما فى الصيف فليس فيـــه الا مناقع ومياه حامية ، وعيون قليله وهو فى البـــرية بين سنجار وتكريت وكان فى القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثر بنى تغلب ، والحشـــاك كانت فيه وقعه تغلب على قيس ، ولواحق الأقراب : اى ضمر الخصور ، ديوانه : ١٨، ١٩، ٢٠ .

(٢) كذا فى جميع الأصول • وهو تحريف ، والذى فى الديوان (غلاب) وهو الصواب •

أَعْطَى المؤَلَّفَةَ القلوب رضاهُمُ　　كَمَلًا وردَّ أَخَائِذَ الأَحزَاب [1]

والجَعْفرِيُّونَ استقلَّتْ ظُعْنُهمْ　　عن قَوْمِهم وهمُ نجومُ كُلابِ

حتى إذا أَخَذَ الفراق بقِسْطه　　منهمْ وشطَّ بهمْ عن الأَحباب

ورأَوا بلادَ اللهِ قد لفظتْهُمُ　　أَكنافُها [2] رجعُوا إلى جوّاب

فأَتوا كريمَ الخِيم مثلك صَافحًا　　عن ذكر أَحقاد وذكر ضِباب

فانظر إلى ما أَتى به أَبو تمّام فى هذه الأَبيات من العنوانات من السيرة النبويّة وأَيام العرب كيوم الكُلاب ،وأَخبار بنى جعفر بن كلاب مع ابن عمّهم جوّاب ، وكقوله أَيضا لأَحمد بن أَبى دُوَاد : (وافر)

تثبّتْ إنَّ قولًا كان زُورًا　　أَتى النُّعمانَ قبلَكَ فى زيادِ

فأَرَّثَ [3] بين حىّ بنى جُلاح　　لَظَى حَرْب وحىّ بَنِى مَصَادِ

وغادَرَ فى [4] صُدور الدَّهرقَتْلَى　　بنى بَدر على ذاتِ الإِصادِ

فأَتى بعنوان مشيرا إلى قصّة النَّابغة حينَ وَشَى به الواشُونَ إلى النعمان ،

---

(١) الأخائذ : جمع أخيذة فعيلة بمعنى مفعولة . ولم يرد بالاحزاب من شهدوا غزوة الخندق كما هو المعنى المشهور لهذا اللفظ فانهلم يرد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخائذهم ثم ردها ولكن رد أخائذ هوازنيوم حنين ، واذن فمراده بلفظ الأحزاب المعنى العام . وهو كل من تحزب على الاسلام كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبى تمام للخطيبالتبريزى وغيره من كتب السيرة . والظعن : الجمال عليها الهوادج ، والنجوم : جمع نجم ، والمراد به النبات الذى لا ساق له ، واطلقه عليهم علىسبيل الاستعارة .

(٢) الاكناف : الجوانب . ويقصد بجواب هنا : مالك بن كعب ، والخيم : السجية والطبيعة . والضباب : الأحقاد عطف تفسير لما قبله ، الديوان : ٨٠

(٣) ارث النار : أوقدها . وهو يريد هنا أنه أوقع فتنة بين هذين الحيين . والاصاد: اسم ماء لطم عليه داحس فرس قيس بن زهير ، فكانفى ذلك حرب داحس والغبراء ، أو هو ردهة فى ديار عبس وسط هضيب القليب ، انظر ياقوت.

(٤) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

وما جرّ ذلك السّعى من الحروب التى انطوت عليها قطعة من أيّام العرب ، وكقوله لابن أبى دُوادٍ أيضا : (كامل)

فاسمع مقالةَ زائرٍ لم تشتبهْ آراؤُه عند اشتباه البيدِ
أسرَى طريدا للحياء مِنَ الّتى زعموا وليس لرهبةٍ بطريدِ
كنتَ الربيعَ أمامَهُ ووراءَهُ قمرُ القبائل خالدُ بنُ يزيدِ
فالغيثُ من زُهْرٍ سحابةُ رأفَة والركنُ من شيْبَان طَوْدُ حَدِيدِ
وغدا تَبَيّن ما براءة ساحَتِى لو قد نَفَضْتَ تَهَائِمِى ونُجُودِى
هذا الوليدُ رأى التثبُّتَ بعد ما قالوا يزيدُ بنُ المهلَّب مُودِى
فَتَزَحْزَح الزورُ المؤسَّسُ عنده وبناءُ هذا الإفْكِ غيرُ مَشيدِ
وتمكَّن ابنُ أبى سعيد من حِجَى مَلِكٍ بشكر بنى الملوك سعيد
ما خالدٌ لى دون أيّوبٍ ولا عبدُ العزيز ولستُ دونَ وليدِ
نفسِى فداؤُكَ أىّ باب ملمّة لم يُرْمَ فيه إليك بالإقْليدِ
لما أظلَّتْنى غمامُك أصبحتْ تلك الشهودُ علىّ وهىَ شهودِى
من بعد ما ظنُّوا بأن سيكون لى يومٌ ببَغْيهمُ كيوم عَبيدِ
نزعوا بسهم قطيعةٍ يَهفُو به ريشُ العُقوقِ فكان غيرَ سَدِيدِ
وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ ما كان يُعرف فضل عَرْفِ العُودِ
لولا التخوّف للعواقب لم تَزَلْ للحاسِدِ النُّعْمَى على المحسودِ

العنوانات فى بعض هذه الأبيات ، وإنما جئت بجملتها لئلّا يتجزّأ حسنها ، فمن عنواناتها إشارته إلى خبره مع ابن أبى دُوَاد فيما نُقِل عنه من غضّه من مُضَرَ على سبيل الحسد له ، حتّى حجبه عنه وجفاه ، ولم يرجع إليه

إلا بشفاعة خالد بن يزيد الشيبانى ، ثم ذكر قصّة يزيد بن المهلّب حِين هرب من حبس الحجّاج ، وكتب فيه إلىِ الوليد بما أحفظه عليه ، حتّى حلف على قتله ، فاستشفع بسليمان أخيه ، واستجار به ، فأجاره ، وأرسل به مع ولده أيّوب ، وولد الوليد عبد العزيز ، ووصّى ولده ألا يدَع يدَه من يدِه إلا بعد أمانه ، وألا يوصل إليه بسوءٍ إلا بعد قتله ، ثم أشار إلى قصة عبيد بن الأبرص مع النعمان حين لقيه فى يوم بؤسه وقتله ، وهذه القصص معروفة عند الأخباريِّين ، فلم أطل بسياقة تفاصيلها ، والكتاب العزيز محشوٌّ بعنوانات العلوم ، فمنها قوله سبحانه : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ)[1] الآية ، فإن فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلويّة ، ومن ذلك قوله تعالى : (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ[2]) وهذا عنوان العلم المنسوب إلى أقليدس[3] ، لان المثلّث الشكل أول أشكاله ، وهو أصل الأشكال ، وهو شكل إذا نصب فى الشّمس لايوجد له ظلٌّ لتحديد رءوس زواياه ، والله أعلم .

(ومن ذلك قوله) تعالى : (وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِين[4]) ثم ذكر سبحانه فى تفسير ذلك ملكوت السموات ،

---

(١) النور : ٤٣

(٢) والمرسلات : ٣٠ ، ٣١

(٣) اقليدس : اسم رجل وضع كتابا فى علم الهيئة والهندســـــة والحساب ، ونقله الى العربية الحجاج بن يوسف (ملخصا من تاج العروس)

(٤) الأنعام : ٧٥

مدمجا فيه ملكوت الأرض ، فإن أفول الكواكب والنيرين إنما يكون بما يحول بين الأبصار وبينها من مَخْروط ظلّ الأرض ، وهذا عنوان العِلْم المعروف بالمجَسْطِى[1] والله أعلم وقوله تعالى فى بقيّة الآية[2] المذكورة : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا[3]) إلى آخر الآية ، وهذا عنوان علم الكلام فى ترتيب نظم الدليل على حدوث العالم بما دلّ عليه أفول الكواكب من التغيير ، والله أعلم

(١) المجسطى ، هو علم الهيئة انظر بديع القرآن ٢٥٨ .
(٢) ليست بقية آيه ، وانما هى رأس آ ية قائمة بذاتها .
(٣) الأنعام : ٧٦

باب الإيضاح *

وهو أن يذكر المتكلِّم كلاما فى ظاهره لَبْس ، ثم يوضحه فى بقيّة كلامه ، كقول الشاعر[١] (طويل) :

يذكِّرُنيك الخيرُ والشّرّ كلّه   وقيلُ الخَنا والعلمُ والحِلمُ والجَهْلُ

فإن هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع ، لجمعِه بين ألفاظ المدح والهجاءِ ، فلمّا قال بعده (طويل) :

فألقاك عن مكروهها متنزِّها   وألقاكَ فى محبوبها ولَكَ الْفَضْلُ

أوضح المعنى المراد ، ورفع اللَّبس ، وأوضح الشكَّ (وقد[٢] يكون الإيضاح) فى الوصف الذى لا يتعلَّق به مدح ولا هجاء ، وذلك أن يُخبِر المتكلِّم بخبر واحد عن شيءٍ واحد يقع التعجب منه ، ويشكل الأَمر فيه ، ثم يوضِّح ذلك الإشكال بأَن يُخبر عنه بما يفهم منه كشف اللَّبْس عن الجزءِ الأَول) ، كقول ابن حَيُّوس الدّمَشْقى (كامل) :

(×) هو من الانواع التى سلمت للمؤلف، ولا يصح أن يجعل من التفسير، لأن الايضاح هو ابراز المعنى فى صورتين مختلفتين الابهام ثم الايضاح لتمكين المعنى فى النفس تمكينا زائدا تحصـــل به لذة العلم ، لأن الشيء اذا علم من وجه دون وجه تســـوقت النفـوس الى العلم بالمجهول ، فتحصل لها بسبب العلم لذة لحرمانها من الباقى .

(١) ورد فى الأصل بعد هذه الكلمة قوله (هو مسلم بن الوليد) وقد راجعنا ديوانه الذى بين أيدينا فلم نعثر عليه فيه . وورد البيتان فى الطراز ٣ : ١٠٢ فى نفس هـــذا الباب غيـــر منسوبين .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت .

ومُقَرْطَقٍ يُغْنِى النَّديمَ بوَجْهه   عن كأْسِه الملأَى وعنْ إبريقه[1]

فِعْلَ المُدام ولونِها ومذاقِها   فى مقلتيه . وَوَجْنَتَيْهِ وريقِه

فإنه لو اقتصر على البيت الأول أشكل الأمر على السّامع من جهة الوجه وإن كان حسنا لا يغْنى به النديم عن الخمر فأوضح اللبس فى البيت الثانى .

(والفرق [2] بين الإيضاح والتفسير أن التفسير تفصيل الإجمال ، والإيضاح رفع الإشكال ، لأن المفسّر من الكلام لا يكون فيه إشكال ألبتّة) ، وقد جاء من الإيضاح فى الكتاب العزيز قوله تعالى (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا من قَبْلُ) [3] فإنه لو قدر الاقتصار على هذا المقدار لالتبس الأمر على المخاطب لكونه لا يدرى هل أراد الله تعالى بقوله حكاية عنهم « هذا الذى رزقنا من قبل » الإشارة إلى صِنْف الثمرة ، أو مقدار ما يؤْتون به من ذلك ، أى تكون مقادير الثِّمار متساوية ، فأوضح سبحانه اللَّبس بقوله (وأُوتوا به متشابها) (يعنى[4] والله أعلم أشياء يشبه بعضها بعضا ، وهى متغايرة الأصناف ، لأن الوجه الثانى يوجب اللَّبس الذى وقع الفِرار منه ، لأنه لايدرى هل قولهم : «هذا الذى رزقنا من قبل » أى غير ما رزقنا ، وحقيقته أو غيره ، لكنه هو فى المقدار مثله ، فلما قال سبحانه :

---

(١) المفرطق لابس القرطق ، وهو قباء ذو طابق واحد معرب يقال عليه قرطق ابيض . والقرطق أيضا هو القباء الذى له خمل ، ويقال. قرطف بالفاء . واراد الشاعر ان المقلتين سكران من نظر اليهما وتحجلانه كما تسكر الخمر العقول وتحيرها وتدهشها، وحمرة المدام تشبه حمرة الخد ، ومذاق المدام بسبه الريق ، فلذلك صار البيت الثانى موضحا للبيت الأول ا هـ ملخصا من الطراز ٣ : ١٠٣

(٢) ما بين قوسين ساقط من ب

(٣) البقرة · ٢٥

(٤) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

(وأوتوا به متشابِها) ارتفع هذا اللَّبس أيضا لكون البلاغة تقتضيه ، وإنما اقتضته البلاغة لكونه من المعلوم ، إذ المداومة على مأكول واحد توجب السأم والملل ، وإن كمال التنعّم وتمام التفكّه التلوّن فى المطاعم ، والتفنّن فى المآكل ،فعلم من فحوى الخطاب أنه أراد سبحانه وهو أعلم الصنفَ لا المقدار (ومن الإيضاح[1] قوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ[2]) وقال فى غير هذا الموضع (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ[3]) ثم قال سبحانه فى الأُولى : «نحن نرزقكم» ، وفى الثانية : «نحن نرزقهم» ، وإيضاح هذا الاشكال أن يقال : إنه سبحانه لمَّا قال فى الأُولى (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق) دَلَّ هذا اللفظ على أن الفقر كان حاصلا بقتلهم الأولاد بسبب وجوده ، فلا جرم أنه سبحانه وتعالى قال «نحن نرزقكم» أى ما يغنى فقركم ، ولما قال فى الثانية (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) ، دلَّ على أنهم أغنياء وإنما هم يخشون الفقر فلا جرم أنه قال : نحن نرزقهم ، أى لا تظنوا أنكم تَرزُقون الأولادَ من رزقكم فتفتقرون . نحن نرزقهم .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : «إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» [4] فلقائل أن يقول : لم قدَّم التمدّح بذكر الحبّ قبل النّوى؟ ، ولم قال سبحانه : يخرجُ الحيّ من الميت ، بلفظ

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، وهو فى هامش آ
(٢) الأنعام : ١٥١
(٣) الاسراء : ٣١
(٤) الأنعـــام : ٩٥

انفعل؟ ، ثم قال : « ومخرج الميِّتِ من الحيّ » بلفظ الفاعل ، والجواب أن يقال : تقديم الحبّ على النوى من المهمّ ، والبلاغة تقديم المهمّ ، كما قيل : « إن المهمَّ المقدَّمُ » فإن ما كان مهمًّا فتقديم التمدّح به أولى ، لأنه قوت المخاطب وقوت دوابّه ، وذكر ذلك إنما هو فى معرض الاعتداد بالنّعم عليه ، فكان تقديمه أولى ، والنَّوى إنما ذكر لتتميم المعنى ، ليكمل التمدّح فإن فى ذكره إشارة إلى الاعتداد على المخاطب بما يتفكّه به ، وطريق التهذيب والترتيب أن يكون ذكر ما يتفكّه به بعد ذكر الأقوات التى لا غنًى عنها ، ولا بُدّ للحيوان منها .

وأما قوله : « يخرج الحى » بلفظ الفعل عند تقديم إخراج الحيّ لما فى الحى من الحركة الّتى تعينه عند الخروج . فخروجه أسهل على مخرجه من خروج الميِّت من الحيّ ، فاقتضت البلاغة تقديمه بلفظ الفعل المقتضى للحال والاستقبال ليكون ذكر خروج الميت بعده انتقالا من الأدنى إلى الأعلى ، وجعل خروج الميِّت مستندا إلى لفظ الفاعل المضاف الدّالّ على المضيّ ليكون خروج الأصعب مفروغا من وقوعه ، ليكون أدلَّ على القدرة وأبلغ فى التمدّح ، والله أعلم.

ومن الإيضاح نوع يتقدّم الإيضاح فيه على الإشكال كقوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ[1] ﴾ إذ لو لم تَتَقَدَّم تسمية النِّساء بالحرث ، وهو موضع الزَّرع لوَهِم متوهِّمٌ من قوله « أنى شئتم » إباحة الوطء فى غير المكان المشروع ، والله أعلم .

---

(١) البقرة : ٢٢٣

بـاب التّشكيك *

وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة تشكّك المخاطَب هل هى حَشو أو أَصلية لاغنًى بالكلام عنها، مثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ[1]) فإن لفظة «بدين» تشكّك السامع هل هى فضلة، إذ لفظة «تداينتم» تُغْنى عنها، والناظر فى علم البيان يعلم أنها أصلية، لأن لفظة الدين لها محامل، وتقول، : داينت فلانا المودّة يعنى جازيته ومنه «كماتدين[2] تدان».
ومن[3] ذلك قول رؤبة (رجز) :

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيُونُ تُقْضَى　　فَمَطلتْ بَعْضًا وأَدّتْ بَعْضَا

وأمثال هذا .

وكلّ هذا هو الدَّين المجازىّ الذى لا يكتب ولا يُشْهد عليه، ولما كان المراد فى الآية الكريمة تبيين الدّين المالى الذى يُكتب ويُشهد عليه وفيه، وتبيين الأحكام المعلّقة به، وما ينبغى أن يعمل فيه، أوجبتْ البلاغة أن تقول «بدين» معناه يكتب ويشهد فيه، ليقول: «فاكتبوه». والله أعلم.

(×) لم يسلم هذا النوع للمؤلف، فقد سبقه اليه ابن رشيق فى العمدة تحت هـذا الاسم بعينه ٢ : ٥٣

(١) البقرة : ٢٨٢

(٢) هذه عبارة من حديث اوله : « البر لا يبلى والديان لا يموت، اعمل ما شئت فكما تدين تدان » انظر الجامع الصغير ٢ : ١٧٦ وكشف الخفاء ٢ : ١٢٦

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

ومن التشكيك[١] ضرب آخر ، وهو أن يأتى المتكلّم بجمل من المعانى فى كلامه ، كل جملة معطوفة على الأُخرى بأَوْ الّتى هى موضوعة للتشكيك لا التى للتخيير والإباحة ، كقول البحترىّ (سريع) :

كأنّما يَبْسِمُ عن لؤْلؤ منضّد أو بَرَدٍ أوأقاح[٢]

ومن التشكيك[٣] نوع التبس على بعض المؤلفين حتى أدخله فى باب تجاهل العارف ، وهو أن يرى المتكلّم شيئا شبيها بشىء فيشكّك نفسه فيه ، لقصد تقريب المشبه من المشبه به ، ثم يعود عن المجاز إلى الحقيقة ، فيزيل ذلك التّشكيك ، فإن لم يعد إلى الحقيقة فهو تجاهل العارف وإن عاد فهو التشكيك المحض ، وهو كقول سلم (طويل) :

تبدّت فقلت الشّمس عند طُلوعِها بجلْد غنىٍّ اللّون عن أثَر الْوَرْسِ

فلما كَرَرْتُ الطَّرفَ قلتُ لصاحبى علَى مِرْيَةٍ ما ها هنا مَطْلعُ الشَّمْسِ

فانظر كيف رجع إلى التحقيق بعد التشكيك ، وقد خفى هذا الفرق عن ابن رشيق وغيره حتى أدخلوه فى باب تجاهل العارف ، وهذا خلاف قول أبى تمام (طويل) :

فوالله ما أدرى أأحْلَام نَائِمٍ ألمّت بنَا أَمْ كانَ فى الرّكب يُوشَعُ[٤]

فإنّ سلماً رجع عن التّشكيك وأبو تمّام لم يرجع ، فكان بيت سلم من التشكيك المحض ، وبيت حبيب من تجاهل العارف ، وقد ظهر الفرق بين البابين ، والله أعلم .

---

(١) هـذا النوع من التشكيك سبقه اليـه علماء النحو وليس بجديد له .
(٢) انظـــره فى باب الشبيه من هذاالكتاب .
(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من د
(٤) انظره فى باب التوارد من هذا الكتاب .

بـابُ الحَيْدة والانتقال

وهو أن يُجيب المسئولُ بجواب لا يصلح أن يكون جوابا عما سُئل عنه ، أو ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذى كان آخذا فيه ، وإنّما يكون هذا بلاغةً إذا أتى به المستدلّ بعد معارضة بما يدلّ على أن المعترض لم يفهم استدلاله ، فينتقل عنه إلى استدلال يقطع به الخصم عند فهمه ، وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام فى قوله للجبّار[1] : (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)[2] فقال الجبّار : « أنا أُحْيِى وَأُمِيتُ » ثم دعا بإنسان فقتله ، ودعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ، فلما علم الخليل أنه لم يَفْهم معنى الإماتة والإحياء اللّذَين أرادهما انتقل إلى استدلال آخر فقال (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ[3]) فأتاه باستدلال لا يجدُ لاسمه اسما مشتركا معه ، فتعلّقَ بظاهره على طريق المغالطة ، أو لأنه لم يفهم إلا ذلك الوجه الذى تعلّق به ،فلا جرم أن الجبار انقطع وأخبر الله سبحانه عنه بذلك حيث قال تعالى : « فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ » وفيه نَوْعٌ يَحِيد المسئول عن خصوص الجواب إلى عمومه ، لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب

× هذا النوع من الأنواع التى سلمت للمؤلف .

(١) هو النمروذ بن فالج بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ انظر الجامع لأحكام القرآن ٣ : ٢٨ طبع دار الكتب المصرية

(٢) البقرة: ٢٥٨

(٣) مابين قوسين سافط من ت .

كقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقد سألتْها امرأةٌ أتدخل المرأة الحمّام ؟فقالت : كُلُّ امرأةٍ وضَعَتْ ثيابَها فى غير بيتها فقد عَصَت » أو كما قالت ، فانظر إلى حيدتها عن الخصوص إلى العموم ، لتفيد زيادةً فى البيان ، وتستوعبَ جميعَ أحكام الباب) (صواب[1] الحديث : ما من امرأةٍ خلَعَتْ ثيابَها فى غير بيتِها ، إلا هَتَكَتْ ما بينها وبين الله من حجاب) فهذا مثال ما يأْتى من الحيدة بسبب سوء فهم الخصم (أو لِقَصْد الزيادة المفيدة) .

وأما ما يأْتى بسبب صحّة المعارضة على طريق المغالطة كقول الشاعر (منسرح) :

رأيتُه فى الظَّلَام مُنْبَطِحًا ... يضرب فى باب سُرْمِه بُوقُ
فقلت ماذا ؟ فقال يَبهَتُنى ... أنتَ تقول القرآنُ مخلوقُ

وقول الآخر (منسرح) :

قالت أُحِبُّ العِذَار أوّل ما ... يبْدُو على الخدِّ غير مُعْوَجِّ
قلتُ : اسكتى لا يقال لائطةٌ ... قالت : وإلا عذارَك الثَّلْجى[2]

(١) ما بين قوسين ساقط من د

(٢) ورد فى هامش ا فى شرح كلمة الثلجى ما نصه : الثلجى . الابيض ، وهو صفة للعذار.

بـابُ الشَّمَاتَةِ *

وهو إظهار المسرّة بمن نالته مِحْنة ، أو أصابته نَكْبَة ، ولم أستمع فى ذلك مثل قول ابن الرومىّ (كامل) :

لا زالَ يومُك عبرةً لِغَدِكْ — وبكَتْ بشجوعينُ ذى حَسَدِكْ
فلئن بكيتَ لطالَما نُكبتْ — بك همّة لجأت إلى سَنَدِك
لو تسجد الأيّام ما سجدتْ — إلاّ ليومٍ فتَّ فى عَضُدِكْ
يا نعمةً ولَّتْ غضارتُها — ما كان أقبحَ حُسنها بيَدك
فلقد غَدَتْ بَرْداً على كَبِدى — لمّا غَدَتْ نارا على كَبدِك
ورأيتُ نُعْمَى الله زائدةً — لمّا استبان النقصُ فى عَدَدِك
لم يَبْقَ لِى مِمّا بَرَى جَسَدِى — إلاّ بقايا الرّوح فى جَسَدِكْ

وقد جاء من الشماتة فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ[1]) فلفظة[2] «ذق» شماتة ، وبقية الكلام تهكّم .

وأما الشماتة المحضة فى القرآن فقوله تعالى لفرعون : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ[3]) .

(*) هو من الأنواع التى سلمت للمؤلف ولم يسبق اليه .
(1) الدخان : ٤٩
(2) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، د
(3) يونس : ٩١

باب التهكم *

يقال: تهكّمَت البئرُ إذا تهدّمت[1]، وتهكّم عليه: اشتد غضبُه. والمتهكّمُ المتكبّر وقال أبو زيد: تهكّمت: تعتّبت، وهكّمت، عيرته تهكما عِبْتُه، وعلى هذا يكون التهكم إما لشدّة الغضب قد أوعد بلفظ البشارة أو لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك (أو ذكّر بفعله عند العقوبة على سبب المعيرة له، فهذا أصله.

وهو فى الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة فى موضع الإنذار، والوعد فى مكان الوعيد، والمدح فى معرض الاستهزاء، فشاهد البشارة من الكتاب العزيز قوله تعالى: (بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[2]) (وقد مر[3] فى الباب الذى قبله قوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) وهو شاهد الاستهزاء بلفظ المدح.

ومن التهكّم قول الزمخشرىّ فى تأْويل قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ[4]) قال: همُ الحرس من حول

(×) هذا النوع قد سبق اليه المؤلف من الزمخشرى حيث قال فى تفسير قوله تعالى «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» وهى الآية التى استشهد بهـــا المؤلف على هذا النوع تهكما بحثه فى خزانة ابن حجة ٩٨وحسن التوسل : ٨٩ وأنوار الربيع : ١٩٥

(١) حقا ان من معانى التهكم فى اللغـــه التهدم ومن معانيه أيضا الاستهزاء فأى داع دعا المؤلف الى أن يقول : انه منقول من معنى التهدم وهو بعيد، ومعنى الاستهزاء وهوقريب ، فكيف لا يؤخذ منه ، وعلى كل فمعناه الاصطلاحى اخص من معناه اللغوى ٠

(٢) النســــاء : ١٣٨

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د

(٤) الرعد . ١١

السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكّم به ، فإنهم لا يحفظونه من أمر الله فى الحقيقة إذا جاء ، والله أعلم .

ومنه أيضا قوله تعالى : (قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[1]) فقوله سبحانه (إيمانكم) تهكّم ، والله أعلم .

ومن السنّة قول الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - (بَشِّرْ مالَ البخيل بحادث أو وارث) .

وشاهد المدح فى موضع الاستهزاء قول ابن الدَّرَوى فى ابن أبى حُصَيْنَة من أبيات (خفيف) :

لا تظنَّنَّ حَدْبة الظَّهْر عَيْبًا فهى فى الحُسْن من صفات الهلالِ[2]
وكذاك القِسِيُّ محدَوْدباتٌ وهى أنكَى من الظُّبا والعوالى
وإذا ما عَلَا السَّنَامُ ففيه لِقُرُوم الجِمال أىُّ جَمَالِ
وذُنَابَى القَطَاة وهى كَمَا تَعْـــلم كانت موصوفة بالجَلَالِ
وأرى الانحناء فى مِنْسَر[3] البا زِىّ لَمْ يَعْدُ مِخْلَب الرِّئْبَالِ
كوّن الله حدْبةً فيك إن شِئْـــت من الفَضْل أو من الإفْضالِ
فأتت ربوةً على طوْدِ حِلْمٍ طال أو مَوْجةً ببحرِ نوالِ
ما رأتْها النساءُ إلّا تمنَّت لو غدت حِليةً لكلِّ الرِّجالِ

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من الهَجْر بُدٌّ فعَسَى أن تَزُورَنى فى الخَيالِ

(١) البقرة : ٩٣
(٢) الأبيات فى الطراز لليمنى ٣ : ١٦٤ غير منسوبة ، وأنوار الربيع : ١٩٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٧٩
(٣) المنسر : المخلب .

وكقول ابن الرومىّ (سريع) :

فياله من عمل صالحٍ يرفعهُ الله إلى أسفلِ[1]

(وأحسب[2] أن أول من نطق بالتهكم فى شعره امرؤُ القيس ، حيث يقول[3] (متقارب) :

فأَنشَبَ أظفارَه فى النَّسا فقلتُ هبلْتَ ألَّا تُبْصِر

فإن قوله للثور هبلت ألا تُبْصِر من التَّهكّم اللطيف . وأطرف ما سمعت فى التهكّم قول حمّاد عجرد (مجزوء الكامل) :

فيا ابنَ نُوح يا أخا الـ حِلِسِ ويا بنَ القَتَب
وَمَنْ نَشَا والده بين الرُّبا والكُتُب
يا عَرَبِي يا عَرَبِي يا عَرَبِي يا عَرَبِي

والفرق بين التهكّم والهزل الذى يراد به الجدّ أن التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل ، وهو ضدّ الأوّل ، لأن الهزل الذى يراد به الجدّ يكون ظاهره هزلا وباطنه جدّا .

---

(١) أنوار الربيع : ١٩٦

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، د

(٣) ديوانه : ٩ والنسا بفتح النون : عرق فى الفخذ ياخذ الى القوائم ، وهبلت : ثكلت .

باب التنذير*

وهو أن يأتى المتكلّم بنادرة حُلوة ، أو مَجْنَة مستطرفة ، وهو يقع فى الجدّ والهزل ومن لطيف ما جاء منه فى الجدّ وبديعه قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ[1]) فانظر مبالغته — سبحانه وتعالى — فى وصف المنافقين بالجبن والخوف (حيث[2] أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم عند النظر كحالة من يغشى عليه من الموت ، ولو اقتصر سبحانه وتعالى على قوله (كالذى يغشى عليه) كان كافيا فى المقصود ، لكن أراد الزيادة على المقدار الذى قصد من المبالغة ، فأوغل بقوله سبحانه «من الموت» إذ حالة المغشى عليه من الموت أشدّ من حالة غيره ، ولا شكّ فى أنّ المنافقين من الجُبْن والخوف من الموت بهذه المثابة ، وذلك الذى دعاهم إلى النِّفاق ، فإنّ من كان قوىّ النّفس شجاع القلب ، لا يرتضى النفاق ، إذ هو لا يخشى الموت ولا يخافه) ، وفى هذا الكلام من طريف التنذير لمن يتدبره ما يُبَهْرِج كل نادرة .

(×) هذا النوع من الأنواع التى لم تسنم للمؤلف ، وهو مسبوق اليه ، وهو بعينه المبالغة بل انه ياتى بنص فى كلامه على هذا النوع يدل على صدق مايقول، حيث يعلق على قوله تعالى (فاذا جاء الخوف) .. الخ انظر الى مبالغته سبحانه فى وصف المنافقين بالجبن والخوف . الخ بحثه فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٢

(١) الأحزاب : ١٩

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت

وأمّا ما جاءَ منه فى الهَزل فكقول أبى تمّام[1] فيمن سرق له شعرا ، وهو محمّد بن يزيد الرّقّى (خفيف) :

مَن بَنو بَحْدَلٍ مَن ابنُ الحُبَاب[2] من بنو تَغلِبٍ غداةَ الكُلَابِ
مَنْ طُفَيْلٌ مَنْ عَامِرٌ أو مَن الحَا رث أم من عُتَيبَةُ بنُ شهاب
إنّما الضَّيْغَمِ الهَصور أبو الأشـ ـبال هَتّاك كلِّ خِيسٍ وَغَاب[3]
مَنْ عدت خَيْلُه على سَرح شعرى وهو للحين[4] راتعٌ فى كِتاب
يا عَذَارَى الكلام صرتُنّ من بعـ ـدى سَبَايَا تُبَعْنَ فى الأَعراب
لو ترى مَنطِقِى أسيرا لأَصبحـ ـتَ أسيرًا ذا عَبْرَة واكْتِئَاب

ثم ختمها بقوله :

طال رَغْبى إليك مما أقاسيـ ـه وَرَهْبى يارَبِّ فاحفظ ثِيَابى[5]

وكقوله فى هجاء موسى بن ابراهيم الرافِقىّ (كامل) :

عَجَبا لقوم يَسمَعُون مدائحى لكَ لم يقولوا قُم فأَنتَ مُصَابُ[6]
نَبَزُوا بكذَّاب مُسَيلمةً فقد غَلطوا ومَانُوا[7] بل أنا الكذَّابُ

وما رويت ألطف من قول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فى الرّشيد عمر الفُوِّى وكان به داءُ الثّعلب وهو من نوادر ما قيل فى أقرع (وافر) :

---

(١) ديوانه : ٤٨٧ والوساطة : ١٧٨
(٢) ابن الحبـــاب هو عمير بن الحباب السلمى .
(٣) خيس الأسد : عرينه
(٤) الحين : الموت
(٥) ديوانه : ٤٨٨
(٦) أراد بالمصاب هنا ، المنخبط فى قوله أو المجنون
(٧) نبزوا : اعلمـــوا . ومســـيلمة : كذاب معروف . ومانوا : كـــذبوا . ورواية الديوان (وهموا وجاروا) .

أقولُ لمعْشَر غَلطوا وغَضُّوا من الشَّيخ الرّشيد وأنكروهُ
هو ابن جَلاَ وطلَّاع الثَّنايا متَى يَضع العمامة تعرفُوهُ[1]

والفرق بين التنديز وما قبله من باب التهكّم وما يلتبس بالتهكّم من الهزل الّذى يراد به الجدّ أن التنديز ظاهره وباطنه هزل بخلاف البابين ، والله أعلم .

(١) هذا تضمين لبيت الحجاج بن يوسف الثقفى ، وهو مشهور محفوظ .

باب الاستجال بعد المغالطة*

وهو أن يقصد الشّاعر غرضا من ممدوح ، فيأْتى بألفاظ تقرِّر بلوغَهُ ذلك الغرض ، فيسجّل عليه ذلك ، مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يقرّر وقوع ذلك الغرض مُغَالطة ، ليقع المشروط كقول بعض المحدثين[1] (بسيط) :

جاءَ الشِّتاءُ وما عِنْدِى لِقِرَّتِهِ[2]   إلاّ ارْتِعَادِى وتَصْفِيقِى بأَسْنَانى

فإن هلكتُ فمولانَا يكفِّننى   هبْنى هلكت فهَبْنى بعض أكفانى

(وقد تأْتى[3] المغالطة بلا إسجال إذا أَراد المتكلِّم إخفاءَ مراده فسأَل عن شئٍ وهو يريد غيره بشرط أَن يكون المسئول عنه يتعلّق بمراده تعلّقا قريبا لطيفا ، كقول أَبى نُواس (خفيف) :

أَسْأَلُ القادِمِين من حكَمانِ   كيف خلَّفتمُ أَبا عُثْمَانِ[4]

فيقولون لى جنانٌ كما سَـــرّك مِنْ حالِها فسلْ عن جَنَانِ

ما لهمْ لا يبارك الله فيهمْ   كيف لم يغْن عندهم كِتْمَانى

(×) سلم هـذا النوع للمؤلف ولم يسبق اليه .

(١) هو ابن نباته السعدى كما فى معاهد التنصيص ٣ : ١١ والبيتان فى نهـاية الأرب ٧ : ١٧٣ غير منسوبين

(٢) القرة : شدة البرد

(٣) من هنا الى آخر الباب ســاقط من ت ، د وهو فى هامش آ

(٤) ديوانه . ٣٩٥ يتغزل بجنان معشوقته

فإنه سأل عن أخى [1] سيّد جنان وإنما أراد جنانًا ؛ ويقع الإسجال بغير مغالطة ، وهذا القسم هو الذى يأتى فى الكتاب العزيز كثيرا ، ومنه قوله تعالى : (ربَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَّهُمْ[2]) والله أعلم .

(١) أخوسيد جنان هو أبو عثمان الذى ذكره فى البيت الأول وانما كنى به عن محبوبته جنان .

(٢) غافر . ٨

باب الفرائد*

هذا باب مختصّ بالفصاحة دون البلاغة ، لأن مفهومه إتيان المتكلّم بلفظة تتنزّل من كلامه منزلة الفريدة من حب العِقْد تدلّ على عظم فصاحته وقوّة عارضته ، وشدّة عربيّته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غرامتها[1] وهي كقول أبي نواس (كامل) :

وكأنَّ سُعْدَى إذْ تُودِّعنا ... وقد اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أن يَكِفَا[2]

فلفظة «اشرأبّ» من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام ، ولا يقع مثلها إلاّ على سبيل الندور ، وكقوله أيضا (بسيط) :

حتى إذا ما غلا ماءُ الشباب لها ... وأفْعَمتْ في تمام الجسْم والعَصَبِ[3]

فاستعارة الغليان لماء الشباب من الفرائد البديعة ، وكذلك قول أبي تمّام[4] (وافر) :

وَقِدْماً كنتُ معسولَ الأَماني ... ومأْدُومَ القَوَافي بالسَّدَادِ

(*) هذا الباب بأكمله ساقط من د ويلاحظ أن هذا النوع قد سبق اليه المؤلف ممن تكلم عن فصاحة اللفظة المفردة مثل ابن سنان في سر الفصاحة وابن الأثير في المثل السائر والجامع الكبير فتأمل

(١) عنى بقوله « غرامتها » خسرانها وفقدانها من الكلام .

(٢) ديوانه ٤٣٢ طبع الغزالي ويكف : ينصب .

(٣) ديوانه : ٢٤٣ والصناعتين : ٢٩١

(٤) ديوانه ٨٠ ومأدوم القوافي : ممزوجها أو مختلطها . والسداد : الصواب

فلفظة «مأدوم» من الفرائد التى لا يُقدَر على نظيرها، ولا يعثر على شبيهها (وكقول[1] البحترىّ[2] فى المعتز بالله (خفيف):

لا بسٌ حُلَّةَ الوفاء ومن أبْـــهة السّيف أن يكون مُحَلّى

فقوله «أبهة» من الفرائد الغريبة فى مكانها التى يعجز الفصحاءُ عن الإتيان بها)، وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها، منها قوله سبحانه وتعالى: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)[3] فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر، وكقوله عزوجلّ: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ[4]) فانظر إلى لفظة «فُزِّع» وغرابة فصاحتها، تعلم أن الفكر لا يكاد يقع على مثلها وكقوله تبارك وتعالى: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ[5]) وانظر إلى قوله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ[6]) وهذه الفريدة فى هذه الآية أعجب من كلّ ما تقدّم، فإنَّ لفظة «خائنة» سهلة مستعملة، كثيرة الجريان على ألسُن النّاسِ، لكن على انفرادها، فلما أضيفت إلى «الأعين» حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم، بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها، ولا يكاد يقع فى شئٍ من فصيح الكلام شبهها، وأشباه ذلك فى الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر، وقد ورد فى السنَّة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - مواضع شريفة، منها قوله عليه السلام: (اسْتَذْكِرُوا[7] القرآن فإنه أشدّ تفصِّيا

(1) مابين قوسين ساقط من ت
(2) ديوانه: ٢: ١٧
(3) يوسف: ٨٠
(4) سبأ: ٢٣
(5) الصافات: ١٧٧
(6) غافر: ١٩
(7) انظره فى اللسان (مادة فصا) . وتفصيا: تعلتا وتخلصا .

من صدور الرجال من النَّعم من عُقُلها) فالمح لفظتى « استذكروا » « وتَفَصّيا » لترَى ما يُذهل عقلَ السامع فصاحةً ، ويَرُوعه جزالةً وحلاوة ، وكذلك قوله عليه السلام : « إذا ذُكر الصالحون فحيّ هَلًا[1] بعمر » فإن لفظة « حيّ ، هَلًا » من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كلُّ فصيح ، وعلى هذه الأَمثلة فقسْ ترشد إن شاء الله تعالى .

(1) حى هلا بعمر : اى ابدأ به وعجل بذكره : اللسان مادة « حيا »

بابُ الإلغاز والتعمية*

ويسمَّى المحاجاة ، والتعمية أعم أسمائه ، وهو أن يريد المتكلِّم شيئا فيعبِّر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه ، وهو يكون فى النثر والشعر ، فممَّا جاء منه فى النثر ما أملاه علىّ السيد الشريف العالم الفاضل تاج الدين والشرف ابن الحلبي أبقاه الله من رسالة ذكر أنها أملاها عليه منشئها ، فحفظها ثم نَسِيهَا ، ولم يبق على خاطره منها إلا ما أذكره ، وهو ، بلغنى أيّدك الله أنك ركبت الأُفق ، وسرت تطأُ ذوائب النَّجْم من عن يمين جعفر ، وشمال سعيد ، حتى أتيت إلى الضرير ، فطفقت تستحسن عينيه مليّا ، وقصدت ابنة الوادى فبقرت بطنها عن خمس كأصابع الكفّ ، وأتاك الغلام ببيضاء من ملاح القرية ، فأصليت الجميع نارا تلظّى ، فبردت بنارهنّ نارا محرقة ، ورأيت عثمان وهو يُسِرُّ أبا بكر فقتلته .

(ومنها[1] ورويت أن الشافعي قال : لا بأس بالمرأة إذا احتاجت أن تبيع زوجها لتنفق ثمنه.

وذكرلى الشريف تاج الشرف أن منشئها كان شريفا عبَّاسيًّا ، وانسى اسمه .

(×) لم يسلم هذا النوع للمؤلف كمازعم لان معنى الباب الاصطلاحى هو معناه اللغوى اذ اشار ابن فارس فى مجمله (مادة لغز) بأن اللغز ميلك بالشىء عن وجهه ومعناه الاصطلاحى ، والذى عرفه المؤلف لا يخرج بالكلام عن هـذا المعنى . بحثه فى الطراز ٣ : وأنوار الربيع ٧٢٠.

(١) مابين قوسين ساقط من ت

ومن النثر الذى جاء فى هذا الباب قول ابن جَرَّاح مُلْغزا فى دُمْلُج : ماشئ وجهه قمَر ، وقلبه حجرُ ، إن نبذته صَبَر ، واعتزل البَشَر ، وإنْ قرعْته ملأ الأسماع ، وإن أدْخَلْته السوق أبى أن يباع ، وان فَكَكْتَ شَطْرَهُ دعا لك ، وان ركبت نِصفه الآخر هالك ، وربما كثر مالك ، وان رخمته آلمك عند الفجر ، وأورثَك الضَّجر وقت العصر .

ومثال ما أتى من هذا الباب فى الشعر قول بعض العرب ملغزا فى الأيَّام (رجز) :

وَسَبْعَةٍ كلُّهم إخوانُ ما إنْ يَموتون وهمْ شُبانُ[1]

لم يَرهمْ فى موضع إنْسَانُ .

ومن ذلك قول أبى العلاء المعرّى ملغزا فى الإبرة مما أنشدنيه الفاضل عفيف الدين علىّ بن عدلان النحوى عفا الله عنه (طويل) :

سعت ذات سُمٍّ فى قميصى فغادرت به أثرا والله شافٍ من السُّمِّ

كست قَيْصَرًا ثوبَ الْجَمَالِ وتُبَّعا وكِسرى وعادت وهى عاريةَ الجسْمِ

(وللمعرى[2] مُلغِزا فى الهريسة : (طويل)

أتتْنا وما لاح الصَّباح وقد سرت الينا الدُّجى إن الحرائر لاتَسْرى

منعَّمة بيضاء ما نَفَحَاتُها بعِطْر ولكنْ هنَّ أشْهى من العِطْر

لها والدٌ عالٍ وأمٌّ كريمةٌ وحاضِنَةٌ سوداءُ جائشةُ الصّدْر

---

(١) ورد هذا الرجز فى أنوار الربيع ٧٢٢

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت ، د

إذا أُودِعت سرًّا غلا فى ضَميرها فباتتْ من السِّرِّ المصون على الجَمْر

وكقوله ملغزا فى قطعة ملحٍ من ملح الطعام من إنشاد المذكور (طويل) :

وبيضاء من سُرّ الملَاح ملكتُها فلمَّا قضتْ إرْبى حَبَوْت بهَا صَحْبِي

فباتوا بها مُسْتَمْتِعين ولم تَزلْ تحثُّهم بعدَ الطعام على الشُّرْب

وأمثلة هذا الباب من الشعر لا تُحْصى كثرة .

بـاب التصرف *

وهو أن يأتى الشاعر إلى معنى فيبرزه فى عدّة صُوَر ، تارة بلفظ الاستعارة ، وطورا بلفظ الإيجاز ، وآونةً بلفظ الإرداف ، وحِينا بلفظ الحقيقة ، كقول امرئ القيس يصف الليل (طويل) :

وليلٍ كموج البَحْر أَرْخَى سدولَه ... علىّ بأَنواع الهُموم لِيَبْتَلِى[1]
فقلتُ له لما تَمَطَّى بصُلْبه ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازا ونَاءَ بكَلْكَل

فإنه أبرز هذا المعنى فى لفظ الاستعارة ، ثم تصرّف فيه فأَتى به بلفظ الإيجاز : فقال : (طويل)

فَيَالكَ من ليل كأَنّ نجومَه ... بكلِّ مُغار الفَتْل شُدّتْ بيَذْبُلِ[1]

فإن التقدير : فيالك من ليل طويل ، فحذف الصفة ، لدلالة التشبيه عليها ، ثم تصرّف فيه فأَخرجه بلفظ الإرداف فقال (طويل) :

كأَن الثُّريا علِّقت فى مَصامِها ... بأَمراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[1]

ثم تصرّف فيه فعبَّر عنه بلفظ الحقيقة فقال (طويل) :

(×) هذا النوع سماه المؤلف فى بديع القرآن ٢٨٩ الاقتدار ، وهو من الأنواع التى سلمت له .

(١) ديوانه : ٢٨ و ٢٩ ونقد الشعر : ٦٧ وبديع ابن المعتز : ٣٥ والعمدة ١ : ٢٤٥ : والصناعتين ٢٨٢ والجامع الكبير : ٨٧ وحماسة ابن الشجرى : ٢١٦

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطويل أَلاانْجَلِ بِصُبْحٍ وما الإصباح منك بأَمثلِ[1]

ولا شُبهة فى أن هذا إنما يأْتى من قوّة الشاعر وقدرته ، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم فى صور شتّى من البلاغة ما بين الإيجاز والإطناب واختلاف معانى الألفاظ ، وشهرة ذلك تُغنى عن شرحه . والله أعلم .

بـــاب النـزاهـة *

وهو يختصّ غالبا بفنّ الهجاء، وإنْ وقع نادرا فى غيره ، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش حتى يكون الهجاءُ كما قال فيه أبو عمرو بن العلاء وقد سُئلَ عن أحسن الهجاء فقال : الذى إذا أنشدته العذراءُ فى خِدْرها لا يقبُح عليها ، مثل قول جرير [1] (كامل) :

لو أنّ تَغْلِبَ جَمّعَتْ أحسَابَها يومَ التَّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقَالَا

وكقوله [2] (وافر) :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيْرٍ فلا كَعباً بلَغتَ ولَا كِلَابا [3]

وكقول عمرو بن معد يكرب الزَّبيدى (طويل) :

ظَللتُ كأنّى للرِّماح دريئةً أُطاعن عن أبناء حَرْبٍ وفَرّتِ [4]

وقال ابن الأعرابى : أهجى بيت وأمضّه قول الشّاعر [5] (طويل) :

(×) من الغريب أن يخفى على المؤلف قول أبى عمرو بن العلاء : خير الهـــجاء ماتنشـــده العذراء فى خدرها فلا يقبـــح بمثلها انظر أنوارالربيع ١٨٧ وقول ابن بسام فى الذخيرة الهجاء ينقسم الى قسمين :قسم يسمونه هجاء الاشراف وهو ما لم يبـــلغ أن يكون ســـبابا او هجـــوا مستبشعا ، والثانى السباب الذى أحدثه جرير وطبقته ، ويظهر من هذا أن هذا النوع سبق اليه المؤلف انظر خزانة ابن حجة ٧٧ وأنوار الربيع١٨٧ وغيرهما من كتب الأدب التى تكلمت عن اغراض الشعر الذى منها الهجـــاء والنزاهة ضرب منه يتعين أن يكون بالفاظ منزهة عن الفحش .

(١) ديوانه : ٤٥٢

(٢) مابين قوسين سافط من ت ، د

(٣) ديوانه : ٧٥ ، وبديع القرآن : ٢٩٢

(٤) الخزانة للبغـــدادى ١ : ٤٢٢ والحماسة بشرح التبريزى ١ : ٨٤ والدريئة : حلقـــة يتعلم عليها الطعن ، وقد تكون من الدرء بمعنى الدفع .

(٥) هو أوس بن حجر كما فى النقائض : ٢٨٦ وسمط اللآلى ٧٦٧ .

وَقد عَلِمتْ عِرْسَاكَ أَنَّك آيبٌ تخبِّرهم عن جَيْشِهم كلَّ مرتَعِ

ومن شواهد هذ الباب للمولَّدين قول أبي تمّام : (بسيط)

مودّةٌ ذهبٌ أثمارُها شَبَهٌ وَهمّةٌ جَوْهرٌ مَعْرُوفُهَا عَرَضُ[1]

وقوله :

بَنِى لُهَيْعَةُ ما بالِى وبَالُكُمْ وفى البلادِ مَنادِيحٌ ومضطرَبُ[2]

لَجَاجَةٌ لِىَ فيكُمْ ليس يُشْبِهُهَا إلَّا لجاجتكم فى أنكم عَرَبُ

وكاالذى قاله مَعد بن الحُسين بن جُبَارة لرجل كان يدعو قوما إلى سماع قينة له ، ثم انكشف له بعد ذلك أنهم ينالون منها القبيح (بسيط) :

أَلم أَقل لَكَ إن القوم بُغْيتهمْ فى ربّة العُود لا فى رَنَّةِ العُودِ

لا تأْسفنَّ على الشّاة الَّتى عُقِرَتْ وأنتَ غادٍ بها فى مَسْرَحِ البيدِ

فانظر إلى هذه المعانى ونزاهة ألفاظها ، وقس على ذلك .

وقد وقع[3] من النَّزاهة فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُم الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، أَم ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[4]) فإن ألفاظ الذَّمّ للمخبر عنهم فى هذه الآية أتتْ منزَّهة عما يقع فى غير هذا القسم من الهجاء واتفق فى هذه الآية من النزاهة صحّة الأقسام ، فإنه لم يبق بعد قوله «أفى قلوبهم مرض» إلى قوله «أن يحيف الله عليهم ورسوله» قسما من هذا المعنى

(١) دوانه : ٤٠١ والجامع الكبير لابن الأثير ٢٤٩ والطراز ٢ : ٣٢٩

(٢) ديوانه ٤٨٨ وهما من ابيات يهجو بها عياش بن لهيعة

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت، د ، وهو فى هامش ا

(٤) النور : من ٤٨ — ٥٠

حتى ذكره ، لأن المرض عبارة عن إبطان الكُفْر ، والرِّيبَة والشَّكّ والتَّردد وذكر الخوف من الحَيْف ، فذكر جميع الأقسام التى هى أسباب القعود عن الإجابة لحكم الله ورسوله ، وحصل مع ذلك الافتنان ، فإنّها تضمّنت فنّ الفخر بوصف نفسه ورسوله بالعدل مدمجاً فى الإيغال الذى وقع فى فاصلة الآية ، فإن ملزوم قوله تعالى «بل أولئك هم الظالمون» وصفه ورسوله بالعدل ، فاقترن التشكيك بصحّة الأقسام ، وأدمج الافتنان فى الإيغال ، فسبحان المتكلّم بهذا الكلام .

بــــابـــــ التَّســــليم *

وهو أن يفرض المتكلِّم فرضاً محالا إما منفيًا أو مشروطاً بحروف الامتناع ، ليكون ما ذكره مُمْتنع الوقوع لامتناع وقوع مشروطه ، ثم يسلم بوقوع ذلك تسليما جدليًا ، ويدلُّ على تقدير عدم الفائدة فى وقوعه على تقدير وقوعه ، كقوله : (مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنَ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَه إذًا لَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بمَا خَلَقَ وَلعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (١) فكأن معنى الكلام — والله أعلم — أنه ليس مع الله سبحانه من إله ، وكأن قائلا قال : لو سلَّمنا أنَّ معه إلٰها لَلَزِمَ من ذلك التَّسليم ذهابُ كلِّ إلٰه بما خلق ، وعلوّ بعضهم على بعض ، فلا يتمّ فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ، والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلٰهين فصاعدا محال ، ومثال ذلك قول الطِّرِمّاح (بسيط) :

لو كَانَ يخفى على الرحمن خافِيةٌ ... من خَلْقه خَفِيتْ عنه بَنُو أَسَدِ (٢)

(فهذا(٣) أيضاً على تقدير التسليم أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن تخفى عليه خافية ، فقال الشاعر : لو كان مما يجوز أن يخفى عليه شيءٌ من خلقه خفيتْ عليه هذه القبيلة .

× هذا النوع مما سلم لابن ابى الاصبع وان كان بعلم البحث والمناظرة اجدر ، كما لا يخفى

(١) المؤمنون : ٩١

(٢) الأغانى : ١٦٠. وعيار الشعر : ٤٥ والموشح : ٢٤٤

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ، د

بـــابُ الافتنان *

وهو أن يفتنَّ المتكلِّم فيأْتى بفنَّين مُتَضادَّين من فنون الكلام فى بيت واحد أَو جملة واحدة مثل النَّسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء .

فأَما ما افتنَّ فيه بالجمع بين النسيب والحماسة فكقول عنترة[1] (كامل) :

إنْ تُغْدِفِى دُونى القِناعَ فإنَّنى ... طَبٌّ بأَخْذِ الفَارِسِ ، الْمُسْتَلْئِمِ

وكقول عبد الله بن طاهر بن الحُسَين [2] (وافر) :

أُحِبُّكِ يَا ظَلومُ وأنتِ عِنْدِى ... مَكَان الرُّوح من جَسَدِ الجَبَانِ

ولَوْ أَنىِّ أَقولُ مكان رُوحِى ... خَشِيتُ عَلَيْكِ بادرةَ الطِّعان

ومما جمع فيه بين تهنئة وتعزية قول بعض الشعراء [2] ليزيد بن معاوية حين دفن أَباه وجلس للناس[3] (بسيط) :

اصْبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذَا ثِقةٍ ... واشكرْ حِبَاءَ الَّذِى بالمُلكِ أَصْفَاكَا

لا رُزْءَ أَصبح فى الأَقوام تَعْلَمُه ... كما رزئتَ ولا عُقْبى كَعُقْباكَا

× هذا النوع مما سلم للمؤلف وان كان يلتبس بالادماج الا ان الادماج تضمين المتكلم الكلام معنى آخر بشرط الا يصرح به ولا يشعر فى كلامه بانه مسوق لأجله بخلاف الافتنان ، بحثه فى خزانة ابن حجة ٦١ وحسن التوسل ٨٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٧٣ وأنوار الربيع ١٠٢

(١) ديوانه ٩٢ ط هندية ١٣١٥ هـ

(٢) هذان البيتان نسبا فى خزانة ابن حجة ٦١ لأبى دلف العجلى مرة ، ولعبد الله هذا تارة أخرى ونسبهما ابن معصوم فى أنوار الربيع ١٠٣ والمبرد فى الكامل ٢ : ٧٠٢ طبع أوربا والأغانى ٢ : ١٤٨ طبع بولاق لأبى دلف

(٣) البيتـــان فى زهر الآداب ١ : ٤٩ منسوبان لعبد الله بن همام السلولى .

وأحسن شعر فنّن فيه بالجمع بين تهنئة وتعزية قول أبى نُواس للعبّاس بن الفضل بن الربيع يعزّيه بالرشيد ويهنّئه بالأمين (طويل) :

تعزَّ أبا العبّاس عن خيرِ هَالِكٍ ... بأكرم حىٍّ كان أو هو كائنُ

حَوادثُ أيام تدورُ صُرُوفُها ... لهنَّ مَساوٍ مرّةً ومَحَاسِنُ

وفى الحىِّ بالمَيْت الّذى غيَّبَ الثَّرَى ... فلا أنتَ مغبونٌ ولا الموتُ غَابِنُ

والأمثلة فى هذا الباب كثيرة جدًّا .

ومما جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)[1] فجمع هذا الكلام بين الوعد والوعيد .

ومّما جمع فيه بين التَّعزية والفَخْر قوله سبحانه : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[2]

---

(١) مريم : ٧٢

(٢) الرحمن . ٢٦ ، ٢٧

بـــابُ المـُـــراجَعـــة *

وهو أن يحكي المتكلِّم مراجعة في القول ، ومحاورة في الحديث جَرَت بينه وبين غيره أو بين اثْنين غيره بأَوجز عبارة وأرشق سبْك وأسهل ألفاظ ، إمَّا في بيت واحد ، أو في أبيات ، أو جملة واحدة ، كقول عمر بن أبي ربيعة [1] (رمل) :

بَينَمَا يَنْعَتْنَني أَبْصَرْنَني مِثْلَ قِيدِ الرُّمْحِ يَعْدُو بِي الأَغَرْ
قالتْ الكُبْرَى : تُرى مَنْ ذَا الفَتى قالت الوسطى لَها : هَذَا عُمَرْ
قالت الصغرى وقد تَيَّمْتُها قد عرفناه ، وهل يَخفَى القمرْ ؟

وفي الأَبيات خبيئان يدلَّان على قوة عارضة الشاعر وحذْقِه بمعرفة وضع الكلام مواضعه : أحدهما ، وهو الذي يدلُّ على قوة العارضة ، أنَّ قوافي الأَبيات لو أُطلقت لكانت كلها مرفوعة كما قِيل في أُرجوزة رؤْبة التي أوَّلها (رجز) :

* قد جَبر الدِّينَ الإِلهُ فجَبَرْ * [2]

(×) لم يسلم هذا النوع للمؤلف اذ هو بعينه النوع المعروف بالسؤال والجواب . والذى تحدث عنه فخر الدين الرازى فى نهاية الايجاز صفحة ١١٤ تحت هذا الاسم . والحقيقة ان هذا النوع ليس له كبير اثر فى علم البديع ، وهو بعلم النحو اخلق ، وبأسلوب الحكاية الذى قتل بحثا اقرب .

(١) ديوانه برواية اخرى طبع السعادة مع حذف البيت الثانى . وفى الاغانى ١ : ١٦٩ طبع دار الكتب مع اختلاف فى الرواية أيضا وخزانةابن حجة ٩٩

(٢) البيت لابنه عبد الله بن رؤبة وليس لرؤبة انظر ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب برقم ٣٥ أدب ش .

فإنهم قالوا : إنها تزيد على التّسعين شطرا ، ولو أُطلقت قوافيها لكانت كلّها مفتوحة .

والخبء الآخر كونه جعل الّتى عرفته وعرّفت به وشبّهته تشبيها يدلُّ على شَغَفها به هى الصغرى ، ليدلَّ بدليل الالتزام على أنه فَتَى السّن إذ الفَتِيّة من النِّساء لا تميل إلّا لِلْفتَى من الرجال غالباً (وختم[1] قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزوناً ، ولا يقال إنما مالت الصغرى له دون أُختها لضعف عقلها وعدم تجربتها ، فإنى أقول : قد تخلَّص من هذا الدَّخَل بكونه أخبر أنَّ الكبرى الّتى هى أعقلهن ما كانت رأته قبل ، وإنما كانت تهواه على السّماع به ، فلما رأته وعلِمت أنه ذلك الموصوف لَها ، أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سُوٌالها عنه فحسب ، ولم تتجاوز ذلك ، أو سألت عنه وقد علمته لتلتذَّ بسماع اسمه من باب تجاهل العارف الذى توجبُه شدَّةُ الوله والعقل يمنعها من التَّصريح ، والوسطى سارعت إلى التعريف باسمه للعلم ، فكانت دون الكبرى فى الثّبات الذى توجبه سنُّها وتوسطها ، والصغرى لكون منزلتها فى الثبات دون الأُختين أظهرت من معرفته وصفته ما دلَّت به على شدَّة شَغَفِهَا به ، وكلّ ذلك وإن لم يكن كذلك فألفاظ الشعر تدلُّ عليه .

ومن جيّد أمثلة هذا الباب قولُ أبى نُواس [2] (مجزوء الرمل) :

قَالَ لِى يوماً سليما نُ وبعضُ القول أشنَعْ
قال صِفْنى وعليّاً أَيُّنا أتْقَى وأنْفَعْ

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د

(٢) لم نعثر على هذه الابيات لأبى نواس فى ديوانه الذى بين أيدينا وهى فى أنوار الربيع ٢٥٩ منسوبة له .

قلت إني إنْ أقل ما   فيكما بالحقّ تَجْزَعْ
قال : كلا قلت : مَهْلا   قال قل لى : قلت: فاسمعْ
قال : صفْه قلتُ : يُعْطِى   قال : صفنى قلت : تَمْنَعْ

وإلى لطافة البحترىّ فى باب المراجعة تنتهى الرياسة حيث قال (خفيف) :

بتُّ أسقيه صفْوةَ الرَّاح حتى   وضعَ الكأْس مائلا يتكفَّا[1]
قلتُ : عبدُ العزيز تَفدِيكَ روحِى   قال : لبَّيكَ قلت : لبيك ألْفَا
هَاكِها ، قال : هاتِها ، قلت: خُذْها   قال : لا أستطيعها ، ثم أغفى

---

(1) تكفا مخففا أى يتكفأ مهموزا ومعناه تهتز يده بالكأس فيقع مافيه .

(حاشية) قال مؤلفه : قد عثرت على أن هذا الباب لمن تقدمنى من جهة تسميته لا من جهة شواهده ، فسميته اثبات الشىء للشىء بنفيه عن غير ذلك الشىء ، وتنزل باب السلب والايجاب بعد باب الاستثناء فى ابواب من تقدمنى ومن شواهده قول السموءل : (طويل) :

وننكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

بـاب السَّلْب والإيجاب *

وهو أنْ يَقْصِد المَادِحُ أن يُفرد ممدوحَه بصفة مدْح لا يَشْركه فيها غيرُه ، فينفيها فى أوّل كلامه عن جميع الناس ؛ ويثبتها لممدوحه بعد ذلك ، كقول الخنساء[1] فى أخيها (طويل) :

وما بلغَتْ كفُّ امرئٍ متناوَلاً ... من المَجْدِ إلّا والّذى نِلْت أَطْوَلُ
وما بلغ المُهْدونَ للنَّاسِ مِدْحَةً ... وإنْ أطنبوا إلّا الَّذى فيك أفْضَلُ

فقصد أبو نواس أخذ معنى الثانى من البيتين فلم يَتَهَيَّأْ لهُ أخذه إلا فى بيتين ، وقصَّر عنه بعد ذلك تقصيرًا كثيرًا ، وناهِيكَ بأَبى نواس ، وذلك أنه قال (طويل) :

إذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عليك بصالح ... فأَنْتَ كمَا نُثْني وفَوْقَ الَّذى نُثْنِى[2]
وإنْ جَرت الأَلفاظُ يوماً بمدحةٍ ... لغيرك إنساناً فأَنت الَّذى نَعْنِى

(أما كون[3] معنى البيتين من معنى البيت الثانى من شعر الخنساء فلأَن

× لم بسلم هذا النوع للمؤلف وقد اسدرك على نفسه بحاسبة فى الاصل وردت فيل هدا الهامس طن أنه بها سيسبق غيره ، ولكن من اسندراكه اســـنطعنا أن نتبين الحقيقة اذ أن السلب والايجــاب او نفى الشىء بايجــابه ، هو بعينه فى المعنى اثبات الشىء للشىء بنفيه عن غير ذلك الشىء اذا فعنـــوان اللون البديعى بتسميته عند القدماء أو عند المؤلف واحد . وأما ادعاؤه بأنه خالف الأقدمين فى الشواهد فماأتى به منها يصلح للسلب والايجاب كما يصلح لاثبات الشىء للشىء وبذلك يكون قد سبق الى هذا النوع .

(١) ديوانها خط ٧٢ .

(٢) ديوانه ٤١٥ بتحقيق وشرح الاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

(٣) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

حاصل بيتىْ أبى نواس أنكَ فوق ثنائنا الصالح عليك ، وإن مدحنا غيرك كان له لفظ المدح ولك معناه ، وهذا كلُّه هو عين قول الخنساء :

* وما بلغ المهدون للناس مدحة *

لأَن حاصل قولها إنَّ مدح المادحين فيك أفضل من مدحهم للناس ، وإن أطنبوا فى مدح النَّاس هو قول أبى نواس فى بيته الأَول (طويل) :

* فأَنت كما نثنى وفوق الذى نثنى *

وقصّر أبو نواس عن لحاقها فى الزِّيادة التى هى قولها : وإن أطنبوا . وقولها : «وما بلغ المهدون للناس » فكلٌّ هذه المبالغات قصّر عنها أبو نواس . وأما قول أبى نواس فى بيته الثانى « فأَنت الذى نثنى » هو عين قولها « إلا الذى فيك أفضل » فإن مفهومه أن كل من يهدى مدحاً لأَحد من البشر له فيك أفضل مما أهدى لغيرك . ووجه تقصير أبى نواس فى هذا المعنى أنه جَعَلَ ممدوحه يمدح بالنّيةِ دونَ القول ، وبالتأْويل دون التَّصريح . والخنساء جعلت أخاها ممدوحاً من جميع الناس بالتَّصريح والمعنى بأَفضل ما مدح به كل الناس ، فبين المعنَيَيْنِ من البَوْن ما تراه .

(ومن [1] هذا الباب ما يقع فى التَّشبيه والإخبار وغيرهما بحيث يكون للمشبّه أو المخبر عنه صفات فينفى بعضها ليثبت بعضها وينفى واحدة ليوجب أُختها ، أو يسلبها ويوجب غيرها ، كقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعلىّ عليه السلام «أما تَرْضَى أن تكون منىٌ

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من د ، وهو فى هامش ا .

بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيٌّ بعدى[1] » فسلب النبوّة ليوجب بقيّة المنازل التى كانت لهارون من موسى عليهما السلام .

ومن ذلك قول الشاعر (طويل) :

فصرتُ كأنِّى يوسفٌ بينَ اخوتِى ولكنْ تعدّتْنِى النّبوة والحُسْنُ

فسلب نفسه هاتين الصّفتين من صفات يوسف ـ عليه السلام ـ ليثبت ما عداهما مما امتُحِنَ به يوسفُ من إخوته ، وهذا البيت وإن كان من شواهد الاستدراك فهو مما يليق أن يستشهد به ها هنا .

ومن ذلك قول ابن الرومى (طويل) :

كأنّا مع الجُدْرَانِ فى جَنَبَاته دُمًى فى انقطاع الرّزق لا فى المحَاسِن

لمّا كانت الدّمى موصوفة بهاتين الصّفتين ، وكانت احداهما لائقة بالمعنى الذى قصده ، أثبتها ونَفَى ما عداها من الصّفة الّتى لا تليق بغرضه ، والله أعلم .

---

(١) الجامع الصغير : ٢ : ٩٨

بـــابُ الإبْهـــامِ *

وهو أن يقولَ المتكلِّم كلاما يحتمل معنيين متضادّين ، لا يتميّز أحدُهما على الآخر ، ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك ، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصدا ، (والفرق[1] بينه وبين الاشتراك المعيب أن الاشتراك لا يقع إلا فى لفظة مفردة لها مفهومان ، لا يُعْلَم أيهما أراد المتكلِّم . والإبهام لا يكون إلا فى الجمل المركَّبة المفيدة ، ويختصّ بالفنون كالمديح ، والهجاء ، وغيرهما ، ولا كذلك الاشتراك ، والفرق بينه وبين الإيضاح أن البيت الملتبس الذى يفتقر إلى الإيضاح يتضمّن ألفاظ المديح الصّريح والهجاء البيّن فيكون فيه مدح وهجاء . والإبهام لا يُفْهَم من ألفاظه مدح ولا هجاء البتّة . بل يكون لفظه صالحا للأمرين . وإن لم يكن فيه من لفظ المدح والهجاء شئ)

ومثاله ما حُكِى أنَّ بَعض[2] الشعراء هنّأ الحَسَن بن سهل بصهْر المأْمون مع من هنّأه ، فأثاب الناس كلَّهم وحَرَمه . فكتب اليه : ان أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بيتا لا يعلم أحدٌ مدحتك فيه أم هجوتك ؟

---

* لم يسلم للمؤلف من هذا النوع الا اسمه فقط ، أما المسمى فقد سبقه اليه السكاكى تحت اسم التوجيه المفتاح ٢٢٦ وانظر خزانة ابن حجة ٢٥٧ وحسن التوسل ٧٧ ونهاية الارب ٧ : ٧٧

(١) مابين قوسين ساقط من ت

(٢) هو محمد بن حازم الباهلى . انظر خزانة ابن حجة ٧٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٧٤ وأنوار الربيع ١٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٩

فاستحضره وسأله عن قوله ، فاعترف ، فقال : لا أعطيك أو تفعل ، فقال (مجزوء الخفيف) :

بارَكَ الله لِلْحَسَن ولبُورَانَ فى الختَنْ
يا إمام الهدى ظفر تَ ولكن ببنتِ من؟

فلم يعلم أراد بقوله : «ببنْتِ من» فى الرِّفعة أو فى الضَّعة ، فاستحسن الحسن منه ذلك ، وناشده ، أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته ؟ فقال : لا والله ، إلا نقلته من شعر شاعر مطبوع كان بعث به ، ففصّل قباء عند خيّاط أعوَر اسمه زيد ، فقال له الخياط على طريق العبث به : سآتيك به لا يدرى أقباء هو أم دُوّاج[1] فقال الشاعر : لئن فعلت لأعملنّ فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك فيه أم دعوت عليك ؟ ففعل الخيّاط ، فقال الشاعر (مجزوء الرمل) :

جَاءَ من زَيدٍ قَباءُ ليت عينيه سَواءُ

فما علم أحد هل أراد أن الصّحيحة تساوى السّقيمة أو العكس ، قال : فاستحسن الحسن صدقه ، أضعاف استحسانه حذْقه ، وأضعف جائزته .

ومن[2] إبهام العرب قول رجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم (طويل) :

تضيّفَنِى وَهْنا فقلت أسابقِى إلى الزَّاد شَلَّت من يدىّ الأصابعُ[3]

(١) الدواج كرمان : لحاف يلبس

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ،، د ، وهو فى هامش أ

(٣) انظرهما فى ديوان الحماسة ٤ : ١٧١طبع بولاق مع اختلاف فى بعض ألفاظهما . والوهن : القطعة من الليل .

ولم تَلقَ للسّعدىِّ ضيفًا بقَفْرَةٍ		من الأَرض إلا وهو صَدْيانُ جَائِعُ

فإن ظاهر الشعر مبهم معناه ، فيظن سامعه أنه أَراد ضيفًا من البشر ، فيكون قد هجا به نفسه ، وإنما هو يصف ذئبا غَشِىَ رحله فى الليل وهو بالقفر وهو فخرٌ محض ، والله أَعلم .

بـــاب القول بالموجَب *

وهو أن يخاطبَ المتكلِّم مخاطَبا بكلام فيعمد المخاطَب إلى كلِّ كلمة مفردة من كلام المتكلِّم فيبنى عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلِّم ، وذلك عين القول بالموجب ، لأن حقيقته ردّ الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه كقول ابن حجّاج [1] (خفيف) :

قلتُ : طَوّلتُ قال ، لى : بل تطوّلـ ـت وأبْرَمْت قلت : حبل وِدَادِى

ومن [2] شواهده أيضا (كامل) :

انْ قال : قَدْ ضَاعَتْ فيصدق أنها ضَاعَتْ ولكنْ منكَ يَعْنِى لوتَعِى [3]

أو قال : قد وَقَعَتْ فيصدق أنها وقعتْ ولكنْ منه أحسنَ مَوقِع

وقد مرّ هذان البيتان فى باب الاستدراك ، والفرق بين القول بالموجب وبين التعطُّف من وجهين : أحدهما أنَّ اللَّفظة التى تزيد فى التعطُّف لاتكون مع أختها فى قسم واحد ، وإنَّمَا تكون كلّ لفظة فى شطر . والثانى أن الثانية من كلمتى التعطّف لا تكون عكس معنى الكلام ، وهذه تَعكِس معناه [4] ، والله أعلم .

(×) سلم هـــذا النوع للمؤلف ولم يسبق اليه وقد الف فيه الصـــفدى كتابا باكمله سماه الهول المعجب في القول بالموجب وهو مخطـــوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٥ بلاغـــة وانظره فى بديع القرآن : ٣١٤

(١) انظر اليتيمة ٣ : ٣ ونهاية الارب ٧ : ١٧١ وخزانة ابن حجة ١١٦ وانوار الربيع ٢٠٠

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت ،د ، وهو فى هامش أ

(٣) البيتان لابن الدويدة المغربى فى رجل أودع بعض القضاة مالا فادعى ضياعه . انظـر بديع القرآن . ٣١٥ والهـــول المعجب فى القول بالموجب ، والايضاح ٦ : ٨٩

(٤) هناك فرق ثالث ، وهو ان التعطف يكو ن فى الالفاظ ، والقول بالموجب يكون فى المعـانى انظر بديع القرآن : ٣١٥

باب حصر الجزئي* وإلحاقه بالكلي

وهوأن يأتي المتكلِّم إلى نوع ما فيجعله بالتَّعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الأنواع منه والأجناس (كقوله[1] تعالى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[2]) الآية فإنه سبحانه تمدَّح بأنه يعلم مافى البرّ والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد حاصرا لجزئيَّات المولَّدات ورأى أنّ الاقتصار على ذلك لا يَكْمُل به التَّمدّح . لاحتمال أن يظن ضعيف أنه يعلم الكليّات دون الجزئيّات ، فإن المولَّدات وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى جملة العالم فكلّ واحد منها كلّيّ بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس والأنواع والأصناف . فقال لكمال التَّمدّح (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) وعلم أنّ علم ذلك يُشاركه فيه من مخلوقاته كل ذى إدراك . فتمدّح بما لا يشارك فيه . فقال : (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ) ثم ألحق هذه الجزئيّات بعد حصرها بالكليّات حيث قال : (وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ) لأن جميع المولدات لا تخرج عن هذين القسمين . وتُنظَم إليها الأمهات التى هى العناصر الأربع التى تولَّدت منها المولدات . ثم قال : (إِلَّا فِي كِتَابٍ

---

* سلم هذا النوع للمؤلف ، ولم يسبقه احد اليه .

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش ا

(٢) الانعام : ٥٩

مُبينٍ) إشارة إلى أن علمه بذلك علمٌ من معلومُه مقيّد فى كتاب مبين فهو يأمن الضلال والنسيان كما قال: (عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى)[1] ومثل هذا التمدّح قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)[2] فإنه سبحانه لما تمدّح بعلم «الغيب»، وعلم أنّ التمدّح بذلك على انفراده لا يحصل به كمال التّمدُّح، فقال: «والشهادة» لأن علم الغيب بالنسبة إلينا علم (كلّى)، وعلم الشهادة بالنسبة إلينا علم بالجزئيات، والاقتصار على علم الغيب يُوهم بعض الضعفاء أنه لا يعلم من المشاهدات ما يعلمه، فكان التّمدّح بعلم الشهادة أبلغ، ولذلك شاع الانتقال اليه).

وكقول الشاعر[3] (طويل):

إليكَ طَوى عرضَ البَسيطة جاهلٌ ... قُصَارى المطايا أن يلوحَ لها القَصْرُ

وكنتُ وعزمى فى الظَّلَام وصَارمى ... ثلاثةَ أشباهٍ كما اجتمعَ النَّسْرُ

فبَشَّرْتُ آمَالِى بمَلْكٍ هُوَ الْوَرَى ... وَدَارٍ هى الدُّنيا وَيَوْم هُوَ الدَّهْرُ

والبيتَ الأخيرَ أردتُ. (فإن[4] هذا الشاعر قَصَدَ تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التى قصده فيها. ومدح يومه الذى لقيَه فيه، فجعل الممدوح جميعَ الورى والدّار التى لقيه فيها الدنيا. واليوم الذى رآه فيه الدهر

---

(١) طه: ٥٢

(٢) الحشر: ٢٢

(٣) هو السلامى كما فى انوار الربيع٦٢٧ومعاهد التنصيص ٢: ١٩ ونهاية الأرب ٧: ١٧٤ ويتيمة الدهـــر ٢: ١٦٣ طبـع الحفنية وخزانةالحموى ٤٥٤ وبديع القرآن: ٣١٧

(٤) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت

فجعل الجزئيَّ كلِّيًا بعد حصر أقسام الجزئيّ ، أما جعله الجزئيّ كلّيًا فلأن الممدوح جزءٌ من الوَرى ، والدّار جزءٌ من الدنيا ، واليوم جزءٌ من الدهر ، وأما حصر أقسام الجزئيّ فلأن العالَم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان ، فقد حصر ذلك) .

بـــابُ المقـــارنـــة*

وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة ، أو غير ذلك من المعانى فى كلامه بوصل يَخفى أثره ويدقّ موضعه ، إلا عن الحاذق المُدْمن النَّظر فى هذه الصناعة (وممّا[1] جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى: (وَهُمْ يحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورهمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[2] فإن هذه الآية الكريمة اقترن فيها التَّنكيت بتجنيس التغاير ، أما التَّنكيت ففى قوله تعالى «على ظهورهم » والنكتة فى ترجيح الحمل على الظهور دون الرؤوس كون الظهور أقوى للحمل ، فأشار بها سبحانه إلى ثِقَل الأوزار ، والتَّجنيس بين أوزارهم ويزرون ، لأن الأولى اسم ، والثانية فعل) وأكثر ما يقع ذلك بالجمل الشَّرطيّة . كقول ادريس بن اليمان من شعراء المغرب[3] (طويل) :

وكنتَ إذا استُنْزلتَ مِنْ جَانِبِ الرِّضَا   نزلتَ نُزولَ الغَيْثِ فى البَلَدِ المَحْلِ
وإن هَيَّج الأعداءُ منكَ حَفِيظَةً   وقعت وقوع النَّار فى الحَطَبِ الجَزْلِ

فإن هذا الشاعر لاءم بين الاستعارة بقوله فى صدر البيت الأول .

« وكنت إذا استنزلت من جانب الرضا » *

وبين التشبيه بقوله فى عجز البيت :

× سلم هذا النوع للمؤلف ولم يسبق اليه ، ولكنى لا ارى فرقا بينــــه وبين الابداع الذى اخترعه أيضا ، وما ذكره لا ينهض فرقا بين البابين .

(۱) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ .

(۲) الانعام : ۳۱ .

(۳) البيتان فى نهاية الأرب ۷ : ۱۷٥ وبديع القرآن ۳۱۹ .

«نزلت نزول الغيث» : أى مثل نزول الغيث . أحسن ملاءَمَة ، إذ جعل أول العجز فعلا مضارعا للفعل الذى فى الصدر ، ومصدر ذلك الفعل هو الذى لاءم بين القسمين فى المعنى ، فحصل بذلك التلاحم اللطيف ، والاتصال الدقيق . وقارن بين الاستعارة والتَّشبيه أحسن مقارنة ، وكذلك فعل فى البيت الثانى حيث قال بعد ذكر تهييج الحفيظة : وقعت وقوع النار ، فهذا مثال (ما اقترنت[1] فيه الاستعارة بالتشبيه ، وأما ما اقترنت) فيه الاستعارة بالمبالغة فمثاله قول النابغة الذُّبيانىّ (طويل)[2] :

وأنتَ ربيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سيبُه وسيفٌ أُعيرتْه المَنيَّة قَاطِعُ

فإنه سمى الممدوح ربيعا استعارة لكونه يحيا به النبات والحيوان وسمّاه سيفا لأنه تموت به الأَقران . وفى ضمن كلّ استعارة منها مبالغة تامة أما الأُولى منها فجارية على التحقيق بأن إحياء الربيع أعمّ من إحياء الكريم فجعل الكريم ربيعا مبالغة ممكنة جارية على التحقيق . وأما الثانية فإنها أبلغ من الأُولى حيث جعله سيفا أُعيرته المنيّة قاطعا . فإنه لو عكس حتى يجعله مستعيرا للمنيّة كان ذلك بليغا . والأَوّل أبلغ (فقد[3] اقترن فى فى هذا البيت المبالغة والتكميل . فإنه لما فرغ من صدر البيت ورأى نفسه قد مدَح ممدوحه بمجرد الكرم وعلم أن المدح غير كامل . فكمّله بالشجاعة فحصل فى البيت تكميل مقترن بالمبالغة .

---

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د .

(٢) ديوانه : ٢٧٢ وعيار الشعر ٢٤ ومختار الشعر الجاهلى ١٥٩ ورواية الديوان «وأنك غيث» وهو مستقيم أيضا . والسيب : العطاء .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ت ، د .

ومن أحسن ما سمعت فى المقارنة قول أبى تمّام (طويل) :

فإن أنا لم يَحْمَدْك عنّى صاغرا   عدوُّك فاعلم أنّنى غيرُ حامدِ

فإن هذا البيت وقعت فيه مقارنتان : إحداهما فى ظاهره ، والأُخرى فى باطنه ، فوقع فى ظاهره المبالغة مقترنة بالتكميل فى قوله : « يحمدك عدوك صاغرا » . لأن حمد العدوّ مبالغة ، وكونه صاغرا تكميل ، وفى باطن البيت الافتنان مقترن بالإدماج ، إلّا أنّ الافتنان فيه مدمج فى المبالغة ، وذلك أنّه لا يقدر على أن يجعل عدوّ الممدوح يمدحه صاغرا إلا بما يجيد فيه من المدائح الّتى تدعو استجادتها واستحسانها كلّ من يسمعها إلى حفظها واللّهج بها من صديق وعدو ، فيضطر العدو إلى أن يلهج بتلك المدائح المقولة فيه ، وهو صغير عند نفسه وعند من يسمعها ، يقول : ليس بعاقل من يعادى من يقال فيه مثل هذا فيصغر عند نفسه وعند غيره ، ويهون مقداره ، وفى ذلك افتخار للشاعر ومدح للممدوح :وهذان فنّان : أحدهما مديح ، والآخر افتخار ، الأول ظاهر وهو المديح ، والثانى باطن وهو الافتخار وحصل بسبب ذلك فى البيت تعليق لطيف ، وهو تعليق صحّة مدح الشاعر على مدح عدوّ الممدوح له صاغرا ، فإنه شرط على نفسه أنه ما لم يمدح ممدوحه عدوّه فهو غير حامد له .

ومن أحسن ما سمعت فى ذلك قول تميم بن مُقْبل (طويل) :

لَدُن غُدْوَةً حتّى نَزَعْنَا عشيّةً

وقدمات شَطرُ الشّمس والشطْرُ مدْنَفُ[1]

(١) نهاية الأرب ٧/١٧٥

(وهذا[1] مما اقترن فيه الإرداف بالاستعارة ، لأنه عبّر عن الغروب بموت شطر الشمس. فى أول العجز . واستعار للشطر الثانى الدّنف فى آخر العجز . وهذا بليغ جدًا ، حيث أتت المقارنة فيه فى قسم واحد .

والفرق بين المقارنة والتعليق والإدماج أنها فى المعانى ، وذانك فى الفنون والمعانى معا[2] .

ومن المقارنة ما يقرنه الشّاعر من شعر غيره بشعره . وهو عكس الإبداع والإستعانة ، لأن الشاعر فى هذين البابين يقدّم شعر نفسه على شعر غيره وفى المقارنة يقدم شعر غيره على شعر نفسه ، كما قال الرشيد هارون للجمّاز يوما : أجزْ وابْدَهْ[3] ، الملك لله وحده ، فقال الجمّاز : وللخليفة بعدَه ، وللمحبّ إذا ما حبيبه بات عنده . وهذا شاهد القسم الثانى منها .

ومن المقارنة ما يقرنه الشاعر من شعر نفسه فيكون فى فن . فإذا قرن البيت بآخر صار مِن فنّ غيره . وقد جاء من شواهد هذا القسم ما استشهدنا به فى باب الهجاء فى معرض المدح : وهو الذى قاله بعض الشعراء فى بعض الأشراف (وافر) :

له حقّ وليس عَلَيْهِ حقٌ ... ومهما قال فالحَسَن الجميلْ

وقد كان الرّسول يَرَى حقوقا ... عليه لغيره وهو الرّسولُ

فإن البيت الأول مدح محض ، فلما اقترن بالثانى صار هجوا بحتا ، وهذا أوضح فرق بين المقارنة والتعليق والإدماج .

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من د وهو فى هامش آ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من جميع الاصول وقد اثبتناها عن بديع القرآن : ٣٢١ اذ لا يستقيم الكلام بدونها .

باب المناقضة *

وهو تعليق الشرط على نقيضين : ممكن ومستحيل ، ومراد المتكلّم المستحيل دون الممكن ، ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط ، فكأنّ المتكلّم ناقض نفسه فى الظاهر ، إذ شرَط وقوع أمر بوقوع نقيضين ، ومثال ذلك قول النابغة الذُّبيانى (وافر) :

وإنَّك سوف تَحْلُمُ أو تَنَاهى　　إذا ما شِبْتَ أو شَاب الغرابُ[1]

فإنّ تعليقه وقوع حلم المخاطب على شيْبه ممكن ، وعلى شيب الغراب مستحيل ، ومراده الثانى لا الأوّل ، لأن مقصوده أن يقول : إنك لا تَحْلُمْ أبدا .

والفرق[2] بينه وبين نَفْى الشّئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا إيجاب ، ونَفْى الشّئ بإيجابه ليس فيه شرط ولا معناه[3] .

---

* لم يسلم هذا النوع للمؤلف فقد سبقه اليه قدامة فى نقد الشعر ص ٤ حيث يقول · « ومما يجب تقدمه أيضا أن يناقض الشاعر نفسه فى قصيدتين أو كلمتين بان يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا بينا غير منكر عليه ولا مصيب من نقله اذا أحسن المدح والذم · وابن منقذ فى بديعه حيث تكلم عنه تحت اسم المعارضة والمناقضة ورقة ٧٨ ونرى أن تعريف ابن منقذ لهذا الباب أدق معنى اذ هو يعرفه بقوله هو أن يناقض الشاعر كلامه أو يعارض بعضه بعضا وهذا حقيقة المناقضة كما لا يخفى · أما تعريف المؤلف للمناقضة هنا فهو بعيد عن مسماه ، اذ تعليق أمر على أمرين أحدهما ممكن والآخر مستحيل ، وارادته أحد الأمرين لا يتفق ومعنى المناقضة ·

(١) ديوانه ٢٨٥ طبع أوربا والصناعتين ٣٥٨ ومختار الشعر الجاهلى ١٩٢ وامالى المرتضى ١ : ٥٥ وشعراء النصرانية ١ : ٦٥٧

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت

(٣) حقا أن نفى الشىء بايجابه ليس فيه شرط · ولكن فيه نفى فى الظاهر ، ولكن فى معنى الشرط نفى وايجاب ، فانك اذا قلت : ان تحضر اكرمك ، فاذا حصل حضور حصل اكرام ، واذا نفى الحضور نفى الاكرام ، واذن فهذا الباب أولى به أن ينضم الى باب نفى الشىء بايجابه ، ولا ينضم الى جديد المؤلف ·

ومن[1] المناقضة نوع آخر يرجع أصله إلى الأوّل ، وهو أن يأتى فى لفظ الوعد ما يدلّ على الوعيد ، فيسرّ المخاطب ويسوءه فى وقت واحد ، فيَتَوَجّهُ على ذلك اللفظ إشكال يوضّحه بعده ، كقوله تعالى : (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)[2] فقوله سبحانه : (إنا كاشفوا العذاب) وعد ، ووصف كشف العذاب بالقلّة وعيد ، فهو يسرّ ويسوءُ فى حالة واحدة ، وإنما وصفه بالقلّة المنافية للكرم من أجلِ أنه علّق كشف العذاب بشرط عدم العود الى موجب العذاب . فاقتضت البلاغة أن يقول «قليلا» ليدمج فى دلائل النّبوّة الإخبار بالغيب ، وهو وقوع العود ، فيرشّح بذكر لفظة «قليلا» للإيضاح والإخبار بوقوع العود الذى اقتضى أن يكون كشف العذاب قليلا من أجله . والشرط المأخوذ من قوّة الكلام هو الذى يردّ هذا النّوع إلى النّوع الأول . والله أعلم .

---

(1) من هنا الى آخر الباب ساقط من د

(2) الدخان : ١٥

بـــابُ الانفصــــال *

وهو أن يقولَ المتكلِّم كلاما يتوجَّه عليه فيه دَخَل إذا اقتصر عليه ، فيأْتى بعده بما ينفصل به عن ذلك (إما[1] ظاهرا أو باطنا يظهره التأْويل كقوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)[2] فإن على ظاهر هذه الآية حصل من جهة أنَّ الطائر يطير بجناحيه ، فيكون الاخبار بذلك عريا عن الفائدة ، والانفصال عن ذلك هو أنه سبحانه لما قال : «وما من دابة فى الأَرض» أوجبت البلاغة أنْ يُردف ذلك بقوله «ولا طائر» فى السماء أو فى الجو «يطير بجناحيه» فأَراد الإيجاز ، فوجَب أنْ يحذِف إحدى الجملتين إما فى «السماء» أو «يطير» وما فيها من الضمير ، ولاسبيل إلى حذف الفعل ، لأَنه الذى يتعلق به الجار والمجرور الذى يَمرّ بجناحيه وذكره مطلوب فى الآية ، لأَن ذكر الجناح يفصل صاحبه من الهمج الّذى يغلهر وهو يُخال أنه يطير كالنمل والجُعْلان وغير ذلك ، لأَن هذا الصنف قد ذكر فى صنف مادَبّ ودرج فى الأَرض ، والآية قصد بها صحة التقسيم ، لأَنه سبحانه لما استوعب كلَّ ما يدب على الأَرض فى صَدْرها أراد الإتيان بما

× لم يسلم هذا النوع للمؤلف وسبق اليمن الذين تكلموا عن الاحتراس بحثه فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٧ وحسن التوسل : ٨٨

(١) ما بين قوسين ساقط من ت ، د ، وهو فى هامش أ .

(٢) الأنعام ٣٨

يعمّ الذى يطير فى الجوّ ، ولا يطير فى الجَوّ إلا طائر ، ولا يسمى طائرا إلا إذا طار بجناحين ، ولا تُسَمّى آلة الطيران جناحا إلا إذا كانت ذات قَصَب وريش وأباهر وخَوَافىَ وقوادم ، فقوله سبحانه : (ولا طائر) بعد ذكر الدواب موضّح لما أراد من صحة التقسيم ، ولفظة « طائر » رشّحت لفظة « يطير » لمجيئها بعدها ، ولفظة « يطير » رشحت الإتيان بلفظة « الجناحين » فحصل من مجموع ذلك الانفصال عن الدَّخَل المتوجِّه على ظاهر الآية ، والله أعلم).

وكقول أبى فِراس[1] (مجزوء الرمل) :

فى حِرا مٍ النَّاس إن كُنْ — تَ من النَّاس تُعَدّ
ولقد نُبِّيتُ إبليـ — س إذا رَاكَ يَصُدُّ
ليس من تَقْوَى ولكن — ثِقَلٌ فيك وبَرْدُ

(فإن أبا فراس[2] لو اقتصر على البيت الثانى لكان الهجاءُ فيه غير مخلص ، وكان يتوجّه دخَل بسبب احتمال البيت للمدْح ، والإتيان به فى معرض الهجو ، فانفصل عن هذا الدَّخَل بالبيت الثالث .

والفرق بينه وبين الاحتراس عموم الاحتراس وخصوص هذا الباب ، لأَن البيت المدخول من هذا الباب يكون الدّخل المتوجّه عليه من جهَة كونه صالحا لضدّين من الفنون ، وهو فى سياق أَبيات مقصودة فى فنٍّ واحد منهما ، والاحتراس يكون بيته مدخولا من هذا الوجه وغيره ، والله أعلم) .

---

(١) فى جميع الاصول « ابى نواس » وهو تصحيف من النساخ ، والحقيقة ان الابيات لابى فراس الحمدانى أنظر نهاية الارب ٧ : ١٧٧

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

باب الإبداع*

وهو أنْ تكونَ مفردات كلمات البيت من الشِّعر ، أو الفصل من النَّثر ، أو الجملة المفيدة ، متضمّنة بديعا بحيث تأْتى فى البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان فى الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدا من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع ، وما رأيت فى جميع ما استقريت من الكلام المنثور والشِّعر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى : استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن ، وهى قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[1]) . وهى المناسبة التامّة بين أقلعى وابلعى ، والمطابقة بذكر الأَرض والسماء ، والمجاز فى قوله «ياسماءُ» فإن المراد ــ والله أعلم ــ يا مطر السماءُ ، والاستعارة فى قوله «أقلعى» ، والاشارة فى قوله تعالى «وغيض الماءُ» فإنَّه عبّر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة ، والتمثيل فى قوله تعالى «وقضى الأَمر» فإنَّه عبّر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بُعدٌ عن لفظ المعنى الموضوع له ، والإرداف فى قوله تعالى :

(×) لم يسلم هذا النوع للمؤلف فقدذكره غيره مثــل رشيد الدين محمد العمرى الكاتب البلخى المعروف بالوطواط المتوفى سنة٥٧٢ فى كتابه السحر فى دقائق الشعر ص ١٨٨ ومثل له من الشعر العربى وبحثه فى خزانة ابن حجة ٣٧ وحسن التوسل ٨٢ ونهاية الارب ٧ : ١٦٤ وأنوار الربيع ٦٩٥ .

(١) هود : ٤٤

« واستوت على الجودىّ » فإنّه عبّر عن استقرارها بهذا المكان ، وجلوسها جلوسا متمكّنا لازيغ فيه ولا مَيْلَ ، بلفظ قريب من لفظ المعنى ، والتعليل ، لأن غيض الماء علّة الاستواء ، وصحّة التقسيم إذ استوعب - سبحانه - أقسام أحوال الماء حالة نقصه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغيض الماء الحاصل على ظهرها . والاحتراس فى قوله تعالى : « وقيل بعدا للقوم الظالمين » إذ الدعاءُ يشعر بأنّهم مستحقوا الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهّم أنّ الهلاك لعمومه ربما شمل من يستحق ومن لا يستحق فتأكّد بالدعاء على الهالكين لكونهم مستحقين ذلك ، والإيضاح فى قوله « للقوم »[1] ليتبين لهم أن القوم هم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدّمة عليها ، حيث قال تعالى : « وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ »[2] وفى قوله قبل ذلك (وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)[3] فأتى سبحانه فى آخر هذه الآية بلفظة « القوم » الّتى الألف واللام فيها للعهد ليبيّن أنهم القوم الذين سبق ذكرهم ووصفهم بالظّلم كما وصفهم فى أول الكلام بالظّلم ، وذلك مما يوضح المعنى ويبيّنه ، فعلم أنّ لفظة القوم ها هنا ليست فضلة فى الكلام ، وأنها يحصل بسقوطها لَبْس فى المعنى . وعدم بيان الكلام محتاج له ، والمساواة ، لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها ، وحسن النسق لأنّه سبحانه عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب حسبما ما وقعت

---

(١) سقطت هذه الكلمة من الاصل . وقد انبتناها عن أ ، ت ، د اذ بدونها لا يستقيم الكلام .

(٢) هود : ٣٨

(٣) هود : ٣٧

وائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأنّ كلّ لفظة لا يصلح موضعها غيرها ، والإيجاز لأنّه سبحانه اقتصّ القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخلّ منها بشئ فى أخصر عبارة ، والتسهيم ، لأنّ أوّل الآية إلى قوله تعالى : (أقلعى) يقتضى آخرها ، والتهذيب ، لأنّ مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سمحة سهلة ، مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة ، مع الخلوّ عن البشاعة والتركيب ، سليمة من التعقيد وأسبابه ، (والتقديم[1] والتأخير والحذف المُخلّ والزيادة المسهبة) وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقّف فى فهم معنى الكلام ، ولا يشكل عليه شئ من هذا النظام ، والتمكين ، لأن الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى مكانها ، غير قلقة ولا مستدعاة ، والانسجام ، وهو تحدُّر الكلام بسهولة كما يَنْسجم الماءُ وينساب انسياب العليل من الهواء ، وما فى مجموع الآية من الابداع (وهو الذى[2] سمّى به هذا الباب من أن كل لفظة لا تخلو عن أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع ، فهذه آية عدّة ألفاظها سبع عشرة لفظة تتضمّن أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما يتعدّد من ضروبها ، فإن الاستعارة وقعت منها فى موضعين : وهما استعارة الابتلاع للأرض ، والإقلاع للسماء . ، والمجاز فى مكانين ، فى قوله سبحانه «ويا سماءُ» وفى الاشارة والتمثيل والإرداف لأن المجاز مجازان : مجاز بالحذف ، ومجاز بالتغيير ، وقد وقعا معا فانظر رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام ، لتعلم ما انطوى عليه نظمه ، وما

(١) مابين قوسين ساقط من ت

تضمنه لفظه ، وقد وقع لى) بيت من قصيدة أشرفيّة[1] وقع فيه ستّة عشر ضربا من البديع بعد ما تكرّر فيه من ضروب البديع ، وهو (طويل) :

فضَحْتَ الحيا والبحْرَجُودا فقدبكى الْ ... حيا من حَيَاء منك والتطم البَحرُ

فاتفقت فيه الاستعارة فى ثلاثة مواضع : فى افتضاح الحياة ، وبكائه ، وحيائه ، والمبالغة إذ جعلت الممدوح يفضح الحيا والبحر بجوده ، والتفسير فى قولى «جودا» وقولى «من حياء منك» ، والإغراق لما فى جملة القافية من زيادة المبالغة ، والترشيح بذكر الاستعارة الأُولى للاستعارة الثانية ، والتجنيس بين الحيا والحيا ، والتورية فى قولى «والتطم البحر» والترشيح للتورية بذكر البكاء ، فإن ذكره هو الذى يرشح للتورية ، وصحة التقسيم فى حصر القسمين اللذين يضرب بهما المثل فى الجود ، إذ لا ثالث لهما ، والتصدير فى كون البحر مذكورا فى صدر البيت ، وهو قافية . والتعليل فى كون العلّة فى بكاء الحيا والتطام البحر فضيحتهما بجوده ، والتّسهيم فى كون صدر البيت يقتضى العجز ، ويدلّ عليه ، وحسن النسق فى كون جمل البيت عطف بعضها على بعض بأصحّ ترتيب ، والإرداف ، لأنّى عبّرت عن نهاية جوده بفضوح الحيا والبحر ، والتمثيل فى كونى عبرت عن عظم الجود ببكاء الحيا من الحياء والتطام البحر ، فهذا مافى تفاصيل البيت وأما ما فى جملته ، فالمساواة ، لكون لفظه قالبا لمعناه ، وائتلاف لفظه مع معناه (فى كون[2] ألفاظ البيت ملائمة مختارة ، لايصلح موضع كل

---

(١) اشرفية : نسبة الى الملك الاشرف موسى الايوبى .

(٢) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت

لفظة غيرها ، ولم يحصل فيه من تعقيد السّبك والتقديم وأسبابه وسوء الجوار ما يوجب له الاستثقال . والإبداع هذا بابه ، لكون كل لفظة من مفرداته تتضمن نوعا أو نوعين من البديع ، فقدحصل فيه ستة عشر ضربا من البديع ، وتكرّرت الاستعارة فيه فى ثلاثة مواضع ، والترشيح فى موضعين ، والتفسير فى موضعين ، وهو ثنتا عشرة لفظة ، والله عزّ وجلّ أعلم .

باب حسن الخاتمة *

يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى فى الأسماع ، ولأنها ربما حُفظت من دون سائر الكلام فى غالب الأحوال فيجب أن يجتهد فى رشاقتها ونُضجها وحلاوتها وجزالتها ، وقد رأيت القاضى الفاضل عبد الرحيم[1] - رحمه الله تعالى - كثيرا ما كان يحترز فى ذلك ويتوخّاه ، فيأتى منه بكلٍّ نكتة تَرْقُص لها القلوب ، وتُغنِى عن النسيب فى المحبوب ، فمن ذلك خاتمة كتاب أجاب به القاضى السعيد بن سناء الملك رحمه الله حيث قال : وهَذَا القاضى مَشْغُولٌ فى أن يتخوَّلَنا ببدائعه ويؤَمِّننا دُثُورَ الفكر بروائعه ، ولا يضنّ علينا بما هو سهل عليه من منافعه وإلّا دخل فيمن مَنَع الماعون ، وخرج من الذين هم لأمانات الفضيلة وعهدها راعُون .

(وقوله فى خاتمة رسالة كتبها للملك النّاصر صلاح الدين رحمه الله تعالى فى حق أولاد ابن ابى اليسر ، وقد قصدوه بعد موت أبيهم ، فخلع عليهم ، فأعلموا الفاضل بذلك ، وسألوه كتابا إليه على يَدِهم بالوصيّة

* تحدث ابن أبى الاصبع عن أن النوع من مخترعانه ولكنه مسبوق اليه من القاضى على ابن عبد العزيز الجرجانى فى وساطته ٤٨ والبيفاشى فى بديعه تحت اسم حسن المطع انظر نهاية الأرب ٧ : ١٣٥ تحت اسم براعة المقطع وأنوار الربيع تحت اسم حسن الختام ٨٢٢ وخزنة بن حجة ٤٦ تحت اسم حسن الخاتمة .

(١) يقصد به القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على اللبيسانى المتوفى ٩٥٦

عليهم ، والإذن لهم فى تقبيل يدِه ، فقال فى آخره ، : وإن يبسط لهم وجهه الكريم عند مثولهم وسلامهم ، ليَنْزِعَ بشره حدادَ الحُزْنِ عن قلوبهم كما نَزَع برُّه حداد المآتم عن أجسامهم ؟ لا زال مولانا عاقلة الدهرانْ جَنَى على أوليائه وَدَاهم[1] ولا عدموه مُنْعما إنْ سألوه أعطاهم ، وإنْ لم يسألوه بدأهم ، والمتقدّم فى جميع فنون البلاغة ، وخصوصا هذا النوع منها على بلغاء البدو والحَضَر ، بل على جميع فصحاء البشر ، حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابن عمّه على بن أبى طالب عليه السلام ، فمن خواتم كلامه قوله فى آخر جواب أجاب به معاوية[2] : ثم ذكرت أن ليس لى ولأصحابى عندك إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار ، متى ألفيت بَنى عبدالمطلب عن الأعداءِ ناكلين ، وبالسّيوف مخوّفين ، لبِّث قليلا يلحق الهَيجَا حَمَل[3] فسيطلبك من تطلب ، ويقرب منك ما تَسْتَبْعِد . وإنى مُرْقِل[4] نحوك بجَحْفل من المهاجرين والأنصار والتّابعين لهم بإحسان ، شَديد زحامُهم ، ساطع قَتَامهم[5] متسربلين سرابيل الموت ، أحبّ اللقاء إليهم لقاءُ ربهم ، قد صحبتْهُم ذُرّيّة بدريّة ، وسيوف هاشمية . عَرَفْتَ مواقعَ نِصَالها فى أخيك وخالك وَجَدِّك ، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[6] .

---

(١) وداهم : أدى دبتهم
(٢) انظر نهـــاية الأرب ٧ : ٢٣٣ وصبح الأعشى ١ : ٢٢٩
(٣) لبث : توقف . انظر اللسان مادة لبث ، ومجمع امثال الميدانى ١ : ٣٨٤ ويعنى بحمــل حمل بن بدر .
(٤) مرقل : مسرع ، والجحفل : الجيش العظيم
(٥) القتام : غبار الحرب
(٦) هـود : ٨٣

وأما حسن الخاتمة فى الشِّعر فقليل فى أشعار المتقدِّمين ، وأكثر ما عُنِىَ بذلك المحدَثون ، فمن المجيدين فى ذلك أبو نواس ، حيث قال فى خاتمة قصيدة مدح بها الأمين (كامل) :

فبقيتَ للعلْم الّذى تَهدى به وتقاعَسَتْ عن يَوْمِكِ الأيَّامُ(١)

وكقوله فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب عامل مصر (كامل) :

أنتَ الخَصِيبُ وهذهِ مصرُ فتدفَّقَا فكلاكما بَحْرُ(٢)

لا تَقْعُدا بى عن مَدَى أملى شيئا فما لَكُمَا به عُذْرُ

وَيحقّ لى إذ صرتُ بينكما ألا يَحُلّ بساحَتِى فَقْرُ

وكقوله فيه (طويل) :

وإنّى جدير إذ بلغتُك بالغِنى وأنت بما أمّلتُ منْك جَدِيرُ(٣)

فإنْ تُولِنِى منكَ الجميل فأهلُه وإلّا فإنى عاذر وشكورُ

وكقوله للعبّاس بن الفضل بن الرّبيع (طويل) :

إليك غدت بى حاجةٌ لم أبُحْ بها أخافُ عليها شامتا فأُدارى(٤)

فَأَرْخ عليها سترَ معروفِك الذى سترتَ به قِدْما علىّ عوَارى

وكقول أبى تمّام فى خاتمة القصيدة الّتى ذكر فيها فتح عموريّة (بسيط) :

إن كان بين ليالى الدّهر من رَحِمٍ موصولةٍ وذِمام غير منقضِبِ(٥)

فبيْن أيّامِك اللّاتى نُصِرتَ بها وبين أيّام بدرٍ أقربُ النَّسب

---

(١) ديوانه : ٦٤ وصدر البيت فيـــه « فسلمت للأمر الذى ترجى له »

(٢) ديوانه ١٠٢

(٣) ديوانه ١٠٠ و ١٠١

(٤) ديوانه : ٧٢ و ٧٣

(٥) ديوانه ١١ ، ١٢ والذمام : الحرمة ومنقضب : منقطع

أبقتْ بنى الأصفر المِمراضِ كاسمهمُ
صفرَ الوجوه وجّلت أوجهُ العرَبِ

وكقوله فى خاتمة قصيدة اعتذر بها إلى ابن الهيثم (كامل):

أأُقَنَّعُ المعروفَ وهو كأنه ... قمرُ الدّجى إنّى إذًا لَلَئيمُ[1]
مُثْرٍ من المال الّذى مّلكتَنى ... أعناقَه ومن الوفاء عَدِيمُ
فأرُوحُ فى بُرْدَيْن لم يَلْبَسْهُمَا ... قبلى فتًى وهما الغِنَى واللُّومُ

وكقوله فى قصيدة استعطف بها ابن الزيّات (طويل):

أكابرَنا عطفا علينا فإنّنا ... بنا ظَمَأٌ بَرْحٌ وأنتمْ مَنَاهلُ[2]

وكقوله فى خاتمة قصيدة اعتذر فيها إلى موسى بن ابراهيم الرافقىّ (طويل):

فإن يك ذنْبٌ عنّ أو تكُ هَفْوَةٌ ... عَلَى خِطَاءٍ منى فعذْرى على عَمدِ[3]

وكقوله فى خاتمة قصيدة مخاطبا مالك بن طَوْق (بسيط):

لاتُوقِظُوا الشَّرّ عنْ قَوْم فقد غَنِيَت ... دياركم وهى تُدْعَى زهرةَ النِّعَمِ[4]
هذا ابن خالِكم يُهدِى نصيحتَه ... من يتّهم فهو فيكمْ غير متّهم

وكقول أبى الطيّب المتنبى فى خاتمة قصيدة من السّيفيّات (وافر):

فلا حَطّتْ لكَ الهيجاءُ سَرْجا ... ولا ذَاقَتْ لَكَ الدنيا فِرَاقَا[5]

وكقوله فى خاتمة أُخرى من السّيفيّات (بسيط):

لازلْتَ تضرب من عَادَاك عن عُرُض ... يعاجل النّصر فى مستأْخِر الأجلِ[6]

---

(1) ديوانه ١ ٣٠١ واقنع : استر . ومثر : ذو مال واللوم مخفف : اللؤم مهموز
(2) ديوانه : ٢٥ وبرح : شديد ، والمناهل : الحياض .
(3) ديوانه ١٢٩
(4) ديوانه ١ : ٤٢٨
(5) ديوانه : ٢٧١
(6) ديوانه : ٢ : ٨٤ والعرض الجوانب والنواحى .

وكقوله أيضا لسيف الدّولة وقد ذكر الخيل (بسيط) :

فلا هَممْتَ بها إلّا على ظَفَر ... ولا وصلتَ بها إلّا إلى أَمَلِ[1]

وكقوله فيه أيضا (طويل) :

أَخذتَ على الأَرْوَاح كلَّ ثَنِيَّة ... من العيش تُعْطِي من تشاءُ وَتَحْرِمُ[2]

فلا موتَ إلّا من سِنانِك يُتَّقَى ... ولا رزْقَ إلَّا من يَمِينك يُقْسَمُ

وكقوله فى خاتمة القصيدة التى هنّأ بها أبا وائل بخَلَاصِه من الأَسر (متقارب) :

فذِى الدّارُ أَغْدَرُ مِن مُومِس ... وأَخدَعُ من كِفَّةِ الحَابلِ[3]

تَفَانى الرِّجَالُ على حُبِّهَا ... ولا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

وقوله فى خاتمة قصيدة ودّع بها ابن العميد (طويل) :

فَجُدْ لى بقلْب إنْ رَحَلْت فإنّنى ... أُخَلِّفُ قَلْبِي عند من فَضْلُه عِنْدِى[4]

فلو فارقتْ جسْمِي[5] إليك حَيَاتُهُ ... لقلتُ أَصابتْ غيرَ مذمومة العَهدِ[5]

وجميع خواتم السُّوَر الفرقانيّة فى غاية الحسن ونهاية الكمال . لأَنها بين أَدعية ووصايا وفرائض ، وتحميد وتهليل ، إلى غير ذلك من الخواتم الّتى لا يبقى فى النّفوس بعدها تطلّع ولا تشوّف إلى ما يقال . كالدّعاء الذى ختمت به سورة البقرة ، والوصايا الّتى خُتِمَت بها آل عمران ، والفرائض التى خْتِمَتْ بها النساءُ ، والتّبجيل والتّعظيم الذى خْتِمَتْ بهما المائدة ، والوَعد والوعيد الذى خُتِمَتْ بهما ، الأَنعام ، والتّحريض على العبادة بوَصف حال

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٣ وروايته « هجمت » .
(٢) ديوانه : ٢٥٤ والنية : الجبل الصغير ، وقيل هى الطريق فى راس الجبل .
(٣) ديوانه ٢ : ٣٧ وكفة الحابل : الشرك ، وهى آلة الصيد .
(٤) ديوانه ١ : ٢٨٠ .
(٥) ديوانه ١ : ٢٨٠ وروايته « ولو فارقت نفسى اليك حياتها »

الملائكة الّتى خُتِمَتْ به الأعراف ، والحَضُّ على الجهادِ وصلةُ الأرحام اللّذين خُتِمَت بهما الأنفال ، ووصف الرّسول -صلى الله عليه وسلم- ومدحه والاعتداد على الأمم به ، ووسيلته ووصيته ، والتهليل ، الذى خُتِمَتْ به براءة (وتسليته[١] عليه السلام التى خُتِمَت بها سورة يونس ، ومثلها خاتمة هود ، ووصف القرآن ومدحه الذى خُتِمَت به يوسف ، والرّدّ على من كذّب الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- الذى خُتِمَت به الرّعد ، ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة فى إنزاله الذى خُتِمَتْ به ابراهيم . ووصية الرسول الّتى خُتِمَتْ بها الحجر ، وتسلية الرسول -عليه السلام- وطمأنينته ووعد الله سبحانه الّذى خُتِمَت به النّحل ، والتحميد الذى ختمت به سبحان[٢] وتحضيض الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الإبلاغ والإقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذى ختِمت به الكهف ، وقد أتيت على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر فى بقيّته ولم أطل بالبقيّة لكثرة سُوَر النصف الأخير[٣] والله أعلم .

هذا آخر الأبواب التى استنبطها ، وهى ثلاثون بابا ، وبها تكمّلتْ عدّة أبواب الكتاب مائة وواحد[٤] وعشرون بابا سليمة من التداخل والتوارد ، بعد ما حذفتْ من أبواب ليس فيها للمتقدّمين سوى الأسماء ومسمّياتها

---

(١) من هنا الى آخر الباب ساقط من ت .

(٢) هى سورة الاسراء .

(٣) قد استوعب المؤلف الكلام على النصف الثانى من القرآن فى كتابه بديع القـــرآن . فانظره تم ..

(٤) فى د مائة باب وعشرون بابا سليمة ، والحقيقة مائة باب وخمسة وعشرون بابا .

متداخلة في غيرها، ومن أأنعم النظر في الكتب التي نظرت فيها ودقّق الفكر في كتابي، وقع على صحّة ما ذكرت، فرحم الله من نظر فيه، وسدّ ما يجده من الخلل، واغتفر ما يقع عليه من السهو والزلل، وعمل بقولي (سريع):

ما أَحسن الإِغضاء من مُنْصِف يَعْلَمُ أَنَّ الكَامِلَ اللهُ
إن أَبصرتْ عيناك عَيْبا فجُدْ بفضلِ عَفْوٍ عند رؤْياه(١)

قال صاحب الكتاب: كنت قد سوّدت من هذا الكتاب نسخة قبل هذه النسخة مختصرة جدًّا حسبما رسم لي من ألفته له، ورسم أن يبيّضها الفاضل ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب، وفقه الله تعالى، فلما بيضها تفضّل وكتبَ في آخرها (بسيط):

هذا كتابٌ بديعٌ ما رَأَى أَحدٌ مِثْلًا له في مَبَانِيه وَمَعْنَاهُ
حَوَى تصانيف هَذا العلمِ أَجمَعَها وَزَادَنَا جُمَلًا عَمَّا سَمِعنَاهُ
لاتَعْجَبُوا من لَطِيف الحَجْم قامبه ذا الفنِّ أَجمع أَقصاهُ وأَدناهُ
فقد رأَيتم عَصَا مَوسَى كمْ التَقَفَتْ ولم يزد قدرُها عمّا عَهدْنَاهُ

لقد عجبت من غفلة السابقين إلى هذا العلم عما اهتدَى إليه هذا المصنف، وكيف مرُّوا معرِضين عمّا استخرج مِنْ دُرَرِ هذا المؤلّف، وصفوا صورةَ جواد وتركوا وصف سبقٍ، وشبّبوا بظبيٍ وأَضربوا عن حسن عينيه وعنقِه، واشتغلوا عن حمْد الغيث، وشكر ودْقِه، بالإطناب في تشبيه رعْدِهِ وبرقِه، فذكّر مانَسُوه، وكمّل ما نقصُوه لاجَرم أنه سبق أوّلهم، وأصبح أفضلهم وكلُّ هذا بسعادة من صنّف لأَجله كتابه، وقصد به بابه وجنابه، فإن سعادته تردّ الآجن عذبا، واليابس رطْبا، وتَنشُر مَوْتَى الإملاق قبل المَعاد، وتُغيِّر

أسْمَىْ شرّ وظَلوم بسُعدَى وسُعاد ،وهمّته تنظر من أعلى العلوّ إلى الشمس ، وقدرته تكاد تردّ الماضىَ وتصيّر اليومَ أمسِ ، لازال بابُه مقصودا ، وقاصده محسودا ، والقَدَر من أعوانه معدودا ، وان كان القدر بهذا القدر مسعودا .

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وحُسنِ توفيقه ،وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه وسلّم .

الفهارس العامة

فهرست الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية *

* ملاحظة : يلاحظ أننى اتبعت فى فهرس الآيات الخطوات الآتية : وضعت الآية بين قوسين ، فاسم السورة يقابله رقم الآية فيها ،فاللون البلاغى الذى جاءت الآية شاهدا عليه يقابله رقم الصفحة .

فهرس الشعر *

صدر البيت	الشـاعر	اللون البلاغي	البحر	القافية	صفحة
		(ء)			
صفراءُ	أبو نواس	الترديد	بسيط	سراءُ	٢٥٤
وله	الحسين بن مطير	صحة التفسير	كامل	وبكاءُ	١٨٥
أخجلتنى	البحترى	حسن الإتباع والبسط	كامل	البيضاءُ	٤٨١
يا هذه	ابن سناء	الترشيح	مجزوء الكامل	الغطاءُ	٢٧٣
فإنى	زهير	الإشارة	وافر	كِفَاءُ	٢٠٢
وما أدرى	زهير	تجاهل العارف	وافر	نساءُ	١٣٦
حاء	الشاعر	الإبهام	مجزوء الرمل	سراءُ	٥٩٧
فأعرض	ابو نواس	التعليق	وافر	الأدعياء	٤٤٦
شعرى	الأرّجانى	النوادر	كامل	الإلقاء	٥١٢
ليس	بشار	التغاير	خفيف	العطاء	٢٨١
وكانا	ابو تمام	الازدواج	متقارب	صفاء	٤٥٢
يرمون	الشاعر	التهذيب	كامل	الرقباء	٤٢٠
من يكن	الشاعر	الاطراد	خفيف	العياء	٣٥٣

* يلاحظ اننا اتبعنا فى فهرس الشعر الابتداء بصدر البيت ثم بالشاعر فاللون البلاغى فالبحر فالقافية فرقم الصحيفه .

صدر البيت	الشــاعر	اللون البلاغي	البحر	القــافية	الصفحة

(ب)

صدر البيت	الشــاعر	اللون البلاغي	البحر	القــافية	الصفحة
ألا	جميل	حسن الإبتداءات	طويل	الحبُّ	١٧٠
وأصرع	المتنبي	الإفراط في الصفة	طويل	أركبُ	١٥٤
حلفت	النابغة الذبياني	المذهب الكلامي والإفراط في الصفة	طويل	مذهبُ	١٢١ ١٥٠
ولست	النابغة الذبياني	التمثيل والتذييل	طويل	المهذبُ	٢١٨ ٣٨٨
تغنى	أبو نواس	الإيداع	طويل	القلبُ	٣٨١
حليم	كعب	التكميل	طويل	مهيبُ	٣٥٨
وصالكم	العباس بن الأحنف	جمع المختلفة	طويل	حربُ	٣٤٧
له	أبو تمام	التوليد	طويل	الحبُّ	٤٩٧
فعاجوا	نصيب	حسن الاتباع	طويل	الحقائبُ	٤٨٨
عليك	ابن سناء	النوادر	طويل	نصابُ	٥١٤
فإن	عتبان الحروري	الموارية	طويل	وحبيبُ	٢٤٩
اليك	ابن أبي الإصبع	الاستثناء	طويل	كاذب	٣٣٧
لأبنائك	ابن أبي الاصبع	صحة التفسير	طويل	المراتبُ	١٨٩
أحلامكم	الكميت	التشبيه	بسيط	الكلبُ	١٦٥
كحلاء	ذو الرمة	الاشتراك	بسيط	ذهبُ	٣٤٢
فأنت	سلم الخاسر	حسن الاتباع	بسيط	هربُ	٤٨٧
عجبا	أبو تمام	التنذير	كامل	مصابُ	٥٧٢
ولو أنهم	البحتري	حسن الإتباع	كامل	مهربُ	٤٨٧
وإنك	النابغة الذبياني	المناقضه	وافر	الغرابُ	٦٠٧
لهم	أبو نواس	التعليق	مجزوء الوافر	نسبُ	٤٤٥
فأحجم	البحتري	المناسبة	طويل	مهربا	٣٧٠

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
فلم	البحترى	ائتلاف اللفظ مع المعنى	طويل	أكذبا	٢٢٦
هما	عبد الله بن الزبير الأسدى	الايغال	طويل	أشهبا	٢٤٠
مرت	المتبنى	براعة التخلص	بسيط	العربا	٤٣٧
أسرناهم	الطرماح	صحة المقابلات	وافر	الترابا	١٨٣
إذا	أبو تمام	حسن الإتباع	وافر	غضابا	٤٧٨
أقلب	المتنبي	التعليق	وافر	الذنوبا	٤٤٥
أشد	المتنبي	التكميل	وافر	هيوبا	٣٥٩
سألت	ابن رشيق	التعليل	وافر	وطيبا	٣١٠
إذا	جرير	المجاز	وافر	غضابا	٤٥٨
فغض	جرير	النزاهة	وافر	كلابا	٥٨٤
ولو	البحترى	التعليل	متقارب	الخطوبا	٣٠٩
ولا عيب	النابغة الذبانى	تأكيد المدح	طويل	الكتائبِ	١٣٣
خليلَى	امرؤ القيس	حسن الابتداءات	طويل	المعذَّبِ	١٦٩
إذا	امرؤ القيس	المشاكلة	طويل	بأثأَبِ	٣٩٤
نقد	النابغة	الغاو	طويل	الحباحبِ	٣٢٦
كأن	امرؤ القيس	الإيغال	طويل	يثقبِ	٢٣٣
إذا	ابو نواس	الهزل الذى يراد به الجد	طويل	للضب	١٣٩
أناس	نافع العنوى	التتميم	طويل	القواضبِ	١٢٧
يمدون	أبو تمام	التجنيس	طويل	قواضبِ	١٠٨
تراهن	النابغة	سلامة الاختراع	طويل	الأرانبِ	٤٧٢
كليني	النابغة الذبيانى	حسن الابتداءات	طويل	الكواكبِ	١٦٨
إذااستنزلوا	النابغة الذبيانى	الترشيح	طويل	المصاعبِ	٢٧٣

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغي	البحر	القافية	الصفحة
عرضتُ	بكر بن النطاح	الاستطرادوالتمزيج	طويل	بكوكبِ	١٣١ ، ٥٣٦
لعمرُو	أبو تمام	التضمين	طويل	الكربِ	١٤١
ولا عيب	ابو هفان	تأكيد المدح	طويل	جانبِ	١٣٣
على	ابراهيم الموصلى	الانسجام	طويل	بالشرب	٤٣٠
فيالائمى	البحترى	الانسجام	طويل	لتجنب	٤٣٠
قتلنا	دريد	الإطراد	طويل	قاربِ	٣٥٢
وبيضاء	المعرى	الإلغاز	طويل	صحبِ	٥٨١
الدم	الشاعر	التوليد	طويل	المهذب	٤٩٥
لعمرى	الشاعر	الإيجاز	طويل	القلبِ	٤٦٢
يفتر	الحريرى	التشبيه	بسيط.	حَببِ	١٦٣
أزورهم	المتنبي	صحة المقابلات	بسيط.	يغرى بى	١٨١
من كل	أبو تمام	الاستفادة	بسيط	ومنسكبِ	١٠١
السيف	ابو تمام	التغاير	بسيط	واللعبِ	٢٨٥
م	ابو تمام	براعة التخلص	بسيط.	والثوب	٤٣٧
تدبير	أبو تمام	التشطير	بسيط.	مرتقب	٣٠٨
ماربع	أبو تمام	التفريع والنوادر	بسيط.	الخرب	٣٧٤ ، ٥١٣
إن	أبو تمام	حسن الخاتمة	بسيط.	منقضبِ	٦١٨
حتى	ابو نواس	الفرائد	بسيط.	والعصبِ	٥٧٦
أجل	ابن أبي الإصبع	الإطراد	بسيط.	أيوبِ	٣٥٣
رفدوك	ابو تمام	العنوان	كامل	كلابِ	٥٥٤
خذها	أبو تمام	كامل	التهذيب	الجلباب	٤٠١
فسقى	البحترى	الاستخدام	كامل	وقلوبِ	٢٧٥
ولقد	الشاعر	الإشارة	كامل	بالمرتابِ	٢٠٤
فيابن نوح	حماد عجرد	التهكم	مجزوء الكامل	القتبِ	٥٧٠
ومعز	ابن الرومى	التغاير	خفيف	والأتراب	٢٨٦

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
بالصريح	ابو تمام	التكرار	خفيف	اللباب	٣٧٥
ورايات	ابو العتاهيه	العكس	وافر	السحابِ	٣١٨
أموركم	ابن الرومى	التطريز	وافر	عجابِ	٣١٤
تبكى	ابو نواس	التشبيه	سريع	بعنّابِ	١٦٤
وقدور	امرؤ القيس	الحل	رمل	كالجواب	٤٤٠

(ت)

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
إن	الحريرى	التخيير	بسيط	قوتُ	٥٢٧
أأخواننا	ابن أبى الإصبع	التعليق	طويل	مصالتُ	٤٤٧
ظلت	عمروبن معديكرب	النزاهة	طويل	وفرتِ	٥٨٤
فلو	عمروبن معديكرب	الإشارة	طويل	أجرّتِ	٢٠٥
تضوعُ	أبوحية النمرى	حسن الإتباع	طويل	عطراتِ	٤٨١
حتى	أبو نواس	الاستعانة	بسيط	السجياتِ	٣٨٤
أعددتكم	ابن سنان	حسن الاتباع	كامل	ملمةِ	٤٨٠
وجفان	امرؤ القيس	نفى الشىء	مجزوء الرمل	راسياتِ	٣٨٠

(ج)

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
لئن	صالح بن جناح	صحة التفسير	طويل	أحوجُ	١٨٨
قامت	الشاعر	الحيدة	منسرح	معوجُ	٥٦٦
هضيم	الشماخ	نفى الشىء	طويل	ودملج	٣٧٩
وقد	ابن رشيق	الطباق	طويل	عجاجِ	١١٢
ماعَلى	الشاعر	التمثيل	مجزوء الخفيف	حرجْ	٢١٨

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغى	البحر	القـافية	الصفحة
(ح)					
وجلا	المتنبي	صحة التفسير	كامل	قبيحُ	١٩٠
معتقةٌ	أبو ذؤيب	المماثلة	وافر	مروحُ	٢٩٨
كأنما	البحترى	التشبيه والتشكيك	سريع	أقاحُ	١٦٢ ، ٥٦٤
خلو	الشاعر	التخيير	بسيط.	ضحَى	٥٣٠
علمتنى	ابن سناء	التعليل	خفيف	التقبيح	٣١٢
(د)					
وليل	ذو الرمة	سلامة الاختراع	طويل	واحدُ	٤٧١
وما	الخزازُ	صحة التفسير	طويل	يحصدُ	١٩٠
فإنك	أبو عطاء السندى	رد الإعجاز	طويل	بعيدُ	١١٨
به	ابن أبى الإصبع	التهذيب	طويل	المتبلدُ	٤٢٢
يرد	المتنبي	الطاعة والعصيان	طويل	راقِدُ	٢٩٠
فإن	أبو تمام	المقارنة	طويل	حامدُ	٦٠٥
رهنت	الشاعر	الإفراط فى الصفة	طويل	مزيدُ	١٥٥
يا بعد	ابو تمام	حسن الابتداءات	بسيط.	والكمدُ	١٧٠
أمس	الشاعر	التوشيح	بسيط.	والولدُ	٣١٥
بمقلص	الأسود بن يعفر	الاشتراك	كامل	جوادُ	٣٤١
كأن	الشاعر	التوليد	وافر	صادُ	٤٩٤
فى حرٍ	أبو فراس	الانفصال	مجزوء الرمل	تعد	٦١٠
تشط.	عمر بن أبى ربيعه	التوشيح	متقاربُ	أبعدُ	٢٢٩
ليل	ابن المعلّى	التشبيه	مجتث	وقَدُّ	١٦٣
لكن	الحميرى	سلامة الاختراع	بسيط.	معتادا	٤٧٢

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغي	البحر	القـافية	الصفحة
لو قيل	الشاعر	التكميل	بسيط	حادا	٣٦٢
طلبت	ابوتمام	الإطراد	كامل	الممدودا	٣٥٤
رمى	عبد الله بن الزبير	العكس	وافر	سمودا	٣٢٠
فإن	أبو تمام	التعليق	طويل	حامدِ	٤٤٧
نصحت	دريد	عتاب المرءنفسه	طويل	شُهَّدِى	١٦٦
أهيم	نصيب	الموارَبة	طويل	بعدى	٢٥٠
ستبدى	طرفة	المساواة	طويل	تزوَّدِ	١٩٩
أموسى	ابو تمام	ائتلاف اللفظ مع المعنى	طويل	الوردِ	٢٢٥
محاسن	أبوتمام	ائتلاف اللفظ مع المعنى	طويل	الصدَّى	٢٢٥
جذبت	أبو تمام	المشاكلة	طويل	القصائدِ	٣٩٦
سرت	أبو تمام	براعة التخلص	طويل	الحقدِ	٤٣٦
فإن يك	أبوتمام	حسن الخاتمة	طويل	عمدِ	٦١٩
تجلّى	أبوتمام	التجزئة والتسجيع	طويل	زندى	٢٩٩
لستُ	محمد بن الخياط	حسن الابتداءات	طويل	يُعدى	١٧٢
لعمرك	طرفة	الإفراط فى الصفة	طويل	اليدِ	١٤٩
وقوفا	طرفة	الموارِدة	طويل	وتجلدِ	٤٠٠
نزور	الحطيئة	التذييل	طويل	يحمدِ	٣٨٩
فجد	المتنبي	حسن الخاتمة	طويل	عندى	٢٠
إذا أنت	ابو نواس	الكناية	طويل	ساعدِ	١٤٥
فاحكم	النابغة	الإيجاز	بسيط	الثمدِ	٤٦٤
سد	ابن الرومى	حسن الإتباع	بسيط	مسدودِ	٤٨٣
فأمطرت	ابو الفرج الوأواء	التشبيه	بسيط	بالبَرَدِ	١٦٤
يقول	ابو تمام	براعة التخلص	بسيط	القودِ	٤٣٦

صدر البيت	الشـاعر	اللون البلاغي	البحر	القـافية	الصفحة
أعتقنى	الشاعر	التعليل	منسرح	كبدى	٣١٣
فإن	امرؤ القيس	المساواة	متقارب	نقعدِ	١٩٩
تطاول	امرؤ القيس	الالتفات	متقارب	ترقدِ	٢٤
وليس	ابو فراس	الإفراط فى الصفة وحسن الاتباع	سريع	واحدِ	١٥١ ٤٧٨
وشباب	الحارث بن دوس	الإطراد	رمل	معدْ	٣٥٣

(ر)

صدر البيت	الشـاعر	اللون البلاغي	البحر	القـافية	الصفحة
إذا	ابن المعتز	حسن الإتباع	طويل	ونزار	٤٨٣
ألا	الرقاش	الإنسجام	طويل	الأمر	٤٣١
أجدك	مسلم	براعة التخلص	طويل	ينشرُ	٤٣٥
وإنى	أبو نواس	حسن الخاتمة	طويل	جديرُ	٦١٨
تقول	أبو نواس	براعة التخلص	طويل	تَسيرُ	٤٣٥
وقائلة	الحارثى	الاستعانة	طويل	المحاجرُ	٣٨٤
وقد	الأُبيرد	الاشتراك	طويل	الأَجرُ	٣٤٠
فواعجبا	كثير	صحة المقابلات	طويل	غَادِرُ	١٨١
وأنت	كثير	الاشتراك	طويل	القصائِرُ	٣٣٩
تهيمُ	عمر بن أبى ربيعة	صحة الأَقسام	طويل	مُقْصِرُ	١٧٨
وهَبْها	عمر بن أبى ربيعة	صحة الأَقسام	طويل	المقابرُ	١٧٧
لها	ذو الرمة	الطاعة والعصيان	طويل	نَزْرُ	٢٩٣
تقول	ابن أبى الإصبع	الاتفاق	طويل	الدهرُ	٥٠٤
شفيعى	ابن أبى الإصبع	التوليد	طويل	الوفرُ	٤٩٧
ومستعجل	جمانه	التوليد	طويل	يبادرُ	٤٩٧
وإن	الأَخطل	حسن الإتباع	طويل	الدهرُ	٤٨٦

فهرس الشعر

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغى	البحر	القـافية	الصفحة
أغنيتنى	ابن شرف	النوادر	بسيط.	البشرِ	٥١١
عدوكم	ابن أبى حصينة	الاتفاق	بسيط.	الغيرِ	٥٠٣
ظلت	الشاعر	النوادر	بسيط.	حذرِ	٥٠٨
المستجيرُ	الشاعر	التضمين	بسيط.	بالنار	١٤١
صلّى	أبو تمام	صحة الأقسام	كامل	الفجار	١٧٧
لعن	الفرزدق	الطباق	كامل	اجار	١١٣
جارى	الخنساء	جمع المختلفة	كامل	الحُضر	٣٤٥
ياخاطب	الحريرى	التوءم	كامل	الأقدار	٥٢٣
اشربا	عمرو بن الأهتم	صحة الأقسام	خفيف	وأسير	١٧٧
كالقسى	البحترى	الاستقصاء	خفيف	الأوتارِ	٥٤٢
انتخب	ابن أبى الاصبع	التهذيب	خفيف	الأسحار	٤٠٦
فلولا	مهلهل	الغلو	وافر	بالذكور	٣٢٤
ألا	أبو المنهال	الإشارة	وافر	إزارى	٢٠٦
شتان	الأعشى	الاستعانة	سريع	جابر	٣٨٣
تروح	امرؤ القيس	التصريع	متقارب	تنتظرْ	٣٠٦
كأن	امرؤ القيس	التشبيه	متقارب	القُطْرْ	١٦٣
فتور	امرؤ القيس	المماثلة	متقارب	خصِرْ	٢٩٧
شيئان	ابن شمس الخلافه	صحة التفسير	كامل	والحجرْ	١٩١
يضرب	أبو العتاهيه	حسن البيان	منسرح	فكر	٤٩١
بينما	عمر بن أبى ربيعة	المراجعة	رمل	الأغرْ	٥٩٠
قد	رؤبة	المراجعة	رجز	فجر	٥٩٠

(ز)

وحديثها	ابن الرومى	الاستقصاء	كامل	المتحرز	٥٤٠

(ع)

صدر البيت	الشـاعر	اللون البلاغي	البحر	القافية	الصفحة

(ف)

لجنيَّة	المتنبي	تجاهل العارف	طويل	شنفُ	١٣٧
لدن	تميم بن مقبل	المقارنة	طويل	مدنفُ	٦٠٥
قد	منصور الفقيه	الطباق	كامل	توصفُ	١١٥
وكأن	ابونواس	الفرائد	كامل	يكفا	٥٧٦
لاتسدينّ	ابونواس	الإفراط في الصفة	كامل	سلفا	١٥٦
بتُ	البحترى	المراجعة	خفيف	يتكفًا	٥٩٢
أكذبت	أبو على البصير	القسم	كامل	أسلافى	٣٢٧
جدْ	البحترى	جمع المختلفة	كامل	يشرفِ	٣٤٦
وكان	أبو فراس	الاتفاق	منسرح	خلفِ	٥٠٥
شمس	ابن سناء	النوادر	سريع	تكسفِ	٥١٣

(ق)

وما	سيف الدولة	التهذيب	طويل	الحقُ	٤٠٤
بودى	البحترى	حسن الابتداءات	طويل	تَعْلَقُ	١٧٠
وإن	الأعشى	حسن الإتباع	طويل	معلَّقُ	٤٨٧
عليك	الشاعر	التوليد	بسيط	الخُلقُ	٤٩٦
صبحتهم	ابن سنان	النوادر	كامل	وعناقُ	٥١٣
رأيته	الشاعر	الحيدة	منسرح	بوقْ	٥٦٦
فإنى	عروة بن الورد	ائتلاف اللفظ مع الوزن	وافر	يفوقُ	٢٢٣
هو	زهير	جمع المختلفة	بسيط	لحقا	٣٤٥

(ك)

(ل)

صدر البيت	الشـاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
ونكرم	عمرو بن الأهتم	الإفراط فى الصفة	وافر	مالا	١٤٧
أأرضى	الشاعر	الإدماج	وافر	ثقيلا	٤٥٠
لابس	البحترى	الفرائد	خفيف	محلِّى	٥٧٧
فأقسم	جنوب	التسهيم	متقارب	عضالا	٢٦٣
إذا قامتا	امرؤ القيس	الاتساع	طويل	القرنفل	٤٥٤
أغرك	امرؤ القيس	الانسجام	طويل	بيفعل	٤٣٠
وتوفا	امرؤ القيس	المواردة	طويل	وتجمل	٤٠٠
وقد	امرؤ القيس	المشاكلة	طويل	هيكل	٣٩٤
ألا	امرؤ القيس	التصريع	طويل	الخالى	٣٠٦
ألا	امرؤ القيس	التصريع	طويل	بالِ	٣٠٦
تنورتها	امرؤ القيس	الإغراق	طويل	عالى	٣٢٢
ويضحى	امرؤ القيس	الإرداف	طويل	تفضُّل	٢٠٩
ألا	امرؤ القيس	التصريع	طويل	بأمثَل	٣٠٦
وجيد	امرؤ القيس	التشبيه	طويل	بمعطَّل	١٦٢
كأن	امرؤ القيس	التشبيه	طويل	البالى	١٦٣
له	امرؤ القيس	التشبيه	طويل	تتفُل	١٦٤
وما	امرؤ القيس	الإشارة	طويل	مقتَّل	٢٠٥
كبكر	امرؤ القيس	الاشتراك	طويل	المحلِّل	٣٤٢
مهفهفة	امرؤ القيس	التشبيه	طويل	كالسَّجنجل	١٦٢
وليس	امرؤ القيس	صحة الأقسام	طويل	بنبالِ	١٧٨
فعادى	امرؤ القيس	الإفراط فى الصفة	طويل	فيغسل	٢٥٤
وبيضةٍ	امرؤ القيس	الكناية	طويل	مُعجل	١٤٥
قفا	امرؤ القيس	حسن الابتداءات	طويل	فحومَل	١٦٩
الا زعمت	امرؤ القيس	الكناية	طويل	أمثالى	١٤٣
فمثلك	امرؤ القيس	الكناية	طويل	محولِ	١٤٤

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغي	البحر	القافية	الصفحة
وقد	امرؤ القيس	الهزل الذى يراد به الجد	طويل	بفعالِ	١٣٩
فيالك	امرؤ القيس	التصرف	طويل	بيذبل	٥٨٢
وليل	امرؤ القيس	الاستعارة والتصرف	طويل	ليبتلى	٥٨٢ ١٠٠
فمثلك	امرؤ القيس	الالتزام	طويل	محولِ	٥١٩
مكر	امرؤ القيس	الاتساع	طويل	علِ	٤٥٤
طربن	المعرى	حسن الابتداءات	طويل	ومَالِي	١٧١
قف	ذو الرمة	الايغال	طويل	المسلسلِ	٢٣٣
سقى	جرير	رد الإعجاز	طويل	بالرملِ	١١٦
وكنت	إدريس ابن اليمان	المقارنة	طويل	المحلِ	٥٠٣
ولولا	الشاعر	التغاير	طويل	مِثْلِي	٢٨٦
أمِلْ	المتنبي	التفويف	بسيط	صِل	٢٦١
أفتحن	المتنبي	التجزئة	بسيط	خَجَلِ	٢٩٩
تمسى	المتنبي	التذييل والتهذيب	بسيط	ذلك لى	٣٩٠ ٤٣٦
لأن	المتنبي	التمثيل	بسيط	كالكحلِ	٢٢٠
والهجر	المتنبي	التمثيل	بسيط	البَلَلِ	٢٢٠
لازلتُ	المتنبي	حسن الخاتمة	بسيط	الأجلِ	٦١٩
فلا	المتنبي	حسن الخاتمة	بسيط	أملِ	٦٢٠
موفٍ	مسلم بن الوليد	التشطير والحل	أمل	بسيط	٣٠٨ ٤٣٩
لم	ابن نباته السعدى	التذييل	بسيط	أمل	٣٨٩ ٤١٦
جاور	ابن شرف القيروانى	حسن النسق	بسيط	الأسلِ	٤٢٧

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
كأن	عياض	التورية	بسيط	الحُللِ	٢٧٠
ما أحسن	ابودلامه	حسن المقابلات	بسيط	بالرجل	١٨١
حتى	الوزير المغربى	حسن الإتباع	بسيط	رجل	٤٧٨
يريك	الشاعر	الترديد	بسيط	الرَّجُل	٢٥٤
نظرت	امرؤ القيس	البسط	كامل	طفل	٥٤٨
إلى	عنتره	حسن الإتباع	كامل	بالمفصل	٤٧٩
إن	عنتره	التفويف	كامل	أنزلِ	٢٦١
بزجاجة	حسان	التشبيه	كامل	مستعجل	١٦٢
نقِّل	ابوتمام	التمثيل والانسجام	كامل	الأوَّلِ	٢١٩ ٤٣٠
ومع	ابن سناء	النوادر	كامل	المنزلِ	٥١٤
ودعوا	الشاعر	التذييل	كامل	أنزلِ	٣٨٨
لاتظنن	ابن أبى حصينه	التهكم	خفيف	الهلالِ	٥٦٩
إن	ابن حيوس	التدبيج	خفيف	نزال	٥٣٣
تستغفر	ابن الرومى	النوادر	سريع	بالأرجل	٥١٢
فياله	ابن الرومى	التهكم	سريع	أسفل	٥٧٠
ونبكى	رجل من عقيل	التجنيس	وافر	نبالى	١٠٩
نسيم	البحترى	التجنيس	وافر	شمول	١٠٥
فذى	المتنبى	حسن الخاتمة	متقارب	الحابل	٦٢٠
حتى	الشاعر	ائتلاف اللفظ مع المعنى	رجز	الكلكل	٢٢١
أفاد	امرؤ القيس	الموازنة	متقارب	وأفضلْ	٣٨٦
لى	ابن سناء الملك	الهجاء فى معرض المدح	سريع	الاحتيالْ	٥٥٠
يقلن	الشاعر	التكرار	متقارب	الخيالْ	٣٧٥

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
		(م)			
أبى	عبيد الله	الإدماج	طويل	ونكرمُ	٤٤٩
أخذت	المتنبى	حسن الخاتمة	طويل	وتحرمُ	٦٢٠
إلى	المتنبى	الإرداف والتعليق	طويل	ملامُ	٢٤٠ ، ٤٤٤
وقال	ابو تمام	العقد	طويل	المآتم	٤٤١
رفونى	الهذلى	التكرار	طويل	هُمْ هُمُ	٣٧٦
بعيدة	عمر بن أبى ربيعه	الإرداف والاستثناء	طويل	وهاشمُ	٢١٢ ، ٣٣٧
لعمرك	ابن السليمانى	عتاب المرء نفسه	طويل	التلوُّمُ	١٦٧
ألم	النعمان بن بشير	التجنيس	طويل	نَائِمُ	١٠٣
دعينى	بكر بن النطاح	التمثيل	طويل	قاسمُ	٢١٨
ويعدلُ	ابن المغربى	تأكيد المدح	طويل	ظالمُ	١٣٣
يقيض	البحترى	الطباق	طويل	أعلمُ	١١٥
لك	المعرى	الالتزام	طويل	زمزمُ	٥١٩
ولى	الشاعر	الاستدلال	طويل	يحمحمُ	٣٣٢
أأقنع	أبو تمام	حسن الخاتمة	كامل	للئيمُ	٦١٩
لا والذى	ابو تمام	براعة التخلص	كامل	كريمُ	٤٣٥
هن	ابو تمام	التجنيس	كامل	حِمَامُ	١٠٦
أراؤكم	ابن الرومى	صحة التفسير	كامل	نجومُ	١٨٩
فبقيت	ابو نواس	حسن الخاتمة	كامل	الأيامُ	٦١٨
ملك	أبو نواس	الإفراط فى الصفة	كامل	قيامُ	١٤٧
وأهنتنى	أبو الشيص	التذييل	كامل	أكرمُ	٣٨٩

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغي	البحر	القـافية	الصفحة
ويلاه	ابن الرومى	حسن الاتباع	كامل	اليمُ	٤٨١
إن	زهير	براعة التخلص	بسيط	هرمُ	٤٣٤
كأن	زهير	التجنيس	بسيط	أَمَمُ	١٠٣
إن	ابن الرومى	التغاير	بسيط	الأممُ	٢٨٤
يا من	المتنبي	ائتلاف اللفظ مع المعنى	بسيط	عدمُ	٢٢٦
لما	الحزين الكنانى	حسن البيان	بسيط	والخدمُ	٤٩٢
يغضى	الحزين الكنانى	حسن الاتباع	بسيط	يبتسمُ	٤٨٢
ومطعم	الشاعر	الازدواج	بسيط	محرومُ	٤٥٢
كم	عبد الصمد بن المعذّل	الانسجام	خفيف	عدمُ	٤٣٠
متى	جرير	الالتفات	وافر	الخيامُ	١٢٤
ألا	الشاعر	الكناية	وافر	السلامُ	١٤٥
لنا	حسان	الإفراط في الصفة	طويل	دما	١٤٨
ومخرق	ليلى الأخيلية	المشاكلة	كامل	سقيا	٣٩٧
وخفوق	المتنبي	التتميم والترشيح	كامل	جهنما	١٢٩ ٢٧١
إن	البحترى	حسن الإتباع	بسيط	ابتسما	٤٨٣
تعنو	البحترى	التغاير	بسيط	الكلما	٢٨٤
قد	أبو تمام	التغاير	خفيف	قدما	٢٨١
فعلمنا	أبو تمام	التغاير	خفيف	كريما	٢٨٤
كأنك	جرير	التجنيس	وافر	الخياما	١٠٤
غالطتنى	الأرّجانى	الاستدراك	رمل	العظاما	٣٣٢
أترى	الشاعر	التعليق	رمل مجزوء	يتعامى	٤٤٤
ومن	زهير	حسن النسق	طويل	لهزمِ	٤٢٧
وأعلمُ	زهير	صحة الأقسام	طويل	عمي	١٧٨

صدر البيت	الشـــاعر	اللون البلاغى	البحر	القـافية	الصفحة
ومهما	زهير	الإفراط في الصفة والمساواة	طويل	تُعْلَمِ	١٤٩ ١٩٩
كأن	زهير	الإيغال	طويل	يحطم	٢٣٣
أثافى	زهير	ائتلاف اللفظ مع المعنى	طويل	يتثلَّمِ	١٩٥
فأربح	كثير	التكرار	طويل	أعظم	٣٧٥
يناشدنى	شريح	الاتساع	طويل	التقدمِ	٤٥٦
فليس	البحترى	التسهيم	طويل	بحرام	٢٦٦
فساق	المتنبي	التعطف	طويل	مُذَمَّمِ	٢٥٨
ولو لم	ابن هانئ	التعليل	طويل	للتيممِ	٣١٠
أصح	ابن رشيق	المناسبة	طويل	قديمِ	٣٦٦
فألقت	النميرى	صحة التفسير	طويل	ومِعْصَمِ	١٩١
لقد	الفرزدق	صحة التفسير	طويل	مغرم	١٨٥
لمن	ابونواس	حسن الابتداءات	طويل	نَسيمِ	١٧٠
خليلى	ابونواس	حسن الابتداءات	طويل	يسلَّمِ	١٧٠
سعت	عفيف الدين	الإلغاز	طويل	الدم	٥٨٠
بكفيه	ابن أبي الإصبع	حسن البيان	طويل	لمجرمِ	٤٩١
أرانى	ابن أبي الاصبع	النوادر	طويل	الرجمِ	٥١٥
عصانى	الشاعر	عتاب المرء نفسه	طويل	ينْدَمِ	١٦٦
فيقتل	الشاعر	التغاير	طويل	بالدم	٢٨٠
دزجا	عنتره	سلامة الاختراع	كامل	الأجذم	٤٧١
عوجا	امرؤ القيس	الاستطراد	كامل	ابن حمام	١٣٢
فازور	عنتره	حسن الاتباع	كامل	وتحمحم	٤٨٨
إن	حسان	الاستطراد	كامل	هشامِ	١٣١
ولقد	عنتره	الالتفات	كامل	المكرمِ	١٢٤

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
فشككت	عنتره	الإشارة	كامل	بمحرمِ	٢٠٦
ماراعنى	عنتره	التنكيت	كامل	الخمخمِ	٥٠٠
إن	عنتره	الافتنان	كامل	المستلئمِ	٥٨٨
وكأنها	عدى بن الرقاع	المشاكلة	كامل	جاسمِ	٢٩٥
غيرى	ابن شرف القيروانى	النوادر	كامل	المتندمِ	٥٠٩
أنى	مروان بن أبي حفصه	الايغال	كامل	الأعمامِ	٢٣٧
ودعا	الأسود بن يعفر	ائتلاف اللفظ مع الوزن	كامل	سلامِ	٢٢١
يُلْقَى	الشاعر	رد الإعجار	كامل	عرمرمِ	١١٦
يا من	الشاعر	التجنيس	مجزوء الكامل	عَنْدمِ	١٠٩
وقال	أبو تمام	العقد	طويل	المآتمِ	٤٤١
لاتوقظوا	أبو تمام	حسن الخاتمة	بسيط.	النعمِ	٦١٩
لويعلم	أبو تمام	حسن الاتباع	بسيط.	القدمِ	٤٨٨
أخرجتموه	أبو تمام	التمثيل	بسيط.	السَّلَمِ	٢١٨
حتى	المتنبي	التغاير	بسيط.	كالخدمِ	٢٨٥
وتلك	أبو صخر الهذلى	الترصيع	بسيط.	سيخمِ	٣٠٢
وتلك	أبو صخر الهذلى	الترصيع	بسيط.	سَينمِ	٣٠٢
تحمله	عبدالله بن رواحه	التجنيس	بسيط.	الظلم	١٠٨
وحلم	سالم بن وابصة	التكميل	بسيط.	الكريم	٣٨
وقد	المتنبي	صحة الأقسام	وافر	الغمامِ	١٧٣
أيا قمر	البحترى	التجنيس	وافر	التَّمام	١١٠
خزيمة	أبونواس	تشابه الأطراف	سريع	دارمِ	٥٢١
فأنتم	ابن المعتز	الإيغال	متقارب	المسلم	٢٣٦
وبنو	لبيد	الإيجاز	رمل	نعمْ	٤٦٣
يانبيّ	عبدالصمد بن المعذل	الهجاء فى معرض المدح	رمل مجزوء	مريمْ	٥٥٠
أليس	الشاعر	الإغراق	متقارب	الكلمْ	٣٢١

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغى	البحر	القافية	الصفحة
		(ن)			
لمن	ابونواس	الاستثناء	طويل	جونُ	٣٣٦
تعز	أبونواس	الإفتنان	طويل	كائنُ	٥٨٩
لمختلى	ابن شرف	صحة التفسير	طويل	فَنُّ	١٨٨
فصرت	الشاعر	السلب والإيجاب	طويل	والحسنُ	٥٩٥
وسبعة	الشاعر	الإلغاز	رجز	شبانُ	٥٨٠
من	الشاعر	التسهيم	خفيف	غصونُ	٢٦٦
تغنى	ابن سناء	التهذيب	طويل	الغنَّاء	٤٠٤
هلا ،	عبيد بن الأبرص	التكرار	كامل	أبناه	٣٧٥
لوتحقل	المتنبي	حسن الإتباع	كامل	الأغصنا	٤٨٨
إن	جرير	المشاكلة	بسيط.	قتلانا	٣٩٥
سلم	الشاعر	الالتزام	بسيط.	قطنا	٥١٩
وإذا	الشاعر	العكس	خفيف	زيْنا	٣١٩
شغل	الشاعر	صحة الأقسام	خفيف	وأينا	١٧٨
ونوجد	عمرو بن كلثوم	التسهيم	وافر	يمينا	٢٦٥
صدرت	عمرو بن كلثوم	التمثيل	وافر	اليمينا	٢١٦
ويوم	عمرو بن كلثوم	صحة التفسير	وافر	العيونا	١٩١
نطاعنُ	عمرو بن كلثوم	صحة الأقسام	وافر	غشينا	١٧٧
ألا	عمرو بن كلثوم	التجنيس وصحة التفسير	وافر	الجاهلينا	١٨١ ، ١٠٢
فإن	الراعى النميرى	التوشيح	وافر	رزينا	٢٢٩
وما	ابن رشيق	النوادر	متقارب	السفينا	٥١٢
كلما	على بن الجهم	الإيداع	مجزوء الرمل	خبرينا	٣٨١
كلكم	ابو الفتح البستى	التجنيس	رمل مجزوء	لنا	١١٠

صدر البيت	الشــاعر	الشــاعر	البحر	القافية	الصفحة
ياموثر	على بن أبى طالب	التغاير	سريع	قصْده	٢٧٩
وعيرها	الشاعر	الإيداع	طويل	عارُها	٣٨١
أقول	ابن ملهم	التنذير	وافر	وأنكرُوهُ	٥٧٣
صبحت	الزبير بن عبد المطلب	نفى الشئ	طويل	مفاقره	٣٧٨
ترى	الفرزدق	التغاير	طويل	يجيرها	٢٨٧
ابن	ابن أبى الإصبع	الهجاء فى معرض المدح	سريع	فلسهْ	٥٥١
صفوح	الشاعر	المماثلة	متقارب	طيشُها	٢٩٨
إذا	البحترى	التجنيس	طويل	دموعُها	١٠٩
لكل	الفرزدق	المذهب الكلامى	طويل	ويطيعُها	١٢١
كلامه	ابن المعتز	التفريع	سريع	طيفهِ	٣٧٤
إذا	ليلى الأخيلية	تشابه الأطراف	طويل	فشفاها	٥٢١
ومقرطق	ابن حيوس	الإيضاح	كامل	إبريقه	٥٦٠
تحلمنا	ابن أبى الاصبع	النوادر	طويل	عقوقها	٥١٥
كيف	ابن المعتز	المذهب الكلامى	مديد	تسقيه	١٢٢
قد	ابن المعتز	البسيط.	منسرح	ورقهْ	٥٤٨
صَحَا	زهير	حسن الابتداءات	طويل	ورواحلُهْ	١٦٩
أخو	زهير	الاستدراك	طويل	نائلهْ	٣٣٢
وإن	ذو الرمة	رد الأعجاز	طويل	قليلُها	١١٧
لا والذى	ابن المعتز	القسم	بسيط.	حمائلُه	٣٢٨
فإن	ابو تمام	الحل	طويل	مناهلهْ	٤٣٩
كُنتَ	الأعشى	المواربة	طويل	أبطالها	٢٥٢
على	كثير	المواربة	طويل	فأذالها	٢٥١
تخذتكم	ابن الرومى	حسن الاتباع	طويل	نصالها	٤٨٠
لو أن	كثير	التكميل	كامل	لها	٣٥٩

أنصاف أبيات

صدر البيت	الشاعر	اللون البلاغي	البحر	القافية	الصفحة
أرقت	امرؤ القيس	الاشتراك	وافر	سريج	٣٤١
علفتها	ذو الرمة	الإيجاز	رجز	باردا	٤٦٥
ونواره	ابن مياده	الموارده	طويل	ظاهرُ	٤٠٠
إذا	التوءم	الاشتراك	وافر	استطارا	٣٤١
كنار	التوءم	الاشتراك	وافر	استعارا	٣٤١
ورضت	امرؤ القيس	المشاكله	طويل	إذلال	٣٩٦
أحلر	امرؤ القيس	الاشتراك	وافر	وهنا	٣٤٠

فهرس الاعلام والامم والقبائل

فهرس الاماكن

فهرس مصادر الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني	مطبوع
اعجاز القرآن	الباقلاني	مطبوع
الاقناع في العروض	الصاحب بن عياد	مخطوط
البديع	ابن المعتز	مطبوع
البديع	الاجدابي	غير موجود
البديع	أسامة بن منقذ	مطبوع
البديع	التبريزي	مخطوط
البديع	التيفاشي	غير موجود
البيان والتبيين	الجاحظ	مطبوع
تزييف نقد قدامه	ابن رشيق	غير موجود
التعريف والاعلام	السهيلي	مخطوط
الجامع الكبير	الرماني	غير موجود
الحديقة	الحجاري	غير موجود
الحلية والمحاضرة	الحاتمي	غير موجود
درة التنزيل وغرة التأويل	الخطيب الاسكافي	مطبوع
دلائل الاعجاز	عبد القاهر الجرجاني	مطبوع
ذكرى حبيب	المعري	غير موجود
رسالة « في الفصاحة والبلاغة » ...	ابن أفلح	غير موجودة
رسالة « على شعر أبي تمام »	الصولي	مطبوعة
رسالة « على شعر أبي نواس » ..	الصولي	مطبوعة
رسالة « في غلط قدامه »	ابن بشر الآمدي	غير موجودة
سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجي	مطبوع
شرح حديث أم زرع	القاضي عياض	غير موجود
الصرفة	الشريف المرتضى	غير موجود
الصناعتين	أبو هلال العسكري	مطبوع
عبث الوليد	المعري	مخطوط
العمدة	ابن رشيق	مطبوع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
الغرر والدرر	الشريف المرتضى	مطبوع
الكشـــاف	الزمخشرى	مطبوع
كشف الظلامة	موفق البغدادى	غير موجود
المثل السائر	ابن الأثير	مطبوع
المجاز	الشريف الرضى	مطبوع
معجز أحمد	المعرى	مخطوط
المنصف	ابن وكيع	مخطوط
الموازنه	الآمدى	مطبوع
نظم القرآن	الجاحظ	غير موجود
نقد الشـــعر	قدامه	مطبوع
نقد النثر	قدامه	مطبوع
النكت فى اعجاز القرآن	الرمانى	مطبوع
نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز .	ابن الخطيب (فخر الدين)	مطبوع
الوساطة	على بن عبد العزيز الجرجانى	مطبوع

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
القرآن الكريم		المطبعة الاميرية ١٣٦٨هـ
الاستدراك	ضياء الدين بن الأثير	مصر سنة ١٩٥٨ م
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب	ابن عبد البر	حيدر أباد ١٣١٨ هـ
أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجانى	مصر ١٣٦٧ هـ
الأصمعى حياته وآثاره	عبد الجبار الجومرت	بيروت ١٩٥٥ م
اعجاز القرآن	الباقلانى تحقيق سيد أحمد صقر	مصر ١٩٥٥ م
الأعلام	خير الدين الزركلى	مصر ١٣٤٧ هـ
الأغانى	أبو الفرج الأصبهانى	مصر دارالكتب وبولاق
الأقصى الغريب	زين الدين التنوخى	سنة ١٣٢٧ هـ مصر
الأمالى	أبو على القالى	دار الكتب المصرية
أمالى المرتضى	الشريف المرتضى (تحقيق أبو الفضل ابراهيم)	مصر ١٩٥٥ م
أنوار الربيع	ابن معصوم	طبع حجر ١٠٩٣ هـ
أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء		القاهرة ١٨٩٨ م
الايضاح	الخطيب القزوينى (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه)	مصر ١٩٥٠ م
البداية والنهاية	لابن كثير	مصر ١٣٤٨ هـ
البديع	ابن المعتز	مصر ١٩٤٥ م
البديع	أسامة بن منقذ	مخطوط
البديع	التبريزى	مخطوط
بديع القرآن	ابن أبى الأصبع المصرى	مصر ١٩٥٧ م
البلاغة الفنية	على الجندى	مصر ١٩٥٦ م
البيان والتبيين	الجاحظ (تحقيق هارون)	مصر ١٩٤٩ م
تاج العروس	الزبيدى	مصر ١٣١٦ هـ
تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان	مصر ١٩٠٠ م
التبيان فى علم البيان	الزملكانى	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٢٩٥ بلاغة

الطبع ومكانه وتاريخه	اسم المؤلف	اسم الكتاب
كمبردج ١٩٥٠ م	ابن عون (تحقيق محمد عبد المعيد خان)	التشبيهات المشرفية .. . .
مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٢٩٨ بلاغة تيمور	محمد الغزى العامرى	تقريب المعاهد . . . .
مصر ١٢٩٧ هـ	القزوينى	التلخيص . . . .
مصر ١٩٥٦ م	تحقيق الأستاذ محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام	ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ..
مصر ١٢٨٦ هـ	جلال الدين السيوطى	الجامع الصغير .. . .
المجمع العلمى العراقى ببغداد ١٩٥٦ م	ضياء الدين ابن الأثير	الجامع الكبير ... ...
دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م	القرطبى	الجامع لأحكام القرآن . .
مصر ١٣١٨ هـ	أبو زيد القرشى	جمهرة أشعار العرب . .. .
مصر ١٣٠٧ هـ	أبو هلال العسكرى	جمهرة الأمثال ... .
مصر ١٩٣٢ م	قدامه بن جعفر	جواهر الألفاظ . . .. . .
مصر ١٩٤٥ م	الوطواط	حدائق السحر فى دقائق الشعر ..
مصر ١٢٩٨ هـ	شهاب الدين أبو الثناء الحلبى	حسن التوسل . . . ..
مصر ١٣٤٥ هـ	ابن الشجرى	الحماسة .. . .
مصر ١٢٩٠ هـ	شرح التبريزى	الحماسة ... .
مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢٠ أدب	الحسن البصرى	الحماسة البصرية .. . .
مصر ١٩٣٨ م	الجاحظ	الحيوان ... .
مصر ١٣٠٤ هـ	ابن حجة الحموى	خزانة الأدب ... ...
مصر ١٢٩٩ هـ	البغدادى	خزانة الأدب .. ..
مصر ١٣٦٧ هـ	عبد القاهر الجرجانى	دلائل الاعجاز . . ..

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
ديوان	ابن الرومى	مخطوط بدار الكتب ١٣٩ أدب
ديوان	ابن زيدون	مصر ١٩٥٧ م
ديوان	ابن سناء الملك	مصور بدار الكتب المصرية ٤٩٣١ أدب
ديوان	ابن المعتز	مصر ١٣٠٧ هـ
ديوان	ابن نباتة السعدى	مخطوط ٥٢ أدب ش
ديوان	أبو تمام	بيروت ١٨٨٩ م
ديوان	أبو العتاهية	بيروت ١٩١٤ م
ديوان	أبو الفرج الوأواء	لندن ١٩١٣ م
ديوان	أبو نواس	مصر ١٨٩٨ م ١٩٥٤ م
ديوان	الأخطل	بيروت ١٨٨٩ م
ديوان	الأرجانى	بيروت ١٣٠٧ هـ
ديوان	الأعشى (أبو بصير)	مصر ١٩٢٣ م
ديوان	امرؤ القيس	مصر ١٣٠٨ هـ
ديوان	امرؤ القيس	مخطوط ١٣ أدب ش
ديوان	أوس بن حجر	فينا ١٨٦٢ م
ديوان	البحترى	الجوائب ١٣٠٠ هـ
ديوان	بشار	مصر ١٣٦٩ هـ
ديوان	جرير	مصر ١٩٣٥ م
ديوان	حسان بن ثابت	مصر ١٩٢٩ م
ديوان	الحطيئة	ليبسك ١٨٩٣ م
ديوان	الخنساء	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١٢٠ أدب ش
ديوان	ذو الرمة	أوربا ١٩١٩ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
ديوان	زهير بن أبي سلمى	دار الكتب المصرية
ديوان	السموءل	بغداد ١٩٥٥ م
ديوان	سحيم (عبد بني الحسحاس)	دار الكتب المصرية ١٩٥٠
ديوان	الشريف الرضي	بيروت ١٣٠٧ هـ
ديوان	الشماخ بن ضرار	مصر ١٣٢٧ هـ
ديوان	العباس بن الأحنف	دار الكتب ١٩٥٤ م
ديوان	عبد الله بن رؤبة (العجاج)	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٥١٧ أدب
ديوان	عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار)	مصر ١٩٥٧ م
ديوان	علي بن الجهم	دمشق ١٣٦٩ هـ
ديوان	عمر بن أبي ربيعة	مصر ١٣٣٠ هـ
ديوان	عنترة العبسي	مصر ١٨٩٨ م
ديوان	الفرزدق	مصر ١٩٣٩ م
ديوان	قيس بن الخطيم	ليبسك ١٩١٤ م
ديوان	كثير	الجزائر ١٩٣١ م
ديوان	لبيد	مخطوط ٥٤٧ أدب بدار الكتب
ديوان	المتنبي شرح العكبري	مصر ١٢٨٧ هـ
ديوان	مسلم بن الوليد	ليون ١٨٧٥ م
ديوان	النابغة الذبياني	باريس ١٨٦٩ م
ديوان الهذليين	مختارات بشرح الشنقيطي	دار الكتب ١٩٤٥ م
ديوان المعاني	أبو هلال العسكري	مصر ١٣٥٢ هـ
رغبة الآمل من كتاب الكامل	سيد بن علي المرصفي	مصر ١٩٢٨ م

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
روضة الفصاحة	زين الدين بن أحمد الرازى	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١٢٨ أدب
زهر الآداب	الحصرى القيروانى	مصر ١٩٢٢ م
زهر الربيع	الحملاوى	مصر ١٣٢٣ هـ
سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجى	مصر ١٩٣٢ م
سمط اللآلى	البكرى (تحقيق الميمنى)	مصر ١٩٣٦ م
سيف بنى مروان	عبد الرزاق حميده	مصر ١٩٤٧ م
شرح البخارى	القسطلانى	مصر ١٢٧٦ هـ
شرح ديوان الحماسة	للتبريزى	مصر ١٢٢٦ هـ
شرح ديوان الحماسة	المرزوقى	مصر ١٣٧١ هـ
شرح المعلقات	التبريزى	كلكته ١٨٩٤ م
شرح سقط الزند	الخطيب التبريزى	مصر ١٩٤٥ م
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	مصر ١٣٦٤ هـ
شعراء النصرانية	جمع الأب لويس شيخو	بيروت ١٨٩٠ م
الشعور بالعور	الصفدى	مخطوط تاريخ تيمور ١٢١٥
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيرى	مصر ١٣٣٠ هـ
الصناعتين	أبو هلال العسكرى	مصر ١٩٥٢ م
طبقات فحول الشعراء	ابن سلام (تحقيق محمود شاكر)	مصر ١٩٥٢ م
الطراز	يحيى بن حمزة اليمنى	مصر ١٩١٤ م
عروس الأفراح	بهاء الدين السبكى	مصر ١٣١٨ هـ
العقد الفريد	ابن عبد ربه	مصر ١٩٤٠ م
العمـدة	ابن رشيق	مصر ١٩٠٧ م
عيار الشعر	ابن طباطبا	مصر ١٩٥٦ م
فصيح ثعلب	ثعلب	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت ١٤ لغة ش

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
فض الختام عن التورية والاستخدام	الصفدي	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١٢٦ بلاغة
فن الأسجاع	الاستاذ على الجندى	مصر ١٩٥١ م
فن التشبيه	الاستاذ على الجندى	مصر ١٩٥٤ م
فن التجنيس	الاستاذ على الجندى	مصر ١٩٥٤ م
قواعد الشعر	ثعلب (تحقيق خفاجه)	مصر ١٩٤٨ م
الكامل	المبرد	مصر ١٣٢٣ هـ
الكتاب	سيبويه	مصر ١٣١٦ هـ
الكشاف	الزمخشرى	مصر ١٣١٩ هـ
كشف الخفاء ومزيل الالباس	العجلونى	مصر ١٣٥٢ هـ
الكنايات	أبو العباس أحمد بن محمد الجرجانى	مصر ١٣٢٨ هـ
لسان العرب	ابن منظور	مصر ١٣٠٧ هـ
اللمعة فى صناعة الشعر .	ابن الأنبارى	مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١٩ عروض
المثل السائر	ابن الأثير	مصر ١٩٣٩ م مع الوافى فى علم العروض .
مجانى الأدب	جمع لويس شيخو اليسوعى	بيروت ١٨٨٥ م
مجلة المجمع العلمى العربى	المجمع العلمى العربى	دمشق ١٩٥٨ م
مختار الشعر الجاهلى	مصطفى السقا	مصر ١٩٤٩ م
مختارات البارودى	البارودى	مصر ١٩٢٧ م
المدخل الى النقد الأدبى الحديث ...	الدكتور غنيمى هلال	مصر ١٩٥٨ م
المستطرف فى كل فن مستظرف ..	شهاب محمد احمد الابشيهى	بولاق ١٢٨٥ هـ
مشكل القرآن	ابن قتيبة (تحقيق سيدأحمد صقر)	مصر ١٣٧٣ هـ
المصباح	ابن مالك الطائى	مصر ١٣٤١ هـ

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
معالم الكتابة	ابن شيث	بيروت ١٩١٣ م
معاهد التنصيص	عبد الرحيم أحمد بن العباس	مصر ١٩٤٧ م
معجم الأدباء	ياقوت	مصر ١٩١٨ م
معجم البلدان	ياقوت	ليبسك ١٨٦٦ م
مفتاح العلوم	السكاكى	مصر ١٣١٧ هـ
المفضليات	المفضل الضبى	بيروت ١٩٤٢ م
المقتضب من جمهرة النسب ..	ياقوت	مخطوطة ١٠٥ تاريخ م
منتهى الطلب	محمد بن المبارك بن ميمون	مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٣ أدب ش
الموازنة	الآمدى	مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ١١٩ أدب م
الموشح	المرزبانى	مصر ١٣٤٣ هـ
النشر فى القراءات العشر	ابن الجزرى	دمشق ١٣٤٥ هـ
نفح الطيب	المقرى التلمسانى (حمد بن محمد)	ليون ١٨٦١ م
النقائض	أبو عبيدة	لندن ١٩٠٨ م
نقد الشعر	قدامة بن جعفر	الجوائب ١٣٠٢ هـ
نقد النثر		مصر ١٩٣٨ م
النكت فى اعجاز القرآن	الرمانى	العدد ١٦ من ذخائر العرب مصر ١٩٦٠ م
نهاية الأرب	النويرى	دار الكتب المصرية ١٩٣٧ م
نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز	الرازى	مصر ١٣٢٧ هـ
النهاية	ابن الأثير (أبو السعادات مجد الدين)	مصر ١٩١١ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع ومكانه وتاريخه
الهول المعجب فى القول بالموجب...	الصفدى	مخطوط ٤٣٥ بلاغة — دار الكتب
الوساطة	على بن عبد العزيز الجرجانى	مصر ١٩٥١ م
وفيات الأعيان	ابن خلكان (تحقيــق محمد محيى الدين عبد الحميد)	مصر ١٣٦٧ هـ
يتيمة الدهر	الثعالبى	دمشق ١٣٠٤ هـ

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

تحرير التحبير

في

صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن

لابن أبي الإصبع المصري
٥٨٥ - ٦٥٤ هـ

تقديم وتحقيق
الدكتور حفني محمد شرف

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الدكتور مهدى علام ، رئيس لجنة احياء التراث الاسلامى

« ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ ، والا كان يتقدم الى الفراغ ذاته»
الرئيس جمال عبد الناصر فى « الميثاق »

وفى احياء التراث الاسلامى الذى وعته اللغة العربية أربعةعشرقرنا،الى جانب كل مايؤديه ذلك الاحياء من رفع الثقافة الدينية والانسانية ، ومن تبصرة جيلنا الناشىء بأمجاده العلمية القديمة التى رفعت منار المعرفة فى العالم — فيه الى كل ذلك رباط وثيق بين جمهوريتنا العربية المتحدة — فى عهدها الثائر الناهض النابض بكل ما يرفع مستوى الانسان روحيا وعقليا واقتصاديا — وبين سائر الأقطار العربيةالشقيقة التى يسير اتجاهها نحو الوحدة العربية الكبرى التى وصفها الرئيس جمال عبد الناصرفى « الميثاق » بقوله :

« ان الأمة العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها . لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة ، وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته . يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل ، ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان » .

ويتحدث « الميثاق » عن هذا التاريخ المشترك ، فيقول :

« ومصر بالذات لم تعش فى حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها ، بل كانت دائما ، بالوعى ، وباللاوعى فى بعض الأحيان ، تؤثر فيما حولها وتتأثر به ، كما يتفاعل الجزء مع الكل ... وكان الفتح الاسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة ، وأنار معالمها ، وصنع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى .

« وفى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد — صلى الله عليه وسلم — قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » .

وفى اطار من التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد — صلى الله عليه وسلم — يقوم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية اليوم برفع منار الاسلام فى العالم ، ويقوم جهاز من أجهزته ، وهو «لجنة احياء التراث الاسلامى» بنشر أمهات الكتب التى تألق فيها نور العلم بأقلام سلفنا الصالح من علماء المسلمين ، وان كان الزمان قد طواها فى مخطوطات مدثورة فى مكتبات العالم .

والكتاب الذى أقدمه اليـوم للقراء العرب والمسلمين ، هو كتاب « تحرير التحبير ، فى صناعة الشعر والنثر ، وبيان اعجاز القرآن » ، لمؤلف مصرى عربى مسلم ، نابه الشـأن ، عميق التخصص فى دراسته ، هو أبو محمد زكى الدين ، المعروف بابن أبى الاصبع المصرى ، من علماء القرن السابع الهجرى .

وترجع أهمية هذا الكتاب الى عدة نقط ، أهمها أنه يتناول فرعا من علوم القرآن البلاغية ، بدراسة نظرية وتطبيقية ، ثم هو الى جانب ذلك يتناول دراسة الشـعر والنثر فى ضوء ما يقرره من أصول وقواعد .

ومن ثم كانت أهمية تحقيقه على يد عالم متخصص فى هذه الدراسة البلاغية ، فالدكتور حفنى محمد شرف — الى جانب عمله الفنى الرسمى ، بوصفه مدرسا للبلاغة والنقد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة — خبير بهذا الفرع من الدراسات البلاغيـة خبرة طويلة . وهو « صديق » قديم لابن أبى الاصبع ، فقد سبق أن حقق له كتابه « بديع القرآن » ، وكتابه « الخواطر السـوانح فى أسرار الفواتح » .

وقد قام كذلك بتحقيق كتب أخرى لعلماء آخرين ، كما ألف عددا من المصـنفات فى ميدان البلاغة بعامة ، وبلاغة القرآن الكريم بخاصة .

ومما تجـدر الاشارة اليه هنا أن صداقته لابن أبى الاصبع ، واعجابه به — وكلنـا يعجب بالعلماء الذين يتصـدى لدراسـتهم وتحقيق آثارهم — لم تمنعه من نقده نقدا علميا وتاريخيا ، فقد تعقبه فى الثلاثين نوعا من البديع ، التى ادعى اختراعها لنفسه ، ولم يسلم له منها الا بأربعة عشر ، ورد الباقى لأصحابها الذين سبقوا ابن أبى الاصبع .

وحسب القارىء أن يطلع على الدراسة الفنية الوافية التى قدم بهـا الدكتـور حفنى شرف هذا التحقيق ، وعلى التعليقات القيمة التى ذيل بها صفحات الكتاب ، ليدرك مدى ما قام به من الجهد فى سبيل هذا العمل العلمى الممتاز ، الذى يسعدنى أن أقدمه .

واذا كان لى شرف مراجعته باسم « لجنة احياء التراث الاسلامى » فاننى أعترف بفضل هذه اللجنة فى مناقشتها واعتمادها لتقريرى عن الكتاب .

ولهذا أود أن أعترف لجميع الزملاء فى اللجنة بالجهد المحمود فى كل ما يقومون به من تنقيب عن التراث ، وبحث عن العلماء الذين يقومون بتحقيقه ، ومراجعة للاعمال التى تقدم اليهم ، فرادى ومجتمعين .

وان صدور هذا الكتاب فى الوقت الذى نحتفل فيه الأمة بعيد الثورة الشاملة ، التى خطط لها ، وقادها ، ورعاها ، الرئيس جمال عبد الناصر ، لدليل على أن وراء هذا القـائد الحكيم جنودا تقوم بالخدمات التى يهيئهم لها تخصصهم فى خدمة أمتنا العظيمة .

مهدى علام

القاهرة

صفر ١٣٨٣

يولية (تموز) ١٩٦٣